بسم الله الرحمن الرحيم



بهج الصباغة

في شرح نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد الثاني عشر



دار امیر کبیر للنشر
تهران: ۱۳۷۶



بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الثاني عشر)
المصنف : الشيخ محمدتقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولىٰ : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ ـ ٠٢٦٣ ـ ٠٠ ـ ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب ٤١٩١ـ ١١٣٦٥

٣١
الحكمة (٤٦٣)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا.

قال بعضهم: ونحن بنو الدُّنيا خلقنا لغيرها، وقال ابن أبي الحديد: قال أبو العلاء:

خُلِقَ النّاس للبقاء فضلّت	أمّة يحسبونهم للنّفاد
انّما ينقلون من دار اعمال	إلى دار شقوة أو رشاد[1]

٣٢
الحكمة (١٩٥)

وَقَالَ عليه السلام وَقَدْ مَرَّ بِقَذَرٍ عَلى مِزْبَلَةٍ:

هذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨١.

وروى في خبر آخر انّه عليه السلام قال:

هذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ.

قول المصنّف: «وقد مرّ بقذر على مزبلة» في الصحاح المزبل بالكسر: السّرجين، وموضعه مزبلة ومزبُلة أي: بفتح الباء وضمّها[١].

وفي (عقلاء مجانين النيسابوري): كان لجعفر بن سلمان جارية اسمها الخيزران وكان مفتوناً بها، فركب يوماً في جماعة من الموالي يريد الجمعة فمرّ بأبي سعيد الضبعي فرفع رأسه وقال يا جعفر! تحبّ خيزران؟ قال: نعم فقال: أبو سعيد:

نبّئتها عشقت حشاً فقلت لها لا يعشق الحشُّ إلّا كلّ كنّاسِ[٢]

فضرب جعفر وجه دابّته، ومضى حياءً من الناس

قوله عليه السلام: «هذا ما بخل به الباخلون» قيل بالفارسيّة:

عارفى روزى به راهى ميگذشت واله و سرمست چون ميخوارگان

ديد گورستان و مبرز روبرو (گفت) اينش نعميت اينش نعمت خوارگان

وفي (تاريخ بغداد): قالت مولاة داود الطائي: طبخت له دسماً ثمّ أتيته به، فقال ما فعل أيتام فلان؟ قلت: على حالهم، قال: إذهبي بهذا إليهم، فقلت: أنت لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا فقال: إنّ هذا إذا أكله اليتامى، كان عند الله مذخوراً، وإذا أكلته كان في الحشّ[٣].

هذا، وقيل لزياد الأعجم، الا تهجو جريراً؟ فقال أليس الّذي يقول:

كأنّ بني طهيّة رهط سلمى حجارة خاريءٍ يرمى كلابا[٤]

---

(١) الصحاح: (زبل).

(٢) النيسابوري، عقلاء المجانين: ٨٧ ـ ٨٨.

(٣) تاريخ بغداد ٨: ٣٥٣ رقم (٤٤٥٥).

(٤) الأغاني ٨: ٧٤.

قالوا : بلى، قال : ليس بيني وبين هذا عمل.

قول المصنّف: «وروى في خبر آخر أنّه عليه السلام قال»، قلت: وروى في خبر عنه عليه السلام رواه ابن بابويه في (فقيهه): إنّ الإنسان إذا نظر إلى حدثه بعد فراغه فليقل: (اللّهمّ ارزقني الحلال وجنّبني الحرام)[1] فانّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما من عبد إلّا وقد وكّل الله به مَلَكاً يلوي عنقه إذا أحدث، حتّى ينظر إليه، فعند ذلك ينبغي أن يسأل الله الحلال فإنَّ الملك يقول: يا ابن آدم هذا ما حرصت عليه بالأمس انظر من أين أخذته وإلى ماذا صار[2].

«هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس»:

قد أولع النّاس في الدّنيا بأربعة	أكل وشرب وملبوس ومنكوحُ
وغاية الكلّ ان فكّرت فيه	روث وبول ومطروح ومفضوحُ

وليتنافس في نعيم لا يحصل منه شيء وهو نعيم الآخرة قال تعالى﴿إنَّ الأبرار لفي نعيم* على الارائك ينظرون* تعرف في وجوههم نضرةَ النّعيم* يسقون من رحيقٍ مختوم* ختامه مسكٌ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[3].

هذا، وفي (المعجم) قال إبراهيم بن هلال، كان الحسن بن محمّد المهلّبي يناصف العشرة أوقات خلوته ويبسطنا في المزح إلى أبعد غاية، فإذا جلس للعمل كان أميراً وقوراً آخذاً في جدّ كامل، فاتّفق أن صعد يوماً من طيارة إلى داره، وقد حقنه البول فقصد بعض الأخلية فوجده مقفّلاً وكذلك كانت عادته حفاظاً لها عن الابتذال ، فقال:

---

(١) الفقيه ١: ٢٣ ح٣٨.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٣ ح٣٨.

(٣) المطففين: ٢٢ ـ ٢٦.

فهبك طعامك استوثقت منه فما بال الكنيف عليه قُفل؟

فقلت: إنّه لموضع عجب، وإذا وقع الإحتياط في الأصل، فقد استغنى عنه في الفرع، فضحك، وقال أوسعتنا هجاء[1].

٣٣
في الحكمة (١٠٣)

إِنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ وَسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَانِ؛ فَمَنْ اَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا اَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا؛ كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخِرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ.

أقول: مراده عليه السلام بالدّنيا التي جعلها مع الآخرة كعدوين وسبيلين مختلفين كالمشرق والمغرب وكالضرّتين، دنيا لم تجعل مقدّمة للآخرة، ومعلوم أنّها مع الآخرة كعدوّين، فلا يمكن أن يكون أحد محبّ الدّنيا ولا يكون مبغض الآخرة ومعاديها، كما قال عليه السلام ولذا قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدُّنيا...﴾[2]. وكسبيلين كالمشرق والمغرب، ومعلوم أنّه كما قال عليه السلام كلّما قرب سالك من أحدهما بعد عن الآخر، قال شاعر:

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة وبالشّام أُخرى كيف تلتقيان

هذا، ولمّا تزوّج سهيل بن عبد الرّحمن بن عوف الثُّريا، امرأة من أُميّة الأصغر، التي كان يشبّب بها عمر بن أبي ربيعة؛ قال عمر:

أيّها المنكح الثّريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

---

(١) معجم الادباء للحموي ٩: ١٣٣ ـ ١٣٤ ترجمة (الحسن بن محمد المهلبي).

(٢) النجم: ٢٩.

هي شـاميّة إذا مـا اسـتقلّت وسـهيل إذا استقلّ يـماني[1]

شبّه عمر الرّجل المسمّى بسهيل والمرأة المسمّاة بـثريّا بـالكوكبين المعروفين (سهيل) و (ثريّا) اللّذين لا يجتمعان.

قلت: وكان لسهيل أن ينقض كلامه عـليه بأنّ الثّـريّا كـوكب وسـهيل كوكب، والكوكب للكوكب فهي لي.

وفي (مقاتل أبي الفرج): قصر الضّرّتين موضع بالكوفة بايع الناس فيه محمّد بن ابراهيم بن اسماعيل بن طباطبا أيّام أبي السّرايا[2].

هذا، وكأنّه وقع في الكلام تغيّر، والأصل، انّ الدّنيا والآخرة عدوّان لا يجتمع حبّهما وتولّيهما، فمن أحبّ الدّنيا وتولّاها أبغض الآخـرة وعـاداهـا، وبالعكس، وهما سبيلان مختلفان متفاوتان كالمشرق والمغرب، كلّما قرب ماشٍ من واحد منهما بعد من الآخر.

وكيف كـان، فـالثّالث مـمّا شـبّهها عليه السلام بـه الضّـرّتان ومـن طـبعهما المـباينة، فـمن وصـل أحـداهـما قـطعته الأُخـرى، وشـبّههما السّـجاد عليه السلام كفّتي ميزان أيّهما رجح ذهب بالأخرى، ثم تلا عليه السلام قوله تـعالى ﴿إذا وقـعت الواقعة* ليس لوقعتها كاذبةٌ* خـافضةٌ رافـعةٌ﴾[3] أي: خـافضة لأعـداء الله إلى النّار، رافعة لأوليائه إلى الجنّة، وبـالجملة حـيث إنّـهما ضـدّان لا يـمكن الجمع بينهما كاملاً، وقد ورد أنّه (لم يستكمل لذّة الدّنيا من اهـتمّ بـمواقـيت صلواته).

---

(١) الأغاني ١: ١٠٦، والكامل للمبرد: ٥٩٨ طبع القاهرة.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٣٤٨.

(٣) الواقعة: ١ ـ ٣.

٣٤
الخطبة (٦٠)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إِلاّ فِيهَا، وَلاَ يُنْجى بِشَيءٍ كَانَ لَهَا. ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا آخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيءِ الظِّلاَلِ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتّى قَلَصَ، وَزَائِداً حَتّى نَقَصَ.

«ألا وانّ الدُّنيا دارٌ لا يسلم منها إلّا فيها» هي الدّاء وفيها الدّواء لمن أراد العلاج فمن داوى فيها سلم ومن ترك هلك ﴿وهذا صراط ربّك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقومٍ يذّكرون* لهم دار السّلام عند ربّهم وهو وليُّهم بما كانوا يعملون﴾[١]، ﴿الذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين يقولون سلامٌ عليكم ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون﴾[٢]، ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كُلِّ بابٍ* سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار﴾[٣].

«ولا ينجى بشيء كان لها» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في مناجاة موسى: يا موسى! إنّ الدُّنيا دار عقوبة، عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة: ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي، يا موسى! إنّ عبادي الصّالحين زهدوا في الدّنيا بقدر علمهم، وساير الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من أحد عظّمها فقرّت عيناه فيها، ولم يحقّرها أحد إلّا انتفع بها[٤].

---

(١) الأنعام: ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) النحل: ٣٢.

(٣) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤.

(٤) الكافي ٤: ٥ ح ٩.

«**ابتلى الناس فيها**» هكذا في (المصرية) والصواب: (بها)[1] كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[2]

«**فتنةً**» ﴿أحسب النّاسُ أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[3].

«**فما أخذوه منها لها أخرجوا منه**» ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[4].

«**وحوسبوا عليه**» ﴿ثمّ لتسئلنّ يومئذٍ عن النّعيم﴾[5].

«**وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه**» ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾[6].

«**فانّها عند ذوي العقول كفيء الظلّ**» كلّ فيء ظلّ، وليس كلّ ظلّ فيئاً، قال روبة: كلّ ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظلّ، وما لم يكن عليه الشمس فهو ظلّ، ولكون الظلّ أعمّ صحّ إضافة الفيء إليه.

«**بينا تراه**» أي: فيء الظلّ سابغاً أي: كاملاً وافياً.

«**حتّى قلص**» أي: نقص؛ من قولهم (ظلّ قالص).

«**وزائداً حتّى نقص**» قال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

١ ـ ألا انّما الدّنيا كظلّ غمامة أظلّت يسيراً ثم خفّت فولّت

(١) الطبعة المصرية المصححة بلفظ: ١٦١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٢٠ ح ٦٢، وشرح ابن ميثم بلفظ «فيها» ٢: ٥٨ ح ٦٠، والخطية: ٤١ بلفظ «بها».

(٣) العنكبوت: ٢ ـ ٣.

(٤) الأنعام: ٩٤.

(٥) التكاثر: ٨.

(٦) المزّمل: ٢٠.

٢ ـ ظلّ الغمام وأحوال المنام فما تدوم يوماً لمخلوق على حال[1]

وفي (شعراء ابن قتيبة) قال لبيد:

وما النّاس إلّا كالدّيار وأهلها بها يوم حلوّها وغدواً بلاقعُ

وما المرء إلّا كالشّهاب وضوئه يحور رماداً بعدما هو ساطعُ[2]

٣٥
من الخطبة (١٦٨)

أَلاَ وَإِنَّ هذِهِ ٱلدُّنْيَا الّتي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلاَ مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلاَ الَّذِي دُعِيتُمْ إليه. أَلاَ وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلاَ تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا؛ وَهِيَ إِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا؛ وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتي دُعِيتُمْ إليهَا؛ وَٱنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا؛ وَلاَ يَخِنَنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ ٱلأَمَةِ عَلى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا، وَٱسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلى طَاعَةِ ٱللهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلى مَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلاَ وَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلاَ وَإِنَّهُ لاَ يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ. شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا إِلَى ٱلْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!.

«ألاّ وانّ هذه الدّنيا التي أصبحتم تتمنّونها وترغبون فيها» قلبا وروحاً؛ ﴿قال الّذين يريدون الحياة الدُّنيا ياليت لنا مثل ما أُوتي قارون إنّه لذو حظٍّ عظيم﴾[3].

(١) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٤٤.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٩١ طبع القاهرة ١٩٣٢.

(٣) القصص: ٧٩.

«وأصبحت تغضبكم وترضيكم» وليست هي متمنّية لكم ولا راغبة فيكم، بل تكون كمرأة فارك، تغضب زوجها ثمّ ترضيه من غضبه بشيء.

«تخدعه ليست بداركم ولا منزلكم الّذي خُلقتم له»:

طـمعت إقـامة فـي دار ظـعن فلا تطمع فرجلك في الرّكـاب[1]

«ولا الّـذي دُعـيتم إليـه» ﴿إنّـما هـذه الحـياة الدُّنـيا مـتاعٌ وإنَّ الآخـرة هي دار القرار﴾[2].

«ألا وإنّها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها» قـال تـعالى بـعد ذكـر عـاد وثمود: ﴿فهل ترى لهم من باقيةٍ﴾[3]، ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هل تُحسّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً﴾[4]، ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ...﴾[5].

«وهي وإن غرّتكم منها» ﴿يا أيّها الناس انّ وعد الله حقّ فلا تغرّنّكم الحياة الدُّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور﴾[6]، ﴿...وغرّتكم الأمـاني حـتّى جـاء أمـر الله وغرّكم بالله الغرور﴾[7]، ﴿وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾[8].

«فقد حذّرتكم شرّها» في (الطبري): لمّا أخذ ابن الزبير بالبيعة ليزيد فـي المدينة من قبل الوليد خرج تحت اللّيل هو واخوه جعفر ليس مـعهما ثـالث، فأخذ طريق الفرع، وتجنّب الطريق الأعظم، مخافة الطّلب فبينا يسايران تمثّل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

---

(١) منسوب للإمام أمير المؤمنين، الديوان: ٥٢.

(٢) غافر: ٣٩.

(٣) الحاقة: ٨.

(٤) مريم: ٩٨.

(٥) النحل: ٩٦.

(٦) فاطر: ٥.

(٧) الحديد: ١٤.

(٨) آل عمران: ١٨٥.

وكـلّ بـني أُمّ سـيمسون ليـلةً ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال ابن الزّبير: سبحان الله! ما أردت يا أخي؟ قال: والله ما أردت يا أخي به شيئاً ممّا تكره، فقال: فذاك والله أكره إليّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمّد؛ وكأنّه قد تطيّر منه[1].

«فدعوا غرورها لتحذيرها وإطماعها لتخويفها»:

لقد خاب مـن غـرّته دنـيا دنـيّة وما هي إن غرّت قروناً بطائل[2]

١ ـ تـحرّز مـن الدّنـيا فـإنّ فـناءها
مـحلّ فـناء لا مـحلّ بـقاء
فـصفوتها مـمزوجة بكـدورة
وراحـتها مـقرونة بـعناء[3]

٢ ـ إنّما الدّنيا فـناء ليس للـدّنيا ثـبوت
إنّما الدّنيا كبيت نسجته العـنكبوت[4]

٣ ـ قـد رأيت القـرون كـيف تـفانت
درست ثـمّ قـيل كـان وكـانت[5]
هـي دنـيا كـحيّة تـنفث السّـمّ
وان كانت المجسّة لانت[6]

٤ ـ فـلم أر كـالدّنيا بـها اغـترّ أهـلها
ولا كاليقين استوحش الدّهر صـاحبه

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٢.

(٢) منسوب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الديوان: ٩.

(٣) منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام في الديوان: ٣٩.

(٤) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ٦٤.

(٥ ـ ٦) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام: ١١٦.

أمــرّ عــلى رســم القــريب كــانّما
أمــرّ عـلى رسـم امـرئٍ لا أنـاسبه[١]

اليقين: الموت.

«وسابقوا فيها إلى الدّار التي دعيتم إليها» ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السّماء والأرض أُعدّت للّذين آمنوا بالله ورسله...﴾[٢].

«وانصرفوا بقلوبكم عنها»:

إنّـــما الدّنـــيا كـــظلّ زائـــل
أو كضيف بات ليلاً فارتحل

أو كـــنوم قـــد يـــراه نـــائم
أو كبرق لاح في أفق الأمل[٣]

«ولا يخننّ أحدكم خنين الأمـة» في (الصحاح): الخنين كالبكاء في الأنـف والضحك في الأنف[٤]. والمراد هنا الأوّل.

«على ما زوى عنه منها»:

هب الدّنيا تســاق إليك عـفواً
أليس مصير ذاك إلى الزّوال

ومـا ترجو لشيء ليس يبقى
وشيكاً قد يـغيّره اللـيالي[٥]

«واستتّموا نعمة الله عليكم بـالصّبر عـلى طـاعة الله، والمـحافظة عـلى مـا استحفظكم من كتابه» فمن لم يصبر على طاعته وعن مـعصيته يـبدّل نـعمته بالنقّمة:

بـــالله ربّك كـــم بـــيت مـــررت بـــه
قـــد كـــان يـــعمر بـــاللّذات والطّـــرب

---

(١) ديوان أمير المؤمنين عليه‌السلام: ١٩.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) ديوان أمير المؤمنين عليه‌السلام: ١٢٥.

(٤) الصحاح: (خنن).

(٥) ديوان أمير المؤمنين عليه‌السلام: ١٢٥.

طارت عقاب المـنايا فـي جـوانـبه فصار من بعدها للويل والخرب[١]

«ألا وانّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظ قـائمة ديـنكم» فـي (الكافي): (كان رجل من أصحاب الصادق عليه السلام يدخل عـليه فـي حـجّه فـغبر زماناً لا يحجّ فدخل بعض معارفه عليه عليه السلام فقال عليه السلام له ما فعل فلان؟ فجعل يضجع الكلام ـ يظنّ انّه عليه السلام يعني الميسرة والدّنيا ـ فقال عليه السلام كيف ديـنه؟ فقال هو والله كما تحبّ فقال عليه السلام هو والله الغنى[٢].

وقال عليه السلام في قوله تعالى في مؤمن آل فرعون ﴿فوقيه الله سيئات ما مكروا...﴾[٣]: أما والله لقد قسطوا عليه وقتلوه ولكن وقاه ان يفتنوه في دينه[٤].

وفي (الطبري): بعد ذكر قبول الحرّ ان يأخـذ الحسـين عليه السلام طـريقاً لا يدخله الكوفة ولا يردّه إلى المدينة نصفا ـ: وأقبل الحرّ يسايره وهو يقول له إنّي اذكّرك الله في نفسك فانّي اشهد لئن قاتلت لتـقتلنّ فـقال عليه السلام أفـبالموت تخوّفني؟ أقول لك ما قال أخو الأوس لابن عمّه لمّا لقيه وهـو يـريد نـصرة النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له فأين تذهب؟ فانّك مقتول:

سأمضـي وما بالموت عار على الفتى إذا مـا نـوى حـقّاً وجـاهد مسـلما

وواسى الرجـال الصـالحين بـنفسه وفـارق مـثبوراً يـغشّ ويـرغما

فلمّا سمع الحرّ ذلك منه تنحّى عنه، وكان يسير بأصحابه فـي نـاحية والحسين عليه السلام في ناحية حتى انـتهوا إلى عـذيب الهـجانات، وكـان هـجائن النّعمان ترعى هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة على رواحـلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل، ومعهم دليلهم الطّرماح بن عديّ

---

(١) ديوان أمير المؤمنين عليه السلام : ٥٢.

(٢) الكافي ٣: ٣٠٧ ح ٤.

(٣) غافر : ٤٥.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٣٠٦ ح ١.

على فرسه وهو يقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجري	وشمّري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر	حتّى تحلّي بكريم النحر
الماجد الحرّ رحيب الصّدر	أتى به الله لخير أمر

ثمّة أبقاه بقاء الدّهر

فقال عليه السلام أما والله انّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا. قُتلنا أم ظفرنا[1].

«ألا وانّه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيءٌ حافظتم عليه من أمر دنياكم» في (الكافي) عنه عليه السلام: إذا حضرت بليّة فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازلة اجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا انّ الهالك من هلك دينه، والحريب من حرب دينه.

«أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر»[2]، قال الباقر عليه السلام: إنّ هذه الدّنيا يعطيها الله البرّ والفاجر، ولا يعطي الإيمان إلّا صفوته من خلقه[3].

وقال الصادق عليه السلام من كان همّه همّاً واحداً ـ يعني لدينه ـ كفاه الله همّه، ومن كان همّه في كلّ واد لم يبال الله بأيّ وادٍ هلك[4].

٣٦
من الخطبة (١٧٣)

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ المُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِليهَا، وَلاَ تَنْفَسُ بِمَنْ

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٥.

(٢) الكافي ٣: ٣٠٦ ح ٢.

(٣) الكافي ٣: ٣٠٥ ح ٣.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٣٤٤ ح ٥.

نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَايْمُ ٱللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا. لِأَنَّ ٱللهَ ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ.

«أيُّها الناس انَّ الدُّنيا تغرُّ المؤمّل لها» أي: تخدعه.

«والمخلد إليها» أي: الراكن إليها؛ قال تعالى ﴿واتلُ عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين* ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث...﴾[١].

«ولا تنفس بمن نافس فيها» أي: لا ترغب ولا تضنّ في من وبمن رغب فيها وضنّ بها.

«وتغلب من غلب عليها» وفي (الكامل): بعد ذكر فتح صلاح الدّين حلب في سنة (٥٧٩) وذكر مطعونيّة أخيه تاج الملوك الّذي كان فارساً شجاعاًكريماً حليماً جامعاً لمحاسن الأخلاق في ذاك الحرب في ركبته، حضر صلاح الدّين عند أخيه يعوده وقال له: هذه حلب قد أخذناها وهي لك، فقال: ذلك لو كان وأنا حيّ، ووالله لقد أخذتها غالية حيث تفقد مثلي؛ فعمل صلاح الدين دعوة احتفل فيها، فبيناهم في سرور إذ جاء من أسرّ إليه بموت أخيه[٢].

وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيليّة نكب وسجن باغمات فجاءه ببناته في عيد فقال:

---

(١) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١١: ٤٩٨.

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا　　فجاءك العيد بالاغمات مأسُورا
ترى بناتك في الأنظار جائعة　　يغزلن للنّاس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطّين والأقدام حافية　　كأنّها لم تطأ مسكاً وكافورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً　　فردّك الدّهر منهيّاً ومأمورا
من باتَ بعدك في ملك يسرّ به　　فانّما بات في الأحلام مغرورا[1]

وفي (الأغاني): قال الشعبي دعاني عبد الملك في علّته التي مات فيها فغصّ بلقمته وأنا بين يديه، فتساند طويلاً ثم قال أصبحت كما قال الشاعر :

كأنّي وقد جاوزت سبعين حجّة　　خلعت بها عن منكبيّ رِدَائِيَا

فقلت: الشعر للبيد وقد عاش إلى أن بلغ مائة وعشر فقال:

أليس في مائة قد عاشها رجل　　وفي تكامل عشر بعدها عمر

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشرين فقال :

ولقد سأمت من الحياة وطولها　　وسؤال هذا النّاس كيف لبيد؟
غلب الرّجال ـ وكان غير مغلّب ـ　　دهر جديد دائم ممدود
يوم أرى يأتي عليه وليلةٌ　　وكلاهما بعد المضاء يعود

ففرح عبد الملك وقال: ما أرى بأساً، وقد وجدت خفّة فأمر لي بأربعة آلاف درهم فقبضتها وخرجت فما بلغت الباب، حتّى سمعت النّاعية عليه[2].

«وايم الله» قسم مخفّف (أيمن) من اليمين ويجوز في همزتها الفتح والكسر.

«ما كان قومٌ قطّ في غض نعمةٍ من عيش» أي: طريّ نعمة ونضرتها.

«فزال عنهم إلّا بذنوبٍ اجترحوها» ﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٠: ٢٤٩ ذكر بعض الأبيات .

(٢) الأغاني للأصفهاني ١٨: ١٤٣ ـ ١٤٤ .

بأنفسهم...﴾[١]، ﴿كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قويٌّ شديد العقاب* ذلك بأنّ الله لم يك مغيّراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وانّ الله سميعٌ عليم﴾[٢].

«لأنّ الله ليس بظلّامٍ للعبيد» والأصل فيه قوله تعالى ﴿ذلك بما قدّمت أيديكم وانّ الله ليس بظلّامٍ للعبيد﴾[٣].

«ولو انّ الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النّعم فزعوا إلى ربّهم» روى إنّه إذا تريد أن تعرف قُصْر البلاء من طوله، فاعرفه في إلهام الدُّعاء وعدمه.

«لردّ عليهم كلّ شاردٍ» يقال شرد البعير إذا نفر.

«وأصلح لهم كلّ فاسد» ﴿ولقد أرسلنا إلى أُممٍ من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضّرّاء لعلّهم يضرّعون* فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾[٤]، ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلّا قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدُّنيا ومتّعناهم إلى حين﴾[٥].

٣٧
من الخطبة (١٨٦)

وَكُونُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا نُزَّاهاً وَإِلَى ٱلآخِرَةِ وُلاَّهاً. وَلاَ تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلتَّقْوى، وَلاَ تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلدُّنْيَا. وَلاَ تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلاَ تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا، وَلاَ تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلاَ تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلاَ تُفْتَنُوا

(١) الرعد: ١١.

(٢) الأنفال: ٥٢ ـ ٥٣.

(٣) آل عمران: ١٨٢.

(٤) الأنعام ٤٢ ـ ٤٣.

(٥) يونس: ٩٨.

بِأَعْلاَقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلاقَهَا مَسْلُوبَةٌ. أَلاَ وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ ٱلْعَنُونُ، وَٱلْجَامِحَةُ ٱلْحَرُونُ، وَٱلْمَائِنَةُ ٱلْخَؤُونُ، وَٱلْجَحُودُ الْكَنُودُ، وَالعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ، حَالُهَا انْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زَلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ. أَهْلُهَا عَلى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا؛ فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ: فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٍّ عَلى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ عَلى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ؛ وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

«وكونوا عن الدُّنيا نُزّاهاً» قال ابن السّكيت: ممّا يضعه النَّاس في غير موضعه قولهم: خرجنا نتنزّه؛ إذا خرجوا إلى البساتين، وإنّما التنزّه، التّباعد عن المياه والأرياف، ومنه قيل: فلان يتنزّه عن الأقذار وينزّه نفسه عنها أي: يباعد عنها[١].

قلت: ويصدّق ما قاله مورد كلامه عليه السلام في الأمر بالتنزّه عن الدُّنيا وقولهم أنّه تعالى منزّه عن النقائص.

«وإلى الآخرة ولّاها» الوله: التحيّر من شدّة الوجد؛ قال تعالى ﴿إنّما هذه الحياة الدُّنيا متاعٌ وإنّ الآخرة هي دار القرار﴾[٢]، ﴿قال الذين يريدون الحياة

---

(١) نسبه ابن منظور لابن سيدة: ٣٧٧ راجع لسان العرب ١٣: ٥٤٨ (نزه).

(٢) غافر: ٣٩.

الدُّنيا يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون إنّه لذو حظٍّ عظيم* وقال الّذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقّيها إلّا الصابرون* فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين* وأصبح الّذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكانّ الله يبسط الرزّق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان منَّ الله علينا لخسف بنا﴾[١].

«ولا تضعوا من رفعته التّقوى» ﴿واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تُريد زينة الحياة الدُّنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وكان أمره فرطاً﴾[٢].

وفي (أسباب نزول الواحدي): عن سلمان قال: جاءت المؤلّفة القلوب عيينية بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم إلى النبيّ ﷺ فقالوا: انّك لو جلست في صدر المجلس، ونحيّت عنّا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصّوف - جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل تعالى ﴿واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ﴾ - الآيات - فقام النبيّ ﷺ يلتمسهم حتّى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى، فقال النبيّ ﷺ: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا ومعكم الممات[٣].

«ولا ترفعوا من رفعته الدُّنيا» ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه ورزقُ ربّك خيرٌ وأبقى﴾[٤].

---

(١) القصص: ٧٩ - ٨٢.

(٢) الكهف: ٢٨.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٢٥.

(٤) طه: ١٣١.

ولا تشيموا بارقها، في الصحاح (شمت البرق): إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر[١].

«**ولا تستمعوا ناطقها** في (ابن أبي الحديد) وغيره (ولا تسمعوا ناطقها) فهو الصحيح والمعنى أبلغ.

«**ولا تجيبوا ناعقها**» من نعق الرّاعي بغنمه: صاح بها قال الأخطل:

انعق بضانك يا جرير فانّما

«**ولا تستضيئوا باشراقها**» أي: اضاءتها وتلألؤها.

«**ولا تفتنوا بأعلاقها**» قال ابن أبي الحديد: الاعلاق جمع علق وهو الشيء النفيس[٢].

قلت: بل مطلق المتاع ولو الخسيس وتخصيصه بالنفيس وهم الأصل فيه الجوهري فقال: العلق ـ بالكسر ـ النفيس من كلّ شيء يقال علق مضنّة ـ أي: ما يضنّ به[٣].

فكلامه كما ترى في معنى العلق النفيس؛ لأنّه يقال علق نفيس يضنّ به صاحبه، ثمّ أيّ نفائس للدُّنيا حتى يقول عليه السلام: لا تفتنوا بنفائسها؛ وانّما لها أمتعة مموّهة.

«**فإنّ برقها خالبٌ**» هو تعليل لقوله عليه السلام «ولا تشيموا بارقها» والبرق الخلب الّذي لا غيث فيه كأنّه خادع قال الجوهري ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز انّما أنت كبرق خلّب، قال: ويقال (برق خلب) بالإضافة[٤].

قلت: والأصل التوصيف كما في قوله (لم يك معروفك برقاً خلّباً، إنَّ خير

(١) الصحاح: (شيم).

(٣) الصحاح: (عَلَق).

(٤) الصحاح: (خَلَبَ).

البرق ما الغيث معه.

«ونطقها كاذِبٌ» تعليل لقوله عليه السلام «ولا تسمعوا ناطقها» ﴿وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾[١].

«وأموالها محروبة وأعلاقها مسلوبةٌ» هما معاً تعليل لقوله عليه السلام «ولا تفتنوا بأعلاقها» وحرب المال إذا أخذ وترك صاحبه بلا شيء، قال تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّةٍ وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٢] هذا - وكأنّه سقط تعليل قوله عليه السلام «ولا تجيبوا ناعقها» وقوله عليه السلام «ولا تستضيئوا باشراقها» من النّسّاخ ولعلّ الأوّل (ونعقها من الذّئاب) والثاني (وضياؤها ظلمة).

«ألا وهي المتصدّية العنون» في (الصحاح): تصدّى له: أي تعرّض، وهو الذي يستشرقه ناظراً إليه[٣].

وعنّ: أي عرض واعترض؛ شبّهها عليه السلام بمرأة بغيّ تتصدّى للرجال وتعرض نفسها عليهم ولا تبقى عند أحد منهم فقالوا: الدّنيا كعروس مجلوّة تسرّ خطّابها وهي لهم قاتلة؛ الدُّنيا قحبةٌ فيوماً عند عطّارٍ ويوماً عند بيطارٍ[٤].

«والجامحة الحرون» الفرس الجامح: الّذي لا يملكه راكبه، والفرس الحرون: الذي لا ينقاد؛ شبّهها عليه السلام بفرس شموس لا ينقاد لصاحبه؛ وقيل بالفارسية:

بر ابلق زمانه سواراستى الحذر زين اسب سركش بد چشم بد لگام

وقال شاعر:

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) الصحاح: (صدى).

(٤) الطرائف للمقدسي: ١٠.

لقد قال فيها الواصفون وأكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب شهيّ إذا استلذذته فهو جامح[١]

«والمائنة الخؤون» المين: الكذب، شبّهها عليه السلام بمرأة تكذب مع زوجها في حُبّه، وتخونه في التمكين من غيره، قال ابن بسّام:

يا عجباً منها ومن شأنها عدوّة للنّاس معشوقة[٢]

وقيل بالفارسيّة:

مجو درستى عهد از جهان سست نهاد
كه اين عجوزه عروس هزار داماد است[٣]

«والجحود الكنود» في (الصّحاح): جحد الرجل ـ بالكسر ـ فهو جحد إذا كان ضيّقاً قليل الخير[٤].

وكند، أي: كفر النّعمة فهو كنود وامرأة كنود أيضاً؛ شبّهها عليه السلام بمرأة تجحد احسان زوجها إليها وتكفر نعمته عندها وللنّساء تخصّص في هذا الوصف.

«والعنود الصّدود» في (الأساس): رجل عنيد: يعرف الحقّ فيأباه فيكون منه في شق، من العند وهو الجانب، ورجل عنود: يحلّ وحده، لا يخالط النّاس، قال:

ومولى عنود الحقته جريرة وقد تلحق المولى العنود الجرائر[٥]

والصدّ: الاعراض.

---

(١) الطرائف للمقدسي: ١٠.
(٢) المصدر نفسه: ٩.
(٣) ديوان حافظ: ٢٧.
(٤) الصحاح: (جحد).
(٥) أساس البلاغة للزمخشري: ٣١٤ (ع ن د).

«والحيود الميود» حاد عن الشيء مال عنه وماد الشيء: أي تحرّك واضطرب، قال البحتري في محبوبته:

فكم في الدّجى من فرحة بلقائها ـ أي: في النّوم ـ

ومن ترحة بالبين منها لدى الفجر

إذا اللّيل أعطانا من الوصل بلغة

ثنتنا تباشير النّهار إلى الهجر[1]

«حالها انتقالٌ» قال ابن أبي الحديد: يجوز أن يعني به أنّ سجيّتها انتقال، ويجوز أن يعني به أنّه وإن كان، إنّما الموجود من الزّمان هو الحاضر ـ لأنّ الماضي والمستقبل لا وجود لهما الآن ـ إلّا أنّ الذي يحكم عليه العقلاء بالحضور، أيضاً ليس بحاضر بل هو سيّال متغيّر[2]، وقال باقي الشّراح قريباً منه.

قلت: قرأوا قوله عليه السلام «حالها» بتخفيف اللّام من الحول فوقعوا في أوهام وانّما هو «حالّها» بتشديد اللّام من الحلول، والحلول ضدّ الانتقال أراد عليه السلام أن يثبت لكل صفة من الدنيا أثر ضدّها فقال عليه السلام «حلولها انتقال»، ويشهد ذلك قوله عليه السلام بعد «ووطأتها زلزال، وعزّها ذلّ، وجدّها هزل، وعلوّها سفل» فترى حمل عليه السلام على كلّ صفة منها ضدّها وأين كلامه عليه السلام ممّا قال هذا الزّمان الحاضر ثابت أو سيّال، ثم حمل (الانتقال) على الحال إمّا مبالغة وامّا كان الأصل (على الانتقال).

«ووطأتها زلزالٌ» قال ابن أبي الحديد: الوطأة كالضّغطة ومنه قوله صلى الله عليه وآله: (اللّهمّ أشدد وطأتك على مضر)، وأصلها موضع القدم والزّلزال: الشدّة

(١) ديوان البحتري ٢: ٢١١ يمدح المعتز.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٢٣.

العظيمة، وقال الراوندي: (يريد أنّ سكونها حركة من قولك (وطؤ الشيء) أي: صار وطيئاً ذا حال ليّنة وموضع وطي أي: وثير) وهذا خطأ لأنّ المصدر من ذلك (وطآءة) بالمدّ وهنا (وطأة) ساكن الطاء فأين أحدهما من الآخر[١].

قلت: بل الحقّ مع الرّاوندي من كون المراد من كون (وطأة الدنيا زلزالاً) (ان سكونها حركة) فانّه عليه السلام في مقام أن يثبت لكلّ صفة منها في الظّاهر ضدّها في الباطن كما عرفت وقوله: الوطأة كالضغطة ومنه قوله صلى الله عليه وآله اللّهمّ اشدد وطأتك على مضر؛ وهمٌ تبع فيه الجوهري كقوله: (وأصلها موضع القدم) فانّ الأصل في الوطأة وضع القدم، وانّما موضع القدم (الموطأ) قال تعالى ﴿ولا يطؤون موطأً يغيظ الكفّار...﴾[٢]، ومنشأ وهم الجوهري في قوله «الوطأة موضع القدم وهو أيضاً كالضغطة، وفي الحديث: (اللّهمّ اشدد وطأتك على مضرّ)[٣] جعله معنى: أشدد وطأتك، جملة الموطأة منفرداً نظير جعله معنى (علق مضنة) للعلق منفرداً، ولا ريب أنّ (وطأتها) في كلامه عليه السلام من (صار الشيء وطيئاً) كما قال الراوندي، لما عرفت من شهادة السياق وهل رأى ابن أبي الحديد (الوطأة) بسكون الطاء في خطّه عليه السلام أو سمعه من لفظه، وإنّما رأى خطّ النسّاخ، وفي الخطّ يكتبان على شكل واحد ولم يضع النّاسخ المدّ.

«**وعزّها ذلّ**» أهل الدّنيا لم يصيروا ذوي عزّة قطّ. فإنّما العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وانّما قد يصيرون ذوي اقتدار في صورة أهل العزّة، وسريعاً يسلب عنهم مع أنّهم في حال اقتدارهم أذلّاء لكونهم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) التوبة: ١٢٠.

(٣) الصحاح: (وطأ).

منقطعين عن الله تعالى.

«وجِدّها هزلٌ» قالت بنت النعمان بن المنذر:

فبيّنا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف[١]

«دارُ حربٍ وسلبٍ ونهبٍ وعطبٍ» أي: هلاك؛ قالوا: يَسار الدّهر في الأخذ أسرع من يَمينه في البذل، لا يعطي بهذه إلّا ارتجع بتلك، ولا يؤمن يومه ويخاف غده ويرضع ثديه ويخرج يده[٢].

«أهلها على ساقٍ وسياقٍ» قال الشاعر:

وما النّاس إلّا مثل سيّقة العدا ان استقدمت نحر وان جبأت عقر

وما النّاس في شيء من الدّهر والمنى وما النّاس إلّا سيّقات المقادر

«ولحاقٍ» بالأموات.

«وفراقٍ» من الأحياء قال النبيّ ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام: (إنّك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي) وقال لأزواجه: (أطولكنّ يداً أسرعكنّ بي لحوقاً)[٣] فكانت زينب بنت جحش.

وفي دعاء المقابر: أنتم لنا فرط وانّا انشاء الله بكم لاحقون[٤].

وقال تعالى: ﴿كلّا إذا بلَغت التّراقي* وقيل من راقٍ* وظنّ انّه الفِراق* والتفّت السّاقُ بالسّاق* إلى ربّك يومئذٍ المساق﴾[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٥٣.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) المجلسي في البحار عن النهاية ١٨: ١١٤، وفي النهاية لابن الأثير ٥: ٢٩٤ (يد).

(٤) الكافي ٣: ٢٢٩ ح٥.

(٥) القيامة: ٢٦ ـ ٣٠.

«قد تحيّرت مذاهبها» ﴿كالّذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحابٌ يدعونه إلى الهدى ائتنا...﴾[1].

«وأعجزت مهاربها» ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أشدّ منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيصٍ﴾[2].

«وخابت مطالبها» ﴿قد أفلح من زكّاها* وقد خاب من دسّيها﴾[3]، ﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبارٍ عنيد﴾[4]، وقال الشاعر:

لقد خاب من غرّته دنيا دنيّة وما هي إن غرّت قروناً بطائل[5]

«فاسلمتهم المعاقل» والمعقل: الملجأ؛ قال تعالى ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيّدةٍ...﴾[6].

«ولفظتهم المنازل» من قولهم لفظت الشيء من فمي أي: رميته.

«وأعيتهم» من داء عياء: صعب لا دواء له، كأنّه أعيى الأطباء.

«المحاول» من (حاولت الشيء): طلبته بحيلة.

«فمن ناجٍ معقور» أي: مجروح؛ قالوا: انحدر أبو العيناء مع ثمانين نفراً في زورق من بغداد إلى البصرة فغرقوا ونجا، تعلّق بطلال الزّورق فلّما دخل البصرة[7] مات.

«ولحمٍ مجزورٍ» في (الصحاح): جزر السّباع: اللحّم الذي تأكله السباع[8].

---

(١) الأنعام: ٧١.

(٢) ق: ٣٦.

(٣) الشمس: ٩ ـ ١٠.

(٤) إبراهيم: ١٥.

(٥) منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام في الديوان: ١٢٤.

(٦) النساء: ٧٨.

(٧) مروج الذهب ٤: ٢٣٥.

(٨) الصحاح: (جزر).

وفي (المروج): أُصيب كفّ عبد الرحمن بن عتاب من مقتولي الجمل مع عايشة بمنىً ألقاها عُقاب وفيها خاتم نقشه (عبد الرحمن بن عتاب) وكان اليوم الذي وجد فيه الكفّ بعد يوم الجمل بثلاثة أيّام وقطع على خطام جمل عايشة سبعون يداً من بني ضبّة معهم كعب بن سور القاضي متقلّداً مصحفاً، كلّما قطع يد واحد منهم قام آخر وقال: أنا الغلام الضّبيّ[1].

«وشلوٍ مذبوح» في (الصحاح): الشّلو العضو من أعضاء اللحم[2].

والظاهر أنّه هنا بمعنى البقيّة من قولهم «بقيت أشلاء من تميم»: بقايا.

«ودمٍ مسفوحٍ» أي: مسفوك.

في (خلفاء ابن قتيبة): كتب عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بالمسير إلى العراق ويحتال لقتلهم فتوجّه ومعه ألفا رجل من مقاتلة أهل الشام، وتحرّى دخول البصرة يوم الجمعة في حين أوان الصّلاة وأمر من معه أن يتفرّقوا على أبواب المسجد على كلّ باب مائة رجل بأسيافهم تحت أرديتهم وعهد إليهم إن إذا سمعتم الجلبة داخل المسجد فلا يخرجنّ أحد من باب المسجد حتّى يسبقه رأسه إلى الأرض وكان المسجد له ثمانية عشر باباً فبدر ألف وثمانمائة على كلّ باب مائة وجلسوا مرتدين ودخل الحجّاج وبين يديه مائة وخلفه مائة كلّ منهم مرتد بردائه وسيفه، قد أفضى به إلى داخل إزاره وقال لهم: انّي إذا دخلت فسأكلّم القوم في خطبتي وسيحصبوني، فاذا رأيتموني وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا أسيافكم؛ فلمّا دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر، وقال: إنّ الخليفة ولّاني مصركم وقسمة فيئكم، وإنصاف مظلومكم، وإمضاء الحكم على ظالمكم، وأخبركم أنّه قلّدني حين

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٧١.

(٢) الصحاح: (شلا).

توليتي بسيفين: سيف رحمة، وسيف نقمة، فأمّا سيف الرَّحمة فسقط منّي في الطريق، وامّا سيف النقمة فهو هذا ـ وسلّ سيفه ـ فحصبه النّاس، فلمّا أكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبته، فجعل السّيوف تبري الرقاب، فلما سمع الخارجون الكائنون على الأبواب وقيعة الدّاخلين وتسارع الناس إلى الخروج تلقّوهم بالسّيوف فارجعوا الناس إلى جوف المسجد، ولم يتركوا خارجاً يخرج من المسجد فقتل منهم بضعاً وسبعين ألفاً حتّى سالت الدماء إلى باب المسجد وإلى السّكك[١].

«**وعاضٌ على يديه**» من النّدامة ﴿ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلا* ياليتني لم اتّخذ فلاناً خليلاً* لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جاءني وكان الشّيطان للإنسان خذولاً﴾[٢].

«**وصافقٍ بكفيّه**» في (الصحاح): الصّفق: الضّرب الذي يسمع له صوت، والتّصفيق باليد: التصويت بها[٣].

«**ومرتفقٍ بخدّيه**» أي: جعل خدّيه على مرفقه.

«**وزارٍ على رأيه**» قال أبو عمرو: الزّاري على آخر: الّذي لا يعدّه شيئاً وينكر عليه فعله[٤].

في (المروج): جرح عبد الملك بن مروان في الجمل طلحة في جبهته ورماه أبوه مروان في أكحله.

قلت: انتقاماً لعثمان وكانوا جميعاً في عسكر عايشة، فوقع طلحة صريعاً وسمع وهو يقول :

---

(١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة (الامامة والسياسة) ٢: ٣٢.

(٢) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٣) الصحاح: (صفق).

(٤) الصحاح: (زرى): ٢٣٦٧.

نــدمت نــدامــة وضــلّ حـلمي ولهــفي ثــمّ لهـف أبـي وأمّــي
نــدمت نــدامــة الكسـعي لمّـا طلبت رضا بني حزم بزعمي[١]

«وراجعٍ عن عزمه» رجـع الزّبـير لمّـا ذكّـره أمـير المـؤمنين عليه السلام قـول النبيّ صلى الله عليه وآله له بقتاله معه عليه السلام ظلماً وترك العسكرين.

«وقد أدبرت الحيلة» ﴿حتّى إذا جاء أحدهم الموت قـال ربِّ ارجـعونِ* لعلّي أعمل صالحاً في ما تركت كلّا انّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾[٢]

«وأقبلت الغيلة» في (الصحاح): قتله غيلة: إذا ذهب به إلى موضع خدعةً فقتله[٣].

«ولات حين مناصٍ» اقتباس من الآية في سورة (ص) ﴿كم أهلكنا قبلهم من قرنٍ فنادوا ولات حين مناصٍ﴾[٤] قال أبو عبيد (لات) هي (لا) و (التّاء) انّما زيدت في (حين) وان كتبت مفردة ، فقال أبو وحزة: (العاطفون تحين ما من عاطف)، وقال المورج: بل زيدت في لا كما تزاد في (ربّ)[٥] و (ابن ميثم). قلت: وهو أصحّ لكتابتها مفردة ولوجودها مع عدم (حين) في قـوله: (هـنّت ولات هنّت) و (المناص) التأخّر أي: ليس ذاك الوقت وقت تأخّر وفرار .

«هيهات هيهات» ذكر الجوهري (هيهات) في (هيه) وقال: انّها كلمة تبعيد؛ وأقول: وكأنّه لا تستعمل إلّا مكرّرة كما في كـلامه عليه السلام بـتصديق ابـن أبـي الحديد وكما في قول الشاعر :

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٦٥ .

(٢) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) الصحاح: (غيل) .

(٤) الصحاح: (ليت): ٢٦٥. سورة ص: ٣ .

(٥) الصحاح: (ليت): ٢٦٦ .

فهيهات هيهات العقيق وأهله وهيهات خلّ بالعقيق تحاوله[١]

وكما في قول آخر، في وصف إبل قطعت بلاداً وصارت في القفار:

يصبحن في القفر اتاويات هيهات من مصحبها هيهات

هيهات (حجر) من (صنيعات)

كسر التاء في (هيهات) امّا لضرورة الشعر، وامّا لكونه لغة فيه جعلاً له كنون التثنية وكما في قول آخر: (أيهات منك الحياة ايهاتاً)[٢] جعل فيه الهاء ألفاً وجعل الثاني اسماً معرباً مصدراً.

«قد فات ما فات وذهب ما ذهب» ﴿ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[٣].

«ومضت الدُّنيا لحال بالها» قال ابن أبي الحديد: حال بالها، أي: إن خيراً وإن شرّاً.

قلت: والأحسن أن يقال المراد لحال قلبها وإرادتها كقولك: (ما يخطر فلان ببالي).

«﴿فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين﴾»[٤] الآية المقتبسة في سورة الدّخان في فرعون وقومه وقبلها ﴿كم تركوا من جنّات وعيونٍ* وزروعٍ ومقامٍ كريم* ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٦.

(٢) لسان العرب ١٥: ١٨٥.

(٣) المنافقون: ١١.

(٤) الدخان: ٢٩.

(٥) الدخان: ٢٥ ـ ٢٨.

٣٨
الحكمة (٢٢٨)

وَقالَ عليه السلام:

مَنْ اَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ اَصْبَحَ لِقَضَاءِ اَللهِ سَاخِطاً، وَمَنْ اَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ اَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ اَتى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اَللهِ هُزُواً، وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا اَلْتَاطَ مِنْهَا بِثَلاَثٍ: هَمٍّ لاَ يُغِبُّهُ، وَحِرْصٍ لاَ يَتْرُكُهُ، وَاَمَلٍ لاَ يُدْرِكُهُ.

«من أصبح على الدُّنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً» في (الكافي): قال النبي صلى الله عليه وآله: يا معشر المساكين! طيبوا نفساً واعطوا الرّضا من قلوبكم يثبكم الله على فقركم، فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم[١].

«ومن أصبح يشكوا مصيبةً نزلت به فقد أصبح يشكو ربّه» هكذا في (المصرية)[٢]، ولكن في (ابن أبي الحديد والخطيّة)[٣] بدل «فقد أصبح يشكو ربّه»: «فانّما يشكو ربّه».

في (الكافي): إنّ رجلاً شكا إلى الصادق عليه السلام مصيبة أُصيب بها فقال عليه السلام له: ان تصبر تؤجر، وإلّا يمضِ عليك قدر الله الذي قدّر عليك وأنت مأزور[٤].

«ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثُلثا دينه» في (الكافي): مرّ عيسى عليه السلام على قرية مات أهلها وطيرها ودوابها، فقال: أما إنّهم لم يموتوا إلّا

---

(١) الكافي ٣: ٣٦٢ ح١٤.

(٢) الطبعة المصرية المصححة (فقد أصبح): ٧٠٨ ح٢٢٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٥٢ خ٢٢٤.

(٤) الكافي ٣: ٢٢٥ ح١٠.

بسخط وإلّا لتدافنوا ـ إلى أن قال بعد ذكر نداء عيسى عليه السلام لهم وجواب أحدهم له ـ قال عيسى عليه السلام: كيف كان حبّكم للدُّنيا؟ قال: كحبّ الصبيّ لأُمّه، إذا أقبلت علينا سررنا وإذا أدبرت علينا حزنّا وبكينا...[١].

والتواضع للغنيّ إنّما ذمّه لو كان لغناه، وامّا لو كان لأخلاقه وتقواه فلا.

«ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممّن كان يتّخذ آيات الله هزواً» في (الجمهرة): كانت ﴿قل يا أيُّها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ تسمّيان في صدر الإسلام المقشقشتين لأنّهما ابرأتا من النفاق[٢].

وفي (تاريخ بغداد): قال محمّد بن علي المادرائي: كنت اجتاز بتربة أحمد بن طولون فأرى شيخاً عند قبره يقرأ ملازماً للقبر ثمّ إنّي لم أره مدّة ثمّ رأيته بعد ذلك فقلت له: لست الّذي كنت أراك عند قبر أحمد بن طولون وأنت تقرأ عليه؟ فقال: بلى قد كان وليّنا، وكان له علينا بعض العدل إن لم يكن الكلّ فأحببت أن اقرأ عنده وأصله بالقرآن قلت: لِمَ انقطعت عنه؟ فقال: رأيته في النّوم وقال لي: أحبّ أن لا تقرأ عندي، فكأنّي أقول له لأيّ سبب؟ فقال: ما تمرّ بي آية إلّا قرعت بها، وقيل لي: أما سمعت هذه؟[٣]

«ومن لهج» أي: ولع وحرص.

«قلبه بحبّ الدُّنيا التاط» أي: لصق قلبه.

«منها بثلاثٍ» هكذا في (المصرية)[٤] وقلبه، زائدة لتقدّمه ولعدم وجوده في (ابن أبي الحديد) وغيره.

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٦ ح١١.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٤٤.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣: ٨١ رقم ١٠٦٢.

(٤) الطبعة المصرية المصححة: ٧٠٨.

«همٌّ لا يغبّه»[١] أي: لا يكون له فترة وانقطاع، بل له دوام واتّصال، قال الصادق عليه السلام: مثل الحريص على الدُّنيا كمثل دودة القزّ كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً[٢].

«وحرصٍ لا يتركه وأملٍ لا يدركه» قال الصادق عليه السلام: مثل الدّنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتّى يقتله[٣].

٣٩
الحكمة (٢٨٦)

وَقَالَ عليه السلام:

مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ (طُوبى لَهُ) إِلَّا وَقَدْ خَبَّأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ.

قال تعالى في قارون ﴿فخرج على قومه في زينته قال الّذين يريدون الحياة الدّنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنّه لذو حظٍّ عظيم* وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقّاها إلّا الصّابرون* فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين* وأصبح الّذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكانَّ الله يبسط الرِّزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان منَّ الله علينا لخسف بنا ويكانّه لا يفلح الكافرون﴾[٤].

وفي (الأغاني): أنّ مطيع بن اياس اضطرّ إلى بيع جارية له بالرّيّ لمّا خرج منها، فلمّا وصل إلى حلوان نظر إلى نخلتين هناك فقال:

اسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا من ريب هذا الزّمان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٥٢، مع وجود اللفظ كذلك شرح ابن ميثم في ٥: ٣٥٦ ح٢١٣ اللفظ موجود.

(٢) الكافي ٣: ٢٠٢ ح٢٠.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٢٠٥ ح٢٤.

(٤) القصص: ٧٩ ـ ٨٢.

واعـلما انّ ريـبه لم يـزل يفرّق بين الالّاف والجـيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفرقة أبكـاكـما الّـذي أبكـاني
أسعدانـي وايـقنا انّ نـحسا سـوف يـلقاكـما فـتفترقان

ثم روى أنّ المنصور اجتاز بالنخلتين وكانت إحداهـما عـلى الطـريق فأراد قطعها فأنشد قول مطيع:

واعلما ما بقيتما انّ نحسا سوف يلقاكـما فـتفترقان

فقال: لا والله ما كنت ذلك النّحس الّذي يفرّق بينهما.

ثمّ روى أنّ المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان فهممت أن آمر بقطعهما، فبلغ قوله المنصور فكتب إليه أعيذك أن تكـون النّـحس الّـذي تلقاهما.

وروي أنّ الرّشيد لمّا خرج إلى طوس، هاج به الدّم بحلوان، فأشار عليه الطبيب بأكل جمّار، فأحضر دهقان حلوان، وطلب منه جمّاراً فأعلمه أنّ بلده ليس بها نخل ولكن على العقبة نخلتان، فمُرْ بـقطع إحـديهما فـقُطِعَت، فأتـي بجمارتها، فأكل منها وراح فلّما انتهى إلى العقبة، نـظر إلى إحـدى النـخلتين مقطوعة والأُخرى قائمة وإذا على القائمة مكتوب:

أسعدانـي يـا نـخلتي حـلوان وابكيا لي من ريب هذا الزّمانِ
أسـعدانـي وايـقنا ان نـحساً سـوف يـلقاكُما فـتفترقانِ

فاغتمّ، وقال: يعزّ عليّ أن أكون نحسكما، ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدّم[1].

وفي (تاريخ بغداد): ولّى عمر بن أبي عمر الأزدي من آل حماد بن زيد، القضاء بمدينة السّلام في حياة أبيه نيابة عنه ثمّ أقر بعده إلى آخر عمره في

(١) الأغاني ١٣: ٣٣١ ـ ٣٣٠.

(١٧) سنة و (٢٠) يوماً، قال المعافى بن زكريا: كنت أحضر مجلسه يوم النّظر، فحضرت أنا وجماعة من أهل العلم يوماً في الموضع الذي جرت العادة بجلوسنا فيه ننتظره حتى يخرج، فدخل أعرابي فجلس بقربنا، فجاء غراب فقعد على نخلة في الدّار، وصاح ثمّ طار فقال الأعرابي: هذا الغراب يقول إنّ صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام؛ فصحنا عليه وزبرناه، فقام وانصرف، واحتسب خروج القاضي وإذا قد خرج إلينا الغلام وقال: القاضي يستدعيكم؛ فقمنا إليه وإذا به متغيّر اللون مغتمّ، فقال: انّي رأيت البارحة في المنام شخصاً يقول:

منازل آل حمّاد بن زيد ... على أهليك والنّعم السلام

فضاق لذلك صدري، فدعونا له وانصرفنا فلّما كان اليوم السابع دفن، كان ذلك في سنة (٣٢٨)[1].

وفي (وزراء الجهشياري): خلا جعفر البرمكي يوماً بندمائه في منزله فتمضّخ بالخلوق ولبس الحرير، وفعل بندمائه مثل ذلك وتقدّم إلى حاجبه بحفظ الناب إلّا من عبد الملك بن نجران، كاتبه فوقع في اذن الحاجب (عبد الملك) فقط وبلغ عبد الملك بن صالح العبّاسي مقام جعفر في منزله فركب إليه فوجّه الحاجب إلى جعفر «قد حضر عبد الملك» فقال يؤذن له ـ وهو يظنّه ابن نجران ـ فدخل عبد الملك بن صالح في سواده فلّما رآه جعفر اسوّد وجهه ـ وكان عبد الملك لا يشرب النبيذ وكان ذلك سبب موجدة الرّشيد عليه لأنّه كان يلتمس ندامه فيأبى عليه ـ فوقف عبد الملك على ما رأى من جعفر فدعا غلامه فناوله سواده وقلنسوته وأقبل حتى وقف على باب المجلس فقال (افعلوا بنا ما فعلتم بأنفسكم) فدنا منه خادم فألبسه حريرة وجاء فجلس ودعا بطعام،

---

(١) تاريخ بغداد ١١: ٢٣٢.

فأكله ودعا بنبيذ فأتوه برطل فشربه، وقال لجعفر والله ما شربته قبل اليوم فليخفّف عنّي فدعا له برطليّة جعلت بين يديه وجعل كلّما فعل ذلك شيئاً سرّى عن جعفر فلّما أراد الإنصراف قال له جعفر: سل حاجتك، فما تحيط مقدرتي بمكافأة ما كان منك، فقال: إنّ في قلب الرّشيد عليّ هنة فتسأله الرّضا عنّي، فقال: قد رضي عنك، قال: وعليّ أربعة آلاف درهم تقضى عنّي قال: انّها عندي حاضرة، ولكن اجعلها من مال الخليفة، فانّها أنبل لك، قال: وابراهيم ابني أحبّ أن أشدّ ظهره بصهر من أولاد الخليفة، قال: قد زوّجه الخليفة (العالية) قال: ويحبّ أن يخفق لواء على رأسه، قال: قد ولّاه مصر، قال إبراهيم بن المهدي ـ أخو الرّشيد ـ وكان من ندمائه ـ تعجّبنا من إقدام جعفر من غير استئذان وقلنا: لعلّه أن يجاب إلى مال من الحوائج فكيف التّزويج ، فلّما كان من الغدّ وقفنا على باب الرّشيد ودخل جعفر فلم يلبث أن دعى بأبي يوسف القاضي ومحمّد بن الحسن مع ابراهيم بن عبد الملك وقد خرج ابراهيم وقد خلع عليه، وزوّج وحملت البدر إلى منزل عبد الملك، وخرج علينا جعفر وأشار علينا باتباعه، وقال: تعلّقت قلوبكم بأوّل الحديث من أمر عبد الملك فأحببتم آخره، وإنّي لمّا دخلت على الخليفة ابتدأت القصّة، كيف كان من أوّلها إلى آخرها؟ فجعل يقول (أحسن والله) حتّى إذا أتممت خبره، قال ما صنعت به فأخبرت فجعل يقول (أحسنت أحسنت). وفيه أيضاً: حكي أنّ الرشيد قام عن مجلسه يريد الدخول إلى بعض حجر قصره، وإنّ جعفر أسرع فرفع له السّتر وإنّ الرشيد جعل يتأمّل عنقه تأمّلاً شديداً فرآه جعفر وهو يتأمّل، فقال: ما متأمّل الخليفة؟ قال: حسن عنقك وحسن موقع الجرّبان ـ معرّب كريبان ـ منه فقال: لا والله ما تأمّلت إلّا موضع سيفك، فقال له: أعيذك بالله من هذا القول واعتنقه وقبّله، ثمّ قال الرّشيد للفضل بن الرّبيع بعد قتل جعفر ـ وذكر له هذا الخبر ـ

قاتل الله جعفراً ما تأمّلت عنقه إلّا لموضع السيف منه، ولم يزل الرّشيد مع جعفر في حاله إلى أن ركب مستهلّ صفر سنة (١٨٧) إلى الصّيد وجعفر يسايره وانصرف ممسياً إلى القصر الذي كان ينزله بالأنبار، وهو معه فضمّه إليه وقال: لولا أنّي أُريد الجلوس الليلة مع النساء لم أُفارقك، فصار جعفر إلى منزله، وواصل الرّشيد الرّسل إليه بالألطاف إلى وجه السّحر، ثم هجم عليه مسرور الخادم فضرب عنقه، ونصب رأسه وقطّعت جثّته بنصفين وصلبا على الجسرين[١].

٤٠
الحكمة (٢٩٧)

وَقَالَ عليه السلام:

مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الاعْتِبَارَ!

عن الصادق عليه السلام: كان أكثر عبادة أبي ذر التفكّر والاعتبار.

وللجنيدي في قتل (حسنك الأمير):

أبدى لك الدّهر في أحواله عبراً   لو كنت يوماً بما تلقاه معتبرا
انظر بعين النّهى في حسنك لترى   سحاب كلّ بلاءٍ أرضه مطرا
صلب ورجم وخير الرّأس بعدهما   من يقهر النّاس في سلطانه قهرا

وفي (أخبار حكماء القفطي): كان أبو البركات هبة الله بن ملكا وقف على كتب المتقدّمين والمتأخّرين في الطّبّ وصنّف فيها كتاباً سمّاه (المعتبر) وهو أحسن كتاب صنّفه فيه، وكان الأطباء في وقته يسألونه عن مسائل من الأمراض فيجيب عنها، فيسطرون ذلك عنه إلى أن صار مؤلّفاً يتناقلونه بينهم، ونقل عنه معالجة عجيبة لذي سعال ـ وقال: ولم يزل سعيداً إلى أن قلب له

---

(١) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ٢٣٤ بتصرف.

الدّهر ظهر المجن، فلما أسنَّ عمى وطَرَش وبَرَص وتجذّم، ولمّا أحسَّ بالموت أوصى أن يكتب على قبره: (هذا قبر أوحد الزّمان أبي البركات ذي العِبَر صاحب المُعتَبَر)(١).

وفي (الحلية) عن أبي عبدالله السّجزي: العِبرة أن تجعل كلّ حاضرٍ غائباً، والفكرة أن تجعل كلّ غائبٍ حاضراً(٢).

٤١
الحكمة (٤٣١)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ، وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ، حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا.

في (الكافي): أوحى تعالى إلى الدّنيا أن أتعبي من خدمك واخدمي من خدمني(٣).

أيضاً عنه عليه السلام: أما إنَّ زهد الزّاهد في هذه الدّنيا لا ينقصه ممّا قسم الله تعالى له فيها، وان حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدّنيا لا يزيده فيها، فالمغبون من حُرِمَ حظّه من الآخرة(٤).

وعن الباقر عليه السلام: قال تعالى: وعزّتي وجلالي! لا يؤثر عبد هواي على هواه في شيء من أمر الدّنيا، إلّا جعلت غناه في نفسه وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر.

---

(١) أخبار الحكماء للقفطي: ٢٢٦.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠: ٣٥٦.

(٣) في الفقيه وليس الكافي، راجع من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٦٣ ح ٥٧٦٢ باب ٢.

(٤) الكافي ٣: ١٩٥ ح ٦.

هذا، وفي (الكشي): أتى عمّار يوم صفّين بلبن فضحك، وقال: قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله: آخر شراب تشربه من الدّنيا مذقة من لبن حتى تموت.

وفي خبر آخر: آخر زادك من الدّنيا ضياح من لبن[١].

٤٢
الحكمة (٣٠٣)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلنَّاسُ اَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ.

في (طرائف المقدسي): قيل لعلي عليه السلام: ألا ترى حرص النّاس على الدّنيا! فقال عليه السلام: هم ابناؤها؛ فأخذ هذا المعنى محمّد بن وهب الحميري فقال:

نراع لذكر الموت ساعة ذكره ونعترض الدّنيا فنلهو ونلعب
وقد ضمّت الدّنيا إليّ صروفها وخاطبني أعجامها وهو معرب
ولكنّنا منها خلقنا لغيرها وما كنت منه فهو شيء محبّب[٢]

وفي (حياة حيوان الدميري): قيلَ لجعفر الصادق عليه السلام: ما بال الناس في الغلا يزداد جوعهم بخلاف العادة في الرّخص؟ فقال: لأنّهم خلقوا من الأرض وهم بنوها، فاذا أُقحطت قحطوا وإذا أُخصبت أخصبوا[٣].

«ولا يلام الرّجل على حُبّ أُمّه» في (القاموس): أُمّ حُباب: الدّنيا، وقال عمر بن أبي ربيعة:

أُلامُ على حبّي كأنّي سننته وقد سنّ هذا الحبّ من قبل جرهم[٤]

وعن الشّعبي: ما أعلم لنا وللدّنيا إلّا قول كثير:

---

(١) رجال الكشي للطوسي: ٣٣ ـ ٣٤ رقم ٦٤.

(٢) الطرائف للمقدسي: ٨.

(٣) لم نعثر عليه في حيوان الدميري ولكنه مروي في البحار في ٧٨: ٢٠٥.

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ٩١ (الحب).

اسيئي بنا أو احسني لا ملومة لديـنا ولا مـقليّة ان تـقلّت[١]

هذا، وفي (الكافي) في خبر مرور عيسى عليه السلام على قرية اهلكوا بالعذاب، وطلب الحواريّين سؤالهم عن السّبب حتّى يجتنب، فسألهم فأجابه واحد لطاعة أهل المعاصي، وحبّ الدّنيا، فقال عيسى عليه السلام له: كيف كان حبّكم للدّنيا؟ قال: كحبّ الصبيّ لأمّه إذا أقبلت علينا فرحنا وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنّا...[٢].

وفي (غرائس الثعلبي): يُحكى أنّ عبدالله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شابّ متطبّب، يدّعي تحقيق الكلام، وأظهر مسئلة تحريق الأنفس بالنّار وكان يزعم أنّ الجسد كثيف منتن في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه، والتسبّب إلى زيادة نتنه وإنّ الواجب إحراقه واذراء رماده، فقيل لبعض الفقهاء: إنّ النّاسَ قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي، فكتب إلى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبدالله فلّما تكلّم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه: أخبرنا عن صبيّ تدّعيه أمّه وحاضنته أيّهما أولى به؟ فقال: الأم، فقال: إنّ هذه الأرض هي الأُمّ منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردّوا إليها، فأفحم المجوسيّ وأنشد لأُميّة بن أبي الصلت:

والأرض معقلنا وكانت أُمّنا فيها مقابرنا وفيها نولد[٣]

شبّه عليه السلام هنا الدّنيا بأُم، وفي قوله عليه السلام (وقد طلّقتك ثلاثاً) بزوجة سوء فكلّ منهما من وجه، فتشبيهها بالزوجة من حيث عشق النّاس لها عشقهم

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٤٥ قالها في (هند).

(٢) الكافي ٤: ٦ ح ١١.

(٣) عرائس المجالس للثعلبي: ٩.

للنّساء وبالأُمّ من حيث نشؤهم وتربيتهم فيها لكنّها أُمّ غير عاطفة، وقد قيل بالفارسية:

آبستنى كه اين همه فرزند زاد و كشت

ديگر كه چشم دارد از او مهر مادرى

هذا، وفي (الطبري) في أيّام ابن الزبير: كان رجل يقال له أبو هريرة يحمل على الخوارج ويقول:

كيف ترون يا كلاب النّار شدُّ أبي هريرة الهَرار

فلّما طال ذلك على الخوارج من قوله، كَمَنَ له رجل منهم، فضربه على حبل عاتقه فصرعه، فاحتمله أصحابه فداووه، وأخذت الخوارج بعد ذلك يناديهم يقولون: يا أعداء الله! ما فعل أبو هريرة الهرار، فيقولون: يا أعداء الله! والله ما عليه من بأس، ولم يلبث أبو هريرة أن برئ، ثمّ خرج عليهم بعد، فأخذوا يقولون له: ياعدوّ الله! أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمّك، فيقول لهم: يا فسّاق! ما ذكركم أُمّي؟ فأخذوا يقولون: إنّه يغضب لأمّه وهو آتيها عاجلاً، فقال له أصحابه: ويحك! إنّما يعنون النّار[1].

أشار إلى قوله تعالى: ﴿وأمّا من خفّت موازينه* فأُمّه هاوية* وما أدراك ما هية* نارٌ حامية﴾[2].

٤٣
الحكمة (١٣١)

وَقَالَ عليه السلام: وَسَمِعَ رَجُلاً يَذُمُّ الدُّنْيَا:

أَيُّهَا الذَّامُ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمُنْخَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٨٤.

(٢) القارعة: ٨ ـ ١١.

تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتى غَرَّتْكَ. أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلى أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرى؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ! تَبْغي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ، غَدَاةَ لاَ يُغْني عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلاَ يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ. لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ، وَلَمْ تُسْعَفْ بِطَلِبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! وَقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعكَ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا. مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، وَمُصَلّى مَلاَئِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ. فَمَنْ ذا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا. وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا؛ فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلاَئِهَا الْبَلاَءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ؟! راحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ، تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا.

أقول: رواه الشيخ في (أماليه) عن جابر الأنصاري، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام في جماعة من أصحابه أنا فيهم، إذ ذكروا الدُّنيا وتصرّفها بأهلها، فذمَّها رجل فذهب في ذمّها كلّ مذهب، فقال عليه السلام له: أيّها الذام للدّنيا أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك؟ فقال: بل أنا المتجرّم عليها، فقال عليه السلام: فبِمَ تذمّها؟ أليست منزل صدق لمن صدّقها؟ ودار غنى لمن تزوّد منها؟ ودار عافية لمن فهم عنها؟ ومساجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرّحمة، وربحوا فيها الجنّة، فمن ذا

يذمّها وقد أذنت ببينها، ونادت بانقطاعها، ونعت نفسها وأهلها، فمثّلت ببلائها البلاء، وشوّقت بسرورها إلى سرور، تخويفاً وترغيباً إذا ابتكرت بعافية راحت بفجيعة، فذمّها رجال فرّطوا غداة النّدامة، وحمدها آخرون اكتسبوا فيها الخير فيا أيّها الذّام للدُّنيا المغترّ بغرورها، متى استذمّت إليك؟ أم متى غرَّتك؟ أبمضاجع آبائك من البِلى؟ أم بمصارع أمّهاتك تحت الثّرى؟ كم مرّضت بيديك؟ وعالجت بكفّيك؟ تلتمس لهم الشّفاء وتستوصف لهم الأطباء لم تنفعهم بشفاعتك ولم تسعفهم في طلبتك مثّلت لك -ويحك- الدّنيا بمصرعهم مصرعك وبمضجعهم مضجعك حين لا يغني بكاؤك ولا ينفعك احبّاؤك[1].

ورواه ابن أبي شعبة في (تحفه) مرفوعاً عن جابر الأنصاري أبسط، فقال: قال جابر كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، فلمّا فرغ من قتال من قاتله أشرف علينا من آخر الليل، فقال: فيم أنتم؟ قلنا: في ذمّ الدّنيا فقال: على مَ تذّم الدّنيا يا جابر؟ ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فما بال أقوام يذمّون الدّنيا انتحلوا الزهد فيها، الدّنيا منزل صدق لمن صدّقها، ومسكن عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزوّد فيها، مسجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومسكن أحبّائه، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرّحمة وربحوا منها الجنّة فمن ذا يذمّ الدّنيا يا جابر وقد آذنت ببينها ونادت بانقطاعها ونعت نفسها بالزّوال ومثلت ببلائها البلاء وشوّقت بسرورها إلى سرور راحت بفجيعة وابتكرت بنعمة وعافية ترهيباً وترغيباً يذمّها قوم عند النّدامة حدّثتهم جميعاً فصدقتهم وذكّرتهم فذكروا ووعظتهم فاتّعظوا وخوّفتهم فخافوا وشوّقتهم فاشتاقوا فأيّها الذّامّ للدّنيا المغترّ بغرورها متى استذمّت

---

(١) الأمالي للطوسي: ٢٠٧ ح ٢.

إليك بل متى غرّتك بنفسها بمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أُمّهاتك من الثّرى كم مرّضت بيديك وعلّلت بكفّيك تستوصف لهم الدّواء وتطلب لهم الأطباء لم تدرك فيه طلبتك ولم تسعف فيه بحاجتك بل مثّلت الدّنيا به نفسك وبحاله حالك غداة لا ينفعك أحبّاؤك ولا يغني عنك نداءك حين يشتدّ من الموت أعالين المرض وأليم لوعات المضض حين لا ينفع الأليل ولا يدفع العويل يحفز بها الحيزوم ويغصّ بها الحلقوم لا يسمعه النّداء ولا يروّحه الدّعاء فياطول الحزن عند انقطاع الأجل ثمّ يراح به على شرجع نقله أكفّ أربع فيضجع في قبره في طول لبث وضيق جدث فذهبت الجدّة، وانقطعت المدّة ورفضته العطفة اللّطفة لا تقاربه الأخلّاء ولا يلّم به الزّوّار ولا اتّسقت به الدّار انقطع دونه الأثر واستعجم دونه الخبر وبكّرت ورثته واقتسمت تركته ولحقه الحوب واحاطت به الذّنوب فإن يكن قدّم خيراً طاب مكسبه وان يكن قدّم شرّاً تب منقلبه وكيف ينفع نفساً قرارها والموت قصارها والقبر مزارها فكفى بهذا واعطاً كفى» ثم قال: ياجابر امض معي، فمضيت معه حتّى أتينا القبور فقال: ياأهل التربة ويا أهل الغربة امّا المنازل فقد سكنت وامّا المواريث فقد قسمت وامّا الأزواج فقد نكحت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثمّ أمسك عنّي مليّاً ثمّ رفع رأسه فقال: والّذي أقلّ السّماء، فَعَلَتْ، وسطح الأرض فدحت، لو أذن للقوم في الكلام لقالوا: إنّا وجدنا خير الزّاد التقوى، ثم قال: يا جابر! إذا شئت فارجع[1].

(بيانٌ) شرجع: الجنازة.

ورواه (كمال الدّين الشافعي في مطالب سؤوله) فقال: وقال عليه السلام: أيّها الذّامّ للدُّنيا أنت المجترم عليها أم هي المجترمة عليك؟ فقال قائل من

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني : ١٨٦ .

الحاضرين أنا المجترم عليها يا أمير المؤمنين فقال له: فلِمَ ذممتها أليست دار صدق لمن صدقها ودار غنى لمن تزوّد منها ودار عافية لمن فهم عنها مسجد أحبّائه ومصلّى أنبيائه ومهبط الملائكة ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الطاعة وربحوا فيها الجنّة فمن ذا يذمّها وقد أذنت بانتهائها ونادت بانقضائها وأنذرت ببلائها فان راحت بفجيعة فقد غدت بمبتغى وان أعصرت بمكروه فقد أسفرت بمشتهى -إلى أن قال- وإذاقتك شهداً وصبراً فإن ذممتها لصبرها فامدحها لشهدها وإلّا فاطرحها لا مدح ولا ذمّ...[1].

ورواه (أمالي المفيد) كما يأتي في شرح بعض الفقرات.

ورواه الخطيب في الحسن بن ابان مسنداً عنه عن بشير بن زإذان عن جعفر بن محمّد الصّادق عن آبائه عليهم السلام قالوا كان علي عليه السلام في مسجد الكوفة فسمع رجلاً يشتم الدّنيا ويفحش في شتمها فقال له اجلس فجلس فقال: مالي أسمعك تشتم الدّنيا، وتفحش في شتمها أوليس هو اللّيل والنّهار والشّمس والقمر سامعين مطيعين، فأنشا يقول: إنَّ الدّنيا لمنزل صدق لمن صدقها ودار بلاءٍ لمن فهم عنها، وعافية لمن تزوّد منها، منزل أحبّاء الله، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومتجر أوليائه، اكتسبوا الجنة وربحوا فيها المغفرة، فذمّها أقوام غداة النّدامة وحمدها آخرون ذكّرتهم الدّنيا فذكّروا وحدّثتهم فصدّقوا فمن ذا يذمّها وقد أذنت ببينها، ونادت بانقطاعها، راحت بفجيعة، وابتكرت بعافية، تخويف وترهيب، يا أيّها الذّامّ للدّنيا المقبل بتغريرها متى استدنت إليك أم متى غرّتك؟ أبمضاجع آبائك من الثّرى أو بمنازل أمّهاتك من البلى أم ببواكر الصّريخ من اخوانك أم بطوارق النّعي من أحبابك؟ هل رأيت إلّا ناعياً منعياً، أو رأيت إلّا وارثاً موروثاً؟ كم علّلت بيديك أم كم مرّضت

---

(١) مطالب السؤول لابن طلحة : ٥١ .

بكفّيك؟ تبتغي له الشّفاء وتستوصف الأطباء لم تنفعه بشفاعتك ولم تنجح له بطلبتك بل مثّلت لك به الدّنيا نفسك وبمضجعه مضجعك غداة لا يغني عنك بكاؤك ولا ينفعك أحبّاؤك فهيهات! أيّ مواعظ للدّنيا لو نصتّ لها؟ وأيّ دارٍ لو فهمت عنها؟ وأيّ عافية لو تزوّدت منها؟ انصرف إذا شئت[1].

ورواه ابن قتيبة في (زهد عيونه) فقال: ذمّ رجل الدّنيا عند عليّ عليه السلام فقال له: الدّنيا دار صدق لمن صدّقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مهبط وحي الله ومصلّى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ربحوا منها الرّحمة واحتسبوا فيها الجنّة فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها وشبّهت بسرورها السّرور وببلاءها البلاء ترغيباً وترهيباً فيا أيّها الذّام للدّنيا المعلّل نفسه متى خدعتك الدّنيا أم متى استذمت إليك أبمصارع آبائك في البلى أم بمضاجع أُمّهاتك في الثّرى كم مرّضت بيديك وعلّلت بكفّيك تطلب له الشّفاء وتستوصف له الأطباء غداة لا يغني عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك[2].

ورواه المسعودي في (مروجه) فقال: كان علي عليه السلام يقول: الدّنيا دار صدق لمن صدّقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها، الدّنيا مسجد أحبّاء الله ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنّة فمن ذا يذمّها وقد أذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثّلت لهم ببلاءها البلاء وشوّقت بسرورها إلى السّرور راحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيراً وترغيباً وتخويفاً فذمّها رجال غداة النّدامة وحمدها آخرون غبّ المكافأة ذكّرتهم فذكّروا تصاريفها وصدقتهم

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧: ٢٨٧.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٢١.

فصدّقوا حديثها فيا أيّها الذامّ للدّنيا المغترّ بغرورها متى استذامّت لك الدّنيا؟ بل متى غرّتك من نفسها؟ أبمضاجع آبائك من البلى؟ أم بمصارع أُمّهاتك من الثّرى؟ كم قد علّلت بكفّيك ومرّضت بيديك؟ من تبغي له الشّفاء وتستوصف له الأطباء لم تنفعه بشفائك...[1].

«قول المصنّف ـ وقال عليه السلام ـ وقد سمع رجلاً يذُمُّ الدُّنيا» قد عرفت من رواية (تحف العقول): أنَّ الرّجل كان من البصرة بعد الجمل، ومن رواية (تاريخ بغداد) انّه كان بالكوفة، ولعلّه كان كلّ منهما فتكرار مثله غير بعيد.

وفي (اليتيمة) فصل لأبي النّضر العتبي في الإنكار على من يذمّ الدّهر (عتبك على الدهر داع إلى العتب عليك واستبطاؤك إيّاه صارف عنان اللّوم إليك فالدّهر سهم من سهام الله منزعه عن مقابض أحكامه ومطلعه من جانب ما صرّرته مجاري أقلامه والوقيعة فيه تمرس بحكم خالقه وباريه ومجاري الأشياء على قدر طباعها وبحسب ما في قواها وأوضاعها ومن ذا الّذي يلوم الأراقم على النّهش بالأنياب والعقارب على اللّسع بالأذناب وانّى لها أن تذمّ وقد أشربت خلقتها السّمّ وحكم الله في كلّ حال مطاع وبأمره رضا واقتناع فاعف الزّمان عن قوارض لسانك واضرب عليها حجاب القرص بأسنانك واذكر قول النبيّ صلى الله عليه وآله: لا تسبّوا الدّهر فانّ الله هو الدّهر، وعليك بالتسليم بحكم العليّ العظيم وذاك أحمد عاقبة وأرشد دنيا ودين[2].

وقال ابن أبي الحديد: هذا الفصل كلّه لمدح الدّنيا وهو ينبئ عن اقتداره عليه السلام على ما يريد من المعاني لأنّ كلامه كلّه في ذمّ الدّنيا وهو الآن

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٩.

(٢) يتيمة الدهر للثعلبي ٤: ٤٦٢.

يمدحها وهو صادق في ذاك وفي هذا[١].

قلت: وفي (الاستيعاب): قدم عمرو بن الأهتم في وجوه قومه من بني تميم على النبي ﷺ في سنة تسع، وكان في من معه الزّبرقان بن بدر، فقال الزّبرقان: يارسول الله ﷺ! أنا سيّد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب فيهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم، وهذا، يعني عمرو بن الأهتمّ، يعلم ذلك فقال عمرو: إنّه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في دينه، فقال الزّبرقان: والله لقد كذب يارسول الله! وما منعه ان يتكلّم إلّا الحسد، فقال عمرو: أنا أحسدك، فوالله إنّك لئيم الخال، حديث المال، أحمق الولد، مبغض في العشيرة، والله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية فقال النبيّ ﷺ: إنّ من البيان لسحرا[٢].

وفي (المعجم): روى أنّ خالد بن صفوان ـ وكان عمرو بن الاهتمّ جدّ أبيه ـ أكل يوماً خبزاً وجبناً فرآه أعرابي فسلّم عليه فقال له خالد: هلّم إلى الخبز والجبن فإنّه حمض العرب، وهو يسيغ اللّقمة ويفيق الشهوة، وتطيب عليه الشربة، فانحطّ الأعرابيّ فلم يُبقِ شيئاً! فقال خالد: يا جارية زيدينا خبزاً وجبناً، فقالت: ما بقي عندنا من الجبن شيء فقال خالد: الحمد لله الّذي صرف عنّا معرّته وكفانا مؤنته، والله إنّه ما علمته ليقدح في السّن، ويخشن الحلق، ويربو في المعدة، ويعسر في المخرج. فقال الأعرابي: والله مارأيت قطّ قرب مدح من ذمّ أقرب من هذا[٣].

قوله عليه السلام: «أيُّها الذّام للدُّنيا المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها» هكذا في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٦.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١١٦٣ ترجمة عمرو بن الأهتم.

(٣) المعجم ١١: ٣٤.

(المصرية)[١] ولكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[٢]: «المنخدع» بدل «المخدوع» فهو الصحيح.

«أتغتر بالدُّنيا ثمّ تذمّها» وفي (ابن أبي الحديد): «اتفتتن بها ثمّ تذمّها»[٣].

أنكر عليه السلام ذمّه للدّنيا لكون الذامّ من محبّيها وعبدتها، والذّمّ إنّما يحسن من الزّاهدين فيها وأغلب الناس هكذا يذمّون الدّنيا مع شغفهم بها حبّاً، قال شاعر:

قد أجمع الناس على ذمّها وما أرى منهم لها تاركاً
لاتأمن الدّنيا على غدرها كم غدرت قبل بامثالكا[٤]

وقال آخر:

إذا نصبوا للقول قالوا فاحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل
وذمّوا لنا الدّنيا وهم يرضعونها افاويق حتّى ما يدرّ لها ثعل[٥]

وقال أبو إسحاق التّيمي كما في الحلية:

تنافس في الدّنيا ونحن نعيبها وقد حذرتناها لعمري خطوبها
وما نحسب الأيّام تنقص مدّة على انّها فينا سريع دبيبها
كأنّي برهط يحملون جنازتي إلى حفرة يحثى عليّ كثيبها
وكم ثمّ من مسترجع متوجّع ونائحة يعلو عليّ نحيبها
وباكية تبكي عليّ وانّني لفي غفلة من صوتها ما أُجيبها[٦]

---

(١) المصرية: ٦٨٧ ح ١٣٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٥ ح١٢٧، وابن ميثم كالمصرية ٥: ٣١٣.

(٣) ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٥.

(٤) المستطرف من كل فن مستظرف ٢: ٩٧ وهو للكناني.

(٥) الكامل للمبرّد: ٥٢ ، ٦٥٧.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠: ١٤١ ترجمة (٥٠٥).

«أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك» التجرّم: ادّعاء الذّنب على من لم يذنب؛ قال الشاعر:

تعدُّ عليَّ الذنب ان ظفرت به ... وان لم تجد ذنباً عليّ تجرّم

روى (عيون ابن بابويه) عنه عليه السلام قال: قال عبد المطلب:

يعيب النّاس كلّهم زمانا ... وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزّمان بنا هجانا

وإنّ الذّئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا[1]

«متى استهوتك أم متى غرّتك» أي: حملتك على الهوى أو خدعتك.

«أبمصارع آبائك من البلى» من (بَلَى الثّوب) و (بَلَى الميّت): أفنته الأرض ـ روى محمد بن أبي العتاهية عن ابن عبّاس، قال: وجدت جمجمة في الجاهلية مكتوب عليها:

اذن الحيّ فاسمعي ... اسمعي ثمّ عي وعي

أنا رهن بمصرعي ... فاحذري مثل مصرعي[2]

وقال الحسن: إنّ امرأ ليس بينه وبين آدم إلّا أب قد مات لمعرق في الموت.

«أم بمضاجع اُمّهاتِك تحت الثّرى» الضجع: وضع الجنب على الأرض، والثّرى: التراب النّدي.

في (عرائس الثعالبي): يروى أنّ مَلَك الموت، لمّا ورد على داود قال أفجئت داعياً أم ناعياً؟ قال بل ناعياً فقال فهلّا أرسلت إليّ قبل ذلك وآذنتني لأستعدّ للموت! فقال: كم أرسلت إليك؟ فقال: ومن أرسلت؟ قال أين أبوك،

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق: ٣٠٦، كذلك الأمالي: ١٠٧، وأيضاً المجلسي في البحار ١٥: ١٢٥.

(٢) تاريخ بغداد ٦: ٢٦.

وأين أُمّك، وأين أخوك، وأين جارك، وأين قهارمتك، وأين فلان وفلان؟ قال: كلّهم ماتوا فقال: أما علمت أنّهم رسلي إليك؟[1]

«كم علّلت بكفّيك» أي: كم عالجت المعلولين وخدمتهم بشخصك.

«وكم مرّضت بيديك» التمريض: القيام على المريض.

«تبغي لهم الشفاء» أي: تطلب لهم الشّفاء.

«وتستوصف لهم الأطباء» أي: تطلب منهم وصف علاجه، قال إبراهيم بن محمّد بن عرفة: رأيت عليّ بن العبّاس الرّومي يجود بنفسه، فقلت له: ما حالك؟ فأنشد:

غلط الطبيب عليّ غلطة مورد عجزت موارده عن الاصدار

والناس يلحون الطبيب وانّما خطأ الطبيب إصابة المقدار[2]

وقال عتاهية محمّد بن أبي العتاهية:

علل المريض من المنيّـ ـة لا يعالجها الطبيب

هذا، وقال عيسى بن محمّد الطّوماري: دخلنا على إبراهيم الحربي وهو مريض ـ وقد كان يحمل ماءه إلى الطبيب وكان يجيء إليه ويعالجه ـ فجائت الجارية وردّت الماء وقالت: مات الطبيب، فبكى إبراهيم وأنشأ يقول:

إذا مات المعالج من سقام فيوشك للمعالج أن يموت

ولبعضهم في طبيب:

عليله المسكن من شؤمه في بحر هلك ماله ساحل

ثلاثة تدخل في دفعة طلعته والنّعش والغاسل

في (الأغاني)، عن إسحاق الموصلي: لمّا مات أبوه قال: قال لي برصوما

---

(١) عرائس المجالس للثعالبي: ٢٩٢.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣: ٣٦١.

الزّامر ـ وكان خرّيج أبيه ـ أما في حقّي وخدمتي وميلي اليكم وشكري لكم ما استوجب به أن تهب لي يوماً من عمرك تفعل فيه ما أريد ولاتخالفني في شيء؟ فقلت: بلى ووعدته بيوم فأتاني فقال: مُرْ لي بخِلْعةٍ ففعلت وجعلت فيها جبّة وشيء، فلبسها ظاهرة، وقال: إمض بنا إلى المجلس الّذي كنت آتي أباك فيه فمضينا جميعاً إليه وقد خلّقته وطيّبته، فلّما صار على باب المجلس رمى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ في التراب، وبكى وأخرج نايه وجعل ينوح في زمره، ويدور في المجلس ويقبّل المواضع التي كان أبي يجلس فيها ويبكي ويزمر، حتّى قضى من ذلك وطراً ثمّ ضرب بيده إلى ثيابه يشقّها وجعلت أسكته وأبكي معه، فما سكن إلّا بعد حين، ثم دعا بثيابه فلبسها، وقال: انّما سألتك أن تخلع عَليَّ لئلّا يقال انّ برصوماً انّما خرّق ثيابه ليخلع عليه إسحاق خيراً منها[1].

«لم ينفع أحدهم إشفاقك» أي: خوفك من حلول مكروه به. في (الأغاني): ركب الرّشيد حماراً ودخل على إبراهيم الموصلي يعوده، فقال له: كيف أنت؟ قال: أنا والله كما قال الشاعر:

سقيمٌ ملَّ منه أقربوه وأسلمه المداوي والحميم

وقال ابنه إسحاق الموصلي لمّا اشتدّ أمر القولنج على أبي ولزمه ـ وكان يعتاده أحياناً ـ قعد في الابزن عن خدمة الخليفة وعن نوبته في داره، فقال في ذلك:

ملّ والله طبيبي عن مقاساة الّذي بي
سوف أنعى عن قريبٍ لعدوٍّ وحبيبِ

---

(١) الأغاني ٥: ٢٥٥.

فقال هارون: (انّا لله) وخرج فلم يبعد حتّى سمع الناعية عليه[١].

«ولم تسعف بطلبتك» هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣] «ولم تسعف فيه بطلبتك» فهو الصحيح.

قال ابن نباتة:

نعلّل بالدّواء إذا مرضنا وهل يشفي من الموت الدّواء

ونختار الطبيب وهل طبيب يؤخّر ما يقدّمه القضاء

وما أنفاسنا إلّا حساب ولا حركاتنا إلّا فناء[٤]

«ولم تدفع عنه بقوّتك» قال أبو هلال العسكري: فتأهّب لسقام ليس يشفيه طبيب.

«قد مثّلت لك به الدُّنيا نفسك» قال أبو العتاهية:

يا نفس قد مثّلت حا لي هذه لك بعد حين

وشككت انّي ناصح لك فاستملت إلى الظّنون

فتأمّلي ضعف الحرا ك وكلّه بعد السّكون

وتيقّني انّ الّذي بك من علامات المنون[٥]

وقال المرتضى:

كم ذا تطيش سهام الموت مخطئة عنّي وتصمي اخلّائي واخواني

ولو فطنت وقد أردى الزّمان أخي علمت انّ الّذي أصماه أصماني

«وبمصرعه مصرعك» في (تاريخ بغداد) عن ابن عباس قال: وجدت

---

(١) الأغاني ٥: ٢٥٣.

(٢) المصرية المصححة «لم تسعف فيه».

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٥ والخطية: ٣٢١، كما ذكر وابن ميثم ٥: ٣١٢ بلفظ «ولم تسعف بطلبتك».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٩٣.

(٥) تاريخ بغداد ٦: ٢٦٠.

جمجمة في الجاهلية مكتوب عليها: اذن الحيّ فاسمعي اسمعي ثم عي وعي أنا رهنٌ بمضجعي فاحذري مثل مصرعي[١].

وعن المبرّد قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيّامه وهو عليل فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير ما حسّ به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذّباب بقربه لآلمه، وقال محمّد بن أبي العتاهية:

لربّما غوفص ذو شرهٍ   أصحّ ما كان ولم يسقم
ياواضع الميّت في قبره   خاطبك اللّحد فلم تفهم

وفي (كامل المبرّد) عن صاحب له قال: وجدت رجلاً في طريق مكّة معتكفاً على قبر وهو يردّد شيئاً ودموعه تكفّ على لحيته فقيل له: أكان ابنك؟ قال: لا كان عدوّاً لي خرج إلى الصيد اياس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبياً فأقصده فذهب ليأخذه فعثر فتلقى بفؤاده ظبّة السهم وقد نجم من صفحة الظّبي فلحقه أولياؤه فاتنزعوا السهم وهو والظّبي ميّتان فنمى إليّ خبره فأسرعت إلى قبره مغتبطاً بفقده وانّي لضاحك السنّ إذ وقعت عيني على صخرة فرأيت عليها كتاباً فهلّم فأقرأه وأومى إلى الصّخرة ـ فاذا عليها:

وما نحن إلّا مثلهم غير انـنّا   أقمنا قليلاً بعدهم وتقدّموا[٢]

فقلت: أشهد انّك تبكي على من بكاؤك عليه أحقّ من النّسيب ـ أي: تبكي على نفسك وهي أحقّ بالبكاء عليها من الأنسباء والأقرباء الّذين يبكي النّاس عليهم.

«إنَّ الدُّنيا دار صدقٍ لمن صدَّقها» قال لبيد:

---

(١) المصدر نفسه ٦: ٢٦٠. وهي لأبي العتاهية أمر أن تكتب على قبره.

(٢) الكامل في الأدب للمبرّد: ١٢٥٥.

فـقولا له ان كـان يـضمر أمـره ... المّـا يـعظك الدّهـر امّك هـابل
فان أنت لم تصدقك نفسك فـانتسب ... لعـلّك تـهديك القـرون الأوائـل
فان لم تـجد مـن دون عـدنان بـاقياً ... ودون مـعدّ فـلترعك العـوازل
وكـلّ امـرئٍ مـنّا سـيعلم سـعيه ... إذا جـمعت عـند الإله المـحاصل[1]

«ودار عافية لمن فهم عنها» قد عرفت انّ في بعض روايات أسانيده بدله (وأيُّ دارٍ لمن فهم عنها).

«ودارُ غنىً لمن تزوّد منها» بالأعمال الصالحة.

«ودار موعظةٍ لمن اتّعظ بها» في (تاريخ بغداد): لمّا حضر أبو نؤاس الموت قال اكتبوا هذه الأبيات على قبري:

وعظتك اجداث صـمت ... ونـعتك ازمـنة خـفت
وتكـلّمت عـن أوجـه ... تبلى وعن صور سُبُت
وأرتك قبرك في القبور ... وأنت حـيٌّ لم تـمت[2]

وللخاقاني بالفارسية:

پرويز كنون كم شد، زان گـمشده كـمترگوى
زرّين تره كوبرخوان، روكم تركوا برخوان[3]

«مسجد أحبّاء الله» قال عيسى عليه السلام ساعة قدم الدّنيا ﴿وأوصاني بالصّلاة والزكاة ما دُمتُ حيّاً﴾[4].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «حبّب إليّ من دنياكم ثلاث ـ إلى أن قال ـ وقرّة

---

(١) ديوان لبيد: ١٣١، يرثي النعمان بن المنذر.

(٢) تاريخ بغداد ٧: ٤٤٨.

(٣) ديوان الخاقاني: ٢٧٩ «ف».

(٤) مريم: ٣١.

عيني الصّلاة»[1].

«ومُصلّى ملاكة الله» روى ابن قولويه عن الصادق عليه السلام: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة وانّه ينزل من السماء كلّ مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام نهارهم فاذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله فيسلّمون عليه ثمّ يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه ثمّ يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلّمون عليه ثمّ يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس. وروى عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي كنت بالبحيرة ليلة عرفة وكنت أُصلّي وثمّ نحو خمسين ألفاً من النّاس جميلة وجوههم طيّبة أرواحهم وأقبلوا يصلّون الليل أجمع، فلما طلع الفجر سجدت ثمّ رفعت فلم أرَ منهم أحداً ـ إلى أن قال ـ قال عليه السلام له: إنّهم الملائكة الموكّلون بقبر الحسين عليه السلام[2].

«ومهبط وحي الله» من آدم إلى الخاتم عليهم السلام.

«ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرّحمة وربحوا فيها الجنّة» ﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[3].

«فمن ذا يذمّها وقد أذنت ببينها» أي: أعملت بفراقها والأصل في الإيذان الإيصال إلى الأُذن؛ ويترجم بالفارسية بقولهم (گوشزد) ـ

ننافس في الدنيا ونحن نعيبها　　　وقد حذّرتنا لعمري خطوبها[4]

---

(١) الخصال للصدوق ١٧: ٧٩، ونقله المجلسي في البحار ٧٦: ١٤١.

(٢) رواه ابن الشيخ في المجالس: ٢ عن المفيد عن ابن قولويه ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٥٩: ١٧٦ ح٨.

(٣) التوبة: ١١١.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠: ١٤١.

«**ونادت بفراقها**» قال جحظة:

قد نادت الدّنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر واريته وجامع بدّدت ما يجمع[(١)]

«**ونعت**» من النّعي ـ رفع الصّوت بذكر الموت.

«**نفسها وأهلها**» في (عيون القتيبي) قيل: كنّا أجنّة في بطون امّهاتنا فسقط من سقط، وكنّا في من بقي ثمّ كنّا مراضع فهلك منّا من هلك، وبقي من بقي وكنّا إيفاعاً ـ وذكر مثل ذلك ـ ثمّ صرنا شبّاناً ـ وذكر مثل ذلك ـ ثمّ صرنا شيوخاً ـ لا أباً لك ـ فما تنتظر؟ فهل بقيت حالة تنتقل إليها[(٢)].

«**فمثّلت لهم ببلائها البلاء**» ﴿إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين* فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السّموم﴾[(٣)].

«**وشوّقتهم بسرورها الى سرور**» ﴿وبشّر الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات انّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار كلّما رُزِقوا منها من ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الّذي رُزِقنا من قبل وأتوا به متشابهاً...﴾[(٤)].

«**راحت بعافيةٍ**» في (الصحاح): الرّواح نقيض الصّباح، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى اللّيل وقد يكون مصدر راح يروح نقيض (غدا)[(٥)].

«**وابتكرت بفجيعةٍ**» قال الفيومي: (قال ابن جنّي) (بكر وبكّر وأبكر) بمعنى الإسراع أي: وقت كان[(٦)].

---

(١) تاريخ بغداد ٤: ٦٦ ترجمة جحظة البرمكي.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٣٦٣ والقول لمكحول.

(٣) الطور: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) البقرة: ٢٥.

(٥) الصحاح: (روح).

(٦) المصباح المنير للفيتوري: ٥٩ «بَكَرَ».

قلت: بل الأصل في البكور الشّروع أوّل النّهار في مقابل الرّواح والشّروع أوّل النهار يستلزم الاسراع، فانّ من أراد الاسراع في عمل ابتكر به، والفجيعة: المصيبة الموجعة، قال شاعر:

ان صفا عيش امرئٍ في صبحها　　جرّعته ممسيا كأس القذى[١]

«ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً» مفاعيل لها لقوله (فمثّلت) و (شوّقتهم) و (راحت) و (ابتكرت).

«فذمّها رجالٌ غداة النّدامة» أي: صبح القيامة لأنّه يندم المجرمون فيها.

«وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم فتذكّروا» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «فذكّروا» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«وحدّثتهم فصدّقوا ووعظتهم فاتّعظوا» روى (أمالي المفيد) مسنداً عن ابن عبّاس قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى ﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[٤] من هم؟ فقال هم قوم أخلصوا لله تعالى في عبادته ونظروا إلى باطن الدّنيا حين نظر النّاس إلى ظاهرها فعرفوا آجلها حين غرّ سواهم بعاجلها فتركوا منها ما علموا انّه سيتركهم وأماتوا منها ما علموا انّه سيميتهم ـ ثم قال ـ أيّها المعلّل نفسه بالدّنيا الرّاكض على حبائلها المجتهد في عمارة ما سيخرب منها ألم تر إلى مصارع آبائك في البلاء ومضاجع ابنائك تحت الجنادل والثّرى كم مرّضت بيديك وعلّلت بكفّيك تستوصف لهم الأطبّاء وتستعتب لهم الأحبّاء فلم يغن غناؤك ولا ينجع فيهم دواؤك، وقال بعضهم «بينا هذه الدّنيا تصرح بزبدتها وتلحف فضل جناحها وتعزّ بركود رياحها إذ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٦٤.

(٢) الطبعة المصرية: ٦٨٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٦، وابن ميثم ٥: ٣١٣ بلفظ «فتذكروا»، أما الخطية: ٣٢١ فبلفظ «فذكروا».

(٤) يونس: ٦٢.

عطفت عطف الضّروس وطرحت طرح الشموس وشنّت غارات الهموم وأراقت ما حلبت من النّعيم فالسّعيد من لم يغترّ بنكاحها واستعد لوشك طلاقها[١].

وروى (أمالي الشيخ) مسنداً عن ابن عباس عنه عليه السلام في خطبة له :

«أيّها الناس، إنكم سيّارة قد حدا بكم الحادي، وحدا لخراب الدّنيا حادي وناداكم للموت منادي ﴿فلا تغرّنكم الحياة الدّنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور﴾[٢] ألا وانّ الدّنيا دار غرّارة خدّاعة تنكح في كلّ يوم بعلاً، وتقتل في كلّ ليلة أهلاً وتفرّق في كلّ ساعة شملاً فكم من منافس فيها وراكن إليها من الأمم السالفة قد قذفتهم في الهاوية، ودمّرتهم تدميراً وتبّرتهم تتبيراً، وأصلتهم سعيراً، اين من جمع فأوعى؟ وشدّ فأوكى ومنع فأكدى؟ بل أين من عسكر العساكر ودسكر الدّساكر وركب المنابر؟ أين من بنى الدّور وشرّف القصور وجمهر الألوف؟ قد تداولتهم أيّامها وابتلعتهم أعوامها فصاروا أمواتاً وفي القبور رفاتاً، قد نسوا ما (يئسوا عمّا) خلّفوا ووقفوا على ما أسلفوا، ثمّ رُدّوا إلى الله مولاهم الحقّ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، وكأنّي بها وقد أشرفت بطلائعها وعسكرت بفظائعها فأصبح المرء بعد صحّته مريضاً وبعد سلامته نقيضاً يعالج كرباً ويقاسي تعباً في حشرجة السّباق وتتابع الفراق وتردّد الأنين والذّهول عن البنات والبنين والمرء قد اشتمل عليه شغل شاغل وهول هائل قد اعتقل منه اللّسان وتردّد منه البنان فأصاب مكروباً وفارق الدُّنيا مسلوباً لا يملكون له نفعاً ولا لما حلّ به دفعاً يقول الله عزّوجلّ في كتابه

(١) الأمالي للطوسي ٢: ٢٩٧.

(٢) لقمان: ٣٣.

﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين﴾[١]، ثم من دون ذلك أهوال القيامة ويوم الحسرة والنّدامة يوم تنصب الموازين وتنشر الدّواوين باحصاء كلّ صغيرة واعلان كلّ كبيرة يقول الله في كتابه ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحداً﴾[٢].

أيّها النّاس الآن الآن من قبل النّدم ومن قبل ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين﴾[٣]، ﴿أو تقول لو انّ الله هداني لكنتُ من المتّقين أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين﴾[٤]، فيردّ الجليل جلّ ثناؤه ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾[٥]، فوالله ما سأل الرجوع إلّا ليعمل صالحاً ﴿...ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾[٦]، أيّها الناس، الآن الآن! مادام الوثاق مطلقاً والسّراج منيراً، وباب التّوبة مفتوحاً، ومن قبل أن يجفّ القلم وتطوى الصحيفة فلا رزق ينزل، ولا عمل يصعد، المضمار اليوم والسّباق غداً فانكم لا تدرون إلى جنّة أو نار، واستغفر الله لي ولكم[٧].

ومرّ في (١١) فصل الموت كتابه عليه السلام لشريح في وصف دور الدّنيا.

هذا، وممّا يدخل في هذا الفصل ولو كان الرّضي نقله كان من موضوع كتابه ما رواه (الكافي) في بابٍ بعد باب استدراجه، أنّ رجلاً جاء إليه عليه السلام فقال

---

(١) الواقعة: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) الزمر: ٥٦.

(٤) الزمر: ٥٧ ـ ٥٨.

(٥) الزمر: ٥٩.

(٦) الكهف: ١١٠.

(٧) الأمالي للمفيد ٦: ٨٦ ح ٢.

أوصني بوجه من وجوه الخير أنج به، فقال عليه السلام: أيّها السّائل، افهم ثمّ استفهم، استعلم ثم استيقن، ثمّ استعمل، إعلم أنّ النّاس ثلاثة: زاهدٌ، وصابرٌ، وراغبٌ، امّا الزّاهد: فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدّنيا ناله ولا ييأس على شيء منها فاته فهو مستريح، وأمّا الصابر فانّه يتمنّاها بقلبه فاذا نال منها ألجم نفسه عنها لسوء عاقبتها وشنارها، ولو اطّلعت على قلبه عجبت من عفّته وتواضعه وحزمه، وامّا الرّاغب فلا يبالي من أين جاءت الدّنيا من حلّها أو حرامها ولا يبالي ما دنس فيها عرضه، وأهلك نفسه، وأذهب مروّته فهم في غمرتهم يعمهون ويضطربون[١].

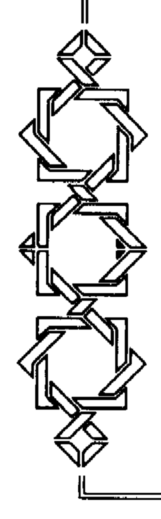
وانّه قيل له عليه السلام عظنا وأوجز فقال: الدّنيا حلالها حساب، وحرامها عقاب وإنّي لكم بالرّوح، ولم تأسّوا بسنّة نبيّكم تطلبون ما يطغيكم ولا ترضون بما يكفيكم[٢].

(١) الكافي ٤: ١٩٤ ح١٣.

(٢) الكافي للكليني ٤: ٩٩ ح١٣.

الفصل الثامن والثلاثون

في القيامة والنّار والجنّة



١
من الخطبة (١٩٠)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُولُ بِكُمْ إِلى أَكْنَانِ الدَّعَةِ وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ، وَمَنَازِلِ العِزِّ في ﴿يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ وَتُظْلِمُ لَهُ الأَقْطَارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ العِشَارِ. وَيَنْفَخُ في الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرَّوَامِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً، وَمَعْقَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً. فَلاَ شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلاَ حَمِيمٌ يَدْفَعُ، وَلاَ مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ.

«**أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنّها الزّمام**» من الاطّراح في الهلكات ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى* فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[1].

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

«والقوام» في أموركم ﴿...إنّما يتقبّل الله من المُتّقين﴾[١].

«فتمسّكوا بوثائقها» ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها...﴾[٢].

«واعتصموا بحقائقها» الاعتصام بحقائقها: هو الاتّصاف بأوصاف أهلها قال تعالى في وصفهم ﴿الّذين ينفقون أموالهم في السّرّاء والضّرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبُّ المحسنين* والّذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لِذنوبهم ومن يغفر الذّنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهو يعلمون﴾[٣].

«تؤل بكم» مضارع آل أي: ترجع بكم.

«إلى أكنان الدّعة» أي: مساكن الاستراحة؛ قال تعالى ﴿فأمّا من أعطى واتّقى* وصدّق بالحُسنى* فسنيسّره لليسرى﴾[٤]، ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً* ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[٥].

«وأوطان السّعةِ» ﴿وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زُمراً حتّى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين* وقالوا الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾[٦]، ﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) آل عمران: ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٤) الليل: ٥ ـ ٧.

(٥) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٦) الزمر: ٧٣ ـ ٧٤.

عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمُتّقين﴾[١]، ﴿سابقوا الى مغفرة من ربّكم وجنّةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أُعدّت للّذين آمنوا بالله ورسله...﴾[٢].

«ومعاقل الحرز» ﴿الأخلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ إلّا المتّقين* يا عبادِ لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾[٣]، ﴿فوقيهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً* وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً متّكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً...﴾[٤].

«ومنازل العزّ» ﴿وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً* عاليهم ثياب سندسٍ خضرٌ وإستبرق وحُلّوا أساور من فضّةٍ وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً* إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[٥]، ﴿...والملائكة يدخلون عليهم من كلّ بابٍ سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدّار﴾[٦].

«في يومٍ تشخص فيه الأبصار» الظرف متعلّق بقوله قبل (تؤل بكم) وهو ناظر إلى قوله تعالى ﴿واقترب الوعد الحقّ فإذا هي شاخصة أبصارُ الّذين كفروا ياويلنا قد كنّا في غفلةٍ من هذا بل كنّا ظالمين﴾[٧].

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار* مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[٨].

---

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) الزخرف: ٦٧ ـ ٦٨.

(٤) الدهر: ١١ ـ ١٣.

(٥) الدهر: ٢٠ ـ ٢٢.

(٦) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤.

(٧) الأنبياء: ٩٧.

(٨) إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣.

«وتُظلمُ» من أظلم اللّيل.

«له الأقطارُ» ﴿إذا الشمس كوّرت* وإذا النّجوم انكدرت﴾[١]، ﴿فإذا برق البصر* وخسف القمر* وجمع الشّمس والقمر* يقول الإنسان يومئذٍ أين المفرّ﴾[٢].

«وتعطّل فيه صروم العشار» الأصل فيه قوله تعالى ﴿وإذا العشارُ عُطِّلت﴾[٣]، (وفسّر) «إذا النّوق الحوامل تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر ولم يكن حال أعجب إليهم منها» والصّروم جمع الصّرمة: القطعة من الإبل نحو الثّلاثين والعشار جمع العشراء: النّوق أتت عليها عشرة أشهر من حملها.

«ويُنفخ في الصّورِ فتَزهق كلّ مهجةٍ» قيل المهجة دم القلب ﴿قلوبٌ يومئذٍ واجفةٌ* أبصارها خاشعةٌ﴾[٤]، ﴿ونَفِخَ في الصّور فصعق من في السماوات والأرض إلّا من شاء الله ثم نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون﴾[٥]. وفي الإرشاد قدم عمرو بن معد يكرب على النبي صلى الله عليه وآله بعد تبوك فقال صلى الله عليه وآله أسلم يؤمنك الله من الفزع الأكبر قال وما الفزع الأكبر؟ فانّي لا أفزع فقال ليس كما تحسب، إنّ النّاس يصاح بهم صيحة فلا يبقى حيّ إلّا مات ثمّ يُصاح بهم أُخرى فينشر من مات ويصفّون جميعاً وتنشقّ السّماء وتهدّ الأرض وتخرّ الجبال وترى النّار بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلّا انخلع قلبه، وشغل بنفسه، إلّا ما شاء الله فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال ألا انّي أسمع

(١) التكوير: ١ ـ ٢.

(٢) القيامة: ٧ ـ ١٠.

(٣) التكوير: ٤.

(٤) النازعات: ٨ ـ ٩.

(٥) الزمر: ٦٨.

أمراً عظيماً، فآمن[١].

«**وتبكم كلُّ لهجةٍ**» أي: كلّ لسان ولغة؛ ﴿وخشعت الأصوات للرّحمن فلا تسمع إلّا همساً﴾[٢].

«**وتذلُّ الشّمّ الشّوامخ**» أي: الجبال الشّواهق؛ ﴿فاذا نُفخ في الصّور نفخةٌ واحدةٌ* وحُملت الأرض والجبال فدكّتا دكّةً واحدة﴾[٣].

«**والصُّمّ الرّواسخ**» أيضاً وصف الجبال، والأول وصف ارتفاعها في السّماء، وهذا وصف استحكامها ورسوخها في الأرض كالأوتاد.

«**فيصير صلدها سراباً رقرقاً**» ﴿وسُيّرت الجبال فكانت سراباً﴾[٤]، ﴿يوم يكون النّاسُ كالفراش المبثوث* وتكون الجبال كالعِهن المنفوش﴾[٥]، والصلد: الصّلب الأملس، والسّراب: الذي يرى نصف النّهار من بعيد كأنّه ماء وليس بشيءٍ والرّقرق المتلألأ.

«**ومعهدها قاعاً سملقاً**» والمعهد موضع كنت تعهد به شيئاً والقاع المستوى من الأرض، والسّملق الفضاء الواسع قال تعالى ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسِفها ربّي نسفاً* فيذرها قاعاً صفصفاً* لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً* يومئذٍ يتّبعون الدّاعي لا عوج له...﴾[٦]، ﴿وبُسّت الجبال بسّاً* فكانت هباءً مُنبثّاً﴾[٧]، ﴿يومَ ترجف الأرض والجبالُ وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾[٨].

---

(١) المفيد، الإرشاد ١: ١٤٥.

(٢) طه: ١٠٨.

(٣) الحاقة: ١٣ ـ ١٤.

(٤) النبأ: ٢٠.

(٥) القارعة: ٤ ـ ٥.

(٦) طه: ١٠٥ ـ ١٠٨.

(٧) الواقعة: ٥ ـ ٦.

(٨) المزمل: ١٤.

«فلا شفيعٌ يشفع» ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الّذي كنّا نعمل...﴾[١]، هذا، ومورد كلامه عليه السلام والآية غير المؤمنين فلا ينافيان قبول الشّفاعة لهم قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾[٢]، وقال في ملائكته ﴿...ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى...﴾[٣]، ﴿وكم من مَلَكٍ في السماوات لا تُغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لِمن يشاءُ ويرضى﴾[٤].

«ولا حميم يدفع» ويعبّر عن الحميم في الفارسية بقولهم (جانسوز) ﴿فمالنا من شافعين* ولا صديقٍ حميمٍ﴾[٥]، ﴿يوم تكون السّماء كالمُهل* وتكونُ الجِبال كالعهن* ولا يسئل حميمٌ حميماً﴾[٦].

«ولا معذرةٌ تنفع» ﴿لا تعتذروا اليوم إنّما تجزون ما كنتم تعملون﴾[٧]، ﴿فيومئذٍ لا ينفع الّذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾[٨].

٢
من الخطبة (١١٦)

اِعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ فِيهِ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ، وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ، أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ

(١) الأعراف: ٥٣.
(٢) الاسراء: ٧٩.
(٣) الأنبياء: ٢٨.
(٤) النجم: ٢٦.
(٥) الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١.
(٦) المعارج: ٨ ـ ١٠.
(٧) التحريم: ٧.
(٨) الروم: ٥٧.

يَجْعَلَهُ اللهُ للمرءِ في النّاسِ خَيرٌ لَهُ مِنَ المالِ، يُورِثُهُ مَنْ لا يَحْمَدُهُ.

أقول: قوله عليه السلام «إعملوا ليومٍ تذخر فيه الذّخائر» قال تعالى ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ...﴾[١]، ﴿وما تُقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً...﴾[٢]، ﴿ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ﴾[٣].

«وتبلى فيه السّرائر» أي: تكشف ضمائر القلوب؛ قال تعالى ﴿إنّه على رجعه لقادرٌ يوم تُبلى السّرائر * فماله من قوّةٍ ولا ناصر﴾[٤].

«ومن لا ينفعه حاضر لبّهِ» اللّبّ: العقل وهو مجاز، وأصله لبّ الجوز واللّوز ومثلهما.

«فعازبه عنه أعجز» والعازب البعيد والخفيّ.

«وغائبه أعوز» عوز الشيء: إذا لم يوجد، قيل وفي معنى كلامه عليه السلام (وزاجر من النّفس خير من عتاب العواذل).

«واتّقوا ناراً حرّها شديد» ﴿فاتّقوا النّار التي وقودها النّاسُ والحجارة...﴾[٥]، ﴿عليهم نارٌ مؤصدةٌ﴾[٦]، ﴿وأمّا من خفّت موازينه * فأُمّه هاويةٌ * وما أدريك ماهية * نارٌ حامية﴾[٧]، ﴿وجيْ يومئذٍ بجهنّم يومئذٍ يتذكّر الإنسان وأنّى له الذكرى﴾[٨].

«وقعرها بعيد» ﴿كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها

---

(١) النحل: ٩٦.
(٢) المزمّل: ٢٠.
(٣) الحشر: ١٨.
(٤) الطارق: ٨ ـ ١٠.
(٥) البقرة: ٢٤.
(٦) البلد: ٢٠.
(٧) القارعة: ٨ ـ ١١.
(٨) الفجر: ٢٣.

وذوقوا عذاب الحريق﴾[١].

وفي (تفسير القمي): أنّ أهل النار إذا دخلوا جهنّم هووا فيها مسيرة سبعين عاماً ـ إلى أن قال ـ فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع من حديد، واعيدوا في دركها، هذه حالهم[٢].

«**وحليتها حديدٌ**» ﴿خذوه فغُلّوه* ثمَّ الجحيم صلّوه* ثمّ في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذِراعاً فاسلكوه﴾[٣]. ﴿قطّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم* يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد﴾[٤].

«**وشرابهم صديدٌ**» ﴿وخاب كلّ جبّارٍ عنيدٍ* من ورائه جهنّم ويُسقى من ماءٍ صديد﴾[٥] ﴿يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كلّ مكانٍ وما هو بميّت ومن ورائه عذابٌ غليظٌ﴾[٦].

«**ألا وانّ اللّسان الصّالح يجعله الله للمرء في النّاس خيرٌ له من المال يورثه مَنْ لا يحمده**» قال ابن أبي الحديد في الخبر: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره أنّ مالاً له قد انفجرت فيه عين خرّارة فقال عليه السلام مكرّراً بشّر الوارث، وكتب في تلك الساعة كتاب وقفه[٧].

---

(١) الحج: ٢٢.

(٢) تفسير القمي ٢: ٨١.

(٣) الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢.

(٤) الحج: ١٩ ـ ٢١.

(٥) إبراهيم: ١٥ ـ ١٦.

(٦) إبراهيم: ١٧.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٩٠.

٣
من الخطبة (١٤٩)

منها:

حَتّى إذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِيبِ غَفْلَتِهِمُ ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلاَ بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ، وَنَفْسِي، هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَٱنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جُدَداً واضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلاَلَ فِي الْمَغَاوِي وَلاَ يُعِينُ عَلى نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ. فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلى لِسَانِ النَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله مِمَّا لاَبُدَّ مِنْهُ وَلاَ مَحِيصَ عَنْهُ! وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إلى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ؛ وَضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ فَالْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ! وَٱلْجِدَّ الجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ! ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

أقول: ورواه (تحف العقول) في عنوان (ومن حكمه عليه السلام) مرفوعاً مع اختلاف قوله عليه السلام «حتّى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم» قال تعالى ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً* إلّا حميماً وغسّاقاً* جزاءً وفاقاً* إنّهم كانوا لا يرجون حساباً﴾[1].

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ١٥٤ ـ ١٥٦، والآية ٢٤ ـ ٢٧ من سورة النبأ.

«واستخرجهم من جلابيب غفلتهم» قال تعالى ﴿ونفخ في الصّور ذلك يوم الوعيد* وجاءت كلّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ* لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[١].

«استقبلوا مُدبراً واستدبروا مقبلاً» قيل: أي: استقبلوا أمراً كان في ظنّهم مدبراً عنهم وهو الشّقاء والعذاب واستدبروا ما كانوا خوّلوه من الأولاد والأموال.

«فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتِهم» ﴿أفرأيت إن متّعناهم سنين* ثمّ جاءهم ما كانوا يوعدون* ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون﴾[٢].

«ولا بما قضوا من وطرهم» وزاد (التحف) «وصار ذلك وبالاً عليهم فصاروا يهربون ممّا كانوا يطلبون»[٣].

وفي (المعجم) في عليّ بن محمّد التّنوخي: (يحكى انّه كان من جملة القضاة الّذين ينادمون الوزير المهلبيّ ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطّراح الحشمة والتبسّط في القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضي الايذجي وغيرهم وما منهم إلّا أبيض اللّحية طويلها فاذا لذّ السّماع وأخذ الطّرب منهم مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلّبوا في أعطاف العيش بين الخفّة والطّيش ووضع في يد كلّ منهم طاس ذهب من ألف مثقال مملوّا شراباً قطربليا وعكبريّا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثمّ يرشّ بها بعضهم على بعض ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبّغات وفحانق البرم ويقولون كلّما كثر شربهم (هرهر) وإيّاهم عني

---

(١) ق: ٢٠ ـ ٢٢.

(٢) الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٣) ابن شعبة، تحف العقول: ١٥٥.

السّري في قوله:

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا في فحانق البرم

فاذا أصبحوا عادوا إلى التحفّظ بأبّهة القضاء وحشمة الكبراء[١].

«وانّي أُحذِّركم ونفسي هذه المنزلة» قال ابن أبي الحديد: وروي «وهذه المزلّة»[٢]، قال عليه السلام: «ونفسي» ليكونوا إلى الانقياد أقرب.

«فلينتفع امرؤ بنفسه» قال تعالى ﴿عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم...﴾[٣]، ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله﴾[٤].

«فإنّما البصير من سمع فتفكّر، ونظر فأبصر» لا كلّ من كان له بصر.

«وانتفع بالعِبر» قال تعالى حاكياً عن فرعون ﴿فقال أنا ربّكم الأعلى* فأخذه الله نكال الآخرة والأولى* إنَّ في ذلك لعبرةً لمن يخشى﴾[٥].

«ثمّ سلك جدداً واضحاً» في (الصحاح): الجدد: الأرض الصّلبة، وفي المثل: (من سلك الجدد أمن العثار) قال تعالى ﴿إنَّ الّذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[٦].

«يتجنّب فيه الصّرعة في المهاوي» في (الصحاح): المهوى والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك، وتهاوى القوم في المهواة: سقط بعضهم في أثر بعض، قال تعالى ﴿وأمّا من خاف مقام ربِّه ونهى النّفس عن الهوى* فإنَّ

---

(١) معجم الأدباء للحموي ١٤: ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٩.

(٣) المائدة: ١٠٥.

(٤) المزمّل: ٢٠.

(٥) النازعات: ٢٤ ـ ٢٦.

(٦) فصّلت: ٣٠.

الجنّة هي المأوى﴾[1].

«والضّلال في المغاوي» كطلحة والزّبير في خروجهما عليه عليه السلام فصرع الأوّل في الحرب ممّن كان معه وهو مروان، وصرع الثّاني في البيداء قتله عمرو بن جرموز، وقال زهير :

ألم تـر للنعمان كـان بنجوة من الشّرّ لو أنّ امرأ كان ناجيا

فغيّر عنه ملك عشرين حجّة من الدهر ويومٌ واحد كان غاويا[2]

وفي (الصحاح): المغوّيات ـ بفتح الواو ومشدّدة ـ: جمع المغوّاة وهي حفرة كالزبية يقال: (من حفر مغوّاة وقع فيها)[3].

«ولا يعين على نفسه الغواةَ بِتعسّفٍ في حقٍّ» في (الصحاح): العسف: الأخذ على غير الطريق وكذلك التعسّف والاعتساف[4].

«أو تحريفٍ في نُطق» لا يبعد أن يكون عليه السلام خطب بهذه الخطبة في أمر أهل الجمل حيث انّ في آخره ذمّ النساء وانّ همّهن الزّينة والفساد، فلا يبعد أن يكون المراد تحريف ابن الزّبير في أمر الجواب؛ ففي (خلفاء ابن قتيبة): لمّا انتهوا إلى ماء الحوأب نبحها كلاب الحوأب فقالت عايشة لمحمّد بن طلحة : أيّ ماءٍ هذا؟ قال: الحوأب. قالت : إنّي أراني راجعة قال: ولِمَ؟ قالت : سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لنسائه: كأنّي بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوأب وإيّاك أن تكوني أنت يا حميراء. فقال لها: تقدّمي ودعي هذا القول، وأتى عبدالله بن الزّبير فحلف لها أنّها خلّفت الحوأب في أوّل اللّيل وأتاها ببيّنة زور من الاعراب فشهدوا بذلك.

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) الصحاح: (غوى).

(٤) الصحاح: (عسف).

«أو تخوّفٍ من صِدقٍ» لمّا أمر معاوية بالتّسليم على ابنه يزيد بولاية العهد سكت الأحنف فقال له: ما بالك لا تقول؟ قال: أخاف الله إن كذبتك وأخافك إن صدقتك[١].

«فأفِق أيّها السّامِعُ من سكرتك» في (التحف): «أيّها المستمتع» وهو الأصحّ فالخطاب للمستمتع من شراب شهوات الدّنيا بقرينة قوله (فَأفِق) وأفق من أفاق المريض: رجع إلى صحّته وقولهم فلان مدمن الخمر لا يستفيق من الشّراب[٢].

«واستيقظ من غفلتك» فالغافل كالنّائم.

«واختصر من عجلتك» أي: أقلّ منها.

«وأنعم الفكر في ما جاءك على لسان النبيّ الأُمّيّ صلّى الله عليه وسلّم» في (الصحاح): نعم الشيء بالضمّ نعومة أي: صار ناعماً ليّناً، وأنعم الله صباحك من النّعومة[٣].

ولعلّ المراد ما جاء على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله في أهل الجمل من كونهم النّاكثين، ومن حديث كلاب الحوأب ومن قتال الزّبير معه عليه السلام ظلماً.

«وخالف من خالف ذلك إلى غيره ودعه وما رضى لنفسه» من مخالفته قول النبيّ صلى الله عليه وآله وعدم اكتراثه لخلافه.

«وضع فخرك، واحطط كبرك» فانّ الفخر والكبر رذيلتان مرديتان والنّاس كلّهم بنو آدم وآدم من تراب.

«واذكر قدرك» هكذا في (المصرية)[٤] والصحيح: (واذكر قبرك) كما في

---

(١) تاريخ الخلفاء «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة ١: ٦٣.

(٢) تحف العقول لابن شعبة: ١٥٦.

(٣) الصحاح: (نعم).

(٤) الطبعة المصرية بلفظ «واذكر قبرك»: ٣٢٩.

(ابن أبي الحديد) وغيره[١] ويدلّ عليه قوله بعد.

«فإنَّ عليه ممرّك» فممرّ الإنسان على قبره لا قدره.

هذا، وتفرّد ابن أبي الحديد بالنقل في[٢] (٣) وقال عليه السلام: «ضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك»[٣]، ونقلته (المصرية) عنه[٤] (٣٣٩٨) فان صحّ كونه من المصنّف فهو ممّا كرّره سهواً.

«وكما تُدينُ تُدانُ» هو كالمثل وقال الشّاعر: دنّاهم كما دانو؛ وفي (الصحاح): «كما تدين تدان : أي: كما تجازي تجازي[٥] وقوله تعالى ﴿ءَإنّا لمدينون﴾[٦] أي: مجزيون محاسبون، ومنه الدّيّان في صفته تعالى.

«وكما تزرع تحصد» هو أيضاً كالمثل: (فمن زرع الخير حصد السّلامة ومن زرع الشّرّ حصد النّدامة).

«وكما قدّمت اليوم تقدم عليه غداً» هكذا في (المصرية)[٧] والصواب: (وما) لا (وكما) كما يشهد له ابن أبي الحديد وغيره.

قال تعالى ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله...﴾[٨]، ﴿يوم تجد كلّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ تودُّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾[٩].

«فامهد لقدمك وقدّم ليومك» قال تعالى ﴿...ولتنظر نفسٌ ما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٨.

(٢ ـ ٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٨.

(٤) الطبعة المصرية المصححة: ١٤٦.

(٥) الصحاح: (دين).

(٦) الصافات: ٥٣.

(٧) الطبعة المصرية المصححة بإضافة (ما): ٣٢٩، وشرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٨.

(٨) البقرة: ١١٠.

(٩) آل عمران: ٣٠.

قدّمت لغدٍ...﴾[1].

«فالحذر الحذر أيّها المستمع»:

هــي الدّنــيا تــقول بـملء فـيها حذار حذار من بطشي وفـتكي[2]

«والجدّ الجدّ أيّها الغافلُ» الجدّ: مقابل الهزل، يقال: أجادّ أنت أم هازل؟

«ولا ينبئك مثلُ خبيرٍ» اقتباس من قوله تعالى في (١٤) من فاطر.

٤
من الخطبة (١٥١)

المكرّر (ومنه):

قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا اِلى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ اَهْلُهَا لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا.

أقول: قوله (ومنه) هكذا في (المصرية)[3] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) (منها)[4] فهو الصحيح.

«قد شخصوا من مستقرّ الأجداث» في (الصحاح): (شخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف ويقال للرّجل إذا ورد عليه أمر أقلقه شخص به وشخص شخوصاً أي: ذهب) والجدث: القبر، والجمع: أجدث واجداث؛ قال: (عرفت بأجدث فنعاف عرق...).

قلت: بل جمعه أجداث فقط و (اجدث) في البيت موضع كنعاف عرق كما لا يخفى قال تعالى ﴿إنّما يؤخّرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار* مهطعين

---

(١) الحشر: ١٨.

(٢) ذكره شرح ابن أبي الحديد في ٣: ٣٣٥ قائلاً: وقول بعضهم.

(٣) الطبعة المصرية: ٣٣٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠ (١٥٦).

مقنعي رؤوسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[١]، ﴿ونفخ في الصّور فإذا هم من الأجداث إلى ربِّهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون﴾[٢]، ﴿يوم يخرجون من الأجداث سِراعاً كأنّهم إلى نصبٍ يوفضون* خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذِلّةٌ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾[٣]، ﴿يخرجون من الأجداث كأنّهم جرادٌ منتشرٌ* مهطعين إلى الدّاعي يقول الكافرون هذا يومٌ عسرٌ﴾[٤].

«وصاروا الى مصائر الغايات» ﴿فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السّعير﴾[٥].

«لكلّ دارٍ أهلها لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها» في (تفسير القمّي) عن الصادق عليه السلام قال ما خلق الله خلقاً إلّا جعل له في الجنّة منزلاً وفي النّار منزلاً فاذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، ينادي مناد: يا أهل الجنّة أشرفوا. فيشرفون على أهل النّار وترفع لهم منازلهم فيها ثمّ يقال لهم هذه منازلكم الّتي لو عصيتم الله لدخلتموها فلو انّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب ثمّ ينادي مناد يا أهل النّار ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النّعيم فيقال لهم هذه منازلكم التي لو أطعتم ربّكم لدخلتموها فلو ان أحداً مات حزناً لمات أهل النّار حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء[٦] وذلك قوله تعالى ﴿أُولئك هم الوارثون* الذين يرثون

---

(١) إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٤.

(٢) يس: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) المعارج: ٤٣ ـ ٤٤.

(٤) القمر: ٧ ـ ٨.

(٥) الشورى: ٧.

(٦) تفسير القمّي ٢: ٨٩.

الفردوس هم فيها خالدون﴾[١].

٥
من الخطبة (١٧٨)

وَاعْلَمُوا أنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلهُ مَنْزِلَةَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُهَا مَلآئِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ.

أقول: قوله عليه السلام: «واعلموا انّ من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن» قال تعالى ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً* ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[٢]، ﴿ومن يتّقِ الله يجعل له من أمره يسراً﴾[٣]، ﴿ومن يتّق الله يكفّر عنه سيّئاته ويعظم له أجراً﴾[٤]، ﴿قال أنا يوسف وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا إنّه من يتّق ويصبر فإنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[٥].

«ونوراً من الظُّلم» قال تعالى ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النور...﴾[٦]، وقال تعالى ﴿هو الّذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظُّلمات إلى النّور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾[٧].

«ويخلّده في ما اشتهت نفسه» ﴿جنّاتُ عدنٍ التي وعد الرّحمن عباده

---

(١) المؤمنون: ١٠ ـ ١١.
(٢) الطلاق: ٢ ـ ٣.
(٣) الطلاق: ٤.
(٤) الطلاق: ٥.
(٥) يوسف: ٩٠.
(٦) البقرة: ٢٥٧.
(٧) الأحزاب: ٤٣.

بالغيب انّه كان وعدهُ مأتياً* لا يسمعون فيها لغواً إلّا سلاماً ولهم رِزقهم فيها بكرَةً وعشيّاً﴾[١]، ﴿إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون* لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون* لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون﴾[٢]، ﴿إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون* نحن أولياؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون* نُزلاً من غفور رحيم﴾[٣]، ﴿الأخِلّاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلّا المتّقين* يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون* الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين* ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون* يُطاف عليهم بصحافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون* وتلك الجنّة الّتي أورثتموها بما كنتم تعملون* لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون﴾[٤]، ﴿على سررٍ موضونةٍ* متّكئين عليها متقابلين* يطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون* بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معينٍ* لا يصدّعون عنها ولا ينزفون* وفاكهةٍ ممّا يتخيّرون* ولحم طيرٍ ممّا يشتهون* وحورٌ عينٌ* كأمثال اللؤلؤ المكنون* جزاءً بما كانوا يعملون* لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً* إلّا قيلاً سلاماً سلاماً﴾[٥]، ﴿إنّ المتّقين في جنّاتٍ ونعيمٍ* فاكهين بما آتاهم ربّهم ووقاهم ربُّهم عذاب الجحيم* كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون* متّكئين على

---

(١) مريم: ٦١ ـ ٦٢.

(٢) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٣) فصّلت: ٣٠ ـ ٣٢.

(٤) الزخرف: ٦٧ ـ ٧٣.

(٥) الواقعة: ١٥ ـ ٢٦.

سررٍ مصفوفةٍ وزوّجناهم بحورٍ عين*... وأمددناهم بفاكهة ولحمٍ ممّا يشتهون* يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ﴾[١].

«وينزله منزلة» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (منزل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«الكرامة عنده» قال تعالى ﴿نُزلاً من غفورٍ رحيم﴾[٤]، ﴿تحيّتهم يوم يلقونه سلامٌ وأعدّ لهم أجراً كريماً﴾[٥].

«في دارٍ اصطنعها لنفسه» ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٦]، ﴿تلك الجنّة التي نورثُ من عبادنا من كان تقيّاً﴾[٧].

«ظلّها عرشه» قالوا كلامه عليه السلام هذا يدلّ على انّ الجنّة فوق السماوات السّبع وتحت العرش.

«ونورها بهجته» ﴿الله نور السماوات والأرض...﴾[٨].

«وزُوّارها ملائكته» قال تعالى ﴿...إنّما يتذكّر أولوا الألباب* الّذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق* والّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربّهم ويخافون سوء الحساب* والّذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصّلاة وانفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانيةً ويدرؤون بالحسنة

(١) الطور: ١٧ ـ ٢٣.

(٢) الطبعة المصرية المصححة «وينزله منزل»: ٣٩٥ ح١٧٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١١٦ ح (١٨٤)، وابن ميثم: «يُنزل منزلة» ٤: ٣٩٨، كذلك الخطية: ١٦٥.

(٤) فصّلت: ٣٢.

(٥) الأحزاب: ٤٤.

(٦) القصص: ٨٣.

(٧) مريم: ٦٣.

(٨) النور: ٣٥.

السّيئة أولئك لهم عقبى الدّار* جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذُرِّياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كُلّ بابٍ* سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[1].

«ورفقاؤها رُسُله» قال تعالى ﴿ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصّالحين وحسن أُولئك رفيقاً﴾[2].

٦
الحكمة (٢٨٠)

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ.

أي: استعدّ بقدر بعده قال تعالى ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتَّقوا الله ولتنظرْ نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون* ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[3]، ﴿كلّا إذا دُكّت الأرض دكّاً دكّاً* وجاء ربُّك والملك صفّاً صفّاً* وجيء يومئذٍ بجهنّم يومئذٍ يتذكّر الإنسان وأنّى له الذّكرى* يقولُ ياليتني قدّمت لحياتي * فيومئذٍ لا يُعذّب عذابه أحدٌ* ولا يوثق وثاقه أحدٌ* يا أيّتها لنفس المطمئنة* ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّةً* فادخلي في عبادي * وادخلي جنّتي﴾[4].

---

(١) الرعد: ١٩ ـ ٢٤.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) الحشر: ١٨ ـ ١٩.

(٤) الفجر: ٢١ ـ ٣٠.

٧
الخطبة (٢٧)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وَإِنَّ ٱلْاخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلاَ وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلْمِضْمَارِ وَغَداً ٱلسِّبَاقُ، وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ، وَٱلْغَايَةُ النَّارُ، أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ! أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ! أَلاَ وَإِنَّكُمْ في أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَآئِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ في أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ اَجَلُهُ؛ وَمَنْ قَصَّرَ في اَيَّامِ اَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ اَجَلِهِ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وَضَرَّهُ أَجَلُهُ. أَلاَ فَاعْمَلُوا في ٱلرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ في ٱلرَّهْبَةِ، أَلاَ وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، أَلاَ وَإِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ ٱلْحَقُّ يَضُرُّهُ ٱلْبَاطِلُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ ٱلْهُدى، يَجُرُّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَى ٱلرَّدى، أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ. وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اِتِّبَاعُ ٱلْهَوى، وَطُولُ ٱلْأَمَلِ، فَتَزَوَّدُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً.

أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزّهد في الدّنيا، ويضطّر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال، وقادحاً زناد الإتّعاظ والإزدجار ومن أعجبه قوله عليه السلام: «ألا وإنّ اليوم المضمار، وغداً السّباق، والسّبقة الجنّة، والغاية النّار» فانّ فيه مع فخامة اللّفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه، سرّاً عجيباً، ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام «والسّبقة الجنّة والغاية النّار»، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل: «السبقة النّار» كما قال: «السّبقة الجنّة» لأنّ الاستباق انّما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنّة وليس هذا المعنى موجوداً في

النّار، نعوذ بالله منها! فلم يجز أن يقول: والسَّبَقَة النّار» بل قال: «والغاية النّار» لأنّ الغاية قد ينتهي إليها من لا يسّره الانتهاء إليها، ومن يسرّه ولا يصلح أن يعبّر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل؛ قال تعالى ﴿...قل تمتّعوا فإنّ مصيركم إلى النّار﴾[1] ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال (سبقتكم) ـ بسكون الباء ـ إلى النّار، فتأمّل ذلك. فباطنه عجيب، وغوره بعيد، وكذلك أكثر كلامه عليه السلام. وفي بعض النّسخ: وقد جاء في رواية أُخرى «والسُّبقة الجنّة» ـ بضمّ السّين ـ والسّبقة عندهم: اسم لما يجعل للسّابق إذا سبق من مال أو عرض، والمعنيان متقاربان، لأنّ ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم وإنّما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

أقول: هذه الخطبة رواها ابن قتيبة في (خلفائه) والجاحظ في (بيانه) وإبراهيم الثقفي في (غاراته) ومحمّد بن بابويه في (فقيهه) وابن أبي شعبة في (تحفه) ومحمّد بن محمّد بن النّعمان في (إرشاده) والمسعودي في (مروجه) مع اختلاف وزيادة ونقص.

قال الأول: ذكروا أنّ البيعة لمّا تمّت له عليه السلام بالمدينة: خرج إلى المسجد فصعد المنبر ـ إلى أن قال ـ قال عليه السلام: واعلموا أنّ الدّنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت ألا وإنّ المضمار اليوم والسّبق غداً ألا وإنّ السّبقة الجنّة والغاية النّار، ألا إنّ الأمل يسهي القلب ويكذب الوعد ويأتي بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء فافزعوا إلى قوام دينكم واتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لإمامكم وتعلّموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم وأدّوا الأمانات إذا ائتُمِنتم وارغبوا في ثواب الله

(١) إبراهيم: ٣٠.

وارهبوا عذابه واعملوا الخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدّم الخير[١].

وقال الثاني: وخطب عليه السلام فقال: امّا بعد فانّ الدّنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع وإنّ المضمار اليوم والسّباق غداً، ألا وإنّكم في أيّام أمل من ورائه أجل فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضرّه أمله، ومن قصّر في أيّام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أمله ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرّهبة، ألا وانّي لم أرَ كالجنّة نام طالبها ولا كالنّار نام هاربها، ألا وإنّه من لم ينفعه الحقّ يضرّه الباطل ومن لم يستقم بالهدى يجرّ به الضّلال، ألا وإنّكم قد أمرتم بالظّعن ودللتم وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل. ومثله الأخير مع أدنى اختلاف[٢].

وقال الثالث: كما نقل (البحار) عن عبد الرحمن بن نعيم عن أشياخ قومه أنّ علياً عليه السلام كان كثيراً ما يقول في خطبته: أيّها النّاس انّ الدّنيا قد أدبرت وآذنت أهلها بوداع وانّ الآخرة قد أقبلت وآذنت باطّلاع ألا وإنّ المضمار اليوم والسّباق غداً، ألا وإنّ السَّبق الجنّة والغاية النّار، ألا وإنّكم في أيّام مهل من وراءه أجل يحثّه العجل فمن عمل في أيام مهله قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضرّه أمله، ألا وإنّ الأمل يسهي القلب ويكذب الوعد ويكثر الغفلة ويورث الحسرة فاعزبوا عن الدّنيا كأشدّ ما أنمت عن شيء تعزبون فإنّها من ورود صاحبها منها في غطاء معنى وأفزعوا إلى قوام دينكم بإقامة الصّلاة لوقتها واداء الزكاة لحلّها والتضرّع إلى الله والخشوع له وصلة الرّحم وخوف المعاد واعطاء السائل وإكرام الضّيف، وتعلّموا القرآن واعملوا به واصدقوا الحديث

---

(١) تاريخ الخلفاء «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة: ٥٠ ـ ٥١ وقد ذكر الشطر الأخير من الخطبة.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٥٢ ـ ٥٣.

وآثروه واوفوا بالعهد إذا عاهدتم وأدّوا الأمانة إذا أئتمنتم وارغبوا في ثواب الله وخافوا عقابه فانّي لم أرَ كالجنّة نام طالبها ولا كالنّار نام هاربها، فتزوّدوا من الدّينا ما تحرزوا به أنفسكم غداً من النّار، واعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز أهل الخير بالخير(١).

وقال الرابع: خطب عليه السلام يوم الفطر -إلى أن قال- ألا أنّ الدّنيا قد تنكّرت وأدبرت وأحلولت وآذنت بوداع ألا وإنّ الآخرة قد رحلت فأقبلت وأشرفت وأذنت باطّلاع ألا وانّ المضمار اليوم والسّباق غداً، ألا وإنّ السّبقة الجنّة والغاية النّار، أفلا تائب من خطيئته قبل يوم منيّته! ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه وفقره! جعلنا الله وإيّاكم ممّن يخافه ويرجو ثوابه...(٢).

وقال الخامس: خطبته عليه السلام المعروفة بالدّيباج -الحمد لله فاطر الخلق، وفالق الإصباح، (إلى أن قال) واعلموا عباد الله، أنّ الأمل يذهب العمل، ويكذب الوعد، ويحثّ على الغفلة، ويورث الحسرة، فأكذبوا الأمل فإنّه غرور وانّ صاحبه مأزور فاعملوا في الرغبة والرّهبة، فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا واجمعوا معها رغبة، فإنّ الله قد تأذّن للمسلمين بالحسنى، ولمن شكر بالزّيادة، فإنّي لم أرَ مثل الجنّة، نام طالبها، ولا كالنّار نام هاربها، ولا أكثر مكتسباً ممّن كسبه ليوم تذخر فيه الذّخائر وتبلى فيه السرائر، وإنّ من لا ينفعه الحقّ يضرّه الباطل، ومن لا يستقم به الهدى تضرّه الضّلالة، ومن لا ينفعه اليقين يضرّه الشك، وإنّكم قد أمرتم بالظّعن ودللتم على الزاد، ألا إنّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنان طول الأمل واتّباع الهوى، ألا وانّ الدّنيا قد أدبرت وآذنت بانقلاع ألا وإنّ الآخرة قد أقبلت وآذنت باطّلاع، ألا وإنّ المضمار

---

(١) التقفي، الغارات ٢: ٦٣٣ وذكره المجلسي في البحار ٧٨: ٣٥.

(٢) الفقيه ١: ٥١٤ ح٥١٦ (١٤٨٢).

اليوم والسّباق غداً، ألا وانّ السّبقة الجنّة والغاية النّار، ألا وإنّكم في أيّام مهل من وراءه أجل يحثّه عجل فمن أخلص لله عمله في أيّامه قبل حضور أجله، نفعه عمله ولم يضرّه أمله، ومن لم يعمل في أيّام مهله ضرّه أمله ولم ينفعه عمله، عباد الله افزعوا إلى قوام دينكم بإقام الصّلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لحينها، والتّضرّع والخشوع، وصلة الرّحم، وخوف المعاد، وإعطاء السائل وإكرام الضّعيفة، والضعيف وتعلّم القرآن والعمل به، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة إذا أئتمنتم، وارغبوا في ثواب الله وارهبوا عذابه، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، وتزوّدوا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم، واعملوا بالخير يوم يفوز بالخير، من قدّم الخير أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم[1].

وقال السادس عليه السلام: أمّا بعد، أيّها النّاس: فإنّ الدّنيا قد آدبرت وأذنت بوداع وانّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع، ألا وإنّ المضمار اليوم وغداً السباق والسبقة الجنّة والغاية النّار، ألا وانكم في أيام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل، فمن أخلص لله عمله لم يضرّه أمله ومن أبطأ به عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أمله، ألا فاعملوا في الرّغبة والرّهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإنّ الله قد تأذّن للمحسنين بالحسنى، ولمن شكره بالزّيادة، ولا كسب خير من كسب ليوم تذخر فيه الذّخائر وتجمع فيه الكبائر وتبلى فيه السّرائر، وإنّي لم أرَ مثل الجنّة نام طالبها، ولا مثل النّار نام هاربها، ألا وإنّه من لا ينفعه اليقين يضرّه الشّك ومن لا ينفعه حاضر لبّه ورأيه

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٢٢٩.

فغائبه عنه أعجز ألا وانكم قد أمرتم بالظّعن ودللتم على الزّاد...[١].

وقال السابع: كان عليه السلام يقول: الدّنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها، الدّنيا مسجد أحبّاء الله، ومصلّى ملائكته، ومهبط وحيه، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنّة، فمن ذا يذمّها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها ومثّلت لهم ببلائها البلاء، وشوّقت بسرورها إلى السرور راحت بفجيعة وابتكرت بعافية ترغيباً وتخويفاً فذمّها رجال غبّ الندامة وحمدها آخرون غبّ المكافاة ذكّرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدّقوا حديثها فيا أيها الذامّ للدّنيا المغتر بغرورها...[٢].

وممّا ذكرنا من مدارك الخطبة ظهر لك ما في قول ابن ميثم بعد العنوان «هذا من الخطبة الّتي في أوّلها: (الحمد لله غير مقنوط من رحمته) وستجيئ بعد، وإنّما قدّمه الرّضيّ عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب، من أنّه لا يراعى التّتالي والنسق في كلامه عليه السلام...[٣] فمن أين، إنّ الرّضي لم يأخذه إلّا ممّا قال؟ وهو رواية الصّدوق، ومن أين إنّه لم يأخذه من (بيان الجاحظ) أو (مروج المسعودي) بل الأخذ منهما مقطوع لأقربيّة عنوانه إليهما، كما انّ عدم الأخذ من رواية الصّدوق مقطوع، لخلوّ روايته عن كثير ممّا في العنوان واختلاف كثير من ألفاظه معها كما إنّ قوله (لما سبق من اعتذاره...) غلط فإنّ الرّضيّ لم يقل إنّ ما يختاره لا يراعي فيه النسق وإنّما قال انّه ليس ملتزماً بنقل جميع الخطبة من خطبه عليه السلام أو الكتاب من كتبه أو كلام آخر من حكمه

(١) تحف العقول لابن شعبة : ١٤٩.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤١٩.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٤١ ح ٢٧.

وأدبه، لأنّ غرضه منها ما في غاية البلاغة فيختار من خطبة واحدة وكتاب واحد وكلام آخر فصولاً غير متّسقة يفرّق بينها بلفظ (ومنها ومنها) كما عرفت في أوّل الكتاب بمعنى انّه يحذف من البين فيخرج الكلام من موضوع إلى موضوع آخر لا أنّه في ما يختار يؤخّر المقدّم ويقدّم المؤخّر كما توهّم، ثمّ يمكن رفع اختلاف نقله جزء الوصيّة بالعشرة كما في (الخلفاء) أو جزء الخطبة في الفطر كما في (الفقيه) أو جزء الدّيباج كما في (التّحف) أو مستقلاً كما في غيره انّ الثقفي كما عرفت قال: روى انّه عليه السلام كان كثيراً ما يقول في خطبته الفقرات فالظّاهر انّه عليه السلام في بعض المقامات اقتصر عليها وفي بعضها جعلها جزء باقي اغراضه.

«**أما بعد، فإنَّ الدُّنيا قد أدبرت وأذنت بوداعٍ**» في (الصحاح): آذنتك بالشيء أعلمتكه وآذن وتأذّن بمعنى، كما يقال أيقن وتيقّن...[١].

وقد عرفت أنّ (التّحف) بدّل قوله «بوداع» بقوله «بانقلاع».

«**وإنَّ الآخرة قد أشرفت**» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (قد أقبلت وأشرفت) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣].

«**باطّلاعٍ**» في (الصحاح): أشرفت عليه: اطلعت عليه من فوق؛ وقال اطّلعت على باطن أمره: انتقلت، يقال أين مطّلع هذا الأمر أي: مأتاه وهو موضع الإطّلاع من إشراف إلى انحدار وفي الحديث (من هول المطلع) شبّه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك...[٤].

يمكن أن يريد عليه السلام بإدبار الدّنيا وإقبال الآخرة لكلّ شخص فانّ

---

(١) الصحاح: (أذَنَ).

(٢) الطبعة المصرية: ١٢٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩١ ح٢٨ والنسخة الخطية: ٢٤ كما ذكر العلاّمة ﷺ، أما ابن ميثم فكالمصرية ٢: ٣٩.

(٤) الصحاح: (شَرَفَ).

الإنسان من ساعة تولّد كلّما تنفّس نفساً يدبر من دنياه ويقبل إلى آخرته التي تحصل له بالموت ويمكن أن يريد بهما الدّنيا والآخرة الكلّيتين فبمضيّ كلّ يوم تدبر الدّنيا وتقبل الآخرة.

«ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السّباقُ» هكذا في جميع نسخ النّهج، وقد عرفت انّ جميع مدارك العنوان من القتيبي والثّقفي والجاحظ والمسعودي وابن بابويه والمفيد والحلبي متّفقة على تقديم المضمار والسّباق على اليوم وغداً فهو الصحيح والمصنّف وهم ويأتي عين اللّفظ من حذيفة ونظيره من النبي ﷺ بالتّقديم وفي (الصحاح): تضمير الفرس ان يعلفه حتّى يسمن ثمّ تردّه إلى القوت وذلك في أربعين يوماً وهذه المدّة تسمّى المضمار والموضع الّذي تضمر فيه الخيل أيضاً مضمار الخ والسِّباق مصدر سابق كالمسابقة، قال ابن أبي الحديد: المضمار منصوب لأنّه اسم انّ واليوم ظرف وموضعه رفع لأنّه خبر انّ، وغداً السّباق على هذا الوجه[1]، ويجوز الرفع في الموضعين على ان تجعلهما خبر أنّ بأنفسهما...

ومراده كما ترى أنّ المضمار والسّباق منصوبان معّيناً لكونهما أسمى انّ وامّا اليوم وغداً وان كانا خبري انّ وخبرها مرفوع لكن يجوز نصبهما على الظّرفية ويكونان في موضع رفع ويجوز رفعهما لفظاً باسقاطهما عن الظّرفيّة ولم يتفطّن ابن ميثم و الخوئي لمراده[2]، فقالا: ورد المضمار والسّباق مرفوعين ومنصوبين...

ثمّ لا وجه لرفع المضمار والسّباق لكونهما مسنداً عنهما كما لا وجه لإلغاء الظّرفيّة لأنّ المضمار ليس عين اليوم بل فيه كما انّ السّباق ليس عين

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٩٣.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٤٢.

الغد بل فيه وعلى ما قلنا من نقل غير المصنّف له بلفظ «انّ المضمار اليوم والسّباق غداً» لا مجال لاحتمال ما قالوا، وكيف كان فالأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السّماء والأرض أُعدّت للّذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[1]، ﴿فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً...﴾[2]، ﴿فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[3].

وروى الخطيب عن أبي عبد الرحمن السّلمي قال جمّعت مع حذيفة بالمدائن فسمعته يقول: إن الله تعالى يقول ﴿اقتربت السّاعة وانشقّ القمر﴾[4] ألا وانّ القمر انشقّ على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وانّ السّاعة اقتربت، ألا انّ المضمار اليوم والسّبق غداً قال فقلت لأبي غداً تجري الخيل قال انّك لغافل أما سمعته يقول السّابق من سبق إلى الجنّة...[5].

وقالوا استقبل رجل عامر بن عبد قيس في يوم حلبه فسأله من سبق؟ فقال المقرّبون وقريب من كلامه عليه السلام هذا ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله (ألا وانّ العواري اليوم والهبات غداً)[6].

هذا، وفي (المروج): كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل

(١) الحديد: ٢١.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) القمر: ١.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠: ٢٠٢.

(٦) أورده المجلسي في البحار ٧٨: ٦٠ ناسباً إيّاه الى الامام علي عليه السلام من مجموعة الكلمات التي جمعها الجاحظ للإمام علي عليه السلام.

والقصب تسعة ولايدخل الحجر المحجّر من الخيل إلّا ثمانية وهذه اسماؤها الأوّل المجلى لأنّه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدّة وقال الفرّاء لأنّه يجلي عن وجه صاحبه والثّاني المصلّى لأنّه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهي صلاة والصّلاة عجب الذّنب بعينه والثّالث المسلّى لأنّه كان شريكاً في السّبق وكانت العرب تعدّ من كلّ ما يحتاج ثلاثة أو لأنّه سلّى عن صاحبه بعض همّه بالسّبق والرّابع التّالي سمّى بذلك لأنّه تلا هذا المسلّى في حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الرّاحة لأنّ في الرّاحة خمس أصابع لا يعد منها غيرهنّ فلّما كان الخامس مثل خامسة الأصابع وهي الخنصر سمّي مرتاحاً، وسمّي السّادس حظيّاً لأنّ له حظّاً وسمّي السابع العاطف لدخوله الحجرة لأنّه قد عطف بشيء وان قلّ وحسن إذ كان قد دخل المحجور وسمّي الثامن المؤمّل على القلب والتفّأل كما سمّوا الفلاة مفازة واللّديغ سليما وكنّوا الحبشيّ أبا البيضاء ونحو ذلك، أي: انّه يؤمّل وان كان خائباً لأنّه قرب من بعض ذوات الحظوط، والتّاسع اللّطيم لأنّه لو رام الحجرة للطم، والعاشر السّكيت لأنّ صاحبه يعلوه خشوع وذلّة ويسكت حزناً وعيّاً وكانوا يجعلون في عنق السّكيت حبلاً ويحملون عليه قرداً ويدفعون للقرد سوطاً فيركضه القرد ليعيّر بذلك صاحبه.

إذا أنت لم تسبق وكنت مخلّفاً   سبقت إذا لم تدع بالقرد والحبل
وان تك حقّاً بالسّكيت مخلّفاً   فتورث مولاك المذمّة بالنّبل

أمّا ذكره النّبل فانّ بعضهم كان يفعل ذلك، ينصب فرسه ثمّ يرميه بالنّبل حتّى يتعجّف وقد كان فعل ذلك النّعمان بفرسه النّهب[1].

«والسَّبقة الجنّة والغاية النّار» المفهوم من قول المصنّف بعد (ولم يقل

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢١٧.

السّبقة النّار كما قال السّبقة الجنّة لأنّ الاستباق انّما يكون إلى أمر محبوب) انّه جعل السّبقة بالفتح مصدراً لأنّه فسّرها بالاستباق مع انّ المصدر السّبق بدون الهاء ويشكل ان يجيئ مع الهاء بمعناه بل لا يعلم كونه مع الهاء بغير الضّمّ وقد جعل كونها بالضّمّ رواية أُخرى ومعناها ما قال وهو المعين لأنّه ذكرها بعد السّباق جزاء له.

وفي (بلاغات أحمد بن أبي طاهر): كانت السّبقة عند بني أُميّة مائة ناقة حمراء ولا يمنعون أحداً قاد إليهم فرساً فأرسل الوليد بن عبد الملك في الحلبة العظمى فلّما مدّت الحبال في صدور الخيل جاءت عجوز من بني نمير تقود فرساً لها وعليها غرارة وهي تقول:

فتاتنا المنسوبة الكريمة　　　ميمونة الطّلعة لا مشومة

ثمّ قالت للوليد: ادخل فرسي، قال: أدخلوها قال: ما هذه الغرارة على عنقك قالت: فيها عقل السّبقة، قال: انّك لواثقة بفرسك، قالت: ثقتي بهذه صيّرني تحت هذه، قال: فجاءت فرسها سابقة فأخذت المائة قال: فالنّسل من خيلها معروف يقال لها خيل العجوز[١].

«أفلا تائبٌ من خطيئته قبل منيّته» استدلّ له بقوله تعالى ﴿انّما التوبة على الله للّذين يعملون السوء بجهالةٍ ثمّ يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾[٢]، ﴿وليست التّوبة للذين يعملون السّيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن...﴾[٣].

وفي (الصحاح): منى له، أي: قدّر؛ والمنيّة: الموت لأنّها مقدّرة[٤].

---

(١) بلاغات النساء لابن أبي طاهر: ٢٢٢.

(٢) النساء: ١٧.

(٣) النساء: ١٨.

(٤) الصحاح: (منا).

«**ألا عاملٌ لنفسه قبل يوم بؤسه**» قد عرفت أنّ في رواية القتيبي[١] والثقفي[٢]، والحلبي[٣] ذكر عليه السلام العمل فقال كما هو لفظ الأوّل: «فافزعوا إلى قوام دينكم واتمام صلاتكم وإداء زكاتكم والنصيحة لإمامكم...» قال تعالى﴿وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصالحين* ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[٤]، ﴿ان تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين﴾[٥]، ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّةً فأكون من المحسنين﴾[٦].

وفي (معارف ابن قتيبة): كان لنعمان بن منذر يومان يوم بؤس، ويوم نعيم، وكان إذا ركب يوم بؤسه يقتل من يلقاه ويغري بدمه الغريّين، وأتاه عبيد بن الأبرص الشّاعر يمتدحه يوم بؤسه ولم يعلم أنّه يوم بؤسه فقتله[٧].

«**ألا وإنّكم في أيّام أمل من وراءه أجلٌ**» ﴿اعلموا انّما الحياة الدّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتريه مصفرّاً ثم يكون حُطاماً...﴾[٨].

«**فمن عمل في أيّام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضرره أجله**» هكذا في نسخ النهج وفي المدارك المتقدّمة «ولم يضرره أمله» لكن ليس في

---

(١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة: ٥٠ ـ ٥١.

(٢) الغارات للثقفي: ٦٣٣.

(٣) الحلبي «المقصود ابن شعبة الحراني» في تحف العقول: ١٤٩.

(٤) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٥) الزمر: ٥٦.

(٦) الزمر: ٥٨.

(٧) المعارف لابن قتيبة: ٦٤٩.

(٨) الحديد: ٢٠.

(الخلفاء) و(الفقيه) الفقرة رأساً.

«ومن قصّر في أيّام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أجله» هنا أيضاً في (البيان) و(المروج) و(التحف) و(الإرشاد): «وضرّه أمله» فهو الصحيح.

وفي الخبر عن الرّضا عليه السلام:

انّك في دار لها مدّة ... يقبل فيها عمل العامل

ألا ترى الموت محيطاً بها ... يكذب فيها أمل الآمل

تعجّل الذّنب بما تشتهي ... وتأجل التوبة في قابل

والموت يأتي أهله بغتةً ... ماذاك فعل الحازم العاقل[1]

«ألا فاعملوا في الرّغبة كما تعملون في الرّهبة» مدح تعالى أنبيائه فقال فيهم: ﴿انّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[2]، وذمّ اناساً لا يعرفونه إلّا في الرّهبة فقال ﴿وإذا مسّ الإنسان الضُّرُّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلّما كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرٍّ مسّهُ كذلك زُيّن للمسرفين ما كانوا يعملون﴾[3].

«ألا وانّي لم أرَ كالجنّة نام طالبها ولا كالنّار نام هاربها» قال المبرّد: قال النّابغة الذّبياني لمّا هدّده النّعمان بن المنذر:

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس فالضّواجع

فبتّ كأنّي ساورتني ضئيلة ... من الرّقش في أنيابها السّمّ ناقع

يسهّد من نوم العشاء سليمها ... كحلي النّساء في يديه قعاقع

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢: ١٧٦، ونقله المجلسي في بحاره ٤٩: ١١٠.

(٢) الأنبياء: ٩٠.

(٣) يونس: ١٢.

تناذرها الرّاقون من سوء سمّها تـطلّقه طوراً وطوراً تراجع[١]

وقال ابن قتيبة: لمّا سخط عبد الملك على الحجّاج تمثّل بقول النّابغة:

نبئت انّ أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد[٢]

وفي (الأغاني) حضر الجحّاف عند عبد الملك والأخطل حاضر في مجلسه ينشد:

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائر بقتلي أصبت من سليم وعامر

فقال له الجحّاف:

نعم سوف نبكيهم بكلّ مهنّد ونبكي عميراً بالرّماح الخواطر

ثمّ قال له: ظننت يابن النصرانيّة انّك لم تكن لتجترئ عليّ، ولو رأيتني لك مأسوراً ـ وأوعده ـ فما برح الأخطل حتّى حمّ فقال له عبد الملك: أنا جارك منه قال هذا أجرتني منه يقظان فمن يجيرني منه نائماً فجعل عبد الملك يضحك[٣].

وفي (الأغاني): بلغ عبد الصّمد بن المعذّل شعر للحمدوي فقال: أنا له ففزع الحمدوي وقال:

هيهات أن أجد السبيل إلى الكرى وابن المعذّل من مزاحي حارد[٤]

فرضي عنه.

هذا، وفي (البلاذري): كان عبيدالله بن الحرّ الجعفي محبوساً عند مصعب بن الزبير فكلّمه الأحنف بن قيس فأطلقه فقال للأحنف: ما أدري ما أكافئك به الّا أن أقتلك فتدخل الجنّة وأدخل النّار فضحك الأحنف وقال: لا

---

(١) الكامل في الأدب للمبرّد: ٨٥٥، طبعة الحلبي.

(٢) النابغة الذبياني: ٣٦ يمدح النعمان، وابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٤٠ تمثل به الحجاج.

(٣) الأغاني ١٢: ٢٠٠.

(٤) الأغاني ١٣: ٢٣٦.

حاجة لي في مكافأتك يا ابن أخي[١].

«ألا وإنّه من لم ينفعه الحقّ يضرره الباطل» ﴿أنزل من السّماء ماءً فسالت أوديةٌ بقدرها فاحتمل السّيل زبداً رابياً ومِمّا يوقدون عليه في النار ابتغاء حليةٍ أو متاعٍ زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فامّا الزّبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾[٢].

«ومن لم يستقم به الهدى يجرّ به الضّلال الى الرّدى» يجرّ بتشديد الرّاء من الجرّ كما في (الخطية و ابن أبي الحديد)[٣] وفي (المصرية الأُولى)[٤] يجر بتخفيفها مع كسرها من الجري بالجيم والرّاء. وامّا (البيان)[٥] و(المروج)[٦] فحيث ليس فيهما كلمة (إلى الرّدى) يمكن أن يقرأ ما فيهما مع كلمة (به) كلمة واحدة من الخزي بالخاء والزّاي. وفي (الصحاح): ردى بالكسر، أي: هلك[٧].

«ألا وانّكم قد أمرتم بالظّعن» (بتسكين العين وفتحها) قال الجوهري: ظعن أي: سار ظعناً وظعناً بالتّحريك وقرئ بهما قوله تعالى[٨] ﴿يوم ظعنكم...﴾[٩] قال تعالى ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ...﴾[١٠].

«ودللتم على الزّاد» أي: في هذا السفر وهو التّقوى.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٢٨٨، مطبعة المثنى ـ بغداد.

(٢) الرعد: ١٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩١ «يجرُّ» والخطيّة: ٢٤ مع التشديد.

(٤) الطبعة المصرية المصححة: ١٢٥ «يجرُّ» أيضاً.

(٥) البيان للجاحظ ٢: ٥٣.

(٦) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٩.

(٧) الصحاح: (ردى).

(٨) الصحاح: (ظعن).

(٩) النحل: ٨٠.

(١٠) الحشر: ١٨.

«وإنّ أخــوف مــا أخـافُ عـليكم اتّـباع الهـوى» ﴿فـلا تـتّبعوا الهـوى ان تعدلوا...﴾[١]، وقال تعالى في من انسلخ من آياته ﴿ولكـنّه أخـلد إلى الأرض واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب...﴾[٢]، وقال تعالى ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فرطاً﴾[٣]، ﴿فان لم يسـتجيبوا لك فـاعلم انّـما يتّبعون أهوائهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدىً من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٤].

«وطــول الأمــل» ﴿ذرهــم يأكلوا ويـتمتّعوا ويـلههم الأمـل فسـوف يعلمون﴾[٥].

«تزوّدوا من الدُّنيا ما تحرزون أنفسكم به غـداً» هكـذا فـي (المـصرية)[٦] والصواب: «فتزوّدوا في الدُّنيا من الدُّنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وكذا الخطية[٧].

وفي (المصباح): أحرزت الشيء احرازاً ضممته ومنه قولهم: أحرز قصب السّبق إذا سبق إليها فضمّها دون غيره...[٨].

﴿عليكم أنفسكم لا يـضرّكـم مَـن ضـلّ إذا اهـتديم إلى الله مـرجـعكم جميعاً...﴾[٩].

---

(١) النساء: ١٣٥ .

(٢) الأعراف: ١٧٦ .

(٣) الكهف: ٢٨ .

(٤) القصص: ٥٠ .

(٥) الحجر: ٣ .

(٦) الطبعة المصرية: ١٢٦ .

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩١، وابن ميثم كالمصرية ٢: ٤٠، والخطية كما ذكر المصنف: ٢٥.

(٨) المصباح المنير للفيتوري: ١٢٩ «الحرز» .

(٩) المائدة: ١٠٥ .

قول المصنّف: «قال الشّريف: أقول» هكذا في (المصرية)[١] وقوله: «قال الشريف» إنّما من الشّرّاح، لا من النّهج، وأمّا «أقول» فمحرّف «وأقول» كما يظهر من (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢].

«لو كان كلامٌ يأخذ بالأعناق إلى الزُّهد في الدُّنيا ويضطرُّ إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام» أي: كلام العنوان ولبعضهم في وصف تأثير الكلام:

«لو أنّ كلاماً أُذيب به صخر أو أُطفئ به جمر أو عوفي به مريض أو جبر به مهيض لكان كلامه الّذي يعوّد سامعيه الى السّجود ويجري في القلوب مجرى الماء في العود ألفاظه أنوار ومعانيه ثمار».

«وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال» بعد فهم أنّ الدّنيا أدبرت، والآخرة أقبلت.

«وقادحاً زناد الاتّعاظ والإزدجار» بعد كون السَّبقة الجنّة، والغاية النّار.

«ومن أعجبه» أي: أعجب هذا الكلام.

«ولم يقل السّبقة» وفي (ابن ميثم)[٣] والسّبقة.

«النّار كما قال السّبقة» والصواب: «والسّبقة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤].

«لأنّ الغاية ينتهي» الصواب: «وقد ينتهي» كما في الثلاثة.

«اليها من لا يسرّه الانتهاء» هكذا في (المصرية) والصواب: «الانتهاء اليها» كما في الثلاثة أيضاً.

«ولا يجوز في هذا الموضع» أي: موضع الآية ﴿...قل تمتّعوا فإنّ

(١) الطبعة المصرية لا وجود لعبارة «قال الشريف»: ١٢٦ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩٢، وابن ميثم ٢: ٤١ .

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠ .

(٤) راجع البند ٣ .

مصيركم إلى النار﴾[١].

«أن يقال سبقتكم» وهكذا في (المصرية)[٢] والصواب: أن يقال «فانّ سبقتكم» ـ بسكون الياء ـ هكذا في (المصريتين) وليس قول (بسكون الباء) في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣] وهو غلط لأنّه يصير مفهومه انّ قول (تمتّعوا فانّ سبقتكم ـ بالتحريك ـ إلى النّار) صحيح مع أنّه أراد أنّ الواجب هنا قول (مصيركم) دون سبقتكم رأساً.

«الى النّار فتأمّل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيدٌ» هكذا في (المصرية) والصواب:[٤] «بعيدٌ لطيفٌ» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٥].

«وكذلك أكثر كلامه عليه السلام» في غاية العجب من حيث الفصاحة.

«وفي بعض النسخ وقد جاء في رواية أُخرى» هكذا في (المصريّتين)[٦] وليس قول «وفي بعض النسخ» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٧] وهو غلط فاحش، لأنّه لا معنى لأن يقول مصنّف عن كتابه: «وفي بعض النّسخ» وانّما الشّراح والمحشّون يقولون ذلك، أو المصنّف عن غير كتابه، فلابدّ أنّه من تخليط الحاشية بالمتن، ثمّ بعد تصديق (ابن أبي الحديد وابن ميثم) لقوله «وقد جاء...» الخ لا يبقى شكّ في كونه جزء الكتاب، ومن كلام الرّضيّ قطعاً وأنّ الخالية ناقصة، وقد رأيت نسخة خطّيّة قديمة خالية.

«والسّبقة الجنّة بضمّ السّين» هكذا في (المصريتين)[٨] وفي (ابن أبي

---

(١) إبراهيم: ٣٠.

(٢) الطبعة المصرية: ١٢٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩٢، وابن ميثم ٢: ٤١ بدون لفظ «إنّ» أما الخطية: ٢٥ فمع (أنّ).

(٤ ـ ٥) الخطية والمصرية وابن ميثم بلفظ «بعيد» فقط اما شرح ابن أبي الحديد فبلفظ «بعيد لطيف».

(٦ ـ ٧) ابن ميثم كالمصرية في ذلك.

(٨) المصرية كابن ميثم: ١٢٧، وابن ميثم ٢: ٤١.

الحديد وابن ميثم)[١] «والسُّبقة بضمّ السّين» وكلمة «الجنّة» هنا لغو يجلّ المصنّف من مثله.

«والسبقة عندهم اسمٌ لما يجعل للسّابق إذا سبق» وكذلك السَّبق ـ بالتّحريك ـ والسّبْق ـ بالسّكون ـ على ما قال ابن دريد، فقال: والسّبق: الرّهن بين السّابقَين والسَّبْق (فاز فلان سَبَقه وسبْقه)...[٢]، وأمّا الجوهري والفيروز آبادي والجزري فلم يذكروا غير السَّبَق بالتحريك[٣].

«من مالٍ أو عرضٍ» في (المصباح): العرض (بالسّكون): المتاع، قالوا: الدّراهم والدّنانير عين وما سواهما عَرَض، والجمع عُروض، مثل فَلْس وفُلُوس، وقال قوم وأبو عبيد: العروض الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيواناً ولا عقاراً[٤].

٨
في الخطبة (٨١)

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.

أقول: قول المصنّف: «في صفة الجنّة» ﴿مثلُ الجنّة التي وعد المتّقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمه وأنهارٌ من خمرٍ لذّةٍ

---

(١) المصرية كابن ميثم: ١٢٧، وابن ميثم ٢: ٤١.

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة: ٣٣٨ «ب س ق».

(٣) الجوهري، الصحاح «سبق»، والفيروزآبادي، قاموس المحيط: ١١٥٢ السبق محرّكة، وابن الأثير الجزري في النهاية «سبقه» ٢: ٣٣٨.

(٤) المصباح المنير للفيتوري «عَروض».

للشّاربين وأنهارٌ من عسلٍ مصفّى ولهم فيها من كُلّ الثّمرات...﴾(١).

قوله عليه السلام: «درجاتٌ متفاضِلاتٌ» ﴿والسّابقون السّابقون* أولئك المقرّبون* في جنّات النّعيم* ثُلّةٌ من الأوّلين* وقليلٌ من الآخرين* على سررٍ موضونةٍ* متّكئين عليها متقابلين* يطوفُ عليهم ولدان مخلّدون* بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معين* لا يُصدّعون عنها ولا ينزِفون* وفاكهةٍ ممّا يتخيّرون* ولحم طيرٍ ممّا يشتهون* وحورٌ عينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون* جزاءً بما كانوا يعملون* لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً* إلّا قيلاً سلاماً سلاماً* وأصحابُ اليمين ما أصحاب اليمين* في سدرٍ مخضودٍ* وطلحٍ منضود* وظِلٍّ ممدودٍ* وماءٍ مسكوبٍ* وفاكهةٍ كثيرةٍ* لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ* وفرشٍ مرفوعةٍ* إنّا أنشأناهنَّ إنشاءً* فجعلناهنّ أبكاراً* عُرباً أتراباً* لأصحاب اليمين﴾(٢).

«ومنازل متفاوتاتٌ» ﴿ان الأبرار يشربون من كأسٍ كان مِزاجها كافوراً* عيناً يشربُ بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً* يوفون بالنّذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً* ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيرا* إنّما نُطعمكم لوجه الله لا نُريد منكم جزاءً ولا شكوراً* إنّا نخافُ مِنْ رَبِّنا يوماً عبوساً قمطريراً* فوقيهم الله شرّ ذلك اليوم ولقيّهم نضرةً وسرورا* وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريرا* متّكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا* ودانيةً عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلاً* ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضّةٍ وأكوابٍ كانت قواريرـ* قوارير من فضّةٍ قدّروها تقديراً* ويسقون فيها كأساً كان مِزاجها زنجبيلاً* عيناً فيها تسمّى

(١) محمّد: ١٥.

(٢) الواقعة: ١٠ ـ ٣٨.

سلسبيلاً* ويطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً* وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً* عليهم ثيابُ سندسٍ خُضرٌ واستبرقٍ وحُلّوا أساور من فِضّةٍ وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً* إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[١].

«لا ينقطع نعيمها» ﴿إنَّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى أُولئك عنها مبعدون* لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون* لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقيّهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون﴾[٢] - واستشهد أيضاً بقوله تعالى ﴿إنَّ هذا لرزقنا ماله من نفادٍ﴾[٣]، ﴿مَثَلُ الجنّة التي وعد المتّقون تجري من تحتها الأنهار أُكلُها دائمٌ وظِلّها...﴾[٤].

«ولا يظعن مقيمها» في (الصحاح): ظعن أي: سار...[٥] ﴿الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[٦]، ﴿وأمّا الّذين سُعدوا ففي الجنَّة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربُّك عطاءً غير مجذوذٍ﴾[٧]، ﴿قُل أذلكَ خيرٌ أمْ جنّة الخلد الّتي وُعد المتّقون كانت لهم جزاءً ومصيراً* لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربِّك وعداً مسئولاً﴾[٨] قال ابن أبي الحديد: وعلى قوله عليه السلام اتّفاق أهل الملّة إلّا ما يحكى عن أبي الهذيل انّ حركات أهل الجنّة تنتهي إلى سكون دائم وزعم بعضهم أنّه لم يقل بانقطاع النَّعيم، لكن بانقطاع

---

(١) الدهر: ٥ ـ ٢٢.

(٢) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٣) ص: ٥٤.

(٤) الرعد: ٣٥.

(٥) الصحاح: (ظعن).

(٦) المؤمنون: ١١.

(٧) هود: ١٠٨.

(٨) الفرقان: ١٥.

الحركة مع دوام النّعيم، حمله على ذلك، إنّه لمّا استدلّ على أنّ الحركة الماضية يستحيل ألّا يكون لها أوّل، عورض بالحركات المستقبلة لأهل الجنّة والنّار فالتزم أنّها متناهية...[١].

قلت: قال الشّهرستاني: انفرد أبو الهذيل عن أصحابه بعشر قواعد ـ إلى أن قال ـ الخامسة: أنّ حركات أهل الخالدين تنقطع وإنّهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، وتجتمع اللّذات في ذلك السّكون لأهل الجنّة وتجتمع الآلام في ذلك السّكون لأهل النّار وهذا قريب من مذهب جهم، إذ حكم بفناء الجنّة والنّار وإنّما التزم أبو الهذيل هذا المذهب لأنّه لمّا ألزم في مسألة حدوث العالم، انّ الحوادث التي لا أوّل لها كالحوادث التي لا آخر لها إذ كلّ واحدة لا تنتهي قال: إنّي لا أقول بحركات لا تتناهى بل يصيرون إلى سكون دائم وكأنّه ظنّ أنّ ما لزمه في الحركة لايلزمه في السّكون[٢].

«ولا يهرم خالدها» عن (نوادر الرّاوندي): أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله امرأةً عجوزاً درداء فقال: أما إنّه لا يدخل الجنّة عجوز درداء فبكت فضحك النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: لا تدخلين الجنّة على حالك، وأبصر صلى الله عليه وآله امرأة رمصاء العينين. فقال صلى الله عليه وآله اما انّه لا تدخل الجنّة رمصاء العينين فبكت فقال صلى الله عليه وآله: لا تدخلين الجنّة على مثل صورتك هذه، ثم قال: لايدخل الجنّة أعور ولا أعمى[٣].

وفي (المناقب): قالت عجوز للنّبيّ صلى الله عليه وآله: ادع لي بالجنّة فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الجنّة لا تدخلها العجز، فبكت! فضحك وقال لها: أما سمعت قوله تعالى ﴿إنّا أنشأناهنّ إنشاءً* فجعلناهنّ أبكاراً﴾[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٤٨ (٨٤).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١: ٥٤.

(٣) النوادر للراوندي: ١٠٠، ونقله المجلسي في البحار ١٦: ٢٩٨ ح (٣).

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٨، والآية ٣٥ ـ ٣٦ من سورة الواقعة.

وقال ﷺ للعجوز الأشجعية: يا أشجعيّة! لا تدخل العجوز الجنّة. فرآها بلال باكية، فوصفها للنبي ﷺ فقال: والأسود كذلك. فجلسا يبكيان فرآهما العبّاس فذكرهما له، فقال: والشّيخ كذلك، ثمّ دعاهم وطيّب قلوبهم، وقال: ينشئهم الله كأحسن ما كانوا، وذكر أنّهم يدخلون الجنّة شُبّاناً منوّرين وقال: إنّ أهل الجنّة جُرد مُرد مُكحّلون[١].

وروى (العيون) عن إسحاق بن حمّاد بن زيد في قصّة مجادله المأمون مع فقهاء العامّة في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: (فقال آخر منهم فقد جاء انّ النبيّ ﷺ قال: أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة، قال المأمون: هذا الحديث محال لأنّه لا يكون في الجنّة كهل، قال ويروى، أنّ أشجعيّة كانت عند النبيّ ﷺ فقال: لا يدخل الجنّة عجوز فبكت، فقال لها النبيّ ﷺ: إنّ الله تعالى يقول ﴿إنّا أنشأناهنّ إنشاءً﴾[٢]...

قلت: وضعوا الخبر لهما في قبال قول النبيّ ﷺ في المتواتر «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»[٣]، والله يفضح الجاعل ويخزي الواضع.

«ولا ييأس ساكِنها» ييأس ـ بالفتح ـ وماضيه بالكسر، وفي (الصحاح): بئس الرّجل، يبئس بؤساً وبئيساً اشتدّت حاجته فهو بائس[٤]...

﴿...لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾[٥]، ﴿إنّ الّذين قالوا ربُّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار ١٦: ٢٩٥.

(٢) الواقعة: ٣٥، والرواية نقلها الصدوق في عيون أخبار الرضا ٢: ١٨٧٠.

(٣) ذكره أحمد في مسنده ٣: ٦٢٥٣، ٦٤، ٨٢ وفي كنز العمّال ١٢٧٩٥ و ٣٤٢٤٦ وحلية الأولياء ٤: ١٣٩، تاريخ بغداد ١١: ٢٩٠، ومعجم الطبراني ٣: ٢٥ ـ ٢٨، ومجمع الزوائد ٩: ١٧٨.

(٤) الصحاح: (بأس).

(٥) الدهر: ١٣.

كنتم توعدون* نحن أولياءكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون* نُزُلاً من غفورٍ رحيم﴾[1]، واستشهد له أيضاً بقوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفورٌ شكورٌ* الّذي أحلّنا دار المُقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوب﴾[2].

٩
من الخطبة (١٦٠)

مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ:

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى ٱلدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنظِرِهَا، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي أصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ ٱلْمِسْكِ عَلىٰ سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلى نُزَّالِهَا في أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ ٱلْمُصَفَّقَةِ، وَٱلْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ ٱلْكَرَامَةُ تَتَمَادى بِهِمْ حَتّى حَلُّوا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ المُونِقَةِ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعى إِلى مَنَازِلِ ٱلْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

---

(١) فصّلت: ٣٠ ـ ٣٢.

(٢) فاطر: ٣٤ ـ ٣٥.

... إلى أن قال المصنّف في (تفسير غريبه) وقوله عليه السلام: «كَبَائِسِ اللّؤلؤ الرّطب» الكِبَاسة: العِذْق، والعَسَاليج: الغُصون واحدها عُسْلوج».

أقول: قوله عليه السلام «فلو رميت ببصر قلبك» قال الخوئي ـ الباء زائدة ـ قلت: إنّ (رمى) وان كان متعدّياً بنفسه فتقول (رميت الصّيد) إلّا أنّه بالنسبة إلى الأوّل، وأمّا الثاني فلا، تقول (رميت الصّيد بالسّهم) والبصر هنا المفعول الثّاني، والأوّل (نحو ما يوصف)[1].

وفي (المصباح): رميت بالقول: قذفته[2].

«نحو ما يوصف لك منها» النَّحو كالنّاحية، بمعنى الجانب.

«لعزفت نفسك» في (الصحاح): عَزَفَتْ نفسي عن الشيء تعزف وتعزِف عزوفاً أي: زهدت فيه وانصرفت[3].

«من بدايع ما أُخرِجَ إلى الدُّنيا» هكذا في (المصرية) وفي (ابن أبي الحديد) (عن بدايع) وهو الصحيح لما عرفت من أنّه يقال: (عزفت نفسي عن الشيء) لا من الشيء[4].

«من شهواتها ولذّاتها» في (مروج المسعودي): استسقى أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل فأتي بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال: هذا الطائفي وهو غريب البلد، فقال له عبدالله بن جعفر: ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا، قال: إنّه والله يا بنيّ؛ ما حلا بصدر عمّك شيء قط من أمر الدنيا[5].

«وزخارف مناظرها» في (الصحاح): الزّخرف: الذّهب، ثمّ يشبه به

---

(١) شرح الخوئي ١٠: ٦٥ ح ١٦٤.

(٢) المصباح المنير للفيتوري: ٢٩٢ «رمى».

(٣) الصحاح: (عَزَفَ).

(٤) الطبعة المصرية: ٣٦٠، وشرح ابن أبي الحديد باضافة (عن) ٩: ٢٧٨ ح١٦٦.

(٥) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٦٨.

كلّ مموّه ومزوّر[١].

«ولذهلت» بسكون التاء عطفاً على «لعزفت» أي: لذهلت نفسك؛ وفي (المصباح): ذَهَلت عن الشيء أذهل بفتحتين ذُهولاً: غفلت[٢].

«في اصطفاق أشجارٍ» نقله ابن أبي الحديد في (اصطفاف أشجار) ـ بالفاء ـ وقال: ويروي (في اصطفاق أغصان...)[٣].

وفي (الصحاح): صففت القوم فاصطفّوا إذا أقمتهم في الحرب صفّا[٤].
قال: والرّيح تصفق الأشجار فتصطفق؛ أي: تضطرب[٥].

«غيبّت عروقها» في (الصحاح): العروق: عروق الشّجر، الواحد عرق، وفي الحديث: من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حقّ[٦].

«في كثبان المسك» في (الصحاح): انكثب الرّمل أي: اجتمع، وكلّ ما انصبَّ في شيء فقد انكثب فيه، ومنه سمّي الكثيب من الرّمل لأنّه انصبَّ في مكان فاجتمع فيه، والجمع الكُثبان وهي تلال الرّمل[٧].

قال: والمسك من الطيّب، فارسيّ معرّب، وكانت العرب تسمّيه المشموم وقول الشّاعر:

ومن أردانها المسك تنفح

فإنّما أنّثه لأنّه ذهب به إلى ريح المسك[٨].

---

(١) الصحاح: (زخرف).
(٢) المصباح المنير للفيتوري: ٢١١ «ذهلت».
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٩.
(٤) الصحاح: (صفف).
(٥) الصحاح: (صفق).
(٦) الصحاح: (عرق).
(٧) الصحاح: (كثب).
(٨) الصحاح: (مسك).

«على سواحل أنهارها» في (الجمهرة): السحّيل: الرّخو، وساحل البحر مقلوب في اللّفظ، لأنّ الماء سحله فهو مسحول، وقالوا ساحل. كما قالوا: عيشة راضية في معنى مرضيّة[1].

«وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرّطب» في (المصباح): الكِبَاسة: عنقود النخل، والجمع الكبائس[2].

«في عساليجها» قد عرفت أنّ المصنّف فسّرها بالغصون.

«وأفنانها» في (الصحاح): الفنن جمعه أفنان ثمّ الأفانين، قال الرّاجز يصف رَحَى.

لها زمام من أفانين الشّجر[3].

«وطلوع تلك الثّمار مختلفةً» ﴿كلّما رزقوا منها من ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الّذي رُزِقنا من قبل وأُتُوا به متشابهاً...﴾[4].

«في غُلفِ أكمامِها» في (المصباح) غِلاَفُ السِّكّين ونحوه، جمعه غُلُف مثل كتاب وكُتُب[5].

وفي (الصحاح): والكِمّ (بالكسر) والكِمامة: وعاء الطّلع، وغطاء النّور والجمع كِمام وأكِمّة وأكمام وأكاميم[6].

«تجنى من غير تكلّفٍ» في (الصحاح): جنيت الثّمرة اجنيها جنيّاً وجَنَى

(١) ابن دريد، الجمهرة: ٥٣٢ «سحل».

(٢) المصباح المنير للفيتوري: ٢٠٩ «كَبَسَ».

(٣) الصحاح: (فنن).

(٤) البقرة: ٢٥.

(٥) المصباح المنير للفيتوري: ١٢٠ «علف».

(٦) الصحاح: (كمم).

واجتنيتها بمعنى...[١].

﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾[٢]-إلى أن قال ﴿وجنى الجنّتين دانٍ﴾[٣].

«**فتأتي على منية مجتنيها**» في (المصباح): تمنّيت كذا؛ قيل: إنّه مأخوذ من المَنا وهو القَدَر لأنّ صاحبه يقدّر حصوله، والاسم المُنْية والأُمنيّة، وجمع الأولى مُنَى مثل غُرْفة وغُرَف، وجمع الثاني الأماني...[٤].

﴿وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ ممّا يشتهون﴾[٥]، ﴿إنّ المتّقين في ظلالٍ وعيونٍ* وفواكه ممّا يشتهون* كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾[٦].

«**ويطاف على نُزّالها في أفنية قصورها**» في (المصباح): الفِنَاء[٧] مثل الكِتَاب: الوصيد، وهو سعة أمام البيت، وما امتدّ من جوانبه والجمع أفنية[٨].

﴿ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضّةٍ وأكوابٍ كانت قوارير، قوارير من فضّةٍ قدّروها تقديراً﴾[٩]، ﴿يُطافُ عليهم بكأسٍ من معينٍ* بيضاء لذّةٍ للشّاربين* لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون﴾[١٠].

«**بالاعسال المصفّقة**» نائب الفاعل لقوله «يطاف على نزّالها» كما انّ قوله

---

(١) الصحاح: (جنى).

(٢) الرحمن: ٤٦.

(٣) الرحمن: ٥٤.

(٤) المصباح للفيتوري: ١٥٨ «منا».

(٥) الطور: ٢٢.

(٦) المرسلات: ٤١ ـ ٤٣.

(٧) المصباح: ١٥٨ «فنا».

(٨) المصباح للفيتوري ١٥٨ «فنى».

(٩) الدهر: ١٥ ـ ١٦.

(١٠) الصافات: ٤٥ ـ ٤٧.

تعالى ﴿بآنيةٍ من فضّةٍ﴾ في الآية نايب الفاعل لقوله تعالى ﴿يطاف عليهم﴾.

في (الصحاح): تصفيق الشّراب أن تحوّله من اناءٍ إلى اناءٍ...[١] ﴿وأنهارٌ من عسلٍ مصفّىً...﴾[٢].

«والخمور المروّقة» في (الصحاح): راق الشّراب يروق روقاً وروّقته أنا ترويقاً...[٣].

﴿وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً﴾[٤]، ﴿وأنهارٌ من خمرٍ لذّةٍ للشاربين...﴾[٥].

«قومٌ لم تزل الكرامة بهم» أي: نزّالها قوم لم تزل كرامة الله عزّوجلّ بهم قال تعالى ﴿إلّا المصلّين* الّذين هم على صلاتهم دائمون* والّذين في أموالهم حقٌّ معلومٌ* للسائل والمحروم* والّذين يصدّقون بيوم الدّين* والّذين هم من عذاب ربّهم مشفقون* إنّ عذاب ربّهم غير مأمونٍ* والّذين هم لفروجهم حافظون* إلّا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانّهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون* والّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون* والّذين هم بشهاداتهم قائمون* والّذين هم على صلواتهم يحافظون* أولئك في جنّاتٍ مكرمون﴾[٦]، ﴿إلّا عِباد الله المخلصين أولئك لهم رزقٌ معلوم فواكه وهم مكرمون في جنّات النّعيم على سررٍ متقابلين﴾[٧].

---

(١) الصحاح: (صفق).

(٢) محمّد: ١٥.

(٣) الصحاح: (روق).

(٤) الدهر: ٢١.

(٥) محمّد: ١٥.

(٦) المعارج: ٢٢ ـ ٣٥.

(٧) الصافات: ٤٠ ـ ٤٤.

«تتمادى بهم» في (المصباح) تمادى فلان في غيّه إذا لجّ ودام على فعله[١].

«حتّى حلّوا دار القرار وأمنوا نقلة الأسفار» ﴿ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير* جنّاتُ عدنٍ يدخلونها يُحلّون فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حريرٌ* وقالوا الحمد لله الّذي أذهب عنّا الحَزَن إنّ ربّنا لغفورٌ شكورٌ* الّذي أحلّنا دار المُقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوب﴾[٢]، ﴿وهذا صراط ربّك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقومٍ يذّكرون لهم دار السّلام عند ربّهم وهو وليُّهم بما كانوا يعملون﴾[٣].

وفي (تفسير البرهان) عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾[٤]: السّلام هو الله عزّوجلّ وداره التي خلقها لأوليائه الجنّة[٥]، وعن ابن عبّاس، دار السّلام: الجنّة، وأهلها لهم السّلامة من جميع الآفات والعاهات والأمراض والأسقام ولهم السّلامة من الهرم والموت وتغيّر الأحوال عليهم فهم المكرمون الّذين لا يهانون أبداً، وهم الأعزّاء الذين لا يذلّون أبداً وهم الأغنياء الذين لا يفتقرون أبداً وهم السُّعداء الّذين لا يشقون أبداً وهم الفرحون المسرورون الّذين لا يغتمّون ولا يهتمّون أبداً وهم الأحياء الّذين لا يموتون أبداً فهم في قصور الدّرّ والمرجان أبوابها مشرّفة إلى عرش الرّحمن ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلِّ بابٍ* سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار﴾[٦].

---

(١) المصباح للفيتوري: ٣٥٣.

(٢) فاطر: ٣٢ ـ ٣٥.

(٣) الأنعام: ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٤) يونس: ٢٥.

(٥) تفسير البرهان للبحراني ٢: ١٨٢.

(٦) تفسير البرهان للبحراني ٢: ١٨٣، والآية ٣٣ ـ ٣٤ من سورة الرعد.

«فلو شغلت قلبك أيُها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة» في (الصحاح): آنقني الشيء: أعجبني[١].

«لزَهَقَت نفسك» في (الصحاح): (زهقت نفسه تزهق زهوقاً) أي: خرجت؛ وحكى بعضهم زهِقت نفسه بالكسر[٢].

«شوقاً إليها» عن بلال قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ سور الجنّة لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، ولبنة من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر وشرفها الياقوت الأحمر، والأخضر، والأصفر، قال: قيل له: إذا دخلوا الجنّة ما يصنعون؟ قال: يسيرون على نهرين في مصاف في سفن الياقوت مجاذيفها اللّؤلؤ فيها ملائكة من نور عليهم ثياب خضر شديدة خضرتها، قال: فأمّا جنّة عدنٍ فسورها ياقوت أحمر، وحصباؤها اللّؤلؤ، قال: ثمّ بكى بلال وشهق ثلاث شهقات، فظننّا أنّه قد مات[٣].

«ولتحمّلت من مجلسي هذا» في (الصحاح): تحمّلوا واحتملوا بمعنى، أي: ارتحلوا[٤].

«إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها» في خبر وفاة موسى عليه السلام بعد ذكر كراهة موسى عليه السلام لقبض روحه: وغاب موسى عليه السلام عن قومه فمرَّ في غيبته برجل وهو يحفر قبراً فقال له موسى عليه السلام ألا أعينك؟ قال الرّجل: بلى، فأعانه حتّى حفر قبراً وسوّى اللّحد ثمّ اضطجع موسى عليه السلام فيه لينظر كيف هو، فكشف له الغطاء فرأى مكانه من الجنّة، فقال: ياربّ اقبضني إليك! فقبض ملك الموت روحه مكانه، ودفنه في القبر وسوّى عليه التّراب، وكان الّذي يحفر

---

(١) الصحاح: (أنق).

(٢) الصحاح: (زهق).

(٣) الفقيه ١: ٢٩٥ ح ٩٠٥.

(٤) الصحاح: (حمل).

القبر مَلَكاً في صورة آدميّ، وكان ذلك في التّيه...[١].

وورد أيضاً أنّ المؤمن لا يُكره على قبض روحه ولكن يكشف له عن درجته فيختار الموت[٢].

﴿وما عند الله خيرٌ للأبرار﴾[٣].

«جعلنا الله وإيّاكم مِمَّن سعى إلى منازل الأبرار برحمته» امّا السّعي فقد قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾[٤]، وأمّا منازل الأبرار فقد قال تعالى: ﴿كلّا إنَّ كتاب الأبـرار لفـي علّيّين* وما أدراك ما علّيّون* كتابٌ مرقوم* يشهده المقرّبون* إنَّ الأبـرار لفي نعيم* على الأرائك ينظرون* تعرف في وجوههم نظرة النعيم* يسقون من رحيقٍ مختوم* ختامه مسكٌ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون* ومزاجـه من تسنيم* عيناً يشرب بها المقرّبون﴾[٥]، ﴿إنَّ الأبرار يشربون مـن كأسٍ كان مزاجها كافوراً* عيناً يشرب بها عـباد الله يـفجّرونها تـفجيراً* يـوفون بالنّذر ويخافون يوماً كان شرّه مسـتطيراً* ويـطعمون الطـعام عـلى حـبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً* إنّـما نـطعمكم لوجـه الله لا نـريد مـنكم جـزاءً ولا شكوراً* إنّا نخافُ من ربِّنا يوماً عبوساً قمطريراً* فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولقاهم نضرةً وسروراً* وجزاهم بما صبروا جنّةً وحـريراً* مـتّكئين فـيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً* ودانيةً عليهم ظِلالها وذُلِّـلت قطوفها تذليلاً* ويطافُ عليهم بآنيةٍ من فضّةٍ وأكوابٍ كانت قوارير* قوارير

---

(١) الأمالي للصدوق : ١٤٠، ونقله المجلسي في البحار ١٣: ٣٦٦ ح٨.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٦: ١٦٣.

(٣) آل عمران: ١٩٨.

(٤) الاسراء: ١٩.

(٥) المطففين: ١٨ ـ ٢٨.

من فضّةٍ قدّروها تقديراً* ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً* عيناً فيها تُسمّى سلسبيلاً* ويطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً* وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً* عاليهم ثياب سُندسٍ خُضرٌ وإستبرقٍ وحُلّوا أساور من فضّةٍ وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً* إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[١].

وروى (الرّوضة) عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سُئِلَ عن قوله عزّوجلّ: ﴿يوم نحشرُ المتّقين إلى الرّحمن وفداً﴾[٢]، فقال: إنّ الوفد لا يكونون إلّا ركباناً أُولئك رجال اتّقوا الله فأحبّهم الله واختصّهم ورضي أعمالهم، والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة انّهم ليخرجون من قبورهم وإنّ الملائكة لتستقبلهم بنوقٍ من نوق العزّ، عليها رحائل الذّهب مكلّلة بالدّرّ والياقوت وجلائلها الإستبرق والسُّندس وخطمها جدل الارجوان تطير بهم إلى الحشر مع كلّ رجل منهم ألف مَلَك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله يزفّونهم زفّاً حتّى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم وعلى باب الجنّة شجرة انّ الورقة منها ليستظلّ تحتها ألف رجل من النّاس وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكّية قال: فيسقون منها شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد ويسقط عن أبشارهم الشّعر وذلك قوله تعالى ﴿...وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً﴾[٣] من تلك العين المطهّرة ثمّ يصرفون إلى عين أُخرى عن يسار الشّجرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً ثمّ يوقف بهم قدّام العرش وقد سلموا من الآفات والعاهات والحرّ والبرد فيقول الجبّار جلّ ذكره للملائكة الّذين

---

(١) الدهر: ٥ ـ ٢٢.

(٢) مريم: ٨٥.

(٣) الدهر: ٢١.

معهم: احشروا أوليائي إلى الجنّة فإذا انتهوا إلى باب الجنّة الأعظم ضرب الملائكة الحلقة ضربة تصرّ صريراً فبلغ صوت صريرها كلّ حوراء أعدّها الله تعالى لأوليائه في الجنان فيتباشرون بهم فيقول بعضهم لبعض: قد جاءنا أولياء الله فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنّة ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميّين فيقلن مرحباً بكم! فما كان أشدّ شوقنا إليكم ويقول لهنّ أولياء الله مثل ذلك؛ فقيل أخبرنا يا رسول الله! عن قوله تعالى ﴿غرفٌ من فوقها غرف...﴾[1] بماذا بنيت؟ فقال تلك غرف بنى الله تعالى لأوليائه بالدّر والياقوت والزّبرجد سقوفها الذّهب محبوكة بالفضّة لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب على كلّ باب منها مَلَك موكّل به فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والدّيباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والعنبر والكافور وذلك قوله تعالى ﴿وفرشٍ مرفوعةٍ﴾[2]، إذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنّة ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة ألبس حلل الذّهب والفضّة والياقوت والدّر منظومة في الإكليل تحت التّاج وألبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة وضروب مختلطة منسوجة بالذّهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت الأحمر فذلك قوله تعالى ﴿يُحلَّونَ فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾[3]، فاذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً فاذا استقرّ وليّ الله في الجنان استأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّيه بكرامة الله عزّوجلّ إيّاه فيقول له خدّام المؤمن من الوصفاء والوصائف مكانك فانّ وليّ الله قد اتّكأ على اريكته وزوجته الحوراء تهيّأ له فاصبر لوليّ الله، قال فيخرج عليه

---

(١) الزمر: ٢٠.

(٢) الواقعة: ٣٤.

(٣) الحج: ٢٣.

زوجته الحوراء من خيمة له تمشي مقبلة وحولها وصائفها وعليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللّؤلؤ والزّبرجد من مسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة وعليها نعلان من ذهب مكلّلتان بالياقوت واللؤلؤ شراكهما ياقوت أحمر فاذا دنت من وليّ الله فهمّ أن يقوم إليها شوقاً فتقول له يا وليّ الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب فلا تقم أنا لك وأنت لي قال فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدّنيا لا يملُّها ولا تملُّه قال: فاذ أفتر بعض الفتور من غير ملال نظر إلى عنقها فاذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر وسطها لوح صفحة درّة مكتوب فيها أنت يا وليّ الله حبيبي، وأنا الحوراء حبيبك، إليك تناهت نفسي وإليّ تناهت نفسك، ثمّ يبعث الله تعالى ألف ملك يهنّئونه بالجنّة ويزوّجونه فينتهون إلى أوّل باب من جنانه فيقولون للملك الموكّل بأبواب جنانه استأذن لنا على ولّي الله فانّ الله بعثنا إليه نهنّيه فيقول لهم الملك حتّى أقول للحاجب فيعلم مكانكم فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل باب فيقول للحاجب انّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين ليهنّئوا وليّ الله وقد سألوني ان اذن لهم عليه فيقول الحاجب انّه ليعظم عليّ أن استأذن لأحد على وليّ الله وهو مع زوجته الحوراء قال وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان فيدخل الحاجب إلى القيّم فيقول له انّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العزّة فاعلموه بمكانهم فيعلمونه فيؤذن للملائكة فيدخلون على وليّ الله وهو في الغرفة ولها ألف باب وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به فاذا اذن فتح كلّ ملك بابه الموكّل به فيدخل القيّم كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة فيبلغون رسالة الجبّار عزّوجلّ وذلك قوله تعالى ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب﴾[1] من أبواب الغرفة ﴿سلامٌ

---

(١) الرعد: ٢٣.

عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار﴾[١] وذلك قوله تعالى ﴿وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾[٢] يعني بذلك وليّ الله وما هو فيه من الكرامة والنّعيم والملك العظيم الكبير، انّ الملائكة من رسله تعالى يستأذنون عليه فلا يدخلون عليه إلّا باذنه، قال والأنهار تجري من تحت مساكنهم وذلك قوله تعالى ﴿تجري من تحتهم الأنهار...﴾[٣] والثّمار دانية منهم وهو قوله تعالى﴿ودانيةً عليهم ظِلالها وذُلّلت قطوفها تذليلاً﴾[٤] من قربها منهم يتناول المؤمن من النّوع الّذي تشتهيه من الثمار بعينه وهو متّكئ وانّ الأنواع من الفاكهة ليقلن لوليّ الله يا وليّ الله كلني قبل أن تأكل هذا قبلي، قال وليس من مؤمن في الجنّة إلّا وله جنان كثيرة معروشات وانهار من خمر وأنهار من ماء وأنهار من لبن وأنهار من عسل فاذا دعا وليّ الله بغداءه أتى بما تشتهي نفسه عند طلبه من غير أن يسمّى شهوته قال ثمّ يتخلّى مع اخوانه ويزور بعضهم بعضاً ويتنّعمون في جنّاتهم في ظلّ ممدود في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس وأطيب من ذلك لكلّ مؤمن سبعون زوجة حوراء وأربع نسوة من الآدميّين والمؤمن ساعة مع الحوراء وساعة مع الآدميّة وساعة يخلو بنفسه على الارائك متّكئاً ينظر بعض المؤمنين إلى بعض، وإنّ المؤمن يغشاه شعاع نور وهو على اريكته ويقول لخدّامه ما هذا الشّعاع اللّامع لعلّ الجبّار لحظني فتقول له خدّامه قدّوس قدّوس بل هذه حوراء من نساءك ممّن تدخل بها بعد أن أشرقت عليك من خيمتها شوقاً إليك وقد تعرّضت لك وأحبّت لقاءك فلما ان رآك متّكئاً على سريرك تبسّمت نحوك شوقاً فالشّعاع الذي رأيت

---

(١) الرعد: ٢٤.

(٢) الدهر: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) الدهر: ١٤.

والنّور الذي غشيك هو من بياض ثـغرها وصـفاءه ونـقاءه فـيقول وليّ الله: ايذنوا لها، فتنزل إليه فيبتدر إليه ألف وصيف وألف وصيفة يبشّرونها بذلك فتنزّل إليه من خيمتها وعليها سبعون حلّة منسوجة بالذّهب والفضّة مكلّلة بالدّرّ والياقوت والزّبرجد صبغهن بالمسك والعنبر بألوان مختلفة يرى مـخّ ساقها من وراء سبعين حلّة طولها سبعين ذراعاً وعـرض مـا بـين مـنكبيها عشرة أذرع فإذا دنت من ولي الله أقبل الخدّام بصحائف الذهب والفضة فيها الدرّ والياقوت والزبرجد فينثرونها عليها ثمّ يعانقها وتعانقه فلا يملّ ولا تملّ، ثمّ قال عليه السلام: أمّا الجنان المذكورة في الكتاب فانّهنَّ جنّة عدن، وجنّة الفردوس، وجنّة المأوى، قال: وإنّ لله عزّوجلّ جناناً محفوفة بهذه الجنان وإنّ المـؤمن ليكون له من الجنان ما أحبّ واشتهى يتنعّم فيهنّ كيف يشاء وإذا أراد المؤمن شيئاً إنّما دعواه إذا أراد أن يقول سبحانك اللّهم فاذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكـون طـلب مـنهم أو أمـر بـه وذلك قـوله عـزّوجلّ ﴿دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتـحيّتهم فـيها سـلام...﴾[1] (يـعني الخـدّام) ﴿وآخر دعواهم إنّ الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾[2] يعني بذلك عندما يقضون من لذّاتهم من الجماع والطّعام والشراب يحمدون الله عزّوجلّ عند فراغهم وامّـا قوله ﴿أُولئك لهم رِزقٌ معلومٌ﴾[3] يعلمه الخدّام فيأتون به أولياء الله قـبل ان يسألوهم إيّاه وامّا قوله عزّوجلّ ﴿فواكه وهم مكرمون﴾[4] فانّهم لا يشتهون شيئاً في الجنّة إلّا اكرموا به[5].

قول المصنّف: الكِبَاسَة: العِذْق، الكِبَاسة بكسر الكـاف، والعِـذْق الّـذي

(١ ـ ٢) يونس: ١٠.

(٣) الصافات: ٤١.

(٤) الصافات: ٤٢.

(٥) الكافي ٨: ٩٥ ح٦٩.

بمعنى الكباسة الّذي من التّمر كالعنقود من العنب ايضاً بالكسر، وامّا العَذق (بالفتح) فالنّخلة بحملها.

١٠
من الخطبة (١٧١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

إِنْتَفِعُوا بِبَيَانِ ٱللهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱللهِ، وَاقْبَلُوا بِنَصِيحَةِ ٱللهِ، فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ: إِنَّ ٱلْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ شَيْءٍ إِلّا يَأْتي في كُرْهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ شَيْءٍ إِلّا يَأتي في شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ ٱللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزَعاً، وَإِنَّهَا لاَ تَزَالُ تَنْزِعُ إِلى مَعْصِيَةٍ في هَوىً، وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُمْسي وَلاَ يُصْبِحُ إِلّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلاَ يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا، وَمُسْتَزِيداً لَهَا، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.

أقول: قوله عليه السلام: «اِنتفعوا ببيان الله» ﴿قد خلت من قبلكم سننٌ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المُكذّبين* هذا بيانٌ للنّاس وهدىً وموعظةٌ للمتّقين﴾[١]، ﴿هو الذي يُنزِّل على عبده آياتٍ بيّناتٍ ليخرجكم من الظّلمات إلى النُّور وإنّ الله بكم لرؤفٌ رحيم﴾[٢]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا

---

(١) آل عمران: ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) الحديد: ٩.

تتّخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات ان كنتم تعقلون﴾[١].

«واتّعظوا بمواعظ الله» ﴿إنّ الله يأمر بالعدلِ والاحسان وايتاء ذي القربىوينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون﴾[٢]، واقبلوا بنصيحة الله. هكذا في(المصرية الأُولى)[٣]، وفي (ابن أبي الحديد) وغيره: «واقبلوا نصيحة الله»[٤] وهو الصّحيح.

وفي (المصباح): نصحت لزيد أنصح له نصحاً ونصيحةً، هذه اللّغة الفصيحة وعليها قوله تعالى ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾[٥] وفي لغةٍ يتعدّى بنفسه وهو الاخلاص والصّدق في المشورة والعمل[٦].

وفي (الصحاح): نصحتك نصحاً ونصحةً والاسم النصيحة...[٧].

وقبول نصيحة الناصح من الواجبات العقليّة وكان الأنبياء يقولون لأممهم: انّا لكم ناصحون أمينون.

«فإنّ الله قد أعذر اليكم بالجليّة» في (الصحاح): الجليّة الخبر اليقين...[٨].

﴿وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً﴾[٩]، ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا

---

(١) آل عمران: ١١٨.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) الطبعة المصرية المصححة بلا (بـ): ٣٧٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٦ ح١٧٧.

(٥) هود: ٣٤.

(٦) المصباح المنير: «نصح»: ٣١٤.

(٧) الصحاح: (نصح).

(٨) الصحاح: (جلى).

(٩) الاسراء: ١٥.

شاكراً وإمّا كفوراً﴾[١].

«وأخذ عليكم الحجّة» في (الصحاح): الحجّة: البرهان...[٢].

﴿لئلّا يكون للنّاس على الله حجّةٌ بعد الرُّسل...﴾[٣]، ﴿ليهلك من هلك عن بيّنةٍ ويحيى من حيّ عن بيّنةٍ...﴾[٤].

«وبين محابّة من الأعمال ومكارهة منها» ﴿وقضى ربُّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقلّ لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾[٥] إلى أن قال: ﴿وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً﴾[٦] إلى أن قال: ﴿ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾[٧] إلى أن قال: ﴿ولا تقربوا الزّنى إنّه كان فاحشةً وساء سبيلاً* ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً* ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتّى يبلغ أشدّه وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً* وأوفوا الكيل إذا كِلتم وزِنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً* ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ إنَّ السّمع والبصر والفؤاد كُلُّ أولئك كان عنه مسئولاً* ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً كلّ ذلك كان سيّئه عند ربّك

(١) الدهر: ٣.
(٢) الصحاح: (حجج).
(٣) النساء: ١٦٥.
(٤) الأنفال: ٤٢.
(٥) الاسراء: ٢٣.
(٦) الاسراء: ٢٦.
(٧) الاسراء: ٢٩.

مكروهاً﴾[١]، ﴿إنّ الله يحبّ التّوّابين ويحبُّ المتطهّرين﴾[٢]، ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّةٍ عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمُتّقين* الّذين ينفقون في السّراء والضّرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين* والّذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبِهم ومن يغفر الذّنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون* أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربِّهم وجنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونِعم أجر العاملين﴾[٣]، ﴿وكايّن من نبيٍّ قاتل معه ربّيّون كثيرٌ فما وهنوا لِما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحبُّ الصّابرين* وما كان قولهم إلّا أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين*فأتاهم الله ثواب الدُّنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحبُّ المحسنين﴾[٤]، ﴿بلى من أوفى بعهده واتّقى فإنّ الله يحبّ المتّقين﴾[٥]، ﴿فاذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكّلين﴾[٦]، ﴿وإن حكمتَ فاحكم بينهم بالقِسط إنَّ الله يحبّ المقسطين﴾[٧]، ﴿إنّه لا يحبُّ المستكبرين﴾[٨]، ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لا يحبُّ المسرفين﴾[٩]، ﴿لا تحرّموا طيّبات

---

(١) الاسراء: ٣٢ ـ ٣٨.

(٢) البقرة: ٢٢٢.

(٣) آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٤) آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٥) آل عمران: ٧٦.

(٦) آل عمران: ١٥٩.

(٧) المائدة: ٤٢.

(٨) النحل: ٢٣.

(٩) الأعراف: ٣١.

ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين﴾[١]، ﴿ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفيةً إنّه لا يحبُّ المعتدين* ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إنَّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين﴾[٢]، ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لا يحبُّ الفرحين* وابتغ في ما آتاك الله الدّار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدُّنيا واحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنّه لا يحبّ المفسدين﴾[٣]، ﴿إنَّ الله لا يحبّ كلّ خوّانٍ كفور...﴾[٤] ﴿والله لايحبُّ كلّ كفّارٍ أثيم﴾[٥]، ﴿ولا تُصعِّر خدّك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً انّ الله لايحبّ كلّ مختالٍ فخور* واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[٦]، ﴿ان الله لا يحبُّ من كان مختالاً فخوراً* الّذين يبخلون ويأمرون النّاس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً* والّذين ينفقون أموالهم رئاء النّاس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾[٧].

«لتتّبعوا هذه» ﴿قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم...﴾[٨].

«وتجتنبوا هذه» ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم

---

(١) المائدة: ٨٧.

(٢) الأعراف: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) القصص: ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) الحج: ٣٨.

(٥) البقرة: ٢٧٦.

(٦) لقمان: ١٨ ـ ١٩.

(٧) النساء: ٣٧ ـ ٣٨.

(٨) آل عمران: ٣١.

ويدخلكم مدخلاً كريماً﴾[١].

«فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقول حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات»:

روى (سنن أبي داود): أنّ الله تعالى لمّا خلق الجنّة قال لجبرئيل: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر فقال أي ربّ وعزّتك لا يسمع بها أحد إلّا دخلها، ثمّ حفّها بالمكاره، وقال لجبريل: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر فقال: أي ربّ وعزّتك لقد خشيت ألّا يدخلها أحد فلّما خلق النّار قال يا جبريل: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال: وعزّتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفّها بالشّهوات ثمّ قال له: اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزّتك لقد خشيت ألا يبقى أحداً إلّا دخلها[٢].

ومن المكاره: الصّوم لكونه كفّاً عن الطعام الشراب والنساء، حتّى سمّي الصّبر وفسّر في قوله تعالى ﴿واستعينوا بالصّبر والصّلاة﴾[٣] بالصّوم.

وفي (زيادات صوم المقنعة): قال النبيّ ﷺ : دخلت الجنّة فرأيت أكثر أهلها الّذين يصومون ثلاثة أيام في كلّ شهر فقلت: كيف خصّ به الأربعاء والخميسان فقال: إنّ من قبلنا من الأُمم كان إذا نزل عليهم العذاب أُنزل في هذه الأيام فصام النبيّ ﷺ الأيّام المخوفة[٤].

وفي الخبر: الصوم جُنّةٌ من النار[٥].

---

(١) النساء: ٣١.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٤٢٢ ح ٤٧٤٤.

(٣) البقرة: ٤٥.

(٤) الكافي ٤: ٨٩ ح ٢.

(٥) المصدر نفسه ٢: ١٩ ح ٥.

وروي نصر بن مزاحم في (صفيّنه): أنّ أبا عرفاء جبلة بن عطيّة الذّهلي قال للحصين : هل لك أن تعطيني رايتك أحملها فيكون لك ذكرها ويكون لي أجرها فقال له الحصين: وما غناي عن أجرها مع ذكرها قال له: لا غناء لك عن ذلك أعيرها عنك ساعة فما أسرع ما ترجع إليك فعلم انّه يريد أن يستقتل قال: فما شئت فأخذ الراية أبو عرفاء فقال: يا أهل هذه الرّاية انّ عمل الجنّة كره كلّه وانّ عمل النّار خفّ كلّه وانّ الجنّة لا يدخلها إلّا الصابرون الذين صبّروا أنفسهم على فرائض الله وأمره وليس شيء ممّا افترض الله على العباد أشدّ من الجهاد وهذا أفضل الأعمال ثواباً وإذا رأيتموني قد شددت فشدّوا، ويحكم أما تشتاقون إلى الجنّة؟ أما تحبّون أن يغفر الله لكم؟ قال فقاتل حتّى قتل(١).

وروى ابن بابويه في (عيونه) عن محمّد بن يحيى الصّولي عن جدّته أم أبيه المسمّاة بغدر قال: قالت لي: اشتريت مع عدّة جوار من الكوفة وكنت من مولّداتها فحملنا إلى المأمون فكنّا في داره في جنّة من الأكل والشرب والطّيب وكثرة الدّنانير فوهبني المأمون للرضا عليه السلام فلّما صرت في داره فقدت جميع ما كنت فيه من النّعيم وكانت علينا قيّمة تنبّهنا من اللّيل وتأخذنا بالصلاة وكان ذلك من أشدّ شيء علينا فكنت أتمنّى الخروج من داره إلى أن وهبني لجدّك عبدالله بن العباس فلما صرت إلى منزله كنت كأنّي قد أُدخلت الجنّة وكان الرّضا عليه السلام يصلّي الغداة في أوّل الوقت ثمّ يسجد فلا يرفع رأسه إلى أن ترتفع الشمس(٢).

«واعلموا انّه ما من طاعة الله شيء إلّا يأتي في كرهٍ» العبادة ثقيلة على الإنسان كما انّها في ميزان العمل ثقيلة.

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مُزاحم : ٣٠٤.

(٢) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢: ١٧٧ ح ٣.

«وما من معصية الله شيء إلّا يأتي في شهوةٍ» المعصية على الإنسان خفيفة كما انّها في ميزان العمل كذلك.

«فرحِمَ الله رجلاً نزع عن شهوته» في (الصحاح): نزع عن الأمر نزوعاً: انتهى عنه، ونزعت الشيء من مكان: قلعته...[١].

وقول ابن أبي الحديد: نزع شهوته أي: قلع، خلطٌ[٢].

«وقمع هوى نفسه» في (الصحاح): قمعته وأقمعته بمعنى، أي: قهرته وأذللته...[٣]. ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى* فانّ الجنّة هي المأوى﴾[٤].

«فإنّ هذه النّفس أبعد شيء منزعاً» قال ابن أبي الحديد: منزعاً أي: مذهباً[٥].

قلت: إنّ الجوهري وان قال (نزع إلى أبيه في الشّبه) أي: ذهب... إلّا ان مورده في ما تعدّى نزع بالى وهنا متعدّ بعن في التّقدير لقوله عليه السلام قبله «نزع عن شهوته» ومع عن بمعنى الانتهاء وقال تعالى ﴿إنّ النفس لأمّارةٌ بالسوء إلّا ما رحم ربّي...﴾[٦].

«وانّها لا تزال تنزعُ إلى معصيةٍ في هوىً» في (الصحاح): نزع إلى أهله ينزع نزاعاً أي: اشتاق وبعير نازع وناقة نازع إذا حنّت إلى أوطانها ومرعاها...[٧].

---

(١) الصحاح: (نزع).

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١٠: ١٧.

(٣) الصحاح: (قمع).

(٤) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٧.

(٦) يوسف: ٥٣.

(٧) الصحاح: (نزع).

قال ابن أبي الحديد: ومن الكلام المرويّ عنه عليه السلام ويروى عن غيره: «أيّها النّاس انّ هذه النّفوس طلعه فألّا تقدعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية» وقال الشاعر:

وما النّفس إلّا حيث يجعلها الفتى فان أُطمعت تاقت وإلّا تسلّت[١]

«واعلموا عباد الله انّ المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلّا ونفسه ظنونٌ عنده» قال ابن أبي الحديد: الظّنون البئر الّتي لا يدرى فيها ماء أم لا...[٢].

قلت: كأنّه جعل كلامه عليه السلام مجاز أو استعارة وتشبيه النّفس ببئر قال لكنّه كما ترى والصواب: كون المعنى حقيقة وانّ المراد انّ المؤمن سيّئ الظّنّ بنفسه قال الجوهري: الظّنون الرجل السّيّئ الظنّ[٣].

«فلا يزال زارياً عليها» في (الصحاح): قال أبو عمرو (الزّاري) على الإنسان الذي لا يعدّه شيئاً وينكر عليه فعله[٤].

«ومستزيداً لها» ﴿إنَّ الّذين هم من خشية ربِّهم مشفقون* والّذين هم بآيات ربِّهم يؤمنون* والّذين هم بربِّهم لا يشركون* والّذين يؤتون ما اتوا وقلوبم وجِلةٌ* انّهم إلى ربِّهم راجعون* أُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٥].

«فكونوا كالسّابقين قبلكم والماضين أمامكم» ﴿أُولئك الّذين آتيناهم الكتاب والحكم والنّبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين* أُولئك الّذين هداهم الله فبهداهم اقتده...﴾[٦].

(١ ـ ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٨.

(٣) الصحاح: (ظنن).

(٤) الصحاح: (زرأ).

(٥) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

(٦) الأنعام: ٨٩ ـ ٩٠.

«قوّضوا من الدُّنيا تقويض الرّاحِل» في (الصحاح): قوّضت البناء تقويضاً نقضته من غير هدم[١].

«وطووها طيّ المنازل» في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام، قال لهشام بن الحكم: إنّ العقلاء زهدوا في الدّنيا ورغبوا في الآخرة، لأنّهم علموا أنّ الدُّنيا طالبة ومطلوبة وأنّ الآخرة طالبة مطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدّنيا حتّى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدّنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته، يا هشام! إنّ العاقل نظر إلى الدّنيا وإلى أهلها فعلم أنّها لا تُنال إلّا بالمشقّة، ونظر إلى الآخرة فعلم أنّها لاتُنال إلّا بالمشقّة، فطلب المشقّة أبقاها[٢].

١١
من الخطبة (١٧٨)

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا ٱلْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا في مَصَائِبِ الدُّنْيَا، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَٱلْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ، أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ، أَيُّهَا ٱلْيَفَنُ ٱلْكَبِيرُ ٱلَّذِي قَدْ لَهَزَهُ ٱلْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا ٱلْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ ٱلْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ ٱلْجَوَامِعُ حَتّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟ فَاللهَ ٱللهَ! مَعْشَرَ ٱلْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ في الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي ٱلْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ

---

(١) الصحاح: (قوض).

(٢) الكافي ١: ٢٠ ح ١٢.

رِقَابِكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَٱسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا بِهَا عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا ٱللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1] وَقَالَ تَعَالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[2] فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اِسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وَٱسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ، أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللهِ فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقى لُغُوباً وَنَصَباً ﴿ذَلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ.

أقول: قوله عليه السلام «واعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرّقيق صبرٌ على النّار» في دعاء كميل مشيراً إلى عذابه تعالى: وهذا ما لاتقوم له السماوات والأرض، فكيف بي وأنا عبدك الضعيف الذّليل الحقير المسكين المستكين.

وقال تعالى: ﴿فما أصبرهم على النّار﴾[3].

«فارحموا نفوسكم» ﴿عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم...﴾[4].

---

(١) محمّد: ٧.

(٢) الحديد: ١١.

(٣) البقرة: ١٧٥.

(٤) المائدة: ١٠٥.

«فانّكم قد جرّبتموها في مصائب الدُّنيا» في دعاء كميل: (وأنت تعلم ضعفي عن قليلٍ من بلاء الدُّنيا وعقوباتها وما يجري فيها من المكاره على أهلها).

«أفرأيتم» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: «فرأيتم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٢].

«جزع أحدكم من الشوكة تصيبه» في (المصباح): شوك الشّجر معروف، الواحدة شوكة[٣].

«والعثرة تدميه» في (الصحاح): العثرة: الزّلّة[٤]، وأدميته أنا ودمّيته تدمية: إذا ضربته حتّى خرج الدّم.

«والرّمضاء تحرقه» في (الصحاح): الرّمض: شدّة وقع الشمس على الرّمل وغيره، والأرض رمضان...[٥].

في (الطبري) في خلع المعتزّ: فجرّوا برجله فأقاموه في الشمس في الدّار في وقت شديد الحرّ فجعل يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الّذي قد أُقيم فيه وبعضهم يلطمه وهو يتّقي بيده وجعلوا يقولون اخعلها[٦].

«فكيف إذا كان بين طابقين من نارٍ» قال ابن أبي الحديد: الطّابق ـ بالفتح ـ

---

(١) الطبعة المصرية: ٣٩٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٢٣ وابن ميثم ٣: ٢٩٩ والخطية: ١٦٥ .

(٣) المصباح المنير للفيتوري: ٣٢٧ «شوك» .

(٤) الصحاح: (عثر) .

(٥) الصحاح: (رمض) .

(٦) تاريخ الأمم للطبري ٧: ٥٢٦ .

الآجرة الكبيرة وهو فارسي معرّب[١].

قلت: أخذ ما قاله عن (الصحاح)، وقال في (القاموس): الطابِق كـهاجِر، وصاحب الآجر الكبير كالطّاباق والعضو أو نصف الشّاة وظرف يطبخ فيه معرَّب (تابه) جمعه طوابق وطوابيق[٢].

وقال في (النّهاية) في حديث عمران بن حصين: إنّ غلاماً أبق له فقال: لأقطعنّ منه طابقاً إن قدرت عليه، أي: عضواً. قال ثعلب: الطّابق والطابِق: العضو من أعضاء الإنسان كاليد ونحوها، ومنه حديث عليّ عليه السلام: انّما أمر في السّارق بقطع طابقه (أي: يده) وحديثه الآخر: فخبزت خبزاً وشويت طابقاً من شاة...[٣].

وقال في (الجمهرة): وكلّ شيء طوبق بعضه على بعض فالأعلى طبق الأسفل والسماوات الطّباق بعضهنّ فوق بعض...[٤].

ومن كلام الأخير يعلم أنّ المراد بين طبقتين من نار ولا معنى لما قاله ابن أبي الحديد بين آجرتين من نار كما عرفت من ثعلب أنّه يجوز فيه الكسر أيضاً[٥]، فكلامه عليه السلام مساوق لقوله تعالى: ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم...﴾[٦].

وفي (تفسير القمّي) في قوله تعالى ﴿فالّذين كفروا قُطّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يصبّ من فوق رؤسهم الحميم* يصهر به ما في بطونهم والجلود* ولهم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٢٤.

(٢) الصحاح: (طبق) والقاموس: «الطبق».

(٣) النهاية لابن الأثير ٣: ١١٤.

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد: ٣٥٨ «ط ب ق».

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٢٤.

(٦) العنكبوت: ٥٥.

مقامع من حديدٍ* كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[١]، قال: تشويه النّار فتسترخي شفته السّفلى حتّى تبلغ سرّته وتتقلّص شفته العليا حتّى تبلغ وسط رأسه وروي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: خوّفني فانّ قلبي قد قسا فقال: انّ جبرئيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان يجيء قبل هو متبسّم فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: جئتني اليوم قاطباً. قال: قد وضعت منافخ النّار فقال: وما منافخ النّار؟ قال: انّ الله تعالى أمر بالنّار فنفخ عليها ألف عام حتّى أبيضّت ونفخ عليها ألف عام حتّى احمرّت ثمّ عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة ولو انّ قطرة من الضّريع قطرت في شراب أهل الدّنيا لمات أهلها من نتنها ولو انّ حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدّنيا لذابت من حرّها ولو انّ سربالاً من سرابيل أهل النّار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه ـ إلى أن قال ـ: انّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً ـ إلى أن قال ـ: فاذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأُعيدوا في دركها هذه حالهم وهو قوله تعالى ﴿كُلّما أرادوا أن يخرجوا منها مِن غمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[٢] ثمّ تبدّل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم...[٣].

«ضجيع حجرٍ» هو كما قالوا: اشارة إلى قوله تعالى ﴿وقودها النّاس والحجارة...﴾[٤] قالوا المراد بالحجارة حجارة الكبريت[٥].

---

(١) الحج: ١٩ ـ ٢٢.

(٢) الحج: ٢٢.

(٣) تفسير القمي ٢: ٨٠.

(٤) البقرة: ٢٤.

(٥) تفسير القمّي ٢: ٨٠.

«وقرين شيطانٍ» قالوا: اشارة إلى قوله تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرّحمن نُقيّض له شيطاناً فهو له قرينٌ﴾[١]، ﴿قال قرينه ربّنا ما أطغيته ولكن كان في ظلالٍ بعيدٍ﴾[٢].

وفي (تفسير القمّي) في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وإذا النّفوسُ زُوِّجت﴾[٣]. أما أهل الجنّة فزوّجوا الخيّرات الحسان، وامّا أهل النّار فمع كلّ انسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشّياطين فهم قرناء[٤].

«اعلمتم انّ مالكاً اذا غضب على النّار حطم بعضها بعضاً لغضبه» في (الصحاح): حطمته حطماً أي: كسرته والحُطمة اسم من أسماء جهنّم وهي النّار لأنّها تحطّم ما يلقى فيها...[٥].

﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربُّك قال إنّكم ماكثون﴾[٦]، ﴿كلّا ليُنبذَنَّ في الحطمة* وما أدراك ما الحطمة* نار الله الموقدة* الّتي تطّلِعُ على الأفئدة* انّها عليهم مؤصدةٌ* في عمدٍ ممدّدةٍ﴾[٧].

وفي (تفسير القمّي): إذا مدّت العمد عليهم أكلت والله الجلود[٨].

في (عرائس الثّعلبي): كان زكريا إذا أراد أن يعظ بني اسرائيل التفت يميناً وشمالاً فاذا رأى يحيى لم يذكر جنّة ولا ناراً فجلس يوماً يعظ بني

---

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) ق: ٢٧.

(٣) التكوير: ٧.

(٤) تفسير القمي ٢: ٢٠٧.

(٥) الصحاح : مادة «حطم».

(٦) الزخرف: ٧٧.

(٧) الهمزة: ٤ ـ ٩.

(٨) تفسير القمي ٢: ٤٤٢.

اسرائيل وأقبل يحيى قد لفّ رأسه بعباءة وجلس في غمار القوم فالتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم يرَ يحيى فأنشأ يقول حدّثني حبيبي جبرئيل عن الله عزّوجلّ: إنّ في جهنّم جبل يقال له السّكران وفي أصل ذاك الجبل وادٍ يقال له الغضبان خلق لغضب الرّحمن وفي ذلك الوادي جبّ قامته مائة عام فيه توابيت من نار وفيها صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السّكران وعن غضب الرّحمان ثمّ خرج هائماً على وجهه...[1].

«واذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعاً من زجرته» ﴿وأعتدنا لمن كذّب بالسّاعة سعيراً* إذا رأتهم من مكانٍ بعيد سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً* وإذا اُلقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً* لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾[2]، ﴿إذا اُلقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور* تكادُ تميّز من الغيظ...﴾[3].

وفي (تفسير القمّي) عن الباقر عليه السلام قال: لمّا نزل ﴿وجيىء يومئذٍ بجنّم يومئذٍ يتذكّر الإنسان وأنّى له الذّكرى﴾[4] ـ سئل عنه النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني الرّوح الأمين انّ الله تعالى إذا جمع الأوّلين والآخرين أتى بجهنّم تقاد بألف زمام لكلّ زمام الف ملك من الغلاظ الشّداد لها هدّة وغضب وزفير وشهيق وانّها لتزفر الزّفرة فلولا انّ الله أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلايق[5].

---

(١) عرائس المجالس للثعلبي: ٣٧٨.

(٢) الفرقان: ١١ ـ ١٤.

(٣) الملك: ٧ ـ ٨.

(٤) الفجر: ٢٣.

(٥) تفسير القمي ٢: ٤٢١.

«أيُّها اليفن الكبير» في (الصحاح): اليفن: الشيخ الكبير[١]، قال الأعشى:

وما أن أرى الدّهر في ما مضى   يغادر من شارف أو يفن[٢]

«الّذي قد لهزهُ القتير» في (الصحاح): لهزه القتير أي: خالطه الشّيب، واللّهز: الضّرب بجيمع اليد في الصّدر مثل اللّكز عن أبي عبيدة...[٣].

وممّا قيل في الشّيب وكونه بريد الموت قول بعضهم (الموت ساحل والشّيب سفينة تقرب من السّاحل)[٤] وقول الشاعر:

سألت من الاطبّة ذات يوم   طبيباً عن مشيبي قال بلغم

فقلت له على غير احتشامٍ   لقد أخطأت في ما قلت بل غم[٥]

وقال محمود الورّاق (الشيّب غمام قطره الغمّ)[٦] وقال عبيد الله بن عبدالله بن طاهر:

هذا غمام للرّدى   ودمع عيني مطرة[٧]

وقال ابن دريد:

من لاح في عارضيه القتير   فقد أتاه بالبلى نذير

ثم إلى ذي العزّة المصير

وقال النّظامي بالفارسية:

زپنبه شد بناگوشت كفن پوش

هنوز اين پنبه بيرون نارى از گوش[٨]

وقال البهائي أيضاً:

---

(١) الصحاح: (يفن).

(٢) الصحاح: (يفن).

(٣) الصحاح: (لهز).

(٤ ـ ٧) الطرائف للمقدسي: ١٤١.

(٨) أورده البهائي في الكشكول ٣: ٢١٨.

در سياهيّت سفيدى شد پديد يعنى از ره قاصد مرگت رسيد[(١)]

وقال البحتري:

يرفضّ عن ساطع المشيب كما أرفضّ دخان الضّرام عن لهبه[(٢)]

أيضاً:

نظرت اليّ الأربعون فأصرخت مشيبي وهزّت للحنوّ قناتي

وفي (الجمهرة): قال الرّاجز:

الآن إذ لاح بك القتير والأمس قد صار له شكير[(٣)]

والشّكير شعر ضعيف ينبت خلال الشيب، وعنه عليه السلام:

بلال الشّيب في فوديك نادى بأعلى الصّوت حيّ على الرّواح[(٤)]

وللبحتري:

ومن يطلع شرف الاربعين يحيى من الشّيب زوراً غريباً[(٥)]

«كيف أنت» خصّه بالخطاب لأنّ اليفن أقرب إلى المآب وأشدّ في الحساب؛ فعن الصادق عليه السلام انّ العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فاذا بلغ أربعين أوحى عزّوجلّ إلى ملكيه انّي قد عمّرت عبدي عمراً فغلّظا عليه وشدّدا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره[(٦)].

«إذا التحمت أطواق النّار بعظام الأعناق» أي: جعلت النّار لكونها طوقاً على عظام الأعناق كاللّحم لها، وقال تعالى﴿إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى

---

(١) لا وجود له في الديوان.

(٢) ديوان البحتري ١: ١٩٥ يمدح أبا عيسى بن صاعد.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد: ٣٩٤، والشعر لرؤبة.

(٤) الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام: ٥٣.

(٥) ديوان البحتري، يمدح الفتح بن خاقان ١: ٥٨.

(٦) الكافي ٨: ١٠٨ ح ٨٤.

الأذقان فهم مقمحون﴾[١].

«ونشبت الجوامِع» في (الصحاح): نشب الشيء في الشيء (بالكسر) نشوباً أي: علق فيه والجامعة الغلّ لأنّها تجمع اليدين إلى العنق[٢].

«حتّى أكلت لحوم السّواعد» اختلف أهل اللّغة في معنى السّاعد، ففي (الجمهرة) و(الصحاح): ساعدا الإنسان: عضداه[٣]، وفي (القاموس) ساعداك: ذراعاك[٤]، وفي (المغرب): السّواعد جمع ساعد وهو من اليد ما بين المرفق والكتف ثمّ سمّي بها ما يلبس عليها من حديد أو صفر أو ذهب[٥]، وفي (المصباح) السّاعد من الإنسان ما بين المرفق والكتف وهو مذكّر سمّي ساعداً لأنّه يساعد الكفّ في بطشها وعملها والسّاعد هو العضد والجمع السّواعد...[٦].

في (تفسير القمّي) في قوله تعالى: ﴿لها سبعة أبوابٍ لكلِّ بابٍ منهم جزءٌ مقسوم﴾[٧]، بلغني والله ما أعلم انّ الله تعالى جعل جهنّم سبع درجات أعلاها الحجّة يقوم أهلها على الصّفا منها تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدر بما فيها، والثانية: لظى نزّاعة للشّوى تدعو من أدبر وتولّى وجمع فأوعى، والثّالثة: سقر لا تبقي ولا تذر لوّاحة للبشر عليها تسعة عشر والرّابعة: الحطمة ومنها يثور شرر كالقصر كأنّه جمالة صفر تدّق من صار إليها مثل

---

(١) يس: ٨.

(٢) الصحاح: (نشب).

(٣) الصحاح: (سعد).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ٣٦٨ «سَعَدَ».

(٥) المغرب في ترتيب المعرب المطرزي ١: ٢٥٢ «سعد».

(٦) المصباح المنير للفيتوري: ٣٣٤ «سعد».

(٧) الفقيه للصدوق ١: ٧٥ ح١٧٧٤.

الكحل فلا تموت الرّوح كلّما صاروا مثل الكحل عادوا، والخامسة: الهاوية فيها يدعون يا مالك أغثنا فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد يسيل من جلودهم كأنّه مهل فاذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدّة حرّها وهو قوله تعالى ﴿وان يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشّراب وساءت مرتفقاً﴾[١]، ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً وكلّما احترق جلده بدل جلداً غيره، والسّادسة: هي السّعير فيها ثلاثمائة سرادق من نار في كلّ سرادق ثلاثمائة قصر من نار في كلّ قصر ثلاثمائة بيت من نار وفي كلّ بيت ثلاثمائة لون من عذاب النّار فيها حيّات من نار وعقارب من نار وجوامع من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار وهو الّذي يقول تعالى فيه ﴿إنّا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً﴾[٢]، والسابعة: جهنّم وفيها الفلق وهو جبّ في جهنّم إذا فتح سعر النّار سعراً وهو أشدّ النّار عذاباً وامّا صعود فجبل من صفر من نار وسط جهنّم، وامّا اثام فهو واد من صفر مذاب يجري حول الجبل وهو أشدّ النّار عذاباً[٣].

«فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصّحة قبل السّقم» في الخبر: اغتنموا خمساً قبل خمس صحّتك قبل سقمك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك[٤].

«وفي الفسحة قبل الضيّق» في (الصحاح): الفسحة السّعة.

«فاسعوا في فكاك رقابكم» في الخبر: بينما النبيّ ﷺ مستظلّ بظلّ

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) الدهر: ٤.

(٣) تفسير القمي ١: ٣٧٦.

(٤) الأمالي للطوسي ٢: ١٣٩.

شجرة في يوم شديد الحرّ إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرّغ في الرّمضاء يكوي ظهره مرّة وجبهته مرّة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك والنبيّ صلى الله عليه وآله ينظر إلى ما يصنع ثمّ انّ الرّجل لبس ثيابه ثمّ أقبل فأومى إليه النبيّ صلى الله عليه وآله بيده ودعاه فقال له: يا عبد الله لقد صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من النّاس صنعه فما حملك على ذلك؟ قال: حملني عليه مخافة الله تعالى فقال لقد خفت الله حقّ مخافته...[1].

«مِن قبل أن تغلق رهائنها» في (الصحاح): غلق الرّهن غلقاً أي: استحقّه المرتهن وذلك إذا لم يفتكّ في الوقت المشروط وفي الحديث لا يغلق الرّهن[2]؛ قال زهير:

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا[3]

﴿وكلّ نفسٍ بما كسبت رهينة﴾[4].

هذا، وفي (الأغاني): رهن عروة بن الورد امرأته الغفاريّة على الشراب قال انّما جاء بها إلى بني النّضير وكان صعلوكاً يغير فسقوه الخمر فلّما انتشى منعوه ولا شيء معه إلّا امرأته فرهنها ولم يزل يشرب حتى غلقت فلّما قال لها انطلقي قالت لا سبيل إلى ذلك قد أغلقتني فبهذا صارت عند بني النّضير ولمّا أجلا النبيّ صلى الله عليه وآله بني النّضير عن المدينة كانت فيهم سلمى[5].

«اسهِروا عيونكم» في (المصباح): السّهر: عدم النّوم في الليل...[6].

(١) البحار للمجلسي ٧٠: ٣٧٨.

(٢ ـ ٣) الصحاح: (غلق).

(٤) المدثر: ٣٨.

(٥) الأغاني ٣: ٣٨.

(٦) المصباح المنير: ٣٥٣ (سهر).

﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون* وبالأسحار هم يستغفرون﴾[١]، ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٢].

«وأضمروا بطونكم» في (الصحاح): الضمر والضُمّر مثل العَسر والعُسر الهزال وخفّة اللّحم...[٣].

في (الفقيه): قال النبيّ ﷺ: ألا أخبركم بشيء ان فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا بلى قال الصّوم يسودّ وجهه والصّدقة تكسر ظهره والحبّ في الله تعالى والمؤازرة على العمل الصّالح يقطع دابره والاستغفار يقطع وتينه ولكلّ شيء زكاة وزكاة الأبدان الصّيام وقال تعالى الصّوم لي وأنا أجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربّه والّذي نفس محمّد بيده لخلوق فم الصائم عن الله أطيب من ريح المسك[٤].

«واستعملوا أقدامكم» روى (ثواب الأعمال) ونقله الخوئي أيضاً عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تعالى ليهمّ ان يعذّب أهل الأرض جميعاً حتّى لا يتحاشى منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات فاذا نظر إلى الشّيب ناقلي أقدامهم إلى الصلاة والولدان يتعلّمون القرآن رحمهم فأخّر ذلك عنهم[٥].

«وانفقوا أموالكم» ﴿وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت

---

(١) الذاريات: ١٧ ـ ١٨.

(٢) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

(٣) الصحاح: (ضمر).

(٤) الفقيه للصدوق ١: ٧٥ ح ١٧٧٤.

(٥) ثواب الأعمال: ٦٦.

فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصّالحين* ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[١].

«وخذوا من أجسادكم فجدّدوا» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «تجودوا» كما في (ابن ميثم والخطيّة)[٣] أو «فجودوا» كما في (ابن أبي الحديد)[٤].

«بها على أنفسكم» ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ...﴾[٥].

«ولا تبخلوا بها عنها» ﴿ومن يبخل فانّما يبخل عن نفسه﴾[٦].

«فقد قال الله سبحانه» في الآية السابعة من سورة محمّد ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا:

«إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾ وقال تعالى»: في (١١) من الحديد:

«﴿من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجرٌ كريم﴾» وفي (٢٤٥) من البقرة: ﴿من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرةً والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾.

«ولم يستنصركم من ذلٍّ» كما هو شأن المستنصرين من المخلوقين.

«ولم يستقرضكم من قلٍّ» في (الصحاح): القلّ والقلّة، مثل الذّل والذّلّة،

---

(١) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٢) الطبعة المصرية المصححة «وجودوا بها»: ٣٩٦.

(٣) ابن ميثم «فجددوا بها» ٣: ٢٩٩ والخطية «تجودوا بها»: ١٦٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد: «فجودوا بها» ١٠: ١٢٣.

(٥) الحشر: ١٨.

(٦) محمّد: ٣٨.

يقال: الحمد لله على القلّ والكثر وماله قلّ ولا كثر، وفي الحديث: الرّبا وان كثر فهو إلى قلّ، وأنشد الأصمعي:

وقد يقصر القلّ الفتى دون همّه وقد كان لولا القلّ طلّاع أنجد[١]

ويقال: هو قلّ بن قلّ إذا كان لا يعرف هو ولا أبواه.

«إستنصركم وله جنود السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم» الأصل فيه قوله تعالى في الفتح ﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾[٢] ﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[٣].

«واستقرضكم وله خزائن السّماوات والأرض وهو الغنيّ الحميد» الأصل فيه قوله تعالى ﴿هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون﴾[٤].

«أراد أن يبلوكم أيُّكم أحسن عملاً» هكذا في (المصرية)[٥] وفي (ابن أبي الحديد): وغيره[٦] «وانّما أراد...» ﴿ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبول أخباركم﴾[٧] ﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيُّهم أحسن عملاً﴾[٨] ﴿الّذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً...﴾[٩] ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم

---

(١) الصحاح: (قَلَلَ).

(٢) الفتح: ٤.

(٣) الفتح: ٧.

(٤) المنافقون: ٧.

(٥) الطبعة المصرية: ٣٩٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد وابن ميثم كالمصرية.

(٧) محمّد: ٣١.

(٨) الكهف: ٧.

(٩) الملك: ٢.

بذات الصّدور...﴾[١] ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضهم ببعض...﴾[٢] ﴿ولو شاء الله لجعلكم أُمّة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم﴾[٣] ﴿ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجاتٍ ليبلوكم في ما آتاكم﴾[٤]، وحكى تعالى عن سليمان مشيراً إلى عرش ملكة سبأ ﴿فلمّا رآه مستقرّاً عنده قال هذا من فضل ربّي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّي غنيٌّ كريم﴾[٥].

«**فبادروا بأعمالكم**» ﴿...فاستبقوا الخيرات إلي الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[٦].

«**تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسله**» هكذا في النسخ الخطية لكنّ الظاهر كون (في داره)[٧] مصحّف (في دارٍ) وكون قوله «رافق بهم رسله» مصحّف (رافق فيها رسله)، ﴿ومن يطع الله والرّسول فأُولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبييّن والصّديقين والشهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[٨].

«**وأزارهم ملائكته**» ﴿جنّاتُ عدنٍ يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ بابٍ سلامٌ عليكم بما

(١) آل عمران: ١٥٤.

(٢) محمّد: ٤.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) الأنعام: ١٦٥.

(٥) النمل: ٤٠.

(٦) المائدة: ٤٨.

(٧) الخطبة: ١٦٦ كما ذكر العلّامة «ﵵ».

(٨) النساء: ٦٩.

صبرتم فنعم عقبى الدّار﴾[١].

«وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نارٍ أبداً» في (الصحاح): الحسّ والحسيس الصّوت الخفيّ[٢].

قال تعالى: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ ويشهد للفقرتين قوله تعالى مشيراً إلى جهنّم ﴿إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون* لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون* لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون﴾[٣].

«وصان أجسادهم أن تلقى لغوباً ونصباً» في (الصحاح): اللّغوب التّعب والاعياء تقول منه (لغب يلغب بالضّمّ لغوباً ولِب بالكسر يلغَب لغوباً، لغة ضعيفة ونصِب الرّجل بالكسر نصباً تعب وانصبه غيره وهمّ ناصب أي: ذو نصب مثل رجل تأمر ولابن ويقال هو فاعل بمعنى مفعول فيه لأنّه ينصب فيه ويتعب كقولهم ليل نائم أي: ينام فيه ويوم عاصف أي: يعصف فيه الريح...[٤].

كلامه عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى في (٣٥) فاطر حكايةً عن أهل الجنّة ﴿وقالوا الحمد لله الّذي أذهب عنّا الحزن إنَّ ربّنا لغفورٌ شكورٌ* الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوبٌ﴾[٥] وفي فاطر ﴿يحلّون فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾[٦].

---

(١) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الصحاح: (حسس).

(٣) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٤) الصحاح: (لغب).

(٥) فاطر: ٣٤ ـ ٣٥.

(٦) فاطر: ٣٥.

«أقول ما تسمعون» قال تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[١].

«والله المستعان على نفسي وأنفسكم» ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾[٢]، ﴿وربُّنا الرّحمان المستعان على ما تصفون﴾[٣].

«وهو حسبي» هكذا في (المصرية)[٤]، والصواب: «حسبنا» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٥].

«ونعم الوكيل» قال تعالى ﴿الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونِعم الوكيل فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ واتّبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم﴾[٦].

١٢
من الخطبة (١٨٥)

فَاللهَ ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَٱلسَّاعَةُ في قَرَنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلى صِرَاطِهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلاَزِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلاَكِلِهَا، وَٱنْصَرَمَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا. فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضى أَوْ شَهْرٍ ٱنْقَضى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً وَسَمِينُهَا غَثّاً. فـي مَوْقِفٍ ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا، عَالٍ لَجَبُهَا، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا،

---

(١) المطففين: ٢٦.

(٢) فاتحة الكتاب: ٥.

(٣) الأنبياء: ١١٢.

(٤) المصرية: ٣٩٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٢٣، والنسخة الخطية: ١٦٦ «حسبنا»، اما ابن ميثم ٣: ٣٩٦ فكالمصرية.

(٦) الزمر: ٧٣.

مَخِيفٍ وَعِيدُهَا، غَمّ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً...﴾[١] قَدْ أُمِنَ ٱلْعَذَابُ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ ٱلنَّارِ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ ٱلدَّارُ، وَرَضُوا ٱلْمَثْوى وَٱلْقَرَارَ، ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً وَٱسْتِغْفَاراً، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً، فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآباً، وَٱلْجَزَاءَ ثَوَاباً، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ، فَلاَ رَجْعَةً تُنَالُونَ، وَلاَ عَثْرَةً تُقَالُونَ. ٱسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

أقول: قوله عليه السلام «فالله الله» نصبه واجب، إمّا بالتحذير نحو الضّيغم الضّيغم؛ أي: اتّقوه، وإمّا بالاغراء نحو أخاك أخاك؛ أي: الزموه.

«عباد الله» منادٍ حذف نداءه والتعبير به لكونه كالبرهان لأمره أوّلاً مؤكّداً لوجوب رعايته تعالى فانّ العبد يجب عليه عقلاً رعاية مولاه.

«فانّ الدُّنيا ماضية بكم على سننٍ» في (الصحاح): السّنن الطريقة يقال استقام فلان على سنن واحد...[٢].

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل﴾[٣].

---

(١) الزمر: ٧٣.

(٢) الصحاح: (سنن).

(٣) سبأ: ٥٤.

«وأنتم والسّاعة في قرنٍ» في (الصحاح): السّاعة: القيامة والقرن بالتّحريك جعل يقرن به العيران قال:

إنّي لدى الباب كالمشدود في قرن[١]

﴿اقتربت السّاعة وانشقّ القمر﴾[٢].

«وكأنّها قد جاءت بأشراطها» في (الصحاح): اشراط السّاعة علاماتها ...[٣].

في (١٨) من سورة محمّد: ﴿فهل ينظرون إلّا الساعة ان تأتيهم بغتةً فقد جاء أشراطها فانّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾.

في (تفسير البرهان) عن ابن عباس قال: حججنا مع النبيّ صلى الله عليه وآله حجّة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثمّ أقبل بوجهه فقال: ألا أخبركم بأشراط الساعة -إلى أن قال-: فقال: من أشراط السّاعة إضاعة الصّلاة واتّباع الشهوات والميل إلى الأهواء -إلى أن قال-: وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة ويكون المطر قيظاً وتغيض الكرام غيظاً -إلى أن قال-: انّ عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلون أُمّتي فالويل لضعفاء أُمّتي منهم والويل لهم من الله لا يرحمون صغيراً ولا يوقّرون كبيراً -إلى أن قال-: ان عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس وتكثر أولاد الزّنا يتغنّون بالقرآن ويمطرون في غير أوان المطر ويستحسنون الكوبه والمعازف وينكرون الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حتّى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الامة قال وعندها يتكلّم الرّويبضة قال سلمان: وما الرويبضة؟ قال: يتكلّم في أمر العامّة من لم يكن يتكلّم...[٤].

---

(١) الصحاح: (سوع) و (قرن).

(٢) القمر: ١.

(٣) الصحاح: (شرط).

(٤) البرهان للبحراني ٤: ١٨٢ ح١.

«وازِفت بأفراطها» في (الصحاح): أزف الترحّل يأزف ازفا أي: دنا، ومنه قوله تعالى: ﴿أزِفت الازفة﴾[١] ـ يعني القيامة ـ والفرط بالتّحريك الّذي يتقدّم الواردة فيهيئ لهم الارسان والدّلاء ويمدر الحياض ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تَبَع بمعنى تابع ـ إلى أن قال ـ وأفراط الصّبح أيضاً أوائل تباشيره...[٢].

قلت: المناسب لكلامه عليه السلام المعنى الثاني لافراط أي: أوائل تباشيرها، وقول ابن أبي الحديد: «وافراطها هم المتقدّمون السّابقون من الموتى...»[٣] كما ترى فالسّابقون من الموتى افراط لنا لا للسّاعة كما في دعاء زيارة أهل القبور: «أنتم لنا فرط وانّا انشاء الله بكم لاحقون».

وقال ابن أبي الحديد: أيضاً ويجوز ان يفسّر افراط الساعة بمقدّماتها وما يظهر قبلها من خوارق العادات المزعجة كالدّجال ودابّة الأرض ونحوهما فيرجع إلى معنى اشراطها وانّما يختلف اللّفظ...[٤].

قال تعالى: ﴿أزِفَتِ الآزِفَةُ * ليس لها من دون الله كاشفةٌ﴾[٥]، ﴿وانذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين...﴾[٦].

«ووقفت بكم على صراطها» ﴿احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دونَ الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقوفهم إنّهم

---

(١) الصحاح: (أزف)، والنجم: ٥٧.

(٢) الصحاح: (أزف).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٢ ح٢٣٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٢ ح٢٣٦.

(٥) النجم: ٥٧ ـ ٥٨.

(٦) غافر: ٢٨.

مسئولون* مالكم لا تناصرون* بل هم اليوم مستسلمون﴾[١].

وفي (تفسير البرهان) عن ابن عبّاس قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى مالكاً ان يسّعر النيران السّبع ويأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمانية ويقول يا ميكائيل مدّ الصّراط على متن جهنّم ويقول يا جبرئيل انصب ميزان العدل تحت العرش وينادي يا محمّد قرّب أُمّتك للحساب ثمّ يأمر الله تعالى أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كلّ قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ وعلى كلّ قنطرة سبعون الف ملك قيام فيسألون هذه الأُمّة نساءهم ورجالهم على القنطرة الأُولى عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحبّ أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله فمن أتى به جاز على القنطرة الأُولى كالبرق الخاطف ومن لم يحبّ أهل بيته سقط على أمّ رأسه في قعر جهنّم ولو كان معه من أعمال البرّ عمل سبعين صدّيقاً، وعلى القنطرة الثانية يسئلون عن الصّلاة وعلى الثالثة عن الزكاة وعلى الرابعة عن الصّيام وعلى الخامسة عن الحجّ وعلى السادسة عن الجهاد وعلى السابعة عن العدل فمن أتى بشيء من ذلك جاز على الصّراط كالبرق الخاطف ومن لم يأت عذّب...[٢].

وعن (تفسير الثعلبي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يسئل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن حبّنا أهل البيت[٣].

«وكأنّها قد أشرفت بزلازلها» ﴿إذا زُلزلت الأرض زلزالها* واخرجت الأرض أثقالها* وقال الإنسان مالها* يومئذٍ تحدّث أخبارها* بأنّ ربّك أوحى

---

(١) الصافات: ٢٢ ـ ٢٦.

(٢) البرهان للبحراني ٤: ١٧ ح٦.

(٣) نقله المجلسي ٢٧: ٣١١ ح١.

لها* يومئذٍ يصدر النّاس أشتاتاً ليروا أعمالهم* فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[١]، وفي أوّل سورة الحجّ ﴿يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة السّاعة شيءٌ عظيم* يوم ترونها تذهل كلُّ مرضعةٍ عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حملٍ حملها وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾.

«وأناخت بكلاكلها» في (الصحاح): أنخت الجمل فاستناخ: أبركته فبرك...[٢].

وظاهره انّ أناخ متعدٍّ ومقتضى قوله عليه السلام لزومه، ويشهد له قول (الجمهرة): وأناخ البعير أناخة، قال أوس بن حجر:

إذا جعجعوا بين الإناخة والحس[٣]

ولعلّه مشترك؛ ففي (الطبري): أنّ الحسين عليه السلام قال للمحاربي من أصحاب الحرّ: أنِخِ الراوية...[٤].

وفي (الصحاح): والكلكل والكلكال اسم الصّدر...[٥].

قالوا: يقال للأمر الثقيل قد أناخ علهيم بكلكله أي: هدّهم بكلكله ورضّهم كما يهدّ البعير البارك من تحته بصدره.

«وانصرمت الدُّنيا بأهلها» هكذا في(المصرية)[٦] انصرمت بالميم وفي

---

(١) سورة الزلزلة.

(٢) الصحاح: (نخنخ).

(٣) الجمهرة لابن دريد: ١٠٥٧ «خ ن و ا ي».

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٢.

(٥) الصحاح: (كَلَلَ).

(٦) الطبعة المصرية: ٤١٣.

(ابن أبي الحديد) وانصرفت بالفاء وقال ويروى وانصرمت أي: انقضت...[١].

ثمّ عطف هذه الفقرة على قوله (قد أشرفت بزلازلها) عطف بالمعنى.

«وأخرجتهم من حضنها» في (الصحاح): الحضن ما دون الابط إلى الكشح وحضن الضّبع وجاره وحضن الطائر بيضه إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه وكذلك المرأة إذا حضنت ولدها...[٢].

قال تعالى ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾[٣].

«فكانت كيوم مضى أو شهر» هكذا في (المصرية) والصواب: «وشهر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤].

«انقضى» ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلّا ساعةً من النّهار يتعارفون بينهم...﴾[٥]، ﴿كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعةً من نهار...﴾[٦] ﴿كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشيةً أو ضحاها﴾[٧]، ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين* قالوا لبثنا يوماً أو بعض يومٍ فسئل العادّين* قال ان لبثتم إلّا قليلاً لو انكم كنتم تعلمون﴾[٨].

«وصار جديد هارثاً» في (الصحاح): الرّثّ: الشيء البالي وجمعه: رثاث.

«وسمينها غثّاً» في (الصحاح): غثّ اللّحم فهو غثّ وغثيث إذا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٠.

(٢) الصحاح: (حضن).

(٣) الزلزال: ٢.

(٤) الطبعة المصرية: ٤١٣، وابن ميثم ٤: ٢٠٢، كالمصرية في ابن أبي الحديد «وشهر»، راجع ١٣: ١١٠ ح٢٣٦.

(٥) يونس: ٤٥.

(٦) الاحقاف: ٣٥.

(٧) النازعات: ٤٦.

(٨) المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٤.

كان مهزولاً...[١].

قال الخوئي قال ابن ميثم: السّمين والغثّ يحتمل أن يريد بهما الحقيقة ويحتمل أن يكنّى به عمّا كثر من لذّاتها وخيراتها وتغير ذلك بالموت والزّوال، واعترض عليه بأنّ جعل الكناية قسماً للحقيقة بلا وجه لأنّ الكناية استعمال اللّفظ في غير ما وضع مع جواز إرادة ما وضع له[٢].

قلت: اعتراضه في غاية السّقوط فانّ تقابل الكناية والحقيقة أمر واضح فانّ الحقيقة هنا بمعنى عدم الكناية فيكون تقابلهما كتقابل الوجود والعدم.

«في موقفٍ ضَنك المقام» في (الصحاح): الضّنك: الضيّق...[٣].

قيل وصف بالضّنك لكثرة النّاس قال تعالى ﴿قل إنَّ الأوّلين والآخرين* لمجموعون إلى ميقات يومٍ معلوم﴾[٤].

«وأُمورٍ مشتبهٍ عظامٍ» المراد أُمور عظيمة شبيه كلّ منها بالآخر في الفظاعة؛ وفي سورة القيامة ﴿فإذا برق البصر وخسف القمر* وجمع الشّمس والقمر* يقول الإنسان يومئذٍ أين المفرُّ* كلّا لا وزر* إلى ربّك يومئذٍ المستقرّ* ينبّوء الإنسان يومئذٍ بما قدّم وأخّر﴾[٥]، وفي الحاقّة ﴿فإذا نُفخ في الصّور نفخةٌ واحدةٌ* وحُملت الأرض والجبال فدكّتا دكّةً واحدةً* فيومئذٍ وقعت الواقعة* وانشقّت السّماء فهي يومئذٍ واهية﴾[٦].

«ونارٍ شديد كلبها» في (الصحاح): الكلب بالضم: الشّدّة عند البرد ودفعت

---

(١) الصحاح: (غثث).

(٢) الخوئي ١١: ٢٠٢ ح١٨٩، وابن ميثم ٤: ٢٠٨.

(٣) الصحاح: (ضنك).

(٤) الواقعة: ٤٩ ـ ٥٠.

(٥) القيامة: ٧ ـ ١٣.

(٦) الحاقة: ١٣ ـ ١٦.

عنك كلب فلان أي: شرّه...[١].

قال تعالى: ﴿ورأى المجرمون النّار فظنّوا أنّهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾[٢] عالٍ لجبها، في (الصحاح): اللّجب: الصوت[٣].

«ساطعٍ لهبها» سطع النّار والرّائحة والصّبح سطوعاً إذا ارتفع، ولهب النّار لسانها قال تعالى ﴿سيصلى ناراً ذات لهبٍ﴾[٤]، ﴿سندع الزّبانية﴾[٥].

«متغيّظٍ زفيرها» في (١١) و (١٢) من الفرقان ﴿واعتدنا لمن كذّب بالسّاعة سعيراً* إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً﴾.

«متأجّجٍ سعيرها» في (الصحاح): التأجّج: تلهّب النّار[٦] (وسعرت النّار والحرب) هيّجتها وألهبتها وقرئ ﴿وإذا الجحيم سُعرت﴾[٧] وسعّرت بالتّشديد أيضاً للمبالغة.

«بعيدٍ خمودها» في (الصحاح): خمدت النّار يخمد خموداً سكن لهبها ولم يطفئ جمرها وهمدت إذا طفئ جمرها والخمود على وزن التّنّور موضع يدفن فيه النّار لتخمد...[٨].

وفي (الجمهرة): خمدت النّار إذا سكن التهابها[٩].

«ذاكٍ وقودها» في (الصحاح): ذكت النّار تذكو ذكا مقصور أي: اشتعلت

---

(١) الصحاح: (كَلَبَ).

(٢) الكهف: ٥٣.

(٣) الصحاح: (لَجَبَ).

(٤) المسد: ٣.

(٥) العلق: ١٨.

(٦) الصحاح: (أجج).

(٧) التكوير: ١٢.

(٨) الصحاح: (خمد).

(٩) الجمهرة لابن دريد: ٥٨ «خمد».

والوقود بالفتح الحطب...»[١].

وقال ابن أبي الحديد: الوقود الضّمّ مصدر ولا يجوز الفتح لأنّه ما يوقد به كالحطب ونحوه وذاك لا يوصف بأنّه ذاكٍ[٢].

قلت: الحطب من حيث الذات لا يوصف بذاك وامّا مع الوصف الوقود به فلِمَ لا يوصف.

«مخيفٍ» هكذا في(المصرية)[٣] والصواب: «مخوف» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤].

«وعيدها» في (الإرشاد): لمّا عاد النبيّ ﷺ من تبوك قدم عليه عمرو بن معد يكرب فقال له اسلم ياعمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر قال: يا محمّد! وما الفزع الأكبر فانّي لا أفزع؟ فقال: يا عمرو انّه ليس كما تظنّ وتحسب انّ النّاس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميّت إلّا نشر ولا حيّ إلّا مات إلّا ما شاء الله ثم يصاح بهم صيحة أُخرى فينشر من مات ويصفّون جميعاً وتنشقّ الأرض وتهدّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً وترمي النّار بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلّا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه إلّا ما شاء الله فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال الا اني أسمع أمراً عظيماً فآمن[٥].

«غمٌ قرارها» هكذا في (المصرية)[٦] غمّ بالمعجمة وفي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) غمّ بالمهملة وفسّراه بمعنى العمى؛ قال الأول: أي

---

(١) الصحاح: (ذكا).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٣ لم يذكر عبارة مصدر.

(٣) الطبعة المصرية: ٤١٣.

(٤) ابن ميثم ٣: ٢٠٢ كالمصرية «مخيف» وشرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٠ «مخوف».

(٥) الإرشاد للمفيد ١: ١٤٥.

(٦) الطبعة المصرية: ٤١٣.

لا يهتدي فيه لظلمتها...[١].

وعلى ما هنا فيمكن أن يفسّر بما في (الصحاح): يوم غمّ إذا كان يأخذ بالنّفس من شدّة الحر[٢].

«مظلمة أقطارها» في (الصحاح): القطر بالضّمّ النّاحية والجانب والجمع الأقطار[٣].

«حاميةٍ قدورها» ﴿واما من خفّت موازينه فأُمّهُ هاويةٌ* وما أدراك ما هيةٌ* نارٌ حاميةٌ﴾[٤]، ﴿تصلى ناراً حاميةً* تسقى من عينٍ آنيةٍ* ليس لهم طعامٌ إلّا من ضريع* لا يُسمن ولا يُغني من جوع﴾[٥].

«فظيعةٍ أمورها» ﴿يوم ترجف الرّاجفة* تتبعها الرّادفة* قلوبٌ يومئذٍ واجفةٌ* أبصارها خاشعةٌ﴾[٦]، ﴿القارعة* ما القارعة* وما أدراك ما القارعة* يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث* وتكون الجبال كالعِهن المنفوش﴾[٧].

«وسيق الّذين اتّقوا الى الجنّة زُمراً» اقتباس من قوله تعالى في (٧٣) الزّمر ﴿وسيق الّذين اتّقوا إلى الجنّة زُمَراً حتّى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾.

«قد أمن العذاب» ﴿الّذين آمنوا ولم يلبِسوا أيمانهم بظلمٍ أولئك لهم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد وابن ميثم بلفظ «غم» راجع صفحة ٤٧٦ بند ١٥ .

(٢) الصحاح: (غَمَمَ) .

(٣) الصحاح: (قَطَرَ) .

(٤) القارعة: ٨ ـ ١١ .

(٥) الغاشية: ٤ ـ ٧ .

(٦) النازعات: ٦ ـ ٩ .

(٧) القارعة: ١ ـ ٥ .

الأمن وهم مهتدون﴾[١].

«وانقطع العتاب» في (الصحاح): قال الخليل العتاب مخاطبة الأذلال ومذاكرة الموجدة[٢].

«وزحزحوا عن النّار» في (الصحاح): زحزحته عن كذا أي: باعدته عنه...[٣].

﴿فمن زُحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدُّنيا إلّا متاع الغرور﴾[٤].

«واطمأنّت بهم الدّار ورضوا المثوى والقرار» في (الصحاح): ثوى بالمكان: أقام به وأبو مثوى الرّجل صاحب منزله وأُمّ مثواه صاحبته منزله...[٥].

﴿يا أيّتها النفس المطمئنة* ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيةً* فادخلي في عبادي* وادخلي جنّتي﴾[٦]، ﴿وهذا صراط ربّك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقومٍ يذّكّرون* لهم دار السّلام عند ربّهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون﴾[٧]، ﴿ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير* جنّاتُ عدنٍ يدخلوها يحلّون فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حريرٌ* وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفورٌ شكورٌ* الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوب﴾[٨]، ﴿للّذين

---

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) الصحاح: (عقب).

(٣) الصحاح: (زحح).

(٤) آل عمران: ١٨٥.

(٥) الصحاح: (ثوا).

(٦) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

(٧) الأنعام: ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٨) فاطر: ٣٢ ـ ٣٥.

أحسنوا في هذه حسنةٌ ولدار الآخرة خيرٌ ولنعم دار المتّقين* جنّاتُ عدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار ولهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتّقين﴾[1]، ﴿فأمّا من أُوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه* إنّي ظننت انّي ملاقٍ حسابيه* فهو في عيشةٍ راضيةٍ* في جنّةٍ عاليةٍ* قطوفها دانيةٌ* كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّام الخالية﴾[2]، ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾[3]، ﴿والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم باحسانٍ رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[4].

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو ابنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروحٍ منه ويدخلهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾[5]، وفي البيّنة ﴿...رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشيَ ربّه﴾[6]، وفي القارعة ﴿فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشةٍ راضيةٍ﴾[7].

«الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية» ﴿قد أفلح من زكاها﴾[8]، ﴿قد أفلح

---

(١) النحل: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) الحاقة: ١٩ ـ ٢٤.

(٣) المائدة: ١١٩.

(٤) التوبة: ١٠٠.

(٥) المجادلة: ٢٢.

(٦) البينة: ٨.

(٧) القارعة: ٧ ـ ٨.

(٨) الشمس: ٩.

من تزكّى* وذكر اسم ربّه فصلّى﴾[١]، ﴿إن الّذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة* جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً...﴾[٢].

«وأعينهم باكية» ﴿وإذا سمعوا ما أُنزِل إلى الرّسول ترى أعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحقّ﴾[٣].

«وكان ليلهم في دنياهم نهاراً تخشّعاً واستغفاراً، وكان نهارهم ليلاً توحّشاً وانقطاعاً» قال الخوئي: قال ابن ميثم في نسخة الرّضي بخطّه «كان ليلهم نهارٌ» برواية كانّ للتشبيه ونصب ليل ورفع نهار[٤] وكذا في الفقرة الثانية برواية «كأنّ نهارهم ليلٌ».

قلت: و ابن أبي الحديد نسبه إلى رواية فقال: ويروى «وكأنّ ليلهم نهارٌ» وكذلك اختها على التشبيه...[٥].

وتخشّعاً واستغفاراً تميّزان كتوحّشاً وانقطاعاً؛ ﴿يُسبّح له فيها بالغدوّ والاصال* رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار* ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[٦]، ﴿وهو الّذي جعل اللّيل والنّهار خلفةً لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً* وعبادُ الرّحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً* والّذين

---

(١) الأعلى: ١٤ ـ ١٥.

(٢) البيّنة: ٧ ـ ٨.

(٣) المائدة: ٨٣.

(٤) ابن ميثم ٤: ٢٠٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٣.

(٦) النور: ٣٦ ـ ٣٨.

يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً* والّذين يقولون ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابها كان غراماً* إنّها ساءت مستقرّاً ومقاماً* والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً* والّذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النّفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً* يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً* إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رحيماً* ومن تاب وعمل صالحاً فانّه يتوب إلى الله متاباً* والّذين لا يشهدون الزُّوّر وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كِراماً* والّذين إذا ذُكّروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً* والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قُرّة أعين واجعلنا للمتّقين إماماً* أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحيّةً وسلاماً* خالدين فيها حَسُنت مستقرّاً ومقاماً﴾[1].

«فجعل الله لهم الجنّة مآباً» في (الصحاح): آب أي: رجع يؤب أوباً وأوبةً وإياباً والمآب المرجع والتّأويب ان يسير النّهار أجمع وينزل اللّيل وابت إلى فلان وأوّبت إلى بني فلان وتأوّبتهم إذا لقيتهم ليلاً...[2].

في (ص) ﴿وإنّ للمتّقين لحسن مآب* جنّاتِ عدنٍ مُفتّحةً لهم الأبواب* متّكئين فيها يدعون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ* وعندهم قاصرات الطّرف أترابٌ* هذا ما توعدون ليوم الحساب* إنّ هذا لرزقنا ماله من نفادٍ﴾[3].

«والجزاء ثواباً» في (الصحاح): الجزاء الطّاعة وكذلك المثوبة...[4].

﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالّتي تقرّبكم عندنا زُلفى إلّا من آمن وعمل

---

(١) الفرقان: ٦١ ـ ٧٦.

(٢) الصحاح: (أوب).

(٣) ص: ٤٩ ـ ٥٤.

(٤) الصحاح: (جزا).

صالحاً فأولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا وهم في الغرفاتِ آمنون﴾[١].

«وكانوا أحقّ بها وأهلها، في نعيمٍ دائمٍ وملكٍ قائمٍ» ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم﴾[٢]، ﴿إنّ المتّقين في جنّاتٍ ونعيمٍ* فاكهين بما آتاهم ربّهم ووقاهم ربّهم عذاب الجحيم* كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون* متّكئين على سررٍ مصفوفةٍ وزوّجناهم بحورٍ عينٍ* والّذين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذرّيهم وما التناهم من عملهم من شيءٍ كلُّ امرئٍ بما كسب رهينٌ* وأمددناهم بفاكهة ولحمٍ ممّا يشتهون* يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ* ويطوف عليهم غلمانٌ لهم كأنّهم لؤلؤٌ مكنونٌ* وأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون* قالوا إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين* فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السّموم* إنّا كنّا من قبل ندعوه إنّه هو البرّ الرّحيم﴾[٣]، ﴿الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجةً عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشّرهم ربُّهم برحمةٍ منه ورضوانٍ وجنّاتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيم * خالدين فيها أبداً إنَّ الله عنده أجرٌ عظيم﴾[٤]، ﴿وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً * عليهم ثيابُ سندسٍ خضرٌ واستبرقٍ وحُلّوا أساور من فضّةٍ وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً * إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[٥].

«فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم» ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا إن تتّقوا الله

---

(١) سبأ: ٣٧.

(٢) المطففين : ٢٢.

(٣) الطور : ٢١ ـ ٢٨.

(٤) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) الدهر: ٢٠ ـ ٢٢.

يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾[١]، ﴿إنّه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربّنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الرّاحمين * فاتّخذتموهم سخريّاً حتّى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم اليوم بما صبروا انّهم هم الفائزون﴾[٢]، ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون﴾[٣]، ﴿والّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجةً عند الله وأولئك هم الفائزون * يُبشّرهم ربّهم برحمةٍ منه ورضوان وجنّاتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ * خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجرٌ عظيم﴾[٤].

«وبإضاعته يخسر مبطلكم» ﴿فخلف من بعده خلفٌ أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً﴾[٥]، ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾[٦].

«وبادروا آجالكم بأعمالكم» ﴿وأنفقوا من مّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني الى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصّالحين * ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[٧].

«فانّكم مرتهنون بما أسلفتم» ﴿كُلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة﴾[٨].

«ومدينون بما قدّمتم» في (الصّحاح): قوله تعالى ﴿إئنّا لمدينون﴾

---

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) المؤمنون: ١٠٩ ـ ١١١.

(٣) النور: ٥٢.

(٤) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) مريم: ٥٩.

(٦) المنافقون: ٩.

(٧) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٨) المدثر: ٣٨.

أي: مجزيّون محاسبون[١]...

قال تعالى ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذٍ تنظرون * ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين﴾[٢].

«وكان قد نزل بكم المخوف» في (المصرية) كانّ بالتشديد والفتح[٣] والصحيح التخفيف والسّكون لعدم دخوله على الجملة الاسميّة وفي مثله يقدّر الاسم مخفّفة نحو قوله تعالى ﴿كأنْ لم تغن بالأمس...﴾[٤] قال تعالى ﴿إنّما أنت منذر من يخشاها كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشيّةً أو ضحاها﴾[٥].

«فلا رجعةً تنالون» قال ابن أبي الحديد الرّواية بضمّ التّاء أي تعطون يقال أنلت فلاناً مالاً أي منحته وقد روي تنالون بفتح التاء[٦]...

قلت: يؤيّد الأوّل قوله عليه السلام في الفقرة التالية (ولا عثرة تقالون) فانّ تقالون بضمّ التّاء رواية واحدة وتنالون بالضّمّ من النّوال وتنالون بالفتح من النّيل كما انّ تقالون من القيل، وكيف كان قال تعالى ﴿حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ * لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا انّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ الى يوم يبعثون﴾[٧].

---

(١) الصحاح: (دين)، والآية ٥٣ من سورة الصافات.

(٢) الواقعة: ٨٣ ـ ٨٦.

(٣) الطبعة المصرية المصححة (المخوف) بلا تشديد: ٤١٤.

(٤) يونس: ٢٤.

(٥) النازعات: ٤٥ ـ ٤٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٣.

(٧) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

«ولا عثرة تقالون» في (الصّحاح): اقلته البيع وهو فسحة[١].

«استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله» ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً﴾[٢].

«وعفا عنّا وعنكم بفضلِ رحمتهِ» ﴿وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفو عن السّيئات ويعلم ما تفعلون﴾[٣].

١٣
الخطبة (١٥٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي جَعَلَ اَلْحَمْدَ مِفْتاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلى آلائِهِ، وَعَظَمَتِهِ عِبادَ اَللّٰهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْباقِينَ، كَجَرْيِهِ بِالْماضِينَ، لا يَعُودُ ما قَدْ وَلّى مِنْهُ وَلا يَبْقى سَرْمَداً ما فِيهِ. آخِرُ أَفْعالِهِ كَأَوَّلِهِ مُتَسابِقَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظاهِرَةٌ أَعْلامُهُ. فَكَأَنَّكُمْ بِالسّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ، بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُماتِ، وَاَرْتَبَكَ فِي اَلْهَلَكاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَياطِينُهُ فِي طُغْيانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمالِهِ، فَالْجَنَّةُ غايَةُ السّابِقِينَ، وَالنّارُ غايَةُ الْمُفَرِّطِينَ اَعْلَمُوا عِبادَ اَللّٰهِ، أَنَّ التَّقْوى دارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَاَلْفُجُورَ دارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، أَلا وَبِالتَّقْوى تُقْطَعُ حُمَةُ اَلْخَطايا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ اَلْغايَةُ اَلْقُصْوى، عِبادَ اَللّٰهِ، اَللّٰهَ اَللّٰهَ! فِي أَعَزِّ اَلْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ،

---

(١) الصحاح: (قول).

(٢) النساء: ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) الشورى: ٢٥.

وَأَحَبِّها إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلْحَقِّ، وَأَنارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لازِمَةٌ، أَوْ سَعادَةٌ دائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيّامِ ٱلْفَناءِ، لِأَيّامِ ٱلْبَقاءِ، قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ، فَإِنَّما أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لا تَدْرُونَ مَتى تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ، أَلا فَما يَصْنَعُ بِالدُّنْيا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ، وَما يَصْنَعُ بِالْمالِ مَنْ عَمّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسابُهُ عِبادَ ٱللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِما وَعَدَ ٱللهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلا فِيما نَهى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ، عِبادَ ٱللهِ، ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفالُ. ٱعْلَمُوا عِبادَ ٱللهِ، إِنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوارِحِكُمْ، وَحُفّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفاسِكُمْ. لا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ داجٍ، وَلا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بابٌ ذُو رِتاجٍ، وَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ، يَذْهَبُ ٱلْيَوْمُ بِما فِيهِ، وَيَجِيءُ ٱلْغَدُ لاحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِيءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمَفْرَدِ غُرْبَةٍ، وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ ٱلْقَضاءِ. قَدْ زاحَتْ عَنْكُمُ ٱلْأَباطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ ٱلْعِلَلُ، وَٱسْتَحَقَّتْ بِكُمُ ٱلْحَقائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ مَصادِرَها. فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَٱعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَٱنْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

أقول: قوله عليه السلام «الحمدُ لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكرِهِ» قال ابن أبي الحديد: لأنّ أوّل القرآن، الحمد لله ربّ العالمين والقرآن الذّكر، قال تعالى: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكر...﴾[1].

وقال ابن ميثم: أي جعل الحمد مفتاحاً لذكره في عدّة سور. وتبعه

---

(١) شرح شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢١١، والآية ٩ من سورة الحجر.

الخوئي وقال: لعدم معلوميّة كون الفاتحة أوّل القرآن وان روى انّها أوّل ما أُنزلت ثمّ (اقرء) فروى أيضاً انّ أول ما نزل (اقرء)[١].

قلت: الأولى أن يقال مراده عليه السلام انّه تعالى جعل حمده مفتاح ذكره في كلّ موضع لوجوب حمده أوّل كلّ امر اوفي خصوص الصلاة فانّ الأصل في ذكره تعالى الصّلاة قال عزّوجلّ ﴿وأقم الصّلاة لذكري﴾[٢]، «وسبباً للمزيد من فضله» قالوا اشارة الى قوله تعالى: ﴿...لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾[٣]؛ «ودليلاً على آلائه وعظمته» في (الصحاح): الآلاء النّعم واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء مثاله معي وأمعاء[٤]....

كأنّه عليه السلام أشار الى انّ حمده تعالى في قولك الحمد لله دليل على شيئين الأوّل آلائه تعالى لأنّه لو لم تكن آلاء لم يكن حمد وشكر والثاني عظمته عزّ اسمه لاختصاص الحمد به.

«عباد الله» ناداهم بوصف كونهم عبيده تعالى ليستشعروا كونهم غير مختارين في حياتهم. «إنَّ الدّهر يجري بالباقين كجريه بالماضين» قال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

فما الدّهر إلّا كالزمان الذي مضى ولا نحن إلّا كالقرون الأوائل[٥]

«لا يعود ما قد ولّى منه» قال ابن أبي الحديد مثل قول الشاعر:

ما أحسن الأيام إلّا انّها يا صاحبي اذا مضت لم ترجع[٦]

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٢٦٧.

(٢) طه: ١٤.

(٣) ابراهيم: ٧.

(٤) الصحاح: (ألا).

(٥ ـ ٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢١١.

«ولا يبقى سرمداً ما فيه» في (الصحاح): السرمد[١] الدائم... .

قال ابن أبي الحديد قال عدي:

ليس شيء على المنون بباق غير وجه المهيمن الخلّاق[٢]

«آخر أفعاله كأوّله» قال ابن أبي الحديد: ويروى كأوّلها ومن رواه (كأوّله) أي أوّل الدّهر حذف المضاف[٣]. «متسابقةُ أموره» نقله (ابن ميثم) «متشابهة أُموره»[٤] وكذلك ابن أبي الحديد إلاّ انّه قال وروى «متسابقة أموره» أي شيء منها قبل كلّ شيء كأنّها خيل متسابق مضمار[٥]. «متظاهرةً أعلامه» قال ابن أبي الحديد أي دلالاته على سجيّته التي عامل النّاس بها قديماً وحديثاً متظاهرة يقوي بعضها بعضاً[٦].

«فكأنّكم بالسّاعة تحدوكم حدو الزّاجر بشوله» هكذا «بشوله» بالباء في نسخنا ونسخ (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[٧] والصّواب: (لشوله) باللّام فانّ زجر متعدّ بنفسه ويحسن في وصفه لام المقوّية ولا وجه للباء.

وفي (الصّحاح): السّاعة القيامة[٨] والحدو سوق الابل والغناء لها[٩]. وزجر البعير أي سوقه[١٠]. والشّول: النّوق التي جفّ لبنها وارتفع ضرعها

---

(١) الصحاح: (سرمد).

(٢ ـ ٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢١١.

(٤) شرح ابن ميثم بخلاف ما ذكره العلاّمة ﷺ (متسابقة) ٣: ٢٦٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧ ـ ٢١٢.

(٦) المصدر نفسه ٩: ٢١٢.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٨، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٦٦.

(٨) الصحاح: (سوع).

(٩) الصحاح: (حدا).

(١٠) الصحاح: (زَجَرَ).

وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة[١].

وهو جمع على غير القياس ويقال منه شوّلت النّاقة بالتّشديد أي صارت شائلة... قالوا: خصّ ﷺ الشّول لأنّه يعنف بها في السّوق ولا يرفق بها كذات الحمل أو اللّبن؛ قال تعالى لموسى: ﴿إنَّ السّاعة آتيةٌ أكاد أُخفيها لتجزي كلُّ نفسٍ بما تسعى * فلا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها واتّبع هواه فتردى﴾[٢]، ﴿وما أمر السّاعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب إنَّ الله على كلّ شيءٍ قديرٌ﴾[٣]، ﴿هل ينظرون إلّا السّاعة ان تأتيهم بغتةً وهم لا يشعرون﴾[٤]، ﴿فهل ينظرون إلّا السّاعة أن تأتيهم بغتةً فقد جاء اشراطها فانّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾[٥]، ﴿يسألونك عن السّاعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربّي لا يجلّيها لوقتها إلّا هو ثقلت في السّماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتةً يسألونك كأنّك حفيٌّ عنها قل إنّما علمها عند الله ولكن أكثر النّاس لا يعلمون﴾[٦].

«فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظُّلمات وارتبك في الهلكات» في (الصّحاح): ارتبك الرّجل في الأمر أي: نشب فيه ولم يكد يتخلّص منه[٧]....

قال ابن أبي الحديد يعني من لا يوفى النّظر حقّه ويميل الى الأهواء ونصرة الاسلاف والحجاج عمّا ربّى عليه بين الأهل والاستاذ من الّذين

---

(١) الصحاح: (شَوَلَ).

(٢) طه: ١٥ ـ ١٦.

(٣) النحل: ٧٧.

(٤) الزخرف: ٦٦.

(٥) محمّد: ١٨.

(٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) الصحاح: (رَبَكَ).

زرعوا في قلبه العقائد يكون شغل نفسه بغير نفسه لأنّه لم ينظر لها ولا قصد الحقّ من حيث هو حقّ وإنّما قصد نصرة مذهب معيّن يشقّ عليه فراقه ويصعب عنده الانتقال عنه ويسوءه أن يرد عليه حجّة تبطله فيسهر عينه ويتعب قلبه في تهوّس تلك الحجّة والقدح فيها بالغثّ والسّمين لا لأنّه يقصد الحقّ بل يقصد نصرة المذهب المعيّن وتشييد دليله لا جرم انّه متحيّر في ظلمات لا نهاية لها[١]...

قلت: ما قاله مصداق قوله عليه السلام في الاصول، وكلامه عليه السلام عامّ للفروع أيضاً كمن شغل نفسه بغير نفسه في عباداته وأعماله وفي إنفاق ماله وفي تجنّب شهواته ولذّاته يصير أيضاً كما قال عليه السلام متحيّراً في الظّلمات مرتبكاً في الهلكات.

«ومدّت به شياطينه في طغيانه» قال ابن أبي الحديد: وروي «ومدّت له»[٢]...

كلامه عليه السلام مأخوذ من قوله تعالى ﴿وإخوانهم يمدّونهم في الغيّ ثمّ لا يقصرون﴾[٣] وقال تعالى ﴿قل من كان في الضّلالة فليمدد له الرّحمن مدّاً...﴾[٤].

«وزيّنت له سيّئ أعماله» قال ابن أبي الحديد مأخوذ من قوله تعالى ﴿أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً...﴾[٥].

قلت: ومن قوله تعالى: ﴿...وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه ٩: ٢١٣.

(٣) الأعراف: ٢٠٢.

(٤) مريم: ٧٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢١٣، والآية ٨ من سورة فاطر.

السّبيل...﴾[١]، ﴿...زُيّن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾[٢]، ﴿وإذا مسّ الإنسان الضّرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلمّا كشفنا عنه ضُرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضُرٍّ مسّهُ كذلك زُيّن للمسرفين ما كانوا يعملون﴾[٣]. «**فالجنّة غاية السّابقين**» ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[٤]. «**والنّار غاية المفرّطين**» ﴿فأمّا من طغى * وآثر الحيوة الدُّنيا * فإنّ الجحيم هي المأوى﴾[٥].

«**واعلموا عباد الله ان التّقوى دار حصنٍ عزيز**» كأنّه سقط بعده شيء كقولك يعصم المتمسّك به ولا ينفصم للمتمسّك به بقرينة قوله عليه السلام في الفجور بعد قوله (دار حصنٍ ذليل) (لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ اليه) وكيف كان ففي المصباح الحصن المكان الّذي لا يقدر عليه لارتفاعه... قال تعالى: ﴿...ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾[٦]، ﴿فأمّا من أعطى واتّقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسّره لليسرى﴾[٧]. «**والفجور دار حصنٍ ذليل لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ اليه**» ﴿وإنَّ الفجّار لفي جحيم * يصلونها يوم الدّين * وما هم عنها بغائبين * وما أدراك ما يوم الدّين * ثمّ ما أدريك ما يوم الدين * يوم لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذٍ لله﴾[٨]، ﴿...ان كتاب الفُجّار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّينٌ * كتابٌ مرقومٌ * ويلٌ

---

(١) النمل: ٢٤.

(٢) التوبة: ٣٧.

(٣) يونس: ١٢.

(٤) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٥) النازعات: ٣٧ ـ ٣٩.

(٦) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٧) الليل: ٥ ـ ٧.

(٨) الانفطار: ١٤ ـ ١٥.

يومئذٍ للمكذبين﴾[١]، ﴿...أم نجعل المتّقين كالفجّار﴾[٢]. «ألا وبالتّقوى تُقطع حمة الخطايا» قال ابن ميثم: وروى حمّة الخطايا بالتّشديد[٣]....

في (الصّحاح): حمّة العقرب سمّها وضرّها وأصله حمو وحمى والهاء عوض وامّا حمّة الحرّ وهو معظمه فبالتّشديد[٤]....

ومعنى قوله عليه السلام «بالتّقوى تقطع حمّة الخطايا» انّ التّقوى بازهر للخطايا (بازهر معرّب وپازهر مخفّف پاش زهر اى ما يذيب السّمّ)؛ ﴿ولو انّهم آمنوا واتّقوا لكفّرنا عنهم سيّئاتهم ولأدخلناهم جنّات النّعيم﴾[٥]، ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾[٦]، «وباليقين تُدرك الغاية القصوى» في (الصّحاح): قصا المكان يقصو قصواً بعد فهو قصيّ ويقال فلان بالمكان الأقصى والنّاحية القصوى والقصيا بالضّمّ فيهما ... ﴿الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وبالآخرة هم يوقنون * اولئك على هدىً من ربّهم واولئك هم المفلحون﴾[٧]. «عباد الله» ذكره مقدّمة لتحذيره بعد «الله الله» قال ابن أبي الحديد: منصوبان بالاغراء وتقديره راقبوا الله[٨]....

قلت: انّ مثله يسمّى تحذيراً لا اغراءً. «في أعزّ الأنفس عليكم وأحبّها اليكم» أي: في أنفسكم فانّ نفس الانسان أعزّ نفس عليه حتّى من ابنه الّذي كالجزء

(١) المطففين: ٧ ـ ١٠.

(٢) ص: ٢٨.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٠.

(٤) الصحاح: (حما).

(٥) المائدة: ٦٥.

(٦) الأنفال: ٢٩.

(٧) الصحاح: (قصا)، والآيتان ٤ ـ ٥ من سورة لقمان.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢١٤.

منه ﴿...عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ اذا اهتديتم...﴾[١]، ﴿...يودُّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثمّ ينجيه * كلّا...﴾[٢].

هذا، وقال ابن ميثم: في قوله عليه السلام: «في أعزّ الأنفس عليكم» اشارة الى انّ للإنسان نفوساً متعدّدة وهي باعتبار مطمئنة وامّارة بالسّوء ولوّامة وباعتبار عاقلة وشهويّة وغضبيّة والاشارة الى الثّلاثة الأخيرة وأعزّها النّفس العاقلة...[٣].

وهو كما ترى.

«فإنّ الله قد أوضح لكم سبيل الحق» بالعقل والنّقل ﴿ونفسٍ وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها﴾[٤]، ﴿إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[٥].

«وأنار طرقه» نقله ابن ميثم: «وأبان طرقه» وقال: وروي: «وأنار طرقه»... ﴿قد تبيّن الرّشد من الغيّ...﴾[٦]، «فشقوةٌ لازمةٌ أو سعادةٌ دائمةٌ» قوله: «فشقوةٌ» في الأعراب كقوله تعالى: ﴿...فصبرٌ جميلٌ...﴾[٧]، إمّا مبتدأ يقدّر له خبرٌ أو خبرٌ يقدّر له مبتدأ؛ وقال الخوئي: ويجوز أن يكون فاعلاً لفعل محذوف[٨].

قلت: انّما يقدّرون الفعل في مثل ﴿وإن أحدٌ من المشركين...﴾[٩] ومثل

---

(١) المائدة: ١٠٥.

(٢) المعارج: ١١ ـ ١٥.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٠.

(٤) الشمس: ٧ ـ ٨.

(٥) الدهر: ٣.

(٦) شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٠، والآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٧) يوسف: ١٨، ٨٣.

(٨) الخوئي ٩: ٣١٥.

(٩) التوبة: ٦.

﴿إذا السّماء انشقّت﴾[١] لا كلّ موضع ومعنى الكلام انّ بعد ايضاح السّبيل وإبانة الطّريق من سلك السّبيل يكون له السّعادة الدّائمة ومن تنكب الطّريق يكون له الشّقوة اللازمة قال تعالى ﴿يوم يأت لا تكلّم نفسٌ إلّا بإذنه فمنهم شقيٌّ وسعيد * فامّا الّذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ * خالدين فيها ما دامت السّماوات والأرض إلّا ما شاء ربُّك إنَّ ربَّك فعّالٌ لما يريد * وامّا الّذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها ما دامت السّماوات والأرض إلّا ما شاء ربُّك عطاءً غير مجذوذ﴾[٢].

«فتزوّدوا في أيّام الفناء لأيّام البقاء» ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[٣].

«قد دللتم على الزّاد» أي: زاد هذا السّفر وكونه منحصراً في التّقوى.

«وأُمِرتم بالظّعِن» في (الصحاح): ظَعَنَ أي: سار ظعناً وظَعَناً بالتّحريك[٤].

وقرئ بهما قوله تعالى: ﴿يومَ ظعنكم...﴾[٥] ﴿يا قوم إنّما هذه الحياوة الدُّنيا متاعٌ وإنّ الآخرة هي دار القرار﴾[٦]. «وحثثتم على المسير» في (الصّحاح): حثّه على الشّيء واستحثّه حضّه عليه... ﴿وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني الى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصّالحين﴾[٧].

---

(١) الانشقاق: ١ .

(٢) هود: ١٠٥ ـ ١٠٨ .

(٣) الحشر: ١٨ .

(٤) الصحاح: (ظعن) .

(٥) النحل: ٨٠ .

(٦) غافر: ٣٩ .

(٧) الصحاح: (حثث)، والآية ١٠ من سورة المنافقين .

«فانّما أنتم كركبٍ وقوفٍ لا يدرون متى يؤمرون بالمسير» قال تعالى: ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين * أو تقول لو انّ الله هداني لكنت من المتّقين * أو تقول حين ترى العذاب لو انَّ لي كرّةً فأكون من المحسنين﴾[١]. «ألا فما يصنع بالدُّنيا من خلق للآخرة» ﴿وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[٢]. «وما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه» ﴿ويلٌ لكلِّ همزةٍ لمزةٍ * الّذي جمع مالاً وعَدَّده * يحسب أنّ ماله أخلده * كلّا...﴾[٣].

وروي أنّ عيسى عليه السلام توجّه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فمرّ بلبنات ثلاث من ذهب على ظهر الطّريق فقال عيسى عليه السلام لأصحابه انّ هذا يقتل النّاس ثم مضى فقال أحدهم انّ لي حاجة فانصرف ثمّ قال آخر انّ لي حاجة فانصرف ثمّ قال الآخر لي حاجة فانصرف فوافوا عند الذّهب ثلاثتهم فقال اثنان لواحد اشتر لنا طعاماً فذهب فشرى لهما وجعل فيه سمّاً ليقتلهما كيلا يشاركاه في الذّهب وقال الاثنان اذا جاء قتلناه كيلا يشاركنا فلّما جاء قاما اليه فقتلاه ثمّ تغدّيا فماتا فرجع اليهم عيسى عليه السلام وهم موتى فأحياهم باذن الله ثم قال لهم ألم أقل لكم انّ هذا يقتل النّاس[٤].

«عباد الله إنّه ليس لما وعد الله من الخير متركٌ» قال تعالى: ﴿إنّما يؤمن بآياتنا الّذين إذا ذُكّروا بها خرّوا سُجّداً وسبّحوا بحمد ربِّهم وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا

(١) الزمر: ٥٦ ـ ٥٨.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

(٣) الهمزة: ١ ـ ٤.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ١٤: ٢٨٤.

يـعملون﴾(١)، ﴿إنّ الأبـرار لفـي نـعيم عـلى الآرائك يـنظرون * تـعرف فـي وجوههم نضرة النّعيم * يُسقون من رحيقٍ مختومٍ * ختامه مسكٌ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيمٍ * عيناً يشرب بها المقرّبون﴾(٢).

وفي (تفسير القمّي) عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ من أدنى نـعيم الجـنّة ان يوجد ريحها من مسيرة ألف عام من مسافة الدّنيا وانّ أدنى أهل الجنّة منزلاً لو نزل به أهل الثّقلين من الجنّ والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص ممّا عنده شيئاً وانّ أيسر أهل الجنّة منزلاً من يدخل الجنّة فيرفع له حدائق فـاذا دخل ادناهنّ رأى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والثّمار ما شاء الله ممّا يملأ عينه قرّة وقلبه مسرّة فاذا دخلها شكر الله تعالى وحمده فيقال افتحو له باباً الى الجنّة ويقال له ارفع رأسك واذا فتح له باب من الخلد فيرى أضعاف ما كان في ما قبل فيقول عند تضاعف مسرّاته ربّ لك الحمد الّذي لا يحصى إذ مننت عليّ بالجنان وانجيتني من النّيران ـ الى أن قال ـ قلت مـن أيّ شـيء خـلقت الحور العين قال من تربة الجنّة النّورانيّة ويرى مخّ ساقيها من وراء سبعين حلّة كبدها مراته وكبده مراتها يكلّمن بكلام لم يسـمع الخـلائق بـمثله يـقلن بأصوات رخيمة: «نحن الخالدات فلا نموت ونحن النّاعمات فلا نبؤس ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن الرّاضيات فلا نسخط طوبى لمن خلق لنا وطوبى لمن خلقنا له ونحن اللّواتي لو انّ قرن أحدنا علّق في جوّ السّماء لأغشى نوره الأبصار(٣).

«ولا في ما نهى عنه من الشّرّ مرغبٌ» ﴿...كلّما نضجت جلودهم بـدّلناهم

(١) السجدة: ١٥ ـ ١٧.

(٢) المطففين: ٢٢ ـ ٢٨.

(٣) تفسير القمي ٢: ٤١١.

جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب...﴾[١]، ﴿كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها...﴾[٢].

وفي (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿...وانّ للطّاغين لشرّ مآبٍ * جهنّم يصلونها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميمٌ وغسّاقٌ﴾[٣] قال: الغسّاق وادٍ في جهنّم فيه (٣٣٠) قلّة من سمّ ولو أنَّ عقرباً منها نضحت سمّها على أهل جهنّم لوسعتهم سمّها، وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام انّ أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من النار عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى، انّ في النّار أشدّ عذاباً منه وما في النّار أحد أهون عذاباً منه[٤].

«**عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال**» ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[٥]، ﴿وان تك مثقال حبّةٍ من خردلٍ آتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٦]، ﴿وكلّ صغيرٍ وكبيرٍ مستطرٌ﴾[٧]، ﴿...ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً...﴾[٨] «**ويكثر فيه الزّلزال**» في (الصّحاح): زلزل الله الأرض زلزلة وزلزالاً بالكسر فتزلزلت هي والزّلزال بالفتح الاسم[٩]....

---

(١) النساء: ٥٦.

(٢) الحج: ٢٢.

(٣) ص: ٥٥ ـ ٥٧.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٤٢.

(٥) الزلزال: ٧ ـ ٨.

(٦) الأنبياء: ٤٧.

(٧) القمر: ٥٣.

(٨) الكهف: ٤٩.

(٩) الصحاح: (زلل).

﴿اذا زُلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان مالها﴾[١]، وفي سورة الحجّ ﴿يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم إنَّ زلزلة السّاعة شيءٌ عظيم * يوم ترونها تذهل كُلّ مرضعةٍ عمّا أرضعت وتضع كُلُّ ذات حملٍ حملها وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديدٌ﴾[٢].

«**وتشيب فيه الأطفال**» قال ابن أبي الحديد: قال تعالى: ﴿فكيف تتّقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾[٣].

وليس ذلك على حقيقته لأنّ الأُمّة مجمعة على انّ الأطفال لا يتغيّر حالهم وانّما هو كلام جار مجرى المثل قال أبو الطّيّب:

والهمّ يخترم الجسيم مخافة ويشيب ناحية الصّبيّ ويهرم[٤]

قلت: الاجماع ليس بمعلوم فقد قال السّيوطي في تفسيره يجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة[٥]. «**اعلموا عباد الله إنّ عليكم رصداً من أنفسكم**» في (الصّحاح): الرّاصد للشّيء الرّاقب له والرّصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث[٦]....

﴿ما يلفظ من قولٍ إلّا لديه رقيبٌ عتيدٌ﴾[٧].

«**وعيوناً من جوارحكم**» ذكروا للعين معاني ومنها الجاسوس وهو المراد هنا وفي (٦٥) من يسٓ ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم

---

(١) الزلزال: ١ ـ ٣.

(٢) الحج: ١ ـ ٢.

(٣) المزمل: ١٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢١٥، والشعر في ديوان المتنبي ٣: ٢٥١.

(٥) تفسير الجلالين للسيوطي ٦: ٢٧٩.

(٦) الصحاح: (رصد).

(٧) ق: ١٨.

وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ وفي (٢٠) من حمّ السجدة ﴿حتّى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيءٍ وهو خلقكم أوّل مرّةٍ واليه ترجعون * وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم انّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون * وذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾[1] «وحفّاظ صدقٍ يحفظون أعمالكم» ﴿وإنّ عليكم لحافظن * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون﴾[2]. «وَعَدَدَ أنفاسِكم» ﴿...إنّما نعدُّ لهم عَدّاً﴾[3] فسّر بتعداد الأنفاس. «لا تستركم منهم ظلمة داجٍ» في (الصّحاح): الدّجى الظّلمة يقال دجا اللّيل يدجو دجواً ـ الى أن قال ـ قال الأصمعي دجا اللّيل انّما هو ألبس كلّ شيء[4] وليس هو من الظّلمة ومنه قولهم «دجا الاسلام أي قوى وألبس كلّ شيء». «ولايُكنُّكم» في (الصحاح): قال الكسائي: كننت الشيء سترته[5]. «منهم بابُ ذو رتاجٍ» في (الصّحاح): الرتج بالتّحريك الباب العظيم وكذلك الرّتاج ومنه رتاج الكعبة ويقال الرّتاج الباب المغلق وعليه باب صغير[6]....

قلت: وكلامه عليه السلام يشهد للأخير قال تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كلّ أُنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواءٌ منكم من أسرّ القول ومن جهر بهِ وَمَن هو مستخفٍ

---

(١) فصلت: ٢٠ ـ ٢٣.

(٢) الانفطار: ١٠ ـ ١٢.

(٣) مريم: ٨٤.

(٤) الصحاح: (دجا).

(٥) الصحاح: (كنن).

(٦) الصحاح: (رتج).

باللّيل وساربٌ بالنّهار * له معقّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله...﴾[١].

وروى (امالي المفيد) عن الحجّاج بن التميمي قال:

اذا ما خلوت الدّهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب[٢]

«وإنّ غداً من اليوم قريبٌ» ﴿...ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ...﴾[٣]، ﴿انّهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً﴾[٤]، ﴿كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشيّة أو ضحاها﴾[٥]، ﴿ويوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعةٍ كذلك كانوا يؤفكون﴾[٦].

«يذهب اليوم بما فيه ويجيئ الغد لاحقاً به» قال تعالى: ﴿وقال الّذي آمن ياقوم اتّبعونِ أهدكم سبيل الرّشاد * ياقوم انّما هذه الحياة الدُّنيا متاعٌ وإنّ الآخرة هي دار القرار﴾[٧]. «فكأنّ كلّ امرئٍ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته» ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّةٍ وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٨]، «ومخطّ حفرته» في (الصّحاح) المخطّ بالكسر عود يخطّ به[٩].

«فياله من بيت وحدةٍ ومنزل وحشةٍ ومفرد غربةٍ» روى الكافي عن الصادق عليه السلام قال ما من موضع قبر إلّا وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات أنا بيت التّراب أنا بيت

---

(١) الرعد: ٨ ـ ١١.

(٢) الأمالي للمفيد: ٣١٦ ح٨.

(٣) الحشر: ١٨.

(٤) المعارج: ٦ ـ ٧.

(٥) النازعات: ٤٦.

(٦) الروم: ٥٥.

(٧) فاطر: ٣٨ ـ ٣٩.

(٨) الأنعام: ٩٤.

(٩) الصحاح: (خطط).

البلى أنا بيت الدّود أنا القبر أنا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّار[١]. «وكأنّ الصّيحة قد أتتكم» في (٤٩) يس ﴿ما ينظرون إلّا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يخصّمون * فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون * ونفخ في الصّور فاذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون * قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرّحمان وصدق المرسلون * إن كانت إلّا صيحةً واحدةً فاذا هم جميعٌ لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفسٌ شيئاً ولا تجزون إلّا ما كنتم تعملون﴾[٢]. «والسّاعة قد غشيتكم» قال تعالى: ﴿اقتربت السّاعة وانشقّ القمر﴾[٣]، ﴿هل أتاك حديث الغاشية * وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ * عاملةٌ ناصبةٌ * تصلى ناراً حاميةً * تسقى من عينٍ آنيةٍ * ليس لهم طعامٌ إلّا من ضريعٍ * لا يسمن ولا يغني من جوعٍ * وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ * لسعيها راضية * في جنّةٍ عالية * لا تسمع فيها لاغيةً * فيها عينٌ جاريةٌ * فيها سررٌ مرفوعة * وأكوابٌ موضوعة * ونمارق مصفوفةٌ * وزرابيّ مبثوثة﴾[٤].

وروى (أمالي المفيد): انّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يذكر السّاعة وقيامها حتّى كأنّه منذر جيش يقول صبّحتكم السّاعة مسّتكم الساعة ثمّ يقول بعثت أنا والسّاعة كهاتين (ويجمع بين سبّابتيه)[٥].

«وبرزتم لفصل القضاء» قال تعالى: ﴿إنّ الّذين آمنوا والذين هادوا والصّابئين والنّصارى والمجوس والّذين أشركوا إنّ الله يفصل بينهم يوم

---

(١) الكافي ٣: ٢٤٢ ح٢.

(٢) يس: ٤٩ ـ ٥٤.

(٣) القمر: ١.

(٤) الغاشية: ١ ـ ١٦.

(٥) الأمالي للمفيد: ٢١١ ح١.

القيامة إنّ الله على كلّ شيء شهيد﴾[١]، ﴿إنّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾[٢]. «قد زاحت عنكم الأباطيل» في (الصّحاح): (زاح الشّيء يزيح زيحاً) أي بعُد وذهب والباطل ضدّ الحقّ والجمع أباطيل على غير قياس كأنّهم جمعوا أبطيلاً[٣]....

قال تعالى: ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾[٤]، ﴿فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروجٍ من سبيل﴾[٥]، ﴿وللّذين كفروا بربّهم عذابُ جهنّم وبئس المصير * إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور * تكاد تَميّز من الغيظ كلّما اُلقي فيها فوجٌ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذيرٌ * قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيءٍ إن أنتم إلّا في ضلالٍ كبيرٍ * وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السّعير﴾[٦].

«واضمحلّت عنكم العِلل» فسّر الخوئي تبعاً وابن ميثم العلل بالأمراض النفسانيّة وهو عليل فانّ المراد بها المعاذير الباطلة[٧]، قال تعالى ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللّعنة ولهم سوء الدّار﴾[٨]، ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنّما تجزون ما كنتم تعملون﴾[٩]، ﴿فيومئذٍ لا ينفع الّذين ظلموا

---

(١) الحج: ١٧.

(٢) السجدة: ٢٥.

(٣) الصحاح: (زحح).

(٤) الأنعام: ٢٤.

(٥) غافر: ١١.

(٦) الملك: ٦ ـ ١١.

(٧) شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٠.

(٨) غافر: ٥٢.

(٩) التحريم: ٧.

معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾[١].

وروى المفيد في (أماليه) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿...فللّه الحجّة البالغة...﴾[٢]: قال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة قال تعالى للعبد أكنت عالماً؟ فان قال نعم قال له أفلا عملت؟ وان قال كنت جاهلاً قال أفلا تعلّمت حتّى تعمل فيخصمه، قال فتلك الحجّة البالغة على خلقه[٣].

«واستحقّت بكم الحقائق» في الصّحاح الحاقّة القيامة سمّيت بذلك لأنّ فيها حواقّ الامور[٤] الخ قال تعالى ﴿الحاقّةُ * ما الحاقّة * وما أدراك ما الحاقّة﴾[٥]، ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً لا يتكلّمون إلّا مَن أذن له الرّحمان وقال صواباً * ذلك اليوم الحقّ فمن شاء اتّخذ الى ربّه مآباً * إنّا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾[٦]. «وصدرت بكم الأُمور مصادرها» قال تعالى ﴿يومئذٍ يصدر النّاس اشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره * من يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[٧]. «فاتّعظوا بالعِبر» ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم ولدار الآخرة خيرٌ للّذين اتّقوا أفلا تعقلون * حتّى إذا استيأس الرُّسل وظنّوا انّهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنّجي من نشاء ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم

---

(١) الروم: ٥٧.

(٢) الأنعام: ١٤٩.

(٣) الأمالي للمفيد: ٢٣٧ ح٦.

(٤) الصحاح: (حوق).

(٥) الحاقة: ١ ـ ٣.

(٦) النبأ: ٣٨ ـ ٤٠.

(٧) الزلزال: ٦ ـ ٨.

عبرةٌ لأولي الألباب...﴾[١].

«واعتبروا بالغير» عن محمّد بن عبد الرّحمان الهاشميّ قال: دخلت على أمي يوم الأضحى فرأيت عندها امرأة في أثواب دنسة فقالت لي أمّي: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هي أمّ جعفر البرمكيّ فسلّمت عليها وقلت لها: حدّثيني ببعض أمركم. قالت: اذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر لقد هجم عليّ مثل هذا اليوم وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم انّ ابني جعفراً عاق لي وقد أتيتكم اليوم أسألكم جلد شاتين بشعار ودثار[٢]. «وانتفعوا بالنّذُر» ﴿حكمةٌ بالغةٌ فما تغن النّذر﴾[٣]، وقال تعالى مشيراً الى غرق قوم نوح ﴿ولقد تركناها آيةً فهل من مُدّكرٍ * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مُدّكرٍ﴾[٤].

١٤
الخطبة (٢١٨)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام عِنْدَ تِلاوَتِهِ ﴿يا أَيُّهَا ٱلْاِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيم﴾[٥]:

أدْحَضُ مَسْؤولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهالَةً بِنَفْسِهِ. يا أَيُّهَا ٱلْانسانُ، ما جَرَّأَكَ عَلى ذَنْبِكَ، وَما غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَما أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَما مِنْ دائِكَ بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقْظَةٌ؟ أَما تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ ما تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَرُبَّما تَرَى الضّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ،

---

(١) يوسف: ١٠٩ ـ ١١١.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٨٣.

(٣) القمر: ٥.

(٤) القمر: ١٥ ـ ١٧.

(٥) الانفطار: ٦.

أَوْ تَرَى الْمُبْتَلى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَما صَبَّرَكَ عَلى داۤئِكَ وَجَلَّدَكَ بِمُصابِكَ، وَعَزّاكَ عَنِ ٱلبُكاۤءِ عَلى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكَ! وَكَيْفَ لا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَياتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعاصِيهِ مَدارِجَ سَطَواتِهِ! فَتَداوَ مِنْ داۤءِ ٱلْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى ٱلْغَفْلَةِ فِي ناظِرِكَ بِيَقْظَةٍ، وَكُنْ لِلّٰهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً. وَتَمَثَّلْ فِي حالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلى غَيْرِهِ فَتَعالى مِنْ قَوِيٍّ ما أَكْرَمَهُ! وَتَواضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ما أَجْرَأَكَ عَلى مَعْصِيَتِهِ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُها لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُها عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُها عَنْكَ. فَما ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ! وَٱيْمُ ٱللّٰهِ لَوْ أَنَّ هذِهِ الصِّفَةَ كانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي ٱلْقُوَّةِ، مُتَوازِنَيْنِ فِي ٱلْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حاكِمٍ عَلى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلْأَخْلاقِ، وَمَساوِيءِ ٱلْأَعْمالِ. وَحَقّاً أَقُولُ! ما الدُّنْيا غَرَّتْكَ، وَلكِنْ بِها ٱغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كاشَفَتْكَ ٱلْعِظاتِ، وَآذَنَتْكَ عَلى سَواۤءٍ. وَلَهِيَ بِما تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلاۤءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ وَلَرُبَّ ناصِحٍ لَها عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصادِقٍ مِنْ خَبَرِها مُكَذَّبٌ. وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَها فِي الدِّيارِ ٱلْخاوِيَةِ، وَٱلرُّبُوعِ ٱلخالِيَةِ، لَتَجِدَنَّها مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ! وَلَنِعْمَ دارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِها داراً، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْها مَحَلّاً! وَإِنَّ السُّعَداۤءَ بِالدُّنْيا غَداً هُمُ الْهارِبُونَ مِنْها الْيَوْمَ.

إِذا رَجَفَتِ الرّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلاۤئِلِها الْقِيامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطاعٍ أَهْلُ طاعَتِهِ، فَلَمْ يَجْرِ فِي عَدْلِهِ

وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَواءِ، وَلا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إلاّ بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذاكَ داحِضَةٌ، وَعَلائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ! فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ ما يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ ما يَبْقى لَكَ مِمّا لا تَبْقى لَهُ؛ وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ؛ وَشِمْ بَرْقَ النَّجاةِ؛ وَارْحَلْ مَطايَا التَّشْمِيرِ.

أقول: قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته ﴿يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم﴾ هي الآية السادسة من سورة الانفطار وبعدها ﴿الذي خلقك فسوّاك فعدلك * في أيّ صورةٍ ما شاء ركّبك﴾[1] قال ابن أبي الحديد لقائل ان يقول لو قال بربّك العزيز أو المنتقم أو نحو ذلك كان أولى لأنّ للإنسان المعاتب أن يقول غرّني كرمك أو ما وصفت به نفسك وجواب هذا: ان يقال انّ مجموع الصّفات صار كشيء واحد وهو الكريم الّذي خلقك فسوّاك فعدلك في أيّ صورةٍ ما شاء ركّبك والمعنى ما غرّك بربٍّ هذه صفته وهذا شأنه وهو قادر على أن يجعلك في أيّ صورة شاء فما الّذي يؤمنك من أن يمسخك في صورة القردة والخنازير ونحوها من الحيوانات العُجم ومعنى الكريم هاهنا الفيّاض على الموادّ بالصّور ومن هذه صفته ينبغي أن يخاف منه تبديل الصورة[2]....

وقال الشيخ في (تبيانه): ﴿يا أيّها الإنسان﴾ خطاب بجميع النّاس من المكلّفين يقول تعالى لكلّ واحد منهم ما غرّك بربّك الكريم أي أيّ شيءٍ غرّك بخالقك حتّى عصيته في ما أمرك به ونهاك عنه والغرور ظهور أمر يتوهّم به جهلاً الأمان من المحذور تقول غرّه غروراً واغترّه اغتراراً ، قال الحارث بن حلزة (لم يغرركم غروراً ولكن رفع الال جمعهم والضحاء) والكريم القادر

---

(١) الانفطار: ٧ ـ ٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٠.

على التكرّم من غير مانع ومن هذه صفته لا يجوز الاغترار به لأنّ تكرّمه على ما تقتضيه الحكمة من مجازاة المحسن باحسانه والمسيئ باسائته وقيل غرّه جهله الوجه في طول الامهال[1].

«ادحض مسؤولٍ حجّةً» في (الصحاح): مكان دحض ودَحَض أيضاً بالتحريك زلق ودحضت حجّته دحوضاً بطلت[2]....

إنّما حذف عليه السلام المبتدء لمعلوميّته من تلاوة الآية فواضح انّ المراد الانسان المخاطب والمعاتب منه تعالى وانّما حكم عليه السلام بكونه ادحض مسئول حجّة لأنّ له تعالى الحجّة البالغة بإرسال الرّسل وانزال الكتب.

«وأقطع مغترٍّ معذرةً» قال تعالى: ﴿لا تعتذروا اليوم إنّما تجزون ما كنتم تعملون﴾[3]، ﴿يوم لا ينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللّعنة ولهم سوء الدار﴾[4].

«لقد أبرح جهالةً بنفسه» في (الجمهرة): جاء فلان بالبرح اذا جاء بالأمر العظيم ومثل للعرب اذا استعظمها الشيء قالوا: «احدى بنات برح شرك على رأسك» وبرح بي هذا الأمر اذا غلظ عليّ واشتدّ[5] ـ الى أن قال ـ وللعرب كلمتان عند الرّمي اذا أصاب قالوا مرحى واذا أخطأ قالوا برحى[6].

وقال الجوهري: يقال هذا الأمر أبرح من هذا أي أشدّ وقتلوهم أبرح قتل ولقيت منه برحاً بارحاً أي شدّة وأذى قال:

---

(١) تفسير البيان للطوسي ١٠: ٢٩١.

(٢) الصحاح: (دحض).

(٣) التحريم: ٧.

(٤) غافر: ٥٢.

(٥) جمهرة اللغة لابن دريد: ٢٧٤ (ب ح ر).

(٦) جمهرة اللغة لابن دريد: ٢٧٤ (ب ح ر).

أجـدّك هـذا عـمرك الله كـلّما دعاك الهوى برح لعينيك بارح

ولقد منه بنات برح وبنى برح ولقيت منه البرحين والبُرحين بكسر الباء وضمّها أي الشدائد والدّواهي[١]....

قال ابن أبي الحديد جهالة منصوب على التميّز وقال القطب الرّاوندي: مفعول به أي جلب جهالة الى نفسه وليس بصحيح وأبرح لا يتعدّى هاهنا انّما يتعدّى في موضعين أبـرحـته أي أعـجبه وأبـرح زيـد عـمروا أي: أكـرمه وأعظمه[٢]....

وتبعه (ابن ميثم) و الخوئي في كون جهالة تميزاً[٣].

قلت: كونه تميزاً أيضاً غير معلوم بل الظاهر كونه مـفعولاً له أي أتـى بالشّدّة لنفسه للجهالة ويمكن أن يكون مفعولاً به كما قال القطب بأن يكون معنى أبرح أعظم أي أكبر جهالة بنفسه وامّا ما قاله من انّ ابرح انّما يتعدّى في موضعين فالأصل في كلامه قول (الصّحاح) وأبرحه أي أعجبه يقال ما أبرح هذا الأمر قال الأعشى :

أقول لها حين جدّ الرّحـيل ابرحت ربّا وأبرحت جـارا

أي: أعجبت وبالغت وأبرحه أيضاً بمعنى أكرمه وأعظمه[٤]....

إلّا انّ البيت قد نقله (الجمهرة) هكذا:

تقول ابنتي حين جدّ الرّحـيل فأبرحت ربا وأبرحت جـارا[٥]

وعلى نقله يكون الخطاب في أبرحت وابرحت من بنت الأعشى له وعلى

---

(١) الصحاح: (بَرَحَ).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٣٨.

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٧٤، والخوئي ١٤: ٢٧١.

(٤) الصحاح: (بَرَحَ).

(٥) الجمهرة: ٢٧٥، والشعر للأعشى يمدح فيه قيس بن معد، ديوان الأعشى: ٧٤.

ما نقله (الصحّاح) بالعكس و(الصّحاح) قال أي أعجبت وبالغت. و(الجمهرة) قال: أي أكرمت وعظّمت. فيكون الأصل في المعنيين البيت والبيت أصله غير معلوم كما انّ ما قالاه في المعنى غير مفهوم من المقام. «يا أيُّها الإنسان ما جرأك على ذنبك وما غرّك بربّك وما أنسك بهلكة نفسك» قال ابن أبي الحديد أنّسك بالتّشديد وروى آنسك بالمدّ....

قلت: والأصل في الفقرات الثلاث بعد قوله تعالى: ﴿ما غرّك بربّك الكريم﴾ قوله تعالى: ﴿فما أصبرهم على النّار﴾[١]. «أما من دائك بلولٌ» في (الصّحاح): بلّ الرّجل من مرضه وأبلّ اذا برئ[٢]. «أم ليس من نومك» هكذا في (المصرية)[٣] والصّواب: (من نومتك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطيّة)[٤] «يقظةٌ» لنعم ما قال الحافظ الشيرازي بالفارسية :

تا كى مى صبوح و شكر خواب صبحدم

بيدار گردهان كه نماند اعتبار عمر[٥]

«أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك» وهي أولى بالرّحم لأنّها أعزّ الأنفس عند الإنسان. «فربّما ترى الضّاحي من حرّ الشّمس فتظلّه» هكذا في (المصريّتين)[٦]: «الضّاحي من حرّ الشّمس» ونقل ابن أبي الحديد و ابن ميثم: «الضّاحي بحرّ الشمس»[٧] وهو الصحيح، فالضّاحي البارز ولا يقال البارز

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٠، والآية ١٧٥ من سورة البقرة .

(٢) الصحاح: (بلل) .

(٣) المصرية المصححة [نومتك] : ٤٩١ .

(٤) ابن أبي الحديد: [نومك] ١١: ٢٣٩، وكذلك ابن ميثم في ٤: ٧٤، أما الخطية: ٢١٨ [نومتك] .

(٥) ورد الشعر في الديوان بتغيير في بعض الألفاظ مع الحفاظ على المعنى: ٢٦٣.

(٦) المصرية المصححة: ٤٠٩١ .

(٧) راجع بند (٧) من الصفحة ٥٠٢ .

من حرّ الشمس بل البارز بحرّه.

في (الصّحاح) ضحيت بالكسر عرقت وضحيت أيضاً للشّمس ضحاءً ممدود اذا برزت وضحيت بالفتح مثله والمستقبل أضحى من اللّغتين جميعاً، وفي الحديث ـ انّ ابن عمر رأى رجلاً محرماً قد استظلّ فقال اضحِ لمن أحرمت هكذا؟ يرويه المحدّثون بفتح الألف وكسر الحاء من أضحيت قال الأصمعي انّما هو إضحَ بكسر الألف وفتح الحاء من ضحيت أضحى لأنّه انّما أمره بالبروز للشّمس ومنه قوله تعالى ﴿وانّك لا تظمؤ فيها ولا تضحى﴾[1].

«أو ترى المبتلى بألمٍ يمضّ جسده فتبكي رحمةً لهُ» في (الصحاح): أمضّني الجرح إذا أوجعك وفيه لغة أُخرى مضّني الجرح ولم يعرفها الأصمعي وقال: ثعلب تقول: قد أمضّني الجرح وكان من مضى يقول مضّني بغير ألف الخ وفي الجمهرة مضّه الشيء يمضّه مضّاً وأمضّه إمضاضاً اذا بلغ من قلبه وكان أبو عمرو بن العلا يقول (مضّني) كلامٌ قديمٌ قد ترك وكأنّه أراد انّ (امضّني) هو المستعمل...[2].

«فما صبّرك على دائك» في (المصباح): صبّرت بالتثقيل حمّلته على الصّبر بوعد الأجر[3]. «وجلّدك بمصابِكَ» هكذا في (المصرية)[4] والصّواب: (على مصابِكَ) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) وفي (الخطيّة): «على مصائبك» وقال ابن أبي الحديد وروي: «وجلّدك على مصائبك»[5]...

---

(١) الصحاح (ضحا)، والآية ١١٩ من سورة طه.

(٢) الصحاح: (مضض).

(٣) المصباح المنير للفيتوري: ٤٠٠ (صبر).

(٤) الطبعة المصرية المصححة بلفظ (على مصابك): ٤٩١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد رواه على شكلين (مصابك) و (مصائبك) راجع ١١: ٢٤١، أما شرح ابن ميثم ٤: ٧٥ فذكر لفظ (بمصابك)، أما الخطية: ٢١٨ فذكر (مصائبك).

في (الصّحاح): الجلد الصّلابة والجلادة تقول منه جلد الرّجل بالضّمّ فهو جلد وجليد[١]. وأصابته مصيبة فهو مصاب، والمصاب الإصابة قال:

أسليم انّ مصابكم رجلاً ... أهدى السّلام تحيّة ظلم[٢]

«**وعزّاك عن البكاء على نفسك**» في (الصّحاح): العزاء الصّبر يقال عزيته تعزية فتعزّى[٣]. «**وهي أعزّ الأنفس عليك**» ذكروا انّ محتضراً أفاق فرأى امرأته وولده يبكون عليه فقال لامرأته: لِمَ تبكين؟ قالت : لأنّك كنت لي قيّماً وبعدك أصير أيّما فقال لولده: لِمَ تبكون؟ فقالوا: لأنّك كنت ممدّ معاشنا ومعدّ رياشنا وأثاثنا وفراشنا فقال لهم: قوموا عنّي ودعوني أبكي بنفسي على نفسي فانّكم تبكون على أنفسكم لا عليّ. «**وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمةٍ**» في (الصحاح): بيّت العدوّ أي أوقع بهم ليلاً والاسم البيات[٤]...

في (الكافي): كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا تبدين عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة ولا يأمن البيات من عمل السيّئات[٥].

وفي سورة الأعراف ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون * أفامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون﴾[٦] وفي سورة الاسراء ﴿واذا مسّكم الضُّرُّ في البحر ضلَّ من تدعون إلّا إيّاه فلّما نجّاكم إلى البرِّ أعرضتم وكان الإنسان كفوراً * أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرِّ أو يرسل عليكم

---

(١) الصحاح: (جلد).

(٢) الصحاح: (صوب).

(٣) الصحاح: (عزا).

(٤) الصحاح: (بَيَتَ).

(٥) الكافي ٣: ٣٧١ ح ٥.

(٦) الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩.

حاصباً ثمّ لا تجدوا لكم وكيلاً * أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارةً أُخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الرّيح فيغرقكم بما كفرتم ثمّ لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً ﴾[١].

«وقد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته» في (الصّحاح): قال أبو عبيد أصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها وأورطه وورّطه توريطاً أي أوقعه في الورطة فتورّط هو فيها[٢]. والمدرجة المذهب والمسلك قال ساعدة الهذلي يصف سيفاً:

ترى أثرهُ في صفحتيه كأنّه   مدارج شبثان لهنّ هميم[٣]

والسّطو القهر بالبطش والسّطوة المرّة الواحدة والجمع السّطوات... .

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: تعوّذوا بالله تعالى من سطوات الله باللّيل والنّهار قال أبو اسامة قلت له: وما سطوات الله، قال: الأخذ على المعاصي[٤]، «فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة» في (الصّحاح): الفترة: الإنكسار والضعف، وعزمت على كذا عزماً وعُزماً (بالضّمّ) وعزيماً اذا أردت فعله وقطعت عليه[٥]... .

والفترة داء دويّ والعزيمة شفاء جليّ، ومنشأ ترك الواجبات وارتكاب المحرّمات داء الفترة، قال تعالى: ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾[٦]، كما انّ السّبب في تجرّي العوام على الفجور فترة الخواصّ في الأمر والزّجر. «ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظةٍ» في (الصّحاح): الكرى: النُّعاس

---

(١) الاسراء: ٦٧ ـ ٦٩.

(٢) الصحاح: (ورط).

(٣) الصحاح: (درج).

(٤) الكافي ٣: ٣٧١ ح٦.

(٥) الصحاح: (فتر).

(٦) طه: ١١٥.

تقول منه كرى الرّجل بالكسر كرى فهو كر وامرأة كريه على فعلة قال:

لا يشتملّ ولا يكرى مجالسها ولا يملّ من النّجوى مناجيها[١]

والناظر في المقلة السّواد الأصغر الّذي فيه انسان العين. «وكن لله مطيعاً» ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[٢]. «وبذكره انساً» ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[٣]. «وتمثّل في حال تولّيك عنه إقباله عليك» تمثّل أي: اجعل ذلك ممثّلاً عندك. «يدعوك الى عفوه» ﴿ويعفو عن السيّئات...﴾[٤]. «ويتغمّدك بفضله» في (الصحاح): الغمد غلاف السيف وتغمّده الله برحمته غمره بها[٥]. «وأنت متولٌ عنه الى غيره» في (مصباح الشيخ) في أدعية نوافل ليالي القدر بعد السّتين منها: فلم أرَ مولىً كريماً أصبر على عبدٍ لئيمٍ منك عليّ ياربّ إنّك تدعوني فأولّي عنك وتتحبّب إليّ فأتبغّض اليك وتتودّد إليّ فلا أقبل منك كأنّ لي التّطوّل عليك فلم يمنعك ذلك من الرّحمة بي والاحسان إليّ والتفضّل عليّ بجودك وكرمك....

ومثله دعاء كلّ ليلة منه المعروف بالافتتاح. «فتعالى من قويٍّ ما أكرمه» ﴿عالم الغيب والشّهادة الكبير المتعال﴾[٦]. «وتواضعت من ضعيفٍ ما أجرأك على معصيته» تواضعت هنا للتعجّب كتعالى أي: هو تعالى أيّ متعالٍ قويّ مع ذاك الكرم وأنت أيها الإنسان أيّ وضيع ضعيف مع هذه الجرأة. «وأنت في كنفِ ستره مقيمٌ» في (الصّحاح): الكَنَف بالتّحريك الجانب والكنيف حظيرة

---

(١) الصحاح: (كرا).

(٢) الأحزاب: ٧١.

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) الشورى: ٢٥.

(٥) الصحاح: (غمد).

(٦) الطوسي، مصباح المتهجدين، والآية ٩: من سورة الرعد.

الساتر ويسمّى الترس كنيفاً لأنّه يستتر ومنه قيل للمذهب كنيف والكنيف حظيرة من شجر يجعل للابل[١]...

روى (الخصال) عن أبي جعفر عليه السلام يقول تعالى: يا ابن آدم تطوّلت عليك بثلاث سترت عليك ما لو يعلم به أهلك ما واروك وأوسعت عليك فاستقرضت منك فلم تقدّم خيراً وجعلت لك نظرة عند موتك في ثلثك فلم تقدّم خيراً[٢]. «وفي سعة فضله متقلّبٌ» ﴿...وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً...﴾[٣].

«فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره» روي عنه عليه السلام: لو تكاشفتم ما تدافنتم. وفي (الكافي) عن أبي الحسن عليه السلام: انّ لله تعالى منادياً ينادي مهلاً مهلاً! عباد الله عن معاصي الله فلولا بهائم رتّع، وصبيّة رضّع، وشيوخ ركّع، لصبّ عليكم صبّاً ترضّون به رضّاً[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما من عبد إلّا وعليه أربعون جنّة حتّى يعمل أربعين كبيرة فاذا عمل أربعين كبيرة انكشف عنه الجنن فيوحي تعالى اليهم ان استروا عبدي بأجنحتكم فيستره الملائكة بأجنحتها فما يدع شيئاً من القبيح إلّا قارفه حتّى يمتدح الى الناس بفعله القبيح فتقول الملائكة يا ربّ هذا عبدك ما يدع شيئاً إلّا ركبه وانّا لنستحيي ممّا يصنع فيوحى الله تعالى اليهم ان ارفعوا بأجنحتكم عنه فاذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينهتك ستره في السّماء وستره في الأرض فتقول الملائكة: ياربّ هذا عبدك قد بقى مهتوك السّتر فيوحي تعالى اليهم لو كان لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا

---

(١) الصحاح: (كنف).

(٢) الخصال للصدوق: ١٣٦ ح ١٥٠.

(٣) لقمان: ٢٠.

(٤) الكافي ٣: ٣٧٨ ح ٣١.

أجنحتكم عنه[١] «بل لم تخل من لطفه مطرف عينٍ» مطرف عين أي طرفة عين وفي الصّحاح الطّرف العين ولا يجمع لأنّه في الأصل مصدر فيكون واحداً وجماعة قال تعالى ﴿ولا يرتد اليهم طرفهم...﴾[٢] وطرف بصره يطرف طرفاً اذا أطبق أحد جفنيه على الآخر الواحدة من ذلك طرفة يقال أسرع من طرفة عينٍ[٣]....

«في نعمةٍ يحدثُها لك أو سيّئةٍ يسترها عليك أو بليّةٍ يصرفها عنك» «في نعمة» متعلّق بقوله «من لطفه»؛ وفي (الخصال) عن أبي جعفر عليه السلام: العبد بين ثلاثة بلاءٍ وقضاءٍ ونعمةٍ فعليه من البلاء من الله الصّبر فريضة وعليه في القضاء من الله التّسليم فريضة وعليه في النّعمة من الله عزوجل الشّكر فريضة[٤].

«فما ظنّك به لو أطعته» ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء والأرض...﴾[٥] «وأيم الله» في (الصحاح): أيمن الله اسم وضع للقسم وربّما حذفوا منه النّون وقالوا: أيم الله وإيم الله بكسر الهمزة وربّما حذفوا منه الياء وقالوا: إم الله وربّما أبقوا الميم وحدها مضمومة فقالوا مُ الله ثم يكسرونها لانها صارت حرف واحداً فيشبهونها بالباء فيقولون مِ اللّه وربّما قال مَنُ الله بضمّ الميم والنّون ومَنَ الله بفتحهما ومِنِ الله بكسرهما وقال أبو عبيد وكانوا يحلفون باليمين يقولون يمين الله لا أفعل ثمّ يجمع اليمين على أيمن ثمّ حلفوا به فقالوا أيمن الله لأفعلنّ كذا فهذا هو الأصل في ايمن الله ثمّ كثر

(١) الكافي ٣: ٣٨١ ح٩.

(٢) إبراهيم: ٤٣.

(٣) الصحاح: (طَرَفَ).

(٤) الخصال للصدوق: ٨٦ ح١٨.

(٥) الأعراف: ٩٦.

هذا في كلامهم وخفّف على ألسنتهم حتّى حذفوا منه النّون[١]... «لو أنّ هذه الصّفة» أي تولّيك واقباله. «كانت في متّفقين في القوّة» كملكين مثلين أو سوقتين متكافيين «متوازيين في القدرة» قال ابن أبي الحديد: وروى (متوازنين) بالنون[٢]. «لكنتَ أوّل حاكمٍ على نفسك بذميم الأخلاق ومساوي الأعمال» في (الصحاح): ساءه يسوءه سوءً بالفتح ومسائة ومسائية نقيض سرّه والاسم السّوء بالضّمّ تقول رجل سوء بالإضافة ورجل السوء قال الأخفش ولا يقال الرّجل السّوء ويقال الحقّ اليقين وحقّ اليقين لأنّ السّوء ليس بالرّجل واليقين هو الحقّ ولا يقال هذا رجل السّوء بالضّمّ ابن السكيت سؤت به ظنّاً وأسأ به الظّنّ يثبتون الألف إذا جاؤا بالألف واللّام، قال سيبويه سألت الخليل عن سؤته سوائيه فقال هي فعالية بمنزلة علانية والّذين قالوا سوايه حذفوا الهمزة وأصله الهمز وسألته عن مسائيه فقال مقلوبة وأصلها مساوئه فكرهوا الواو مع الهمزة والّذين قالوا مسايه حذفوا الهمزة تخفيفاً وقولهم الخيل تجري على مساوئها أي انّها وان كانت بها أوصاب وعيوب فانّ كرمها يحملها على الجري[٣].

«وحقّاً أقول ما الدُّنيا غرّتك ولكن بها اغتررت» يعني عليه السلام انّ اسناد الغرّ الى الدّنيا بأنّ الدّنيا غرّت فلاناً اسناد مجازيّ وحقيقته انّ النّاس يغترّون بها فيقال مجازاً انّ الدّنيا غرّتهم ومثل هذا المجاز كثير في الكلام كقوله تعالى ﴿ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس...﴾[٤].

وفي الحقيقة ما ذرأهم لجهنّم بل ليعبدوه ويدخلهم جنّته إلّا انهم لمّا

(١) الصحاح: (يمن).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٠.

(٣) الصحاح: (سوأ).

(٤) الأعراف: ١٧٩.

يعملون أعمالاً يؤديّهم الى جهنّم فكأنّهم ذرئوا لها وكقوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وَحَزَناً...﴾[١]، وما التقطوه لذلك إلّا انّه لمّا أدّى الى ذلك كأنّهم التقطوه لذلك وكقولهم (لِدُوا للموت وابنوا للخراب). **«ولقد كاشفتك العظات»** قال تعالى: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدَّكِرٍ﴾[٢] قال ابن أبي الحديد: العظات منصوب على حذف الخافض، أي: كاشفتك بالعظات وروى العظات بالرّفع على انّه فاعل وروى كاشفتك الغطاء، قلت الوجه النّصب لأنّ قوله بعد «وآذنتك» أي: الدّنيا، يدلّ على انّ المراد هنا أيضاً انّ الدّنيا كاشفة بمواعظها الحاليّة التي فوق المقاليّة لأنّ في المقال يجيء الكذب ولا يجيء في الحال[٣].

وفي (الصّحاح): كاشفة بالعداوة أي: باداه بها[٤] **«وآذنتك على سواءٍ»** الأصل فيه قوله تعالى: ﴿فإن تولّوا فقل آذنتكم على سواء﴾[٥] في (الصحاح) تقول آذنته اذا أصبت اذنه وآذنتك بالشيء أعلمتكه[٦] والسّواء العدل قال تعالى: ﴿فانبذ إليهم على سواءٍ...﴾[٧]. **«ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنّقص في قوّتك أصدق وأوفى من أن تُكذّبك أو تُغرّك»** ﴿إنّما مثل الحياة الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام حتّى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها انّهم قادرون عليها اتاها أمرنا

---

(١) القصص: ٨.

(٢) القمر: ٥١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٠.

(٤) الصحاح: (كَشَفَ).

(٥) الأنبياء: ١٠٩.

(٦) الصحاح: (أذن).

(٧) الأنفال: ٥٨.

ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يتفكّرون﴾[١].

«ولربّ ناصحٍ لها عندك متّهمٌ وصادقٍ من خبرها مكذّبٌ» طبيعة الإنسان اتّهام ناصحه إذا نصحه بما لم يوافق هواه ويكذّب المخبر اذا لم يخبره بما يهواه؛ ذكر (الطبري) في غزوة بدر: أنّ المسلمين أصابوا قبل التقاء الجيشين راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجّاج وعريض غلام بني العاص فأتوا بهما النبيّ ﷺ والنبيّ قائم يصلّي فسألوهما فقالا نحن سقاة قريش بعثونا لنسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلّما اذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما ثمّ سلّم النبيّ ﷺ فقال: اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموها صدقا والله انّهما لقريش[٢].

«ولئن تعرّفتها في الدّيار الخاوية» في (الصحاح): قوله تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾[٣] أي خالية ويقال ساقطة كما قال ﴿...فهي خاويةٌ على عروشها...﴾[٤] أي ساقطة على سقوفها[٥]. «والربوع الخالية» في (الصحاح): الرّبع الدّار بعينها حيث كانت وجمعها رباع وربوع وارباع وأربع والرّبع المحلّة[٦].

في (ذيل الطبري) في (الشعبي) قال محمّد بن أبي أُميّة أصاب اليمن

(١) يونس: ٢٤.

(٢) الطبري ٢: ١٤٢.

(٣) النمل: ٥٢.

(٤) الحج: ٤٥.

(٥) الصحاح: (خوا).

(٦) الصحاح: (ربع).

مطر فجحف السّيل موضعاً فأبدى عن أزج عليه باب من حجارة فكسر الغلق فاذا بهوّ عظيم فيه سرير من ذهب واذا عليه رجل طوله اثني عشر شبراً وعليه جباب من وشي منسوجة بالذّهب والى جنبه محجن من ذهب على رأسه ياقوتة حمراء وإذا رجل أبيض الرأس واللّحيه له ضفران والى جنبه لوح مكتوب فيه بالحمرانية: باسمك اللّهمّ ربّ حمير انا حسّان بن عمرو القيل إذ لا قيل إلّا الله عشت بأمل ومتّ بأجل أيام وخزهيد هلك فيه اثنى عشر ألف قيل وكنت آخرهم وأتيت جبل ذي شعبين ليجيرني من الموت فأخفرني»[١].

«لتجدنّها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلّة الشفيق عليك» في (المصباح): اشفقت من كذا حذرت وأشفقت على الصّغير عنوت وعطفت[٢].

وفي (الصحاح): أشفقت فأنا مشفق وشفيق[٣]... .

في (صفين نصر بن مزاحم) في شخوص أمير المؤمنين عليه السلام: ثمّ مضى نحو ساباط حتى انتهى الى مدينة نهر سير واذا رجل من أصحابه يقال له حريز بن سهم بن طريف من بني ربيعة بن مالك ينظر الى آثار كسرى وهو يتمثّل بقول ابن يعقوب التميمي:

جرت الرّياح على مكان ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعاد

فقال علي عليه السلام أفلا قلت: ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ * وزورعٍ ومقامٍ كريم * ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين * فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[٤]. انّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين انّ هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية،

---

(١) ذيل التاريخ للطبري ٨: ١٢٣ .

(٢) المصباح المنير للفيتوري: ٣٨٢ (شفق) .

(٣) الصحاح: (شَفَقَ) .

(٤) الدخان: ٢٥ ـ ٢٩ .

إيّاكم وكفر النّعم لا تحلّ بكم النقم...»[١]. «والشحيح بك» في (الصحاح) الشّحّ البخل مع حرص تقول شحِحت بالكسر وشحَحت أيضاً تشحّ وتُشحّ ورجل شحيح وقوم شحاح وأشحّة وفلان يشحّ على فلان أي يضيّن به[٢]، «ولنِعم دار من لم يرض بها داراً ومحلُّ مَن لم يوطنها محلّاً» ﴿يا قوم إنّما هذه الحياة الدُّنيا متاعٌ وإنَّ الآخرة هي دار القرار﴾[٣]، ﴿وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[٤]. «وانّ السُعداء بالدُّنيا هم الهاربون منها اليوم» ﴿إنَّ الّذين هم من خشية ربِّهم مشفقون * والّذين هم بآيات ربِّهم يؤمنون * والّذين هم بربِّهم لا يشركون * والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ انّهم إلى ربّهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٥].

«إذا رَجَفت الرّاجِفةُ» في سورة النازعات ﴿يوم ترجف الرّاجفة * تتبعها الرّادفة * قلوبٌ يومئذٍ واجفةٌ * أبصارها خاشعةٌ﴾[٦].

قال القمّي في (تفسيره): ترجف الرّاجفة أي: تنشقّ الأرض بأهلها[٧].

وفي (الصحاح): الرّجفة: الزلزلة، والرّجّاف البحر سمّى به لاضطرابه[٨]، «وحقّت بجلائلها القيامة» في (الصّحاح) حقّ الشّيء يحقّ بالكسر أي وجب[٩]....

(١) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٤٣.

(٢) الصحاح: (شحح).

(٣) غافر: ٣٩.

(٤) العنكبوت: ٦٤.

(٥) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

(٦) النّازعات: ٦ ـ ٩.

(٧) تفسير القمي ١: ٤٠٣.

(٨) الصحاح: (رجف).

(٩) الصحاح: (حقق).

والجلائل جمع جليلة وهي كلّ صفة عظيمة شديدة ولا وجه لاقتصار الصحاح فيه على معنى الثّمام فقال الجليل الثّمام وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت، قال :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة   بمكّة حولي أذخر وجليل

الواحدة جليلة والجمع جلائل قال: يلوذ بجنبي مرخة وجلائل[١]....

قال تعالى: ﴿يا أيها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة السّاعة شيء عظيمٌ * يوم ترونها تذهل كلّ مرضعةٍ عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حملٍ حملها وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾[٢].

وروى الخطيب في عرفة بن يزيد انّ نافع بن الأزرق جاء الى ابن عبّاس فقال له اخبرني عن قوله تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرُّسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا...﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿ونزعنا من كُلِّ أُمّةٍ شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلِموا انّ الحقّ لله...﴾[٤] فكيف علموا وقد قالوا لا علم لنا، قال له واخبرني عن قوله تعالى: ﴿ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿لا تختصموا لديَّ...﴾[٦]، فكيف يختصمون وقد قال لا تختصموا لديّ، قال له واخبرني عن قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم...﴾[٧]، فكيف شهدوا وقد ختم على الأفواه، فقال له: إنّ للقيامة أحوالاً

---

(١) الصحاح: (جلل).

(٢) الحج: ١ ـ ٢.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣٠٢ (٦٧٤٨)، والآية ١٠٩ من سورة المائدة.

(٤) القصص: ٧٥.

(٥) الزمر: ٣١.

(٦) ق: ٢٨.

(٧) يس: ٦٥.

وأهوالاً وفظائع وزلازل وذهلت الامّهات عن الأولاد وقذفت الحوامل ما في البطون وسجّرت البحار ودكدكت الآكام ولم يلتفت والد الى ولد ولا والدة الى ولد وجيء بالجنّة يلوح فيها قباب الدّرّ والياقوت حتى تنصب عن يمين العرش ثم جيء بجهنّم يقاد بسبعين ألف زمام من حديد ممسك بكلّ زمام سبعون ألف ملك[١]....

«ولحق بكلّ منسكٍ أهله» في (الصّحاح) المنسك العبادة والنّاسك العابد والنّسيكة الذّبيحة والجمع نسك ونسّاك تقول منه نسك فيه ينسك والمنسِك والمنسَك الموضع الّذي تذبح فيه النّسائك وقرئَ بهما قوله تعالى ﴿لكلّ أُمةٍ جعلنا منسكاً هم ناسكوه...﴾[٢]....

قلت: ظاهره اختصاص المنسك والمناسك بموضع الذّبائح مع انّ المناسك تجيء لمطلق عبادات الحجّ ومطلق ما في العبادات قال تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً...﴾[٣]، وقال تعالى حكاية عن ابراهيم: ﴿ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أُمّةً مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التّواب الرحيم﴾[٤]، وكذلك المنسك يجيء لمطلق العبادة كما في قوله تعالى ﴿لكلّ أُمّةٍ جعلنا منسكاً هم ناسكوه...﴾[٥] ومثله كلامه عليه السلام الذي أصله الآية فالمراد به انّه لحق بكلّ شريعة وملّة أهله فمن كان شرعه شرع الله لحق به ومن كان شرعه عن غير الله لحق به أيضاً، قال تعالى ﴿احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣٠٢.

(٢) الصحاح: (نسك)، والآية ٦٧ من سورة الحج.

(٣) البقرة: ٢٠٠.

(٤) البقرة: ١٢٨.

(٥) الحج: ٦٧.

فاهدوهم الى صراط الجحيم﴾[١].

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد في شرح كلامه عليه السلام والمنسك الموضع الذي تذبح فيه الذبائح وهي ذبائح القربان[٢]... فأيّ ربط لذلك بكلامه لكن سبب خبطه اقتصار الصحاح على ذاك المعنى، **«وبكلّ معبودٍ عبدته»** قال ابن أبي الحديد فان قلت فاذا كان يلحق بكلّ معبود عبدته فالنّصارى إذن يلحق بعيسى عليه السلام والغلاة بعليّ عليه السلام وأجاب بأنّ المراد ان يؤمر الاتباع في الموقف بالتحيّز الى الجهة التي فيها الرؤساء ثمّ يقال للرّؤساء أهؤلاء عبدتكم فحينئذٍ يتبرّؤن منهم فينجو الرّؤساء ويهلك الاتباع كما قال سبحانه ﴿أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون﴾...[٣].

وهو كما ترى.

«وبكلّ مطاعٍ أهل طاعته» ﴿وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السّبيلا * ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾[٤].

«فلم يجر في عدله وقسطه يومئذٍ خرق بصرٍ في الهواء ولا همس قدمٍ في الأرض إلّا بحقّه» قال ابن أبي الحديد: اختلفت الرّواة في (يجر) فرواه قوم يجرِ مضارع جرى فيكون المعنى فلم يكن ولم يتجدّد في ديوان حسابه ذلك اليوم صغير ولا حقير إلّا بالحقّ والإنصاف وهذا مثل قوله تعالى: ﴿...لا ظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب﴾[٥]. ورواه قوم (يَجُز) مضارع جاز أي لم يسغ ولا

(١) الصافات: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٢، والآيتان ٤٠ ـ ٤١ من سورة سبأ.

(٤) الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨.

(٥) غافر: ١٧.

يرخص ذلك اليوم لأحد من المكلّفين في حركة من الحركات المحقّرات المستصغرات إلّا إذا كانت قد فعلها بالحقّ ورواها قوم فلم يجر من جار أي عدل عن الطّريق أي لم ذهب عنه سبحانه شيء من محقّرات الأُمور إلّا بحقّه إلّا ما لا فائدة في اثباته نحو الحركات المباحة والعبثيّة التي لا تدخل تحت التكليف[١]....

قلت: الأخير بلا وجه لأنّه لا معنى لأن يقال لم يكن يومئذٍ جور إلّا بحقّه، قال ابن أبي الحديد: أيضاً. قال الرّاوندي: «خرق بصر» مرفوع لأنّه اسم ما لم يسمّ فاعله ولا أعرف لهذا الكلام معنى[٢].

قلت: الظّاهر أنّ الراوندي قرأ لم يجز مجهولاً من الجزاء نظير قوله تعالى ﴿...هل يجزون إلّا ماكانوا يعملون﴾[٣] وهو الأقرب من سائر ما ذكر ومعنى «خرق بصر في الهواء» ممّره فيه وهمس قدم في الأرض أخفى ما يكون من صوت القدم قال تعالى ﴿...فلا تسمع إلّا همساً﴾[٤].

«فكم حجّة يوم ذاك داحضةٌ» في (الصحاح): دحضت حجّة دحوضاً بطلت[٥]....

قال تعالى: ﴿والذين يحاجّون في الله من بعدما استجيب له حجّتهم داحضةٌ عند ربّهم وعليهم غضبٌ ولهم عذابٌ شديدٌ﴾[٦].

«وعلائق عذرٍ منقطعةٌ» قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظّالمين معذرتهم ولهم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢١٨.

(٣) الأعراف: ١٤٧.

(٤) طه: ١٠٨.

(٥) الصحاح: (دحض).

(٦) الشورى: ١٦.

اللّعنة ولهم سوءُ الدّار﴾[١]. «فتحرّمن أمرك ما يقوم به عذرك» في (الصحاح): يقال هو حرىً أن يفعل بالفتح أي: خليق وجدير لا يثنّى ولا يجمع واذا قلت هو حرٍ بكسر الرّاء أو حريّ على فعيل ثنّيت وجمعت ومنه اشتقّ التحريّ في الأشياء وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غلبة الظنّ[٢]. «وتثبتُ به حجّتك» ﴿وإذ قال اللّه يا عيسى بن مريم أأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأُمّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقٍّ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علّام الغيوب * ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربّي وربّكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلّما توفّيتني كنت أنت الرّقيب عليهم وأنت على كلّ شيءٍ شهيدٌ * إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وان تغفر لهم فانّك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها...﴾[٣].

وفي (الكافي) عن النبيّ ﷺ يؤتى يوم القيامة برجل فيقال له: احتجّ فيقول ياربّ خلقتني وهديتني وأوسعت عليّ فلم ازل أوسّع على خلقك وأيسّر عليهم لكي تنتشر عليّ هذا اليوم رحمتك وتيسّره فيقول الرّب جلّ ثناؤه صدق عبدي ادخلوه الجنّة[٤].

«وخذ ما يبقى لك ممّا لا تبقى له» ﴿ما عندك ينفد وما عند الله باقٍ...﴾[٥]، ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...﴾[٦]. «وتيسّر لسفرك» في (الصحاح):

---

(١) غافر: ٥٢.

(٢) الصحاح: (حرا).

(٣) المائدة: ١١٦ ـ ١١٩.

(٤) الكافي ٤: ٤٠ ح٨.

(٥) النحل: ٩٦.

(٦) الأنعام: ٩٤.

تيسّر لفلان الخروج واستيسر له بمعنى، أي: تهيأ[١]....

قال تعالى: ﴿ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ...﴾[٢]. «وشتم برق النّجاة» في (الصحاح): في وشم أو شم البرق: لمع لمعاً خفيفاً قال أبو زيد: هو أوّل البرق حين برق. وقال في شيم شمت فحائل الشيء اذا تطلعت نحوها ببصرك منتظراً لها وشمت البرق اذا نظرت الى سحابه أين تمطر[٣]....

ومثله القاموس[٤]، وأظنّ ذكره في وشم وهماً، ولم يذكر (الجمهرة) و(المصباح)[٥] نظر البرق إلّا في شيم ولفظه عليه السلام أيضاً من شيم لكن ان صحّ ما قال (الصحاح) فأوشم لمعانه في نفسه وشام، نظر الانسان اليه اين يكون وكيف كان، قال تعالى: ﴿ياأيها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيّبةً في جنّات عدنٍ ذلك الفوز العظيم﴾[٦].

«وأرحل مطايا التّشمير» في (الصّحاح): رحلت البعير أرحله رحلاً اذا شددت على ظهره الرّحل، قال الأعشى:

رحلت سميّة غدوة احمالها غضبي عليك فما تقول بدالها[٧]

وقال المثقب العبدي:

---

(١) الصحاح: (يسر).

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) الصحاح: (وشم).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (وشم).

(٥) الجمهرة: (شيم): ٨٢٢، والمصباح للفيتوري (شيم): ٣٩٩.

(٦) الصف: ١٠ ـ ١٢.

(٧) الصحاح: (رحل) والبيت في الديوان: ١٤٤ في مدح قيس بن معد.

اذا مـا قـمت ارحـلها بـليل تأوّه آهة الرجل الحزين[١]

وفي (المصباح): المطا وزان العصا: الظّهر؛ ومـنه قـيل للـبعير مـطيّة (فعيله) لأنّه يركب مطاه ذكراً كان أو أُنثى ويجمع على مطايا[٢] والتشّمير في الأمر: السّرعة فيه والخفّة ومنه قيل شمّر في العبادة اذا بلغ واجتهد وشـمّر ثوبه رفعه...

وروى ابن بابويه عن سفيان بن عـيينة قـال: رأى الزّهـري عـليّ بـن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحـطب وهـو يـمشي فقال له يابن رسول الله ما هذا؟ قال أُريد سفراً اعتدّ له زاداً الى موضـع حريز فقال الزّهري فهذا غلامي يحمله عنك فأبى، قال أفأحمله عنك؟ فإني أرفعك عن حمله فقال عليه السلام: لكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري ويحسن ورِدي على ما أرد عليه اسألك بحقّ الله لما مضيت لحاجتك! وتركتني فانصرف عنه فلّما كان بعد أيّام قال له يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السّفر الذي ذكرته أثراً قال: بلى يا زهري! ليس ما ظننته ولكنّه الموت وله استعدّ وانّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل النّدى[٣].

١٥
من الخطبة (١٧١)

فَإِذا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ: (يَا بْنَ آدَمَ اِعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قاصِدٌ) أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُـغْفَرُ، وَظُـلْمٌ لَا يُـتْرَكُ، وَظُـلْمٌ

---

(١) الصحاح: (رحل).

(٢) المصباح: (مطل) ٢٧٤.

(٣) علل الشرائع للصدوق: ٢٣١ ح ٥.

مَغْفُورٌ، لَا يُطْلَبُ. فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ ٱللهُ ﴿إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدى وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ مَعَهُ، ذٰلِكَ. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللهِ، فَإِنَّ جماعةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ ٱلْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِي مَا تُحِبُّونَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ. وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضى، وَلَا مِمَّنْ بَقِي.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ (طُوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ)، وَطُوبى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَٱشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكى عَلى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ.

أقول: أمّا قوله عليه السلام «فاذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه وإذا رأيتم شرّاً فاذهبوا عنه»» فقد قال تعالى ﴿تعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتّقوا الله انّ الله شديد العقاب﴾[1].

وقال الشاعر:

الخير يبقى وان طال الزّمان به   والشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

«فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشّرّ فاذا انت جوادٌ قاصدٌ» الجواد يأتي لمعان، قال في (الصحاح): جاد الرّجل بماله ويجود فهو جواد وكذلك امرأة جواد قال:

صناع باشفاها حصان بشكرها   جواد بقوت البطن والعرق زافر

وتقول: سرنا عقبة جواداً أي: بعيدة وجاد الفرس أي: صار رائعاً يجود جودة بالضّمّ فهو جواد للذّكر والأُنثى من خيل جياد وأجياد وأجاويد...[2].

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) الصحاح: (جود).

والمراد منه هنا الأخير وكذلك قاصد يأتي لمعانٍ، قال في (الصحاح): أيضاً القاصد القريب يقال: بيننا وبين الماء ليلة قاصدة أي: هيّنة السّير لا تعب فيه، ولا بطؤ، والقصد: بين الاسراف والتّقتير، والقصد: العدل...[١].

ويمكن إرادة كلّ منها، ويمكن أن يكون كلامه عليه السلام إشارة الى قوله تعالى ﴿انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[٢].

وروى (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الشّمس لتطلع ومعها أربعة أملاك مَلَك ينادي ياصاحب الخير أتمّ وابشر وملك ينادي يا صاحب الشّرّ انزع واقصر وملك ينادي اعط منفقاً طلفا وات ممسكاً تلفاً وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض[٣].

«ألا وانّ الظّلم ثلاثةٌ فظلمٌ لا يغفر وظلمٌ لا يترك وظلمٌ مغفورٌ لا يطلب» ورواه (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً.

«فأمّا الظُّلم الّذي لا يغفر فالشّرك بالله» جعل عليه السلام الشّرك من الظّلم لقوله تعالى ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله انّ الشّرك لظلمٌ عظيم﴾[٤] وورد في الخبر: أنّ الشّرك شرك جليّ وشرك خفيّ والرّياء من الشرك الخفي[٥].

كما انّ المنافق كالمشرك لايغفر تعالى له فقال لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿...ان تستغفر لهم سبعين مرّةً فلن يغفر الله لهم ذلك بأنّهم كفروا بالله ورسوله والله

---

(١) الصحاح: (قصد).

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) الكافي ٤: ٤٢ ح١.

(٤) الكافي ٤: ٢٣ ح١، والآية ١٣ من سورة لقمان.

(٥) نقل العياشي في تفسيره ما يشابهه ٢: ٣٥٢، ونقله المجلسي في البحار ٨١: ٣٤٨.

لا يهدي القوم الفاسقين﴾[١].

«قال الله إنّ الله لا يغفر ان يُشرك به» قال تعالى ذلك في موضعين من سورة النساء الأول في الآية (٤٨) ﴿إنَّ الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ والثاني في الآية (١١٦) ﴿إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾.

«وأمّا الظلم الّذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات» في (الصحاح): في فلان هنات أي: خصلات شرّ ولا يقال ذلك في الخير[٢].

وفي (اللّسان) ما معناه: منهم من يقول أصل هن هنو وتصغيره هُنَيّ، ومنهم من يقول أصله هنّ وتصغيره هُنَين والجمع هنات، قال الكميت:

وقالت لي النّفس اشعب الصّدع واهتبل
لإحدى الهنات المعضلات اهتبالها

وفي حديث سطيح (ثمّ تكون هنات وهنات) أي شدائد وأُمور عظام...[٣].

﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم...﴾[٤]، ﴿والذين اذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذّنوب إلّا الله ولم يصّروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[٥]، ﴿الّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم إنّ ربّك واسع المغفرة...﴾[٦].

---

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) الصحاح: (هَنَا).

(٣) لسان العرب ١٥: ٢١٠.

(٤) النساء: ٣١.

(٥) آل عمران: ١٣٥.

(٦) النجم: ٣٢.

والمراد بقوله عليه السلام «عند بعض الهنات» وقوع العصيان منه غفلةً ثمّ يتذكّر فوراً كما هو مفاد تلك الآيات وامّا من يعص قصداً ويصرّ فهو ممّن قال تعالى ﴿بلى من كسب سيّئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون﴾[١] وانّما هو ظلم العبد نفسه لا ربّه لأنّه تعالى قال ﴿يا أيُّها الناس انّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدُّنيا ثمّ الينا مرجعكم فننبّئكم بما كنتم تعملون * إنّما مثل الحياة الدُّنيا[٢]...﴾.

وفي (الكافي) عن الصّادق والكاظم عليهما السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله: من أصبح لا يهمّ بظلم أحد غفر الله له ما اجترم[٣].

«وأمّا الظُّلم الذي لا يُترك فظلم العباد بعضهم بعضاً» روى (الكافي) عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام مبتدئاً (من ظلم سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه فقال فانّ الله تعالى يقول ﴿وليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذُرّيّةً ضعافاً خافوا عليهم فليتّقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[٤].

وعنه عليه السلام: أوحى الله تعالى الى نبيّ من الأنبياء في مملكة جبّار أن ائته وقل له: انّي لم استعملك على سفك الدّماء واتّخاذ الأموال وانّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين وانّي لم أدع ظلامتهم وان كانوا كفّاراً[٥].

«القصاص هناك شديدٌ» روى (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من خاف

---

(١) البقرة: ٨١.

(٢) يونس: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) الكافي ٤: ٢٥ ح٨.

(٤) الكافي للكليني ٤: ٢٦ ح١٣، والآية ٩ من سورة النساء.

(٥) الكافي ٤ ٢٧ ح١٤.

القصاص كفّ عن ظلم النّاس[١].

«ليس هو جرحاً بالمدى» في (الصحاح) المُدية ـ بالضّمّ ـ: الشفرة وقد تكسر والجمع مديات ومدى[٢].

«ولا ضرباً بالسّياط» في (الصحاح) السّوط الّذي يضرب به والجمع أسواط وسياط[٣].

وفي (وزراء الجهشياري) قلّد يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة العراق فلّما صار اليه عزم على الجباية فخاف مكان صالح بن عبد الرحمن عند يزيد فقال لكاتبه هل الى صالح من سبيل قال: لا، الاّ أن تظلمه قال: وكيف لي بظلمه، قال: كان رفع الى يزيد بن المهلّب ستّمأة ألف درهم ولم يأخذ منه بها براءة فكتب ابن هبيرة الى يزيد انّ بي الى صالح حاجة فان رأى ان يوجّهه اليّ فعل فدعا يزيد بصالح فأخبره فقال والله ما به اليّ حاجة ولقد تركت العراق ولو أتاه أبكم أكمه عرف ما فيه فأنفذه اليه فلّما وصل الى ابن هبيرة أمر به فعذّب فكان كلّما عذّب بضرب من العذاب قال هذا القصاص قد كنت أُعذّب الناس بمثل هذا حتّى عذّب بضرب منه كان يدعى الفزاديّة كان اياس بن معاوية دلّ ابن هبيرة عليه فقال صالح هذا ما لم أُعذّب به فلّما ألحّ ابن هبيرة على صالح بالعذاب جاء جبلة بن عبد الرّحمن وجبهان بن محرز والنّعمان السّكسكي وقالوا نحن نضمن صالحاً وما عليه فقال لهم الكاتب احضروا المال فدخل الكاتب على ابن هبيرة فأعلمه فلم يخرج اليهم حتّى أمسوا وانصرفوا وأصبح صالح ميتاً[٤].

---

(١) الكافي ٤: ٣٠ ح٢٣.

(٢) الصحاح: (مدا).

(٣) الصحاح: (سَوَطَ).

(٤) الكتاب والوزراء للجهشياري: ٥٨.

«ولكنّه ما يستصغر ذلك معه» قال ابن أبي الحديد قال الأوزاعي للمنصور روي لي عن النبيّ ﷺ لو أنّ ثوباً من ثياب أهل النّار علّق بين السماء والأرض لأحرق أهل الأرض قاطبة فكيف بمن يتقمّصه ولو انّ ذنوباً من حميم جهنّم صبّ على ماء الأرض كلّه لآجنه حتّى لا يستطيع مخلوق شربه فكيف بمن يتجرّعه ولو انّ حلقة من سلاسل النّار وضعت على جبل لذاب كما يذوب الرّصاص فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه[1].

أبو سعيد الخدري مرفوعاً: لو ضرب جبال الدّنيا بمقمع من تلك المقامع من الحديد لصارت غباراً[2].

وقال الحسن البصري: الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النّار انّهم أعجزوا الرّبّ ولكن اذا طغا بهم اللّهب أرسبتهم في النّار قال ثمّ خرّ الحسن صعقاً وقال ودموعه تتحادر يا بن آدم نفسك فانّما هي نفس واحدة ان نجت نجوت وان هلكت لم ينفعك من نجا والله ما يقدر العباد قدر حرّها ولو انّ رجلاً كان بالمشرق وجهنّم بالمغرب ثم كشف عن غطاء واحد منها لغلت جمجمته ولو انّ دلواً من صديدها صبّ في الأرض مابقي على وجهها شيء فيه روح إلّا مات[3].

طاووس أيّها النّاس انّ النّار لمّا خلقت طارت أفئدة الملائكة فلّما خلقتم سكنت[4].

مطرف بن الشّخير: انكم لتذكرون الجنّة وانّ ذكر النّار قد حال بيني وبين أن أسأل الله الجنّة[5].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣٥.

(٢) المصدر نفسه ١٠: ٣٦.

(٣ ـ ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣٦.

(٥) المصدر نفسه ١٠: ٣٧.

قلت: وفي دعاء كميل: (وهذا ما لاتقوم له السماوات والأرض فكيف بي وأنا عبدك الضعيف الذّليل الحقير المسكين المستكين)[١].

وروى (عقاب الأعمال) عن عيص بن العاصم قال: ذكر عند أبي عبدالله عليه السلام قاتل الحسين عليه السلام فقال بعض أصحابه كنت أشتهي أن ينتقم الله منه في الدّنيا فقال كأنّك تستقلّ له عذاب الله وما عند الله أشدّ عذاباً وأشدّ نكالاً[٢].

«فأيّاكم والتّلوّن في دين الله» في (الصحاح): فلان متلوّن اذا كان لا يثبت على خلق واحد ...

قال الجاحظ في (سفيانيّته) كما نقل عنه (ابن أبي الحديد) في موضع آخر: قال عمر للزّبير بعد جعله من احدى ستّة الشورى: امّا أنت فوعقة لقس مؤمن الرّضا كافر الغضب يوماً إنسان ويوماً شيطان ولعلّها لو أفضت اليك ظلّت يومك تلاطم بالبطحاء على مدمن شعير أفرأيت أن أفضت اليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً اماماً ومن تكون يوم تغضب اماماً الخ ولتلوّنه في دين الله يوماً حارب عن أمير المؤمنين عليه السلام ويوماً حاربه ويوماً قال لا أبايع غيره يوماً كان أوّل من نكث بعد بيعته[٣].

«فإنّ جماعةً فيما تكرهون من الحقّ خيرٌ من فرقةٍ فيما تحبّون من الباطل»

﴿قل تعالوا اتل ما حرّم ربّكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ ذلكم وصّاكم به لعلّكم

---

(١) عباس القمي، مفاتيح الجنان، دعاء كميل بن زياد: ١١٥ .

(٢) عقاب الأعمال للصدوق: ٢٥٧ ح ١ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥ .

تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلّف نفساً إلّا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون﴾[١]، ﴿وانَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون﴾[٢].

«وإنَّ الله سبحانه لم يُعط أحداً بفرقةٍ خيراً ممّن مضى ولا ممّن بقى» ﴿شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا اليك وما وصّينا به ابراهيم وموسىوعيسى ان أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب﴾[٣].

«يا أيُّها النّاس طوبى لِمن شغله عيبه عن عيوب النّاس» في الخبر قال عزّوجلّ لموسى عليه السلام يا موسى احفظ وصيّتي لك بأربعة أوّلهنّ ما دمت لا ترى ذنوبك قد غفرت فلا تشتغل بعيب غيرك والثّانية ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتمّ بسبب رزقك والثّالثة ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحداً غيري والرّابعة ما دمت لم تر الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره[٤].

«وطوبى لمن لَزِمَ بيته وأكل قوته» قال (ابن أبي الحديد): قال النبيّ صلى الله عليه وآله ان الله يحبّ التقيّ النّقيّ الخفيّ[٥] وكان يقال: الاستيناس بالنّاس من علامات الافلاس[٦].

---

(١) الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) الشورى: ١٣.

(٤) الخصال ١: ١٠٣، والبحار ١٣: ٣٤٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٠: ٤٢.

(٦) المصدر نفسه ١٠: ٤٤.

«واشتغل بطاعة ربّه وبكى على خطيئته» قال ابن أبي الحديد قيل لبعضهم ما أصبرك على الوحدة؟ فقال لست وحدي، أنا جليس ربّي اذا شئت ان يناجيني قرأت كتابه واذا شئت أن أُناجيه صلّيت[١].

وقال النبيّ ﷺ لعبد الله بن عامر الجهني لمّا سأله عن طريق النّجاة، يسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك على خطيئتك[٢].

وقيل للحسن هاهنا رجل لم نره قطّ جالساً إلّا وحده خلف سارية فقال اذا رأيتموه فأخبروني فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن فمضى نحوه فقال ما يمنعك من مجالسة النّاس؟ قال أمر شغلني عنهم، قال: فما يمنعك أن تأتي هذا الرّجل الّذي يقال له الحسن، فتجلس اليه قال: أمر شغلني عن النّاس وعن الحسن قال وما ذاك؟ قال إنّي أصبح وأمسي بين نعمة وذنب، فاشغل نفسي بشكر الله على نعمه والاستغفار من ذنوبي فقال له الحسن: أنت أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه[٣].

«فكان من نفسه في شغلٍ والنّاس منه في راحةٍ» قال ابن أبي الحديد: قال الفضل اذا رأيت اللّيل مقبلاً فرحت به وقلت اخلو بربّي واذا رأيت الصّبح أدركني استرجعت كراهيّة لقاء النّاس وان يجيئ إليّ من يشغلني عن ربّي[٤].

قال ابن أبي الحديد كلامه عليه السلام تختلف مناهجه رجّح هنا العزلة على المخالطة وكلامه عليه السلام في دخوله على العلاء بن زياد الحارثي عائداً نهى عن العزلة ويجب أن يحمل ذلك على انّ من النّاس من العزلة خير له من المخالطة ومنهم من هو بالضّدّ من ذلك...[٥].

---

(١) المصدر نفسه ١٠: ٤٢.

(٢) المصدر نفسه ١٠: ٣٧.

(٣ ـ ٤) شرح ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٠: ٤٣.

(٥) المصدر نفسه ١٠: ٥٢.

قلت: بل كلامه عليه السلام متّفق الأطراف ولم ينه العلاء عن العزلة وانّما كان العلاء ترك أهله وولده ولهم حقوق وترك الاكتساب له ولهم وهو واجب وكلامه عليه السلام وارد في التنكّب عن مخالطة أهل الدّنيا الّذين دأبهم النّفاق ويلزمه الاشتغال بذكر عيوب النّاس وترك عبادة الله تعالى والمخاصمة مع عباده.

١٦

الخطبة (٢٠)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام:

فَإِنَّ ٱلْغايَةَ أَمامَكُمْ وَإِنَّ وَراءَكُمْ السّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفَّفُوا، تَلْحَقُوا فَإِنَّما يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

أَقُولُ: إِنَّ هذَا الْكَلامَ لَوْ وُزِنَ بَعْدَ كَلامِ ٱللهِ سُبْحانَهُ وَبَعْدَ كَلامِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وآله بِكُلِّ كَلامٍ لَمالَ بِهِ راجِحاً وَبَرَّزَ عَلَيْهِ سابِقاً فَأَمّا قَوْلُهُ عليه السلام تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَما سُمِعَ كَلامٌ أَقَلُّ مِنْهُ مَسْمُوعاً وَلا أَكْثَرُ مَحْصُولاً وَما أَبْعَدَ غَوْرَها مِنْ كَلِمَةٍ وَأَنْقَعَ نُطْفَتَها مِنْ حِكْمَةٍ وَقَدْ نَبَّهْنا فِي كِتابِ (الْخَصائِص) عَلى عِظَمِ قَدْرِها وَشَرَفِ جَوْهَرِها.

الخطبة (١٦٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام فِي أَوَّلِ خِلافَتِهِ:

إِنَّ ٱللهَ تَعالى أَنْزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا. ٱلْفَرائِضَ ٱلْفَرائِضَ! أَدُّوها إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحَرَمِ كُلِّها، وَشَدَّ بِالْاخْلاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعاقِدِها. فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلا يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إِلَّا بِما يَجِبُ. بادِرُوا

أَمْرَ ٱلعامَّةِ وَخاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ، فَإِنَّ النّاسَ أَمامَكُمْ، وَإِنَّ السّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّما يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبادِهِ وَبِلادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتّى عَنِ ٱلْبِقاعِ وَٱلْبَهائِمِ. وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَلا تَعْصُوهُ، وَإِذا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

أقول: قد تبيّن لك من جمعنا بين الخطبتين انّ الأصل في الأولى ذيل الأخيرة مع يسير اختلاف ولم يتفطّن لذاك المصنّف حتّى لا ينقل الأولى أو يعتذر في الثّانية بإعادتها لاختلافها اليسير، ثمّ انّ الأصل في الثانية رواية (الطبري) قال: كتب إليّ السّدّي عن شعيب عن سيف عن سليمان بن أبي المغيرة عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: أوّل خطبة خطب عليّ عليه السلام قال حمد الله وأثنى عليه، فقال: انّ الله عزّوجلّ ... وزاد في آخره ﴿واذاكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض...﴾[1].

قوله عليه السلام في الثانية: «إنّ الله أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ» ﴿هذا بيانٌ للنّاس وهُدىً وموعظةٌ للمتّقين﴾[2]، ﴿كتابٌ فُصّلت آياته قُرآناً عربيّاً لقومٍ يعلمون * بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾[3]، ﴿الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويُبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات انّ لهم أجراً حسناً * ماكثين فيه أبداً * وينذر الّذين قالوا اتّخذ الله ولداً﴾[4].

«فخذوا نهج الخير تهتدوا» ﴿اتّبعوا ما أُنزل اليكم من ربّكم ولا تتّبعوا من

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٥٧، والآية ٢٦ من سورة الأنفال.

(٢) آل عمران: ١٣٨.

(٣) فصلت: ٣ ـ ٤.

(٤) الكهف: ١ ـ ٤.

دونه أولياء قليلاً ما تذكّرون﴾[١].

«واصدفوا عن سمت الشرّ تقصدوا» في (الصحاح): صدف عنّي أي أعرض[٢] والسّمت: الطّريق والقصد العدل، قال:

على حكم المأتيّ يوماً اذا قضى ... قضيّته ألّا يجور ويقصد

قال الفرّاء رفعه للمخالفة لأنّ معناه مخالف لما قبله فخولف بينهما في الإعراب[٣].

«الفرائض الفرائض أدوّها إلى الله تؤدّكم الى الجنّة» في الخبر أعبد النّاس من أقام الفرائض[٤].

«إنّ الله حرّم حراماً غير مجهولٍ وأحلَّ حلالاً غير مدخولٍ» ﴿ويحلّ لهم الطّيبات ويُحرّم عليهم الخبائث﴾[٥]، ﴿لا تحرّموا طيّبات ما أحَلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين * وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً واتّقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون﴾[٦].

وانّما وصف عليه السلام الحرام بكونه غير مجهول لأنّ كلّ شيء لك حلال حتّى تعرف الحرام بعينه فتدعه وذلك فيما لم يكن علم إجمالي، ووصف الحلال بكونه غير مدخول لأنّه انّما أحلّ حلالاً لم يدخل فيه الحرام فيحرم الحلال أيضاً معه كما لو علم الحرام تفصيلاً معيّناً وقال ابن أبي الحديد ذكر عليه السلام انّ الحرام غير مجهول للمكلّف بل معلوم والحلال غير مدخول أي لا

---

(١) الأعراف: ٣.

(٢) الصحاح: [صدف].

(٣) الصحاح: (قصد).

(٤) الأمالي للصدوق: ٢٧ ح ٤.

(٥) الأعراف: ١٥٧.

(٦) المائدة: ٨٧ ـ ٨٨.

عيب ولا نقص فيه ... وتبعه باقي الشّراح[١]. وهو كما ترى.

«وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها قال ابن أبي الحديد لفظ الخبر النبويّ حرمة المسلم فوق كلّ حرمة دمه وعرضه وماله[٢].

قلت: وروى ابن سعد في (طبقاته) عن نبيط بن شريح الأشجعي قال انّي لرديف أبي في حجّة الوداع إذ تكلّم النبيّ صلى الله عليه وآله فقمت على عجز الرّاحلة ووضعت رجلي على عاتقي أبي فسمعته يقول أيّ يوم أحرم؟ قالوا هذا اليوم قال فأيّ شهر أحرم قالوا هذا الشهر قال فأيّ بلد أحرم؟ قالوا هذا البلد قال فانّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا هل بلّغت؟ قالوا اللّهمّ نعم قال اللّهمّ اشهد اللّهمّ اشهد اللّهمّ اشهد[٣].

وروى خبر آخر بمضمونه وفي أوّله وقف يوم النحر بين الجمرات، وفي آخره ثمّ ودّع النّاس، فقالوا هذه حجّة الوداع[٤].

وخبر آخر وزاد في ذيله ألا لا ترجعنّ بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[٥].

«وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها» في (الصحاح) شدّه أي: أوثقه يشُدّه يشِده أيضاً وهو من النّوادر، قال الفرّاء ما كان على فعلت من ذوات التضعيف غير واقع فانّ يفعل منه مكسور العين مثل عففت أعِفّ وما كان واقعاً مثل رددت ومددت فانّ يفعل منه مضموم إلّا ثلاثة أحرف جاءت نادرة وهي شدّه يشُدّه يشِده وعلّه يعُلّه ويعِلّه من العلل وهو الشّرب الثاني ونمّ الحديث ينُمّه وينِمّه[٦] وقال عقدت البيع والحبل والعهد، والمعاقد

(١ ـ ٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٩.

(٣ ـ ٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٣٢ طبع (ليدن).

(٦) الصحاح: (شدد).

مواضع العقد ...

والظّاهر انّ المراد بالإخلاص والتوحيد كلمة الاسلام الموجب لحقن المال والدّم قال تعالى ﴿ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السّلام لستَ مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدُّنيا...﴾[١] قال القمّي لمّا رجع النبيّ صلى الله عليه وآله من غزاة خيبر بعث اسامة بن زيد في خيل الى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم الى الاسلام وكان رجل منهم يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى فلّما أحسّ بخيل النبيّ صلى الله عليه وآله جمع أهله وماله في ناحية الجبل فأقبل يقول اشهد ان لا إله إلّا الله وانّ محمّداً رسول الله فمرّ به اسامة بن زيد فطعنه فقتله فلما رجع الى النبيّ صلى الله عليه وآله قال له قتلت رجلاً شهد ألّا إله إلّا الله وانّي رسوله فقال انما قالها تعوّذاً من القتل فقال صلى الله عليه وآله أفلا كشفت الغطاء عن قلبه لا ما قاله بلسانه قبلت ولا ما كان في نفسه علمت فحلف بعد ذلك اسامة الّا يقتل أحداً شهد ألّا إله إلّا الله وانّ محمّداً رسوله فتخلّف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه لذلك، فأنزل تعالى في ذلك ﴿ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السّلام لستَ مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدُّنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبيّنوا إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾[٢].

«فالمسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده إلّا بالحقّ» قالوا وهو نظير قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ﴾[٣].

«ولا يحلُّ أذى المسلم إلّا بما يجب» قال تعالى ﴿وجزاء سيّئةٍ سيئةٌ مثلها...﴾[٤]، ﴿والحرمات قصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما

---

(١) النساء: ٩٤.

(٢) تفسير القمي ١: ١٤٨.

(٣) الأنعام: ١٥١.

(٤) الشورى: ٤٠.

اعتدى عليكم واتّقوا الله واعلموا انّ الله مع المتّقين﴾[١].

«بادروا أمر العامّة وخاصّة أحدكم وهو الموت» قال ابن أبي الحديد أمر بمبادرة الموت وسمّاه الواقعة العامّة لانّه يعمّ الحيوان كلّه ثمّ سمّاه خاصّة أحدكم لأنّه وان كان عامّاً إلّا انّ له مع كلّ انسان خصوصيّة زائدة على ذلك العموم...

قلت: تفسيره في غاية البعد بل الظاهر من قوله عليه السلام «بادروا أمر العامّة» المبادرة في أمر عامّة المسلمين بإصلاح شؤونهم وقضاء حوائجهم[٢].

وفي الخبر: ليس منّا من لم يهتمّ بأمور المسلمين[٣].

قوله هنا: «فإنّ النّاس أمامكم وانّ الساعة تحدوكم من خلفكم» وقوله في الاولى، «فإنّ الغاية أمامكم وإنّ وراءكم السّاعة تحدوكم» الأصل فيهما واحد قطعاً وفي أحدهما تصحيف ونقله في (الخصائص): «فخلفكم السّاعة تحدوكم»[٤].

وقال ابن أبي الحديد في قوله هنا: «فانّ النّاس أماكم» وروى: «فانّ البأس أمامكم»[٥] يعني الفتنة.

قلت: لو صحّ البأس بالباء من أين انّ المراد به الفتنة؟ ولعلّ المراد به العذاب فيكون مساوقاً لقوله: «فانّ الغاية أمامكم» وقال ابن ميثم في قوله: «فانّ الغاية أمامكم» الغاية: الثّواب والعقاب ويحتمل ارادة الموت به، وقال الرّاوندي: يعني انّ الجنّة والنّار خلفكم ومعنى وراءكم السّاعة أي: قدّامكم،

---

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٩.

(٣) الرواية كما في الكافي ٢: ١٦٣ ونقلها المجلسي في البحار ٧٤: ٣٣٧: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».

(٤) الخصائص: ١١٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٠.

ولقائل أن يقول امّا الوراء بمعنى القدّام فقد ورد ولكن ما ورد امام بمعنى خلف ولا سمعنا ذلك....

قلت: امام ضدّ وراء فكما اعترف بأنّ وراء يجيئ بمعنى القدّام لذكر الصّحاح له لابدّ انّ امام أيضاً يجييء بمعنى الخلف والتّحقيق انّهما ضدّان وليس لكلّ منهما إلّا معنى واحد إلّا انّهما لما كانا أمرين اعتباريّين يصحّ التّعبير في شيء واحد بكليهما فيمكن أن نقول انّ الجنّة والنار قدّامنا وان نقول انّهما خلفنا فمن حيث نسير اليهما بأعمالنا وأعمارنا فهما قدّامنا ومن حيث انّا في الدّنيا وهما في القيامة فهما خلفنا كما ان الساعة اي القيامة كذلك إلّا انّه لو أراد الاعتراض على الرّاوندي لكان الاعتراض على قوله وراءكم يعني قدّامكم أولى لأنّ قوله تحدوكم قرينة على انّ المراد بوراء الخلف فانّ الحادي للإبل يكون خلفه قال الجوهري الحدو سوق الإبل والغناء لها ... فاذا شبّهت بالحادي لابدّ أن تكون من خلف وحينئذٍ فامام بمعناه الأصلي فقد لوحظ سير النّاس اليهما وعلى ما في أصل الثّانية «فانّ النّاس أمامكم» فلا يصحّ اعتبار غير القدّام ولعلّه الأنسب بالفقرتين بعد لا سيّما الثانية «فانّما ينتظر بأوّلكم آخركم».

«تخفّفوا تلحقوا» في (كشكول البهائي) عن (المحاسن): وقع حريق في المدائن فأخذ سلمان سيفه ومصحفه وخرج من الدّار، وقال هكذا ينجو المخفّون[1].

وفي (الاستيعاب): دخل قوم على سلمان وهو أمير المدائن وهو يعمل الخوص فقيل له: لِمَ تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق؟ فقال: انّي أحبّ أن

---

(١) الكشكول للبهائي ١: ٣٢٣.

آكل من عمل يدي[١].

وفي (ذيل الطبري) عن الحسن قال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان على ثلاثين ألفاً من النّاس يخطب في عباية يفترش ويلبس فضلها وكان اذا خرج عطاه أمضاه وأكل من سفيف يده[٢].

وروى (الكافي) عن ابن أبي يعفور قال قال أبو عبدالله عليه السلام انّ فقراء المؤمنين يتقلّبون في رياض الجنّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ثمّ قال سأضرب لك مثلاً انّما مثل ذلك مثل سفينتين مرّ بهما على عاشر فنظر في أحديهما فلم ير فيها شيئاً فقال اسربوها ونظر في الأُخرى فاذا هي موقرة فقال احبسوها[٣].

وعن سعدان عنه عليه السلام: أنّ الله تعالى يلتفت يوم القيامة الى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر اليهم فيقول وعزّتي ما افقرتكم في الدّنيا من هوانٍ بكم عليّ ولترون ما أصنع بكم اليوم فمن زوّدكم في دار الدّنيا معروفاً فخذوا بيده وادخلوه الجنّة فيقول رجل منهم ياربّ انّ أهل الدّنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ولبسوا الثياب اللّيّنة وأكلوا الطعام وسكنوا الدّور وركبوا المشهور من الدوّاب فاعطني مثل ما أعطيتهم فيقول تعالى ولكلّ عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدّنيا منذ كانت الدّنيا الى ان انقضت الدّنيا سبعون ضعفاً[٤].

وعن هشام عنه عليه السلام اذا كان يوم القيامة قام عنق من النّاس حتّى يأتوا باب الجنّة فيقال لهم من أنتم؟ فيقولون نحن الفقراء فيقال لهم اقبل الحساب؟

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٦٣٥.

(٢) تاريخ الطبري، ذيل التاريخ ٨: ٣٣.

(٣) الكافي ٣: ٣٥٩ ح١.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٣٦١ ح٩.

فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه فيقول تعالى صدقوا؛ ادخلوا الجنّة[١]. «فانّما يُنتظر بأوّلكم آخركم» ليس تفريعاً على خصوص (تخفّفوا تلحقوا) بل على (وانّ وراءكم السّاعة تحدوكم) (وان السّاعة تحدوكم من خلفكم) خصوصاً أو مع (تخفّفوا تلحقو)، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام عجباً لقوم حبس أوّلهم عن آخرهم ثمّ نودي فيهم بالرّحيل وهم يلعبون[٢].

وعنه عليه السلام قال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون ربّنا أقم لنا السّاعة وانجز لنا ما وعدتنا والحق آخرنا بأوّلنا[٣].

قال: وأرواح المشركين في النّار يعذّبون يقولون ربّنا لا تقم لنا السّاعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأوّلنا[٤].

«اتّقوا الله في عباده وبلاده» في سورة القصص آية (٨٣) ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمُتّقين﴾، ﴿وفرعون ذي الأوتاد * الّذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصبّ عليهم ربّك سوط عذابٍ * إنَّ ربّك لبالمرصاد﴾[٥].

إنّكم مسؤلون حتّى عن البقاع» روى (الكافي): أنّ أبا الحسن عليه السلام اشترى داراً وأمر مولى له أن يتحوّل إليها وقال انّ منزلك ضيّق فقال قد أحدث هذه الدّار أبي فقال عليه السلام ان كان أبوك أحمق ينبغي أن تكون مثله[٦].

---

(١) الكافي ٣: ٢٦٤ ح١٩.

(٢) الكافي ٣: ٢٥٨ ح٢٩.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٢٤٤ ح٤.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٢٤٥ ح١.

(٥) الفجر: ١٠ ـ ١٤.

(٦) الكافي ٣: ٢٥٨ ح٢٩.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله من بات على سطح غير محجّر فأصابه شيء فلا يلومنّ إلّا نفسه(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام ﴿إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين﴾(٢) ـ الى أن قال ـ فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمرها وليؤدّ خراجها الى الامام من أهل بيتي وله ما أكل منها فان تركها أو أخربها فأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمّرها وأحياها فهو أحقّ بها من الّذي تركها...(٣).

«والبهائم» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: للدّابّة على صاحبها ستّة حقوق، لا يحمّلها فوق طاقتها ولا يتّخذ ظهرها مجلساً يتحدّث عليه ويبدأ بعلفها اذا نزل ولا يمسّها ولا يضربها في وجهها فانّها تسبّح ويعرض عليها الماء اذا مرّ به(٤).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله اضربوها على النّفار ولا تضربوها على العثار(٥).

«وأطيعوا الله ولا تعصوه» ﴿ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى به عليماً﴾(٦)، ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخِله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين﴾(٧).

---

(١) المصدر نفسه ١: ٤٠٧ ح١.

(٢) الأعراف: ١٢٨.

(٣) الكافي ٦: ٥٣٠ ح٢.

(٤) المصدر نفسه ٦: ٥٣٧ ح١.

(٥) المصدر نفسه ٦: ٥٣٨ ح٧.

(٦) النساء: ٦٩ ـ ٧٠.

(٧) النساء: ١٤.

«واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشرّ فاعرضوا عنه» ﴿فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فيُنبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[١]، ﴿فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[٢].

قول المصنّف «قال الشريف» هكذا في (المصرية) ليس الكلام من المصنف بل الشرّاح فليس في (الخطّية) أصلاً وفي (ابن ميثم) «قال السّيّد» وفي ابن أبي الحديد: «قال الرضي».

أقول: هكذا في (المصرية) والصّواب: (وأقول) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم.

«انّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه» وفي (الخطيّة): «تعالى».

وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد) وبعد كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وفي ابن ميثم وكلام رسوله صلى الله عليه وآله.

«بكلّ كلامٍ لمال به راجحاً» يعني لو وضع كلامه صلى الله عليه وآله في كفّة ميزان وكلام كلّ أحد غير الله ورسوله في كفّة أُخرى لمال هذا الكلام به راجحاً أي أشالت كفّة كلامه عليه السلام لكفّة كلام غيره ورفعتها، شبّه كلامه عليه السلام وكلام غيره بمتاعين وضعا في كفّتين.

«وبرّز عليه سابقاً» برّز بالتشديد قال في (الصّحاح): برّز الرّجل فاق على أصحابه وكذلك الفرس إذا سبق...[٣].

شبّه كلامه عليه السلام وكلام غيره بفرسين تسابقا وانّ كلامه عليه السلام السّابق في المضمار.

---

(١) المائدة: ٤٨

(٢) الزلزال: ٧ ـ ٨.

(٣) الصحاح: (بَرَز).

«فما سُمِعَ كلامٌ أقلّ منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً» أي: أقلّ لفظاً وأكثر معنى نظير قول النبيّ صلى الله عليه وآله خير الأمور أوسطها.

«وما أبعد غورها من كلمةٍ» أي: يبعد الوصول الى قعرها، شبّه كلامه عليه السلام ببحرٍ بعيد القعر لا يوصل اليه، وفي (الصّحاح) غور كلّ شيءٍ قعره[1].

«وانقطع نطفتها من حكمةٍ» في (الصحاح) نقع الماء العطش نقعاً ونقوعاً أي: سكّنه ويقال شرب حتّى نقع أي: شفى غليله والنّطفة الماء الصّافي قلّ أو كثر[2].

«وقد نبّهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها»[3]، قال ابن ميثم: وما أقلّ هذه الكلمة وأكثر نفعها وأعظم قدرها وأبعد غورها وأسطع نورها[4].

١٧
الخطبة (٤١)

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ ما اخَافُ عَلَيْكُمْ اِثْنانِ: اِتِّباعُ الْهَوى وَطُولُ الأَمَلِ؛ فَأَمّا اِتِّباعُ الْهَوى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ أَلا وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْوَلَّتْ حَذّآءَ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْها إِلَّا صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الْانآءِ اصْطَبَّها صابُّها. أَلا وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُما بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنآءِ الآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الدُّنْيا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ

---

(١) الصحاح: (غَوَرَ).

(٢) الصحاح: (نَقَعَ).

(٣) الخصائص للرضي: ١١٢.

(٤) شرح شرح ابن ميثم ١: ٣٣٠.

سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسابَ، وَغَدًا حِسابٌ وَلا عَمَلَ.

قالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ الْحَذّآءُ السَّرِيعَةُ وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَرْوِيهِ جَذّاءَ.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في أوّل كتابه (صفين) مع زيادات روى عن عمر ابن سعد الأسدي عن الحارث بن حضيرة عن عبد الرّحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره قالوا لمّا قدم عليّ عليه السلام من البصرة الى الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ستّ وثلاثين استقبله أهل الكوفة وفيهم قرّآئهم وأشرافهم فدعوا له بالبركة وقالوا له أين تنزل أتنزل القصر؟ فقال لا ولكن أنزل الرّحبة فنزلها وأقبل حتّى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثمّ قال ـ امّا بعد يا أهل الكوفة فانّ لكم في الاسلام فضلاً ما لم تبدّلوا وتغيّروا دعوتكم الى الحقّ فأجبتم وبدئتم بالمنكر فغيّرتم الّا انّ فضلكم في ما بينكم وبين الله فامّا في الأحكام والقسمة فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه الّا انّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وامّا طول الأمل فينسي الآخرة إلّا انّ الدّنيا قد ترحلّت مدبرة والآخرة قد ترحلّت مقبلة ولكلّ واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل الحمد لله الذي نصر وليّه[1]...

ورواه المفيد في (أماليه) مرّتين الأولى في مجلسه (٢٣) باسناد له ذكره في أوّله عن عليّ بن مهزيار عن عاصم عن فضيل الرّسّان عن يحيى بن عقيل قال: قال عليّ عليه السلام: انّما أخاف عليكم اثنتين اتّباع الهوى وطول الأمل فامّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وامّا طول الأمل فينسي الآخرة ارتحلت الآخرة مقبلة

---

(١) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٣.

وارتحلت الدّنيا مدبرة ولكلٍ بنون فكونوا من بني الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل[١].

ورواه في مجلسه (٤١) عن الجعابي عن محمّد بن الوليد عن عنبر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الطّفيل قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول انّ أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتّباع الهوى فامّا طول الأمل فيُنسي الآخرة وامّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ألا وانّ الدّنيا قد تولّت مدبرة والآخرة قد أقبلت مقبلة ولكلّ واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا فانّ اليوم عمل ولا حساب والآخرة حساب ولا عمل[٢].

ورواه الكليني في (كافيه) في باب اتّباع الهوى عن الحسين بن محمّد عن المعلّى بن محمّد عن الوشا عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل قال قال أمير المؤمنين عليه السلام انّما أخاف عليكم اثنتنان اتّباع الهوى وطول الأمل امّا اتّباع الهوى فانّه يصدّ عن الحقّ وامّا طول الأمل فانّه يُنسي الآخرة[٣].

ورواه (الخصال) مثله مسنداً عن سليم[٤].

ورواه الكليني في (روضته) عن القمّي عن أبيه بن حمّاد عن عيسى عن ابراهيم بن عثمان عن سليم بن قيس قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال ألا انّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان اتّباع الهوى وطول الأمل اما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة ـ الى أن قال ـ ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا فانّ اليوم عمل ولا حساب وانّ غداً حساب ولا عمل وانّما بدء وقوع

---

(١) الأمالي للمفيد: ٢٠٧ ح٤١ و: ٣٤٥ ح١.

(٢) الأمالي للمفيد: ٢٠٧ ح٤١.

(٣) الكافي ٤: ٣١ ح٣.

(٤) الخصال: ٥١ ح٦٣.

الفتن أهواء تتّبع[١]....

ومثله في (كتاب سليم بن قيس) ورواه (تحف العقول) جزء خطبة الدّيباج الى قوله: «وطول الأمل»[٢].

وعن (مناقب ابن الجوزي) خطبة تعرف بالبالغة: روى ابن أبي ذئب عن أبي صالح العجلي قال شهدت أمير المؤمنين كرّم الله وجهه وهو يخطب فقال بعد أن حمد الله تعالى وصلّى على رسوله: أيّها النّاس انّ الله تعالى أرسل اليكم رسولاً ليربح به عليكم ويوقظ به غفلتكم وانّ أخوف ما أخاف اتّباع الهوى وطول الأمل امّا اتّباع الهوى فيصدّكم عن الحقّ وامّا طول الأمل فينسيكم الآخرة ألا وانّ الدّنيا قد ترحّلت مدبرة وانّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة ولكلّ واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا فانّ اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل واعلموا انّكم ميّتون ومبعوثون من بعد الموت ومحاسبون على أعمالكم[٣] ﴿فلا تغرّنّكم الحياوةُ الدُّنيا ولا يَغُرَّنّكم بالله الغرور﴾[٤]....

وممّا نقلنا من أسانيده يعمل تواتره ولكن رواه (الخصال) باسنادين عاميين عن جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله ولا غرو فانّ الأصل في كلامهما واحد.

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام» هكذا في (المصرية) والصّواب[٥]: (ومن خطبة له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٦].

---

(١) الكافي ٨: ٥٨ ح٢١.

(٢) ابن شعبة الحراني: ١٥٢ ـ ١٥٣، وكتاب سليم بن قيس: ٣٠.

(٣) نقله المجلسي في بحار الأنوار ٧٧: ٢٩٧.

(٤) لقمان: ٣٣.

(٥) الطبعة المصرية: ١٤٦، والخطية: ٣٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١٨ ح٤٢، وشرح ابن ميثم (ومن كلام له) ٢: ١٠٦ ح٤١، والخطية: ٣٣.

قوله عليه السلام «أيّها النّاس إنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان» هكذا في (المصريتين) وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم)، والخوئي «إثنتان»[١] وهو الصحيح، فانّ القاعدة في مثله التأنيث لأنّ المراد خصلتان وخلّتان قال:

وقالوا لنا ثنتان لابدّ منهما صدور رماح أشرعت أو سلاسل[٢]

وقد صرّح بالخلّتين في رواية سليم.

هذا، وقال عليه السلام انّهما أخوف ما يخاف على النّاس لأنّ هلاك أكثرهم بهما

«إتّباع الهوى» ﴿ولو اتّبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السّماوات والأرض ومن فيهنّ...﴾[٣]، ﴿...ولئن اتّبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليٍّ ولا نصيرٍ﴾[٤]، ﴿...ولئن اتّبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم إنّك إذاً لمن الظالمين﴾[٥]، ﴿...قُل لا اتّبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين﴾[٦]، ﴿قل فأتوا بكتابٍ من عند الله هو أهدى منهما اتّبعه ان كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لك فاعلم انّما يتّبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدىً من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٧]، ﴿أفمن كان على بيّنةٍ من ربّه كمن زُيّن له سوء عمله واتّبعوا أهواءهم﴾[٨]، ﴿...أولئك

(١) المصرية المصححة بلفظ (اثنتان) : ١٤٦، وشرح ابن ميثم (إثنان) ٢: ١٠٦، وشرح ابن أبي الحديد والخطية كما ذُكر.

(٢) العين للفراهيدي ١: ٢٥٣.

(٣) المؤمنون: ٧١.

(٤) البقرة: ١٢٠.

(٥) البقرة: ١٤٥.

(٦) الأنعام: ٥٦.

(٧) القصص: ٤٩ ـ ٥٠.

(٨) محمّد: ١٤.

الّذين طبع الله على قلوبهم واتّبعوا أهواءهم﴾[١].

«وطـول الأمـل» ﴿ذرهـم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾[٢]، «فاما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ» قال تعالى لداود ﴿يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله...﴾[٣]، وقال لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتّبعها ولا تتّبع أهواء الّذين لا يعلمون * إنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعضٍ والله وليّ المتّقين﴾[٤].

قال ابن أبي الحديد اذا تأمّلت هلاك من هلك من المتكلّمين كالمجبرة والمرجئة مع ذكائهم وفطنتهم واشتغالهم بالعلوم عرفت انّه لا سبب لهلاكهم إلّا هوى الأنفس وحبّهم الانتصار للمذهب الّذي قد ألفوه وقد راسوا بطريقه وقد صارت لهم الاتباع والتلامذة وأقبلت الدّنيا عليهم وعدّهم السّلاطين علماء ورؤساء فيكرهون نقض ذلك كلّه وإبطاله فيحبّون الانتصار لتلك المذاهب والآراء التي نشأوا عليها وعرفوا بها ووصلوا الى ما وصلوا بطريقها ويخافون الانتقال عن المذهب وان يشتفي منهم الخصوم ويقرعهم الاعداء ومن أنصف علم انّ الّذي ذكرناه حقّ ومازال الهوى مردياً قتّالاً ولهذا قال سبحانه ﴿ونهى النّفس عن الهوى...﴾[٥]، وقال صلى الله عليه وآله ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى متّبع واعجاب

(١) محمّد: ١٦.

(٢) الحجر: ٣.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) الجاثية: ١٨ ـ ١٩.

(٥) النازعات: ٤٠.

المرء بنفسه[١]...[٢].

قلت: وفي ذيل الخطبة على رواية سليم وانّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع وأحكام تبتدع يخالف فيها حكم الله يتولّى فيها رجال رجالاً....

«وامّا طول الأمل فيُنسي الآخرة» ونسيان الآخرة موجب لمفاسد كثيرة قال تعالى ﴿إنّ الّذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب﴾[٣]، ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا...﴾[٤]، ﴿فلمّا نسوا ما ذكّروا به أنجينا الّذين ينهون عن السّوء وأخذنا الّذين ظلموا بعذابٍ بئيسٍ بما كانوا يفسقون﴾[٥].

«ألا وانّ الدُّنيا قد ولّت حذّاء» قال الخوئي حذّاء حال[٦].

قلت: بل الظاهر كونه مفعول مطلق فانّ الأصل ولّت تولية حذّاء أي سريعة وقد عدّوا من أمثلة المفعول المطلق قولهم اشتمل الصّمّاء ورجع القهقرى.

قال ابن أبي الحديد في الحديث المرفوع أيّها النّاس انّ الأعمال تطوى والاعمار تفنى والأبدان تبلى في الثّرى وان اللّيل والنّهار يتراكضان تراكض الفرقدين يقرّبان كلّ بعيد ويخلقان كلّ جديد وفي ذلك ما ألهى عن الأمل واذكرك بحلول الأجل[٧].

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٢٣٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١٩.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) الأعراف: ٥١.

(٥) الأعراف: ١٦٥.

(٦) الخوئي ٤: ٢٠٢ (٤٢).

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٠.

«فلم يبق منها إلّا صبابةٌ كصباة الإناء اصطبّها صابّها» في (الصّحاح): صببت الماء فانصبّ أي سكبته فانسكب والصّبابة بالضّمّ البقيّة من الماء في الإناء...[١].

وفي (الجمهرة): والاناء واحد الآنية ممدود الّذي يجعل فيه الطّعام وغيره مثل رداء وأردية[٢].

وفي (الصحاح): الاناء معروف وجمعه آنية وجمع الآنية الأواني مثل سقاء وأسقية واساق[٣]. ومثله القاموس[٤].

هذا، وقوله عليه السلام «اصطبّها صابّها» الضميران راجعان الى الاناء فلابدّ من تأنيثه وارجاعهما الى صبابة بأن يقال صبّب الصّبابة ويراد صبّ الاناء بعيد فاستعمال الجمهرة والصحاح للإناء مذكّراً في غير محلّه وكيف كان فحيث أنّا بعد مجيئنا الى الدّنيا يكون كلّ نفس نتنفّسه قدّمنا الى مسافة الآخرة والأعمار قصير طويلها وهو الأقل في أفراد البشر فكيف بقصيرها وهو الأكثر يكون الأمر كما قال عليه السلام من كون ما بقى من أعمارنا ودنيانا كقطرات ماءٍ بقيت في اناءٍ صبّها صابٌّ.

«ألا وإنّ الآخرة قد أقبلت» وحيث انّ من مات تقوم قيامته والموت في غاية القرب منّا فالآخرة قد أقبلت الينا ولو أُريد بالآخرة السّاعة فهي أيضاً في غاية القرب منّا، قال تعالى ﴿كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشيّةً أو ضحاها﴾[٥]، **«فكونوا من أبناء الآخرة»** حيث انّها الحياة الباقية.

---

(١) الصحاح: (صبب).

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد: ٢٥٠ (ن أ و ى).

(٣) الصحاح: (أنا).

(٤) قاموس المحيط للفيروز آبادي: ١٦٢٧ (أني).

(٥) النازعات: ٤٦.

«ولا تكونوا أبناء» هكذا في (المصرية) والصّواب: (من أبناء) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«الدّنيا» حيث إنّها كنبات أرض حصل من ماء أنزل من السّماء ثمّ بعد أيّامٍ يكون كأن لم يغن بالأمس. وفي الخبر: اذا دعيتم الى وليمة وجنازة فأجيبوا الجنازة لأنّها تذكّر الآخرة ولا تجيبوا الوليمة لأنّها تذكّركم الدّنيا[٢].

﴿...إنّما الحياة الدّنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار﴾[٣].

«فإن كلّ ولدٍ سيلحق بأمّه يوم القيامة» هكذا في (المصريتين)[٤] وكذا في نسخة (ابن أبي الحديد) لكن في (ابن ميثم والخوئي)[٥]: «فانّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة».

هذا، وفي الخبر: أنّ كلّ الناس في القيامة يدعون بأسماء أمّهاتهم إلّا شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فيدعون بأسماء آبائهم لطيب ولادتهم[٦].

«وان اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل» في (كشكول البهائي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله يفتح للعبد يوم القيامة لكلّ يوم من أيّام عمره أربع وعشرون خزانة عدد ساعات الليل والنّهار فخزانة يجدها مملوّة نوراً وسروراً فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزّع على أهل النّار لأدهشهم عن الاحساس بألم النّار وهي السّاعة التي أطاع فيها ربّه ثمّ يفتح له خزانة أُخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة فيناله عند مشاهدتها من الجزع والفزع ما لو قسّم

---

(١) المصرية ١٤٦، وشرح ابن ميثم ٢: ١٠٧ متماثلتان، وشرح ابن أبي الحديد: (من) ٢: ٣١٨ والخطية (من) : ٣٣.

(٢) الكافي ١: ١٦٩ ح ٤٩٠ بدل الوليمة العرائس.

(٣) غافر: ٣٩.

(٤) الطبعة المصرية: ١٤٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١٨، وكذلك شرح ابن ميثم ٢: ١٠٧.

(٦) المحاسن للبرقي: ١٤١، ونقله المجلسي في البحار ٧: ٢٤٠.

على أهل الجنّة لنغّص عليهم نعيمها وهي السّاعة التي عصى فيها ربّه ثمّ يفتح له خزانة أُخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسرّه ولا ما يسوءه وهي السّاعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدّنيا فيناله من الغبن والأسف على فواتها ما لا يوصف حيث كان متمكّناً من أن يملئها حسنات ومن هذا قوله تعالى ﴿...ذلك يوم التّغابن﴾[1].

وفي (الطبري) في يوم الطّفّ قال أبو مخنف: وجاء عباس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر فقال يا شوذب ما في نفسك أن تصنع قال ما أصنع أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أُقتل قال ذلك الظّنّ بك امّا الآن فتقدّم بين يدي أبي عبدالله عليه السلام حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه وحتّى أحتسبك انا فانّه لو كان معي السّاعة أحدأنا أولى به منّي بك يسّرني أن يتقدّم بين يديّ حتّى احتسبه فانّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما قدرنا عليه فانّه لا عمل بعد اليوم وانّما هو الحساب[2].

وفي (مقاتل أبي الفرج) عن الضّحاك المشرقي: قال العباس بن عليّ عليه السلام لأخيه من أبيه وأُمه عبدالله بن علي عليه السلام: تقدّم بين يديّ حتّى أراك قتيلاً واحتسبك[3]....

قال الشريف «أقول الحذّاء السّريعة ومن النّاس من يرويه جذّاء» هكذا في (المصرية) وفيه سقط وتحريف والصّواب ما نقله (ابن أبي الحديد والخوئي)[4] هكذا: «قوله عليه السلام حذاء الحذّاء السّريعة ومن الناس من يرويه (جذّاء) بالجيم والذّال أي انقطع درّها وخيرها» ومثلهما (الخطيّة) لكن بدون

---

(١) الكشكول للبهائي ٢: ١٧٢، والآية ٩ من سورة التغابن.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨.

(٣) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ٥٤.

(٤) المصرية: ١٤٦، وابن أبي الحديد ٢: ٣١٨ والخطية: ٣٣.

قوله: قوله عليه السلام «الحذّاء»[١].

ومن الغريب عدم بيان في (ابن ميثم) رأساً[٢].

ثم الحذّاء بالحاء والمعجمة والجذّاء بالجيم والمهملة مشدّدان من الحذذ والجدد.

وامّا قول المصنّف «الحذّاء السّريعة» فقال ابن دريد حذّ الشيء يحذّه حذّاً اذا قطعه قطعاً سريعاً والحذذ خفّة وسرعة وقطاة حذّاء سريعة الطيران وناقة حذّاء سريعة خفيفة وفي خطبة عتبة بن غزوان انّ الدّنيا قد أدبرت حذّاء أي سريعة الأدبار وقالوا قطاة حذّاء: قليلة ريش الذّنب الخ وامّا قوله (ومن النّاس من يروي جذّاء بالجيم) فلم ينحصر الاختلاف بين الحذاء والجذاء بالحاء والجيم) بفقرة الخطبة فمثلها قولهم اليمين الحذّاء واليمين الجذّاء ورحم حذّاء ورحم جذّاء[٣].

قال في (الصحاح): اليمين: الحذّاء التي يحلف صاحبها بسرعة ومن قال بالجيم يذهب الى انّه جذّها جذّ العير الصليانة ورحم حذّاء وجذّاء عن الفراء اذا لم توصل[٤]....

واما قوله «أي انقطع درّها وخيرها» ففي (الصحاح) امرأة جدّاء صغيرة الثّدي وفلاة جدّاء لا ماء بها. قال ابن السّكيت النعجة التي ذهب لبنها من عيب[٥].

---

(١) الخطبة: ٣٣.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٠٧ ذكرها بشكل آخر.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد: ٩٦ (ح ذ ذ).

(٤) الصحاح: (حذذ).

(٥) الصحاح: (جدد).

١٨
الحكمة (٣٧٠)

وَرُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام قَلَّما اَعْتَدَلَ بِهِ الْمِنْبَرُ إِلَّا قال أمامَ خُطْبَتِهِ:

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ، فَما خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، وَلا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُوَ! وَما دُنْياهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَها سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَلَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيا بِأَعْلى هِمَّتِهِ كَالآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الآخِرَةِ بِأَدْنى سُهْمَتِهِ.

أقول «وروى انّه قلّما اعتدل به المنبر إلّا قال أمام الخطبة» هكذا في (المصرية)[1]، والصّواب: «خطبته» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

وروي أيضاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كلّما خطب قال في آخر خطبته «طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيّته وصلحت سريرته وحسنت علانيته وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وانصف الناس من نفسه»[3].

وفي (الحلية) في شعبه عن عبدالله أي: ابن مسعود قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يعلمنا خطبة ـ الى أن قال ـ ثم يقرأ: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾[4].

﴿يا أيّها الناس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ...﴾[5] الآية، ﴿يا

---

(١) المصرية المصححة: ٧٤٣ ح ٣١٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠٠ (٣٧٦)، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٤.

(٣) الكافي ٢: ١٤٤ ح ١.

(٤) حلية الأولياء لأبو نعيم ٧: ٣٨، والآية ١٠٢ من سورة آل عمران.

(٥) النساء: ١.

أيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾[١] ثمّ يتكلّم لحاجته[٢].

وروى أيضاً انّ أمير المؤمنين عليه السلام قلّما اعتدل به المنبر إلّا صرّح بمظلوميّته.

«أيُّها النّاس اتّقوا الله فما خلق امرؤٌ عبثاً فيلهو» قال تعالى ﴿كذّبت عادٌ المرسلين إذ قال لهم أخوهم هودٌ ألا تتّقون * إنّي لكم رسولٌ أمين * فاتّقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجرٍ ان أجري إلّا على ربّ العالمين * أتبنون بكلّ ريعٍ آيةً تعبثون وتتّخذون مصانع لعلّكم تخلدون﴾[٣]، ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئل العادّين * قال ان لبثتم إلّا قليلاً لو انّكم كنتم تعلمون * أفحسبتم انّما خلقناكم عبثاً وانّكم الينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحقُّ لا إله إلّا هو ربُّ العرش الكريم﴾[٤].

«ولا ترك سُدىً فيلغوا» في (الصحاح): السّدى بالضّمّ المهمل يقال: ابل سدى أي: مهملة وبعضهم يقول سدىً بالفتح أسديتها أهملتها[٥]. ولغا يلغو لغواً أي قال باطلاً يقال لغوت باليمين قال ولغي بالكسر يلغي لغي مثله[٦]....

﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سدىً * ألم يكُ نطفةً من منيٍّ يمنى * ثمّ كان علقةً فخلق فسوّى * فجعل منه الزوجين الذكر والأُنثى * أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحيي الموتى﴾[٧] وقيل:

---

(١) الأحزاب: ٧٠.

(٢) حلية الأولياء لأبو نعيم ٧: ١٧٨.

(٣) الشعراء: ١٢٣ ـ ١٢٨.

(٤) المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٦.

(٥) الصحاح: (سدا).

(٦) الصحاح: (لغا).

(٧) القيامة: ٣٦ ـ ٤٠.

ولو أنّـا اذا مـتنا تُـرِكْنا لكان المـوتُ راحـةَ كـلّ حـيٍّ
ولكـنّا إذا مـتنا بُـعثنا ونُسئَلُ بعدهُ عن كلّ شـيءٍ[1]

«وما دنياه الّتي تحسّنت له بخلفٍ من الآخرة التي قبّحها سوء النّظر عنده»

﴿...إنّما هذه الحياة الدُّنيا متاع وانّ الآخرة هي دار القـرار﴾[2]، ﴿...وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان...﴾[3]، ﴿واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بـالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدُّنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فرطاً﴾[4]، ﴿المال والبـنون زينة الحياة الدّنيا والباقيات الصّالحات خيرٌ عند ربّك ثواباً وخيرٌ أمـلاً﴾[5]، ﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيُّهم أحسن عملاً * وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جزراً﴾[6]، ﴿وقال موسى ربّنا إنّك أتيت فرعون وملأه زينةً وأموالاً في الحياة الدّنيا ربّنا ليضِلّوا عن سبيلك ربَّنا اطمس عـلى أمـوالهـم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليـم﴾[7]، ﴿إعـلموا انّـما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حُطاماً وفي الآخـرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوان وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾[8]، ﴿سابقوا الى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أُعدّت

---

(١) وفيات الأعيان للشعر لدلف ٤: ٧٨.

(٢) غافر: ٣٩.

(٣) العنكبوت: ٦٤.

(٤) الكهف: ٢٨.

(٥) الكهف: ٤٦.

(٦) الكهف: ٧ ـ ٨.

(٧) يونس: ٨٨.

(٨) الحديد: ٢٠.

للّذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[١]، ﴿فخرج على قومه في زينته قال الّذين يريدون الحياة الدّنيا ياليت لنا مثل ما أُوتي قارون انّه لذو حظٍّ عظيم * وقال الّذين أُوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقاها إلّا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الّذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكانّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان منَّ الله علينا لخسف بنا ويكانّه لا يفلح الكافرون * تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٢]، ﴿من كان يريد الحياة الدُّنيا وزينتها نوفِّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾[٣].

«وما المغرور الّذي ظفر من الدُّنيا بأعلى همّته» في (الصحاح): يقال فلان بعيد الهمّة والهَمّة أيضاً بالفتح[٤].

«كالاخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته» في (الصحاح) السّهمة بالضّمّ القرابة والسّهمة النصيب[٥]...

وكيف لا يكون الأمر كما قال عليه السلام ويؤتى أدنى أهل الجنّة سبعين ضعفاً من نعم الدّنيا من أوّلها الى آخرها وقال تعالى ﴿زُيّن للنّاس حُبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل

---

(١) الحديد: ٢١.

(٢) القصص: ٧٩ ـ ٨٣.

(٣) هود: ١٥ ـ ١٦.

(٤) الصحاح: (همم).

(٥) الصحاح: (سهم).

المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدُّنيا والله عنده حسن الماب * قل أؤنبكم بخيرٍ من ذلكم للّذين اتّقوا عند ربّهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواجٌ مطهّرةٌ ورضوانٌ من الله والله بصيرٌ بالعباد * الذين يقولون ربّنا إنّنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النّار * الصابرين والصّادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾[1]، ﴿فلمّا نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتّى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فاذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الّذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين﴾[2]، ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدُّنيا وزينتها وما عند الله خيرٌ وأبقى أفلا تعقلون * أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متّعناه متاع الحياة الدّنيا ثمّ هو يوم القيامة من المحضرين﴾[3]، ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زُيّن له سوء عمله واتّبعوا أهواءهم * مثل الجنّة التي وعد المتّقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسنٍ وأنهارٌ من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهارٌ من خمرٍ لذّةٍ للشاربين وانهارٌ من عسلٍ مصفىً ولهم فيها من كلّ الثّمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالدٌ في النّار وسقوا ماءً حميماً فقطّع أمعاءهم﴾[4].

١٩
من الخطبة (٨٠)

فِي خُطْبَةٍ عَجِيبَةٍ:

حَتّى إذا تَصَرَّمَتِ ٱلْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ ٱلدُّهُورُ، وَأَزِفَ ٱلنُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ

(١) آل عمران: ١٣ ـ ١٧.

(٢) الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥.

(٣) القصص: ٦٠ ـ ٦١.

(٤) محمّد: ١٤ ـ ١٥.

مِنْ ضَرآئِحَ ٱلْقُبُورِ، وَأَوْكارِ ٱلطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السِّباعِ، وَمَطارِحِ الْمَهالِكِ، سِراعاً إلى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إلى مَعادِهِ، رَعِيلاً صُمُوتاً، قِياماً صُفُوفاً. يَنْفُذُهُمُ ٱلْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ ٱلاسْتِكانَةِ، وَضَرَعُ ٱلاسْتِسْلامِ وَالذِّلَّةِ. قَدْ ضَلَّتِ ٱلْحِيَلُ، وَانْقَطَعَ ٱلأَمَلُ، وَهَوَتِ ٱلأَفْئِدَةُ كاظِمَةً، وَخَشَعَتِ ٱلاَصْواتُ مُهَيْنِمَةً، وَأَلْجَمَ ٱلْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأُرْعِدَتِ ٱلأَسْماعُ لِزَبْرَةِ ٱلدّاعِي إِلى فَصْلِ ٱلْخِطابِ، وَمُقايَضَةِ الْجَزاءِ، وَنَكالِ ٱلْعِقابِ، وَنَوالِ الثَّوابِ. ـإلى أنْ قالَ ـ وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَجازَكُمْ عَلَى الصِّراطِ وَمَزالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهاوِيلِ زَلَلِهِ وَتاراتِ أَهْوالِهِ؛ فَاتَّقُوا ٱللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ ٱلْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجاءُ هَواجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ ٱلزُّهْدُ شَهَواتِهِ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسانِهِ، وَقَدَّمَ ٱلْخَوْفَ لأَمانِهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ؛ وَلَمْ تَفْتِلْهُ فاتِلاتُ ٱلْغُرُورِ، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهاتُ ٱلأُمُورِ، ظافِراً بِفَرْحَةِ ٱلْبُشْرى، وَراحَةِ النُّعْمى، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَآمَنِ يَوْمِهِ. قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ ٱلْعاجِلَةِ حَمِيداً، وَقَدَّمَ زادَ ٱلآجِلَةِ سَعِيداً، وَبادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَراقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قَدَماً أَمامَهُ. فَكَفى بِالْجَنَّةِ ثَواباً وَنَوالاً، وَكَفى بِالنّارِ عِقاباً وَوَبالاً! وَكَفى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً! وَكَفى بِالْكِتابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً!.

أقول: قوله عليه السلام «حتّى إذا تصرّمت الأمور» في (الصحاح) التصرّم التقطّع[1]...

(١) الصحاح: (صرم).

أي: تصرّمت أمور الدّنيا وصار وقت الآخرة.

«وتقضّت الدّهـور» الأصل في تقضّت التّقضي من القضاء كما انّ أصل تولّت التّولي. في (الصحاح): انقضى الشيء وتقضّى بمعنى[1] ...

ويمكن أن يكون من التّقضّض من القضض قال الجوهري: انقضّ الحائط: سقط وانقضّ الطائر هوى من طيرانه ومنه انقضاض الكواكب ولم يستعملوا منه تفعّل إلّا مبدلاً قالوا تقضّى وأصله تقضّض فاستثقلوا ثلاث ضادات فأبدلوا واحداً ياءً كما قالوا تظنّى من الظّنّ قال العجاج:

تقضّي البازي إذ البازي كسر[2]... لكنّ الأوّل أظهر ويؤيده قوله تعالى ﴿وقال الشيطان لمّا قُضي الأمر...﴾[3]...

وقال الخوئي اللّغة قضّ الشيء يقضّه: قطعه[4]... واقتصاره على ما قال غلط لأنّ لازمه كون تقضّت مضارع قضّ ولا معنى له.

«وازِف النُشّورُ» في (الصّحاح) ازف الترحّل أي دنا ومنه قوله تعالى ﴿أزِفت الازفة﴾[5] يعني القيامة[6].

«أخرجهم من ضرائح القبور» في (الصحاح): الضّريح الشّقّ في وسط القبر واللّحد في الجانب[7].

«وأوكار الطّيور» في (الصحاح): وكر الطّائر عشّه والجمع وكور وأوكار.

---

(١) الصحاح: (قضى).

(٢) الصحاح: (قضض).

(٣) إبراهيم: ٢٢.

(٤) الخوئي.

(٥) النجم: ٥٧.

(٦) الصحاح: (أزَف).

(٧) الصحاح: (ضرح).

قال أبو يوسف سمعت أبا عمرو يقول الوكر العشّ حيثما كان في جبل أو شجر[١]...

والاخراج من أوكار الطيور، كأموات المجوس الّذين يدعونها للا غربة وكأغلب قتلى الحروب فانّ أجسادهم لسباع الطّيور وسباع الوحوش «وأوجرة السّباع» في (الصّحاح) الوِجار والوَجار سرب الضّبع[٢]...

والصحيح ما في (الجمهرة): الوجار: سرب الثعلب والضبّع وما أشبههما وربّما استعير لغيرهما[٣]... لتصديق كلامه عليه السلام له من كونه سر بالعموم السّباع لا خصوص الضّبع «ومطارح المهالك» يعمّ كلامه عليه السلام من طرح من جبل أو في بئر أو غر في بحر «سراعاً الى أمره» ﴿يوم يخرجون من الأجداث سِراعاً كأنّهم إلى نُصبٍ يوفضون * خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذِلّةٌ ذلك اليوم الّذي كانوا يوعدون﴾[٤].

«مهطعين الى معاده» في (الصحاح): اهطع إذا مدّ عنقه وصوّب رأسه واهطع في عَدْوه اذا أسرع[٥]... ﴿...يومَ يدعُ الدّاع الى شيءٍ نكرٍ * خُشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جرادٌ منتشرٌ * مهطعين الى الدّاع يقول الكافرون هذا يومٌ عسرٌ﴾[٦].

وحيث إنّ الأصل في كلامه عليه السلام الآية فالمحتمل كون (معاده) مصحّف (دعاءه). «رعيلاً صموتاً» في (الصحاح) الرّعلة القطيعة من

---

(١) الصحاح: (وَكَرَ).

(٢) الصحاح: (وَجَرَ).

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد: ٨٧١ (وجر).

(٤) المعارج: ٤٣ ـ ٤٤.

(٥) الصحاح: (هطع).

(٦) القمر: ٦ ـ ٨.

الخيل وكذلك الرّعيل[١]...

والصّواب ما في (الجمهرة): الرّعيل الجماعة من الخيل والرّجال أيضاً قال:

«ثم التمشّي في الرّعيل الأول»[٢]...

لتصديق كلامه صلى الله عليه وآله له من مجيئه لجمع الإنسان أيضاً.

والظّاهر أنّ الصّموت جمع الصّامت كالسجود جمع السّاجد قال تعالى ﴿لا تعتذروا اليوم إنّما تجزون ما كنتم تعملون﴾[٣] ﴿لا يملكون منه خطاباً﴾[٤].

«قياماً صفوفاً» قال تعالى: ﴿ونُفخ في الصّور فصعق من في السّماوات والأرض إلّا من شاء الله ثم نُفخ فيه أُخرى فاذا هم قيامٌ ينظرون﴾[٥] قياماً في كلامه عليه السلام كقيام في الآية جمع قائم؛ قال السجستاني في غريب تفسيره قيام على ثلاثة معان جمع قائم ومصدر قمت وقوام الأمر[٦]، «ينفذهم البصر» في (١٨) الحاقّة ﴿يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافيةٌ﴾.

«ويسمعهم الدّاعي» في (٤١) قٓ ﴿واستمع يوم ينادِ المنادِ من مكانٍ قريب * يوم يسمعون الصّيحة بالحقِّ ذلك يوم الخروج﴾.

«عليهم لبوس الاستكانة» في (الصحاح) اللّبوس ما يلبس وانشد ابن السّكيت:

---

(١) الصحاح: (رَعَلَ).

(٢) ابن دريد: ٨٥ (رعل).

(٣) التحريم: ٧.

(٤) النبأ: ٣٧.

(٥) الزمر: ٦٨.

(٦) غريب الحديث للسجستاني: ١٤٥.

إلبس لكلّ حالة لبـوسـها إمّا نعيمـهـا وإمّا بؤسـهـا[١]

والاستكانة: الخضوع «وضرع الاستسلام والذّلّة» في (الصحاح) استسلم أي: انقاد[٢]... (وضرع ـ بفتحتين ـ الضّعف).

في (١١١) طه ﴿وعنت الوجوه للحيّ القيّوم وقد خاب من حمل ظُلماً﴾ وفي (٤٤) المعارج ﴿خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذِلّـة ذلك اليـوم الذي كـانوا يوعدون﴾.

«قد ضلّت الحيل وانقطع الأمل» ﴿وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾[٣]، ﴿...يـودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذٍ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً يُنجيه كلّا﴾[٤]، ﴿ولو انّ للّذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة...﴾[٥].

«وهوت الأفئدة كاظمةً» في (الصحاح) هوى بالفتح يهوى هوياً أي سقط الى أسفل[٦].

وقوله تعالى: ﴿...وأفئدتهم هواء﴾[٧] يقال: انّه لا عقول لهم وكظم الغيظ اجترعه، «وخشعت الأصوات مـهينمةً» بتقديم النون على الميم وفـي الصـحاح الهينمة الصّوت الخفيّ الخ في سورة طه ﴿وخشعت الأصوات للرّحمن فـلا

---

(١) الصحاح: (لَبِسَ).

(٢) الصحاح: (سَلَمَ).

(٣) الملك: ١٠ ـ ١١.

(٤) المعارج: ١١ ـ ١٥.

(٥) الزمر: ٤٧.

(٦) الصحاح: (هوا).

(٧) إبراهيم: ٤٣.

تسمع إلّا همساً﴾[١].

«والجم العرقُ» قال ابن أبي الحديد في الحديث ان العرق ليجري منهم حتّى ان منهم من يبلغ ركبه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يلجمه قال: قال لي قائل ما أرى لقوله عليه السلام: «المؤذّنون أطول النّاس أعناقاً يوم القيامة» كثير فائدة لأنّ طول العنق جدّاً ليس ممّا يرغب في مثله فذكرت له الخبر الوارد في العرق. وقلت له: اذا كان الإنسان شديد طول العنق يكون له عن الجام العرق أبعد[٢].

قلت: ما ذكره في غاية الركاكة فانّ المراد بكون المؤذّنين أطول النّاس أعناقاً يومئذٍ كونهم أرفع درجة من باقي النّاس لا طول عنقهم الظاهر وفي الفارسيّة يكنّون عن الجبابرة بقولهم (گردن كشان) ولا يريدون طول أعناقهم بل يطلقونه على كلّ جبار وإن كان أقصر النّاس عنقاً بل وان لم يكن له عنق أصلاً.

«وعظم الشّفقُ» في (القاموس) الشّفق الخوف[٣].

وفي (الصحاح): قال ابن دريد شفقت وأشفقت بمعنى وأنكره جلّ أهل اللغة.

قلت: انّما نقل ابن دريد عن بعضهم وأنكره وهذا نصّه، زعم قوم انّ شفقت وأشفقت اذا حاذرت بمعنى وأنكره جلّ أهل اللغة وقالوا لا يقال الّا أشفقت فانا مشفق وشفيق قال وهذا أحد ما جاء على فعيل في معنى مفعل[٤]...

---

(١) طه: ١٠٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٥١.

(٣) القاموس: (الشفق).

(٤) الصحاح: (مشفق).

﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾[١]، ﴿يوم ترونها تذهل كلُّ مرضعةٍ عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حملٍ حملها وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾[٢].

«وأرعدت الأسماع» أرعدت بصيغة المجهول وفي (الصحاح): أرعد الرّجل أخذته الرّعدة وارعدت فرائصه عند الفزع[٣].

«لزبرة الدّاعي» في (الصحاح): الزّبر الزّجر والمنع يقال زبره يزبره (بالضّمّ) زبراً إذا انتهره[٤].

وفي (المصباح): ومنه اشتقاق الزّبير[٥].

«الى فصل الخطاب» قال تعالى ﴿ونُفخ في الصّور فاذا هم من الأجداث الى ربِّهم ينسلون * قالوا يا ولينا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون * إن كانت إلّا صيحة واحدةً فاذا هم جميعٌ لدينا محضرون * فاليوم لا تُظلم نفسٌ شيئاً ولا تجزون إلّا ما كنتم تعملون﴾[٦].

«ومقايضة الجزاء» في (الصّحاح): قايضت الرّجل مقايضة أي: عارضته بمتاع وهما قيّضان كما تقول بيّعان[٧].

«ونكال العقاب ونوال الثّواب» قال تعالى ﴿يومئذٍ يصدر النّاس اشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال

---

(١) المزمل: ١٧ .

(٢) الحج: ٢ .

(٣) الصحاح: (رَعَدَ) .

(٤) الصحاح: (زَبَرَ) .

(٥) المصباح المنير للفيتوري: ٣٠٣ (زبر) .

(٦) يس: ٥١ ـ ٥٤ .

(٧) الصحاح: (فيض) .

ذرّةٍ شرّاً يره﴾[١].

(قوله عليه السلام) «واعلموا انّ مجازكم على الصّراط» في (الصحاح) قولهم (جعل فلان ذلك الأمر مجازاً إلى حاجته) أي: طريقاً ومسلكاً[٢].

«ومزالق دحضه» في (الصحاح) المزلق والمزلقة الموضع الذي لا يثبت عليه قدم ومكان دحض ودحَض أيضاً بالتّحريك أي: زلق[٣].

«وأهاويل زلله» في (الصحاح) هاله الشيء يهوله أي أفزعه الخ قال تعالى: ﴿يا أيُّها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة السّاعة شيءٌ عظيم﴾[٤]، «وتارات أهواله» ﴿يوم يفرُّ المرء من أخيه * وأُمّه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكلّ أمرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه﴾[٥]، قال حد) تارات أهواله كقولك دفعات أهواله وانّما جعل أهواله تارات لأنّ الأمور الهائلة اذا استمرّت لم تكن في الازعاج والتّرويع كما يكون اذا طرأت تارةً وسكنت تارةً[٦]....

قلت: ما ذكره عبث وانّما المرام انّ أهواله تتجدّد تارة هذا الهول وأُخرى ذاك الهول كما قال عليه السلام في كلام آخر له فانّ امامكم عقبة كؤدا ومنازل مخوفة مهولة.

وقال الصدوق في (اعتقاداته): متى انتهى الانسان الى عقبة اسم فرض وكان قصّر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحقّ الله فيها فان خرج منها بعمل صالح قدّمه أو برحمة تداركه نجا منها الى عقبة أُخرى فلا يزال يدفع من

---

(١) الزلزال: ٦ ـ ٨.

(٢) الصحاح: (جوز).

(٣) الصاح: (زلق).

(٤) الحج: ١.

(٥) عبس: ٣٤ ـ ٣٧.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٦٦.

عقبة الى عقبة ويحبس عند كلّ عقبة فيسئل عمّا قصّر فيه من معنى اسمها ـ الى أن قال ـ ومنها المرصاد وهو قوله تعالى ﴿إنَّ ربَّك لبالمرصاد﴾[١] يقول تعالى وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم...[٢].

«فاتّقوا الله تقيّةَ ذي لُبٍّ» في (الصحاح): اللّبّ العقل والجمع الباب[٣]. **«شَغَلَ التفكّر قلبه»** في (الكافي): عن الصادق عليه‌السلام كان أمير المؤمنين عليه‌السلام يقول نبّه بالتفكّر قلبك وجاف عن اللّيل جنبك واتّق الله ربّك[٤]. **«وانصب الخوف بدنه»** في (الصحاح): نصِب بالكسر نصباً تعب وأنصبه غيره[٥]. **«وأسهر التهجّد غرار نومه»** في (المصباح): السّهر عدم النّوم في الليل[٦].

وفي (الصحاح): السّهر: الأرق وهجد وتهجّد أي نام ليلاً وهجد وتهجّد أي سهر وهو من الأضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجّد والغرار النوم القليل[٧]....

قال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون﴾[٨]، ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[٩]. **«وأظمأ الرّجاء هواجر يومه»** في (الصّحاح): أظمأته

---

(١) الفجر: ١٤.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ٤٩.

(٣) الصحاح: (لبب).

(٤) الكافي ٢: ٩١ ح١.

(٥) الصحاح: (نصب).

(٦) المصباح المنير: ٣٥٣ (سهر).

(٧) الصحاح: (سهر).

(٨) الذاريات: ١٧ ـ ١٨.

(٩) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

أعطشته[١] والهاجرة نصف النّهار عند اشتداد الحرّ.

«وظَلَفَ الزُّهد شهواته» في (الصحاح): ظلف نفسه عن الشيء أي منعها من أن تفعله أو تأتيه قال:

لقد أظلف النفس عن مطعم ... اذا ما تهافت ذبانه[٢]

«وأرجف الذّكر بلسانه» في (الجمهرة): رجف الشيء اذا اضطرب اضطراباً شديداً وانّما قيل أرجف النّاس بكذا وكذا اذا خاضوا فيه واضطربوا[٣].

ثم (أرجف)[٤] في (المصرية) والصواب: (وأوجف) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥]. قال ابن أبي الحديد: وأوجف: أسرع كأنّه جعل الذّكر لشدّة تحريكه اللسان موجفاً به كما يوجف النّاقة براكبها والوجيف ضرب من السير[٦]. «وقدّم الخوف لإبّانه» هكذا في (المصرية)[٧]، ونقله (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٨] لإمانِهِ وهو الصّواب فالمناسب أن يقال قدّم الخوف أي في الدّنيا لامانه أي من عذاب الآخرة وامّا (قدّم لابّانه).

وفي (الصحاح): إبّان الشيء بالكسر والتشديد وقته يقال كلّ الفواكه في إبّانها أي في وقتها[٩]....

---

(١) الصحاح: [ظمأ].

(٢) الصحاح: (ظلف).

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد: ٤٦٢ (ج ر ف).

(٤) الطبعة المصرية (أرجف): ١٩٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٦٤ بلفظ (أوجف)، شرح ابن ميثم ٢: ٢٥٤ بلفظ (أرجف)، الخطية: ٥٢.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٦٦.

(٧) الطبعة المصرية: ١٩٤.

(٨) راجع بند ١.

(٩) الصحاح: (أبَنَ).

فالتقديم والإبان متضادان وأيضاً محلّ الخوف الدّنيا ولا تقديم فيه ولا خوف على المؤمن في الآخرة.

«وتنكّب المخالج عن وضح السّبيل» في (الصحاح): تنكّبه أي: تجنّبه قال وخلجني كذا أي شغلني يقال خلجته امور الدُّنيا[1]....

قال تعالى: ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبل فتفرّق بكم عن سبيله...﴾[2].

وقال الخوئي أي نحّاه الشّواغل والصّوارف عن صراطه المستقيم[3].

قلت: بل المعنى تجنّب الشّواغل عن الصّراط المستقيم والخوئي عكس.

«وسلك أقصد المسالك الى النّهج المطلوب» في (الصحاح): القصد العدل والنّهج الطّريق الواضح[4]. «ولم تفتله فاتلات الغرور» في (الصحاح): فتله عن وجهه فانفتل أي صرفه فانصرف ... وهو قلب لَفَتَ[5]....

قال تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للّذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسورٍ له بابٌ باطنهُ فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنّكم فتنتم أنفسكم وتربّصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانيّ حتّى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور﴾[6].

«ولم تعم عليه مشتبهات الأمور» في (الصّحاح): عمى عليه الأمر

---

(١) الصحاح: (نكب).

(٢) الانعام: ١٥٣.

(٣) الخوئي ٦: ٦ ح ٨٢.

(٤) الصحاح: (قصد).

(٥) الصحاح: (فَتَلَ).

(٦) الحديد: ١٣ ـ ١٤.

اذا التبس[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَميت عليهم الانباء يومئذٍ...﴾[٢]. «ظافراً بفرحة البشرى وراحة النّعمى» ﴿إنَّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون * نحن أولياءكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون * نُزلاً من غفورٍ رحيم﴾[٣].

«في أنعم نومه» في (الصّحاح): نعم الشيء بالضّمّ نعومة أي: صار ناعماً ليّناً وكذلك نِعم ينعَم مثل حذِر يحذَر وفيه لغة ثالثة مركّبة بينهما نعِم ينعُم مثل فضِل يفضُل ولغة رابعة نعِم ينعِم بالكسر فيهما وهو شاذّ[٤]. «وآمن يومه» قال تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيةً * فادخلي في عبادي * وادخلي جنّتي﴾[٥]. «قد عبر معبر العاجلة حميداً وقدّم ذات» هكذا في (المصرية) والصواب[٦] «وقدّم زاد» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٧] «الآجلة سعيداً» قال تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون * قالوا إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين * فمنّ الله علينا ووقينا عذاب السّموم * إنّا كنّا من قبل ندعوه إنّه هو البرّ الرّحيم﴾[٨].

---

(١) الصحاح: (عما).

(٢) القصص: ٦٦.

(٣) فصلت: ٣٠ ـ ٣٢.

(٤) الصحاح: (نعم).

(٥) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

(٦) الطبعة المصرية: ١٩٤.

(٧) راجع بند ١ من ص٥٥١.

(٨) الطور: ٢٥ ـ ٢٨.

«وبادر من وجلٍ» في (الصّحاح): الوجل الخوف[١]...

قال تعالى ﴿والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلةٌ انّهم إلى ربّهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٢].

«وأكمش في مهلٍ» في (الصحاح): الكمش الرّجل السريع الماضي وانكمش وتكمّش اسرع[٣]. «ورغِبَ في طلبٍ وذهب عن هربٍ» أي: رغب فيما ينبغي طلبه وذهب عمّا ينبغي الهرب منه قال تعالى ﴿فأمّا من أعطى واتّقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسّره لليسرى * وامّا من بَخِلَ واستغنى * وكذّب بالحسنى * فسنيسره للعسرى * وما يُغني عنه ماله إذا تردّى﴾[٤]، ﴿ولمن خاف مقام ربِّه جنّتان﴾[٥]، ﴿وامّا من خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى * فانّ الجنّة هي المأوى﴾[٦]. «وراقب في يومه غده» في (الصحاح) راقب ربّه أي: خافه[٧]....

قال تعالى: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[٨]. «ونظر قدماً امامه» قدماً مفعول فيه وامّا امامه فمفعول به وفي الكافي عن الصادق عليه السلام استقبل النبيّ صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك الأنصاري فقال له كيف أنت؟ قال مؤمن حقّاً فقال صلى الله عليه وآله لكلّ شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال يا رسول الله: عزفت نفسي عن الدُّنيا فأسهرت ليلي

---

(١) الصحاح: (وجل).

(٢) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

(٣) الصحاح: (كمش).

(٤) الليل: ٥ ـ ١١.

(٥) الرحمن: ٤٦.

(٦) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٧) الصحاح: (رقب).

(٨) الحشر: ١٨.

وأظمأت هواجري وكأني أنظر الى عرش ربّي وقد وضع للحساب وكأني أنظر الى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة وكأنّي أسمع عواء أهل النّار في النّار فقال النبيّ ﷺ عبد نوّر الله قلبه أبصرت فأثبت فقال يا رسول الله: ادع أن يرزقني الله الشهادة فقال اللّهم ارزق حارثة الشّهادة فلم يلبث إلّا أيّاماً حتى بعث النبيّ ﷺ بسريّة فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ثمّ قتل[1].

(وفي رواية) استشهد مع جعفر ابن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

«فكفى بالجنّة ثواباً ونوالاً» ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[2] وفي (الطبري) في قصّة يوم الطفّ لمّا زحف عمر بن سعد قال له الحرّ أمقاتل أنت هذا الرّجل؟ قال أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤس وتطيح الأيدي قال أفمالكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضى؟ قال لو كان الأمر اليّ لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك، قال فأقبل حتّى وقف من الناس موقفاً ومعه رجل يقال له قرّة بن قيس، فقال: يا قرّة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال لا قال أما تريد أن تسقيه فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فأسقيه، فوالله لو أنّه اطّلعني على الّذي يريد لخرجت معه فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس ما تريد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء فقال له المهاجر: والله إنّ أمرك لمريب والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل شيء أراه الآن ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك! فما هذا الّذي أرى منك قال انّي والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار ووالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قطّعت وحرّقت ثمّ ضرب

---

(١) الكافي ٣: ٩٠ ح ٣.

(٢) السجدة: ١٧.

فرسه والحق بالحسين عليه السلام[١]....

«وكفى بالنّار عقاباً ووبالاً» ﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب...﴾[٢]، ﴿كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[٣].

«وكفى بالله منتقماً» من المجرمين «ونصيراً» للمؤمنين قال تعالى ﴿ولله جنود السماوات والأرض...﴾[٤]، ﴿انّما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[٥]، ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلقٍ جديدٍ * وما ذلك على الله بعزيز﴾[٦].

«وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً» ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله...﴾[٧].

٢٠
في الخطبة (١٠٥)

حَتّى إِذا بَلَغَ ٱلْكِتابُ أَجَلَهُ، وَٱلْأَمْرُ مَقادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ ما يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ ٱلْخَلْقِ، أَمادَ ٱلسَّماءَ وَفَطَرَها، وَأَرَجَّ ٱلْأَرْضَ وَأَرْجَفَها، وَقَلَعَ جِبالَها وَنَسَفَها، وَدَكَّ بَعْضُها بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيها، فَجَدَّدَهُمْ عَلى

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٤.

(٢) النساء: ٥٦.

(٣) الحج: ٢٢.

(٤) الفتح: ٤.

(٥) يس: ٨٢.

(٦) إبراهيم: ١٩ ـ ٢٠.

(٧) الحشر: ٢١.

إِخْلاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِما يُرِيدُ مِنْ مَسآئِلَتِهِمْ عَنْ خَفايَا ٱلْأَعْمالِ وَخَبايَا ٱلْأَفْعالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ؛ أَنْعَمَ عَلى هؤُلآءِ وَٱنْتَقَمَ مِنْ هؤُلآءِ. فَأَمّا أَهْلُ طاعَتِهِ فَأَثابَهُمْ بِجِوارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دارِهِ، حَيْثُ لا يَظْعَنُ النُّزالُ، وَلا يَتَغَيَّرُ لَهُمُ ٱلْحالُ، وَلا تَنُوبُهُمُ ٱلْأَفْزاعُ، وَلا تَنالُهُمُ ٱلْأَسْقامُ، وَلا تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْأَخْطارُ، وَلا تُشْخِصُهُمُ ٱلْأَسْفارُ، وَأَمّا أَهْلُ ٱلْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دارٍ، وَغَلَّ ٱلْأَيْدِيَ إِلَى ٱلْأَعْناقِ، وَقَرَنَ النَّواصِيَ بِالْأَقْدامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرابِيلَ ٱلْقَطِرانِ، وَمُقَطَّعاتِ النِّيرانِ، فِي عَذابٍ قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ وَبابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلى أَهْلِهِ، فِي نارٍ لَها كَلَبٌ وَلَجَبٌ، وَلَهَبٌ ساطِعٌ وَقَصِيفٌ هآئِلٌ، لا يَظْعَنُ مُقِيمُها، وَلا يُف ادى أَسِيرُها، وَلا تُفْصَمُ كُبُولُها. وَلا مُدَّةَ لِلدّارِ فَتَفْنى وَلا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَنْقَضِي.

أقول: «حتى اذا بلغ الكتاب أجله» الأصل في لفظه قوله تعالى ﴿ولا تعزموا عقدة النّكاح حتّى يبلغ الكتاب أجله...﴾[١] وهو كناية عن حضور الوقت «والأمر مقاديره» قال تعالى: ﴿...قد جعل الله لكلّ شيءٍ قدراً﴾[٢]. «والحقّ آخر الخلق بأوّله» ورد (انّما ينتظرها بأوّلكم آخركم)[٣]. «وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد الخلق» قال تعالى: ﴿لا يجليّها لوقتها إلّا هو...﴾[٤].

«أماد السّماء» قال (ابن أبي الحديد): ويروى أمارَ.

قلت: الثّاني أصحّ حيث انّه لفظ القرآن[٥] وفي (الصحاح): ماد الشيء يميد ميداً: تحرّك؛ وما الشيء يمور موراً أي تحرّك وجاء وذهب كما يكفأ

---

(١) البقرة: ٢٣٥.

(٢) الطلاق: ٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢١٠.

(٤) الأعراف: ١٨٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢١٠.

النّخلة العيدانة والتموّر مثله وقوله تعالى ﴿يوم تمورُ السّماء موراً﴾[١] قال الضّحاك تموج موجاً وقال أبو عبيدة تكفأ والأخفش مثله «وفطرها» قال تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[٢]. «وارجّ الأرض» رجّه أي: حرّكه وزلزله ....

وفي سورة الواقعة ﴿اذا رجّت الأرض رجّاً﴾[٣]، «وأرجفها» قال تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾[٤]. «وقلع الجبال ونسفها» في (الصحاح): نسفت البناء نسفاً قلعته...[٥].

في (١٠٥) طه ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً * لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾. «ودكّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته» في (الصحاح): دككت الشيء دكّاً إذا ضربته وكسرته حتّى سوّيته بالأرض ومنه قوله تعالى: ﴿فدكّتا دكّة واحدةً﴾[٦]....

وتمام الآية ﴿فاذا نفخ في الصّور نفخةٌ واحدةٌ * وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّةً واحدةً * فيومئذٍ وقعت الواقعة * وانشقّت السماء فهي يومئذٍ واهيةٌ﴾[٧].

«وأخرج من فيها» ﴿اذا زُلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت أرض أثقالها * وقال الإنسان مالها﴾[٨]. «فجدّدهم على اخلاقهم» اخلاقهم بكسر الهمزة مصدر أخلق وفي (الصحاح) خلق الثوب (بالضّمّ) خلوقة أي بَلِيَ

---

(١) الطور: ٩.

(٢) الانفطار: ١.

(٣) الواقعة: ٤.

(٤) المزمل: ١٤.

(٥) الصحاح: (نسف).

(٦) الصحاح: (دكك)، والحاقة: ١٤.

(٧) الحاقة: ١٣ ـ ١٦.

(٨) الزلزال: ١ ـ ٣.

وأخلق الثوب مثله[١]...

قال تعالى: ﴿قال من يحيى العظام وهي رميمٌ * قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّةٍ وهو بكلّ خلقٍ عليمٌ﴾[٢]. «وجمعهم بعد تفرّقهم» ﴿وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾[٣]، أي هم وآل فرعون. «ثمّ ميّزهم لما يريد من مسآءلتهم عن خفايا الأعمال» ﴿وامتازوا اليوم أيّها المجرمون * ألم أعهد اليكم يا بني ادم أن لا تعبدوا الشيطان انّه لكم عدوٌ مبين * وان اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم﴾[٤]، ﴿وقفوهم انّهم مسئولون﴾[٥].

«وخبايا الأفعال» في (الصحاح): اختبأت استترت[٦]....

﴿...وان كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ آتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٧]، ﴿ان تك مثقال حبّةٍ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السّماوات أو في الأرض يأتِ بها الله ان الله لطيفٌ خبيرٌ﴾[٨]. «وجعلهم فريقين» ﴿فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السّعير﴾[٩]. «أنعم على هؤلاء» ﴿ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[١٠]. «وانتقم من هؤلاء» ﴿...إنّا من المجرمين

---

(١) الصحاح: (خلق).

(٢) يس: ٧٨ ـ ٧٩.

(٣) الاسراء: ١٠٤.

(٤) يس: ٥٩ ـ ٦١.

(٥) الصافات: ٢٤.

(٦) الصحاح: (خبأ).

(٧) الأنبياء: ٤٧.

(٨) لقمان: ١٦.

(٩) الشورى: ٧.

(١٠) النساء: ٦٩.

منتقمون﴾[١]. «فأمّا أهل طاعته فأثابهم بجواره» ﴿إنّ المتّقين في جنّاتٍ ونهرٍ * في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ﴾[٢]. «وخلّدهم في داره» قال تعالى بعد ذكر عذاب المكذّبين ﴿قل أذلك خيرٌ أم جنّة الخلد التي وعد المتّقون كانت لهم جزاءً ومصيراً لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربّك وعداً مسؤولاً﴾[٣]، ﴿وعباد الرّحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والّذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً * والّذين يقولون ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابها كان غراماً * إنّها ساءت مستقراً ومقاماً * والّذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والّذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسناتٍ * كان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فانّه يتوب الى الله متاباً * والّذين لا يشهدون الزّور واذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً * والذين اذا ذكّروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها صُمّاً وعمياناً * والّذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّيّاتنا قرّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إماماً * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحيّةً وسلاماً * خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً﴾[٤]، «حيثُ لا يظعنُ النّزالُ» في (الصحاح): ظعن أي: سار[٥]...

﴿ادخلوها بسلامٍ آمنين * ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ اخواناً على

---

(١) السجدة: ٢٢.

(٢) القمر: ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦.

(٤) الفرقان: ٦٣ ـ ٧٦.

(٥) الصحاح: (ظعن).

سررٍ متقابلين * لا يمسّهم فيها نصبٌ وما هم منها بمخرجين﴾[١]. «ولا يتغيّر لهم الحال» ﴿...ادخلوا الجنّة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون﴾[٢]. «ولا تنوبهم الافزاع» في (الصحاح): النّوبة (بالضّمّ) الاسم من قولك نابه أمرٌ وانتابه أي: أصابه والنائبة المصيبة واحدة نوائب الدّهر[٣]....

﴿للّذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ ولا يرهق وجوههم قترٌ ولا ذلّةٌ أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾[٤]. «ولا تنالهم الأسقام» ﴿إنَّ الّذين قالوا ربُّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون * نحن أولياءكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون * نُزلاً من غفورٍ رحيمٍ﴾[٥]. «ولا تعرض لهم الأخطار» في (الصّحاح): الخطر الاشراف على الهلاك[٦]، «ولا تشخصهم الأسفار» تشخص من الاشخاص في (الصحاح): شخص من بلد الى بلد، ذهب وأشخصه غيره[٧]....

﴿قد أفلح المؤمنون * الّذين في صلاتهم خاشعون * والّذين هم عن اللّغو معرضون * والّذين هم للزّكاة فاعلون * والّذين هم لفروجهم حافظون * إلّا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانّهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والّذين هم

---

(١) الحجر: ٤٦ ـ ٤٨.

(٢) الأعراف: ٤٩.

(٣) الصحاح: (نوب).

(٤) يونس: ٢٦.

(٥) فصلت: ٣٠ ـ ٣٢.

(٦) الصحاح: (خَطَرَ).

(٧) الصحاح: (شَخَصَ).

على صلاتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[١]. «وأما أهل المعصية فأنزلهم شرّ دارٍ» ﴿جهنّم يصلونها وبئس القرار﴾[٢]، ﴿فأوردهم النّار وبئس الورد المورود﴾[٣]. «وغلّ الأيدي الى الأعناق» في (الصحاح): الغلّ واحد الاغلال يقال في رقبته غلّ من حديد وغللت يده الى عنقه وقد غُلّ فهو مغلول[٤]....

﴿إنّا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾[٥]، ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الّذين كفروا هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون﴾[٦]، ﴿فسوف يعلمون * إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون في الحميم ثمّ في النار يسجرون﴾[٧]، ﴿خذوه فغلّوه * ثمّ الجحيم صلّوهُ * ثمّ في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾[٨]، واما قوله تعالى ﴿إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[٩]، وقد استند اليه الخوئي فهو مثل ضربه الله تعالى للكفّار في الدُّنيا[١٠]. «وقرن النّواصي بالاقدام» في (٤١) الرّحمن ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنّواصي والاقدام﴾.

---

(١) المؤمنون: ١ ـ ١١.

(٢) إبراهيم: ٢٩.

(٣) هود: ٩٨.

(٤) الصحاح: (غلل).

(٥) الدهر: ٤.

(٦) سبأ: ٣٣.

(٧) غافر: ٧٠ ـ ٧٢.

(٨) الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢.

(٩) يس: ٨ ـ ٩.

(١٠) الخوئي ٧: ٣٦٥ ح١٠٨.

«وألبسهم سرابيل القطران» في (الصحاح) عن الجاحظ: السّربال: القميص والقِطر بالكسر النُّحاس؛ ومنه قوله تعالى: ﴿من قطران﴾[1]....

وتمام الآية ﴿وترى المجرمين يومئذٍ مقرّنين في الأصفاد * سرابيلهم من قطرانٍ وتغشى وجوههم النّار﴾[2].

«ومقطّعات النّيران» في سورة الحج (١٩): ﴿هذان خصمان اختصموا في ربِّهم فالّذين كفروا قُطّعت لهم ثيابٌ من نارٍ...﴾. «وفي عذاب قد اشتدّ حرّه» في (١٩ ـ ٢١) الحجّ ﴿يُصبُّ من فوق رؤسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد﴾ ﴿...فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾[3].

«وباب قد أُطبق على أهله» في (٢٢) الحجّ ﴿كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾. «في نارٍ كلبٌ ولجبٌ» في (الصحاح): كلبه بالضّمّ الشدّة من البرد وغيره وكذلك الكلب بالتّحريك ودفعت عنك كَلَب فلان أي شرّه واذاه واللّجب الصّوت[4]. «ولَهبٌ ساطعٌ» في (الصحاح): لهب النّار: لسانها وسطع الغبار والرائحة والصّبح اذا ارتفعت[5]. «وقصيفٌ هائل» في (الصحاح): وعد قاصف: شديد الصّوت[6]....

﴿...واعتدنا لِمن كذّب بالسّاعة سعيراً * اذا رأتهم من مكان بعيدٍ سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً * واذا أُلقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هناك

---

(١) الصحاح: (سربل).

(٢) إبراهيم: ٤٩.

(٣) البقرة: ٨٦.

(٤) الصحاح: (كَلَبَ).

(٥) الصحاح: (لَهَبَ).

(٦) الصحاح: (قصف).

ثبوراً * لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾[١]. «لا يظعن مقيمها» ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النّار﴾[٢]، ﴿يريدون أن يخرجوا من النّار وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مقيم﴾[٣]، ﴿كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[٤].
«ولا يفادى أسيرها» ﴿إنّ الّذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذابٌ اليم﴾[٥]. «ولا تفصم كبولها» في (الصّحاح): فصم الشّي: كسره من غير أن يبيّن، والكبل القيد[٦].
«ولا مدّة للدّار فتفنى» ﴿ومن خفّت موازينه فأولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون * تلفح وجوههم النّار وهم فيها كالحون * ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون * قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين * ربّنا اخرجنا منها فان عدنا فإنّا ظالمون * قال اخسؤا فيها ولا تكلّمون﴾[٧].
«ولا أجل للقوم فينقضى» ﴿وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب * قالوا ألم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلّا في ضلالٍ﴾[٨]، ﴿انّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون * لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون * وما ظلمناهم ولكن كانوا هم

---

(١) الفرقان: ١١ ـ ١٤.

(٢) البقرة: ١٦٧.

(٣) المائدة: ٣٧.

(٤) الحج: ٢٢.

(٥) المائدة: ٣٦.

(٦) الصحاح: (فَصَمَ).

(٧) المؤمنون: ١٠٣ ـ ١٠٨.

(٨) غافر: ٤٩ ـ ٥٠.

الظّالمين * ونادوا يا مالك ليقض علينا ربُّك قال إنكم ماكثون﴾[(١)].

٢١
من الخطبة (٨٠)

فِى خُطْبَةٍ عَجِيبَةٍ:

عِبادٌ مَخْلُوقُونَ اَقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اَقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ اَحْتِضَاراً، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ جَزَآءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً. قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ اَلْمَخْرَجِ، وَهُدُوا سَبِيلَ اَلْمَنْهَجِ؛ وَعُمِّرُوا مَهَلَ اَلْمُسْتَعْتَبِ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ اَلرِّيَبِ، وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ اَلْجِيَادِ، وَرَوِيَّةِ اَلارْتِيَادِ، وَأَنَاةِ اَلْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ، فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ، فَيَالَها أَمْثَالاَ صَآئِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَآءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً! فَاتَّقُوا تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، واَقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحَذِّرَ فَحَذِرَ، وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ، وَرَجَعَ فَتَابَ، وَاَقْتَدى فَاحْتَذى، وَأُرِيَ فَرَأى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَاداً، واسْتَظْهَرَ زاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ. فَاتَّقُوا اَللهَ عِبادَ اَللهِ جَهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاَحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاَسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

أقول: قوله عليه السلام «عبادٌ مخلوقون اقتداراً» ﴿ومن آياته ان خلقكم من ترابٍ

(١) الزخرف: ٧٤ ـ ٧٧.

ثمّ إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾[١]، ﴿اقرأ باسم ربّك الذي خلق * خلق الإنسان من علقٍ﴾[٢]، ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ * ثمّ جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين * ثمّ خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٣].

«ومربوبون اقتساراً» في (الصحاح): ربيت القوم: سستُهم أي، كنت فوقهم قال أبو نصر هو من الرّبوبية وقسره على الأمر: أكرهه عليه وكذلك اقتسره ...

﴿ولله يسجد من في السّماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظِلالهم بالغدوّ والآصال﴾[٤]، ﴿قُل اللّهمّ مالك المُلك تؤتي الملك من تشاء وتنزع المُلك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انّك على كلّ شيءٍ قديرٌ * تولج الليل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب﴾[٥]، ﴿... قل أفأتخذّتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ...﴾[٦]، ﴿... ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً﴾[٧]، ﴿... وله أسلم مَن في السّماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون﴾[٨]، ﴿... يهب لمن يشاء إناثاً ويهبُ لمن يشاء الذّكور * أو يزوّجهم

---

(١) الروم: ٢٠.

(٢) العلق: ١ ـ ٢.

(٣) المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

(٤) الصحاح: (ربب)، والرعد: ١٥.

(٥) آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧.

(٦) الرعد: ١٦.

(٧) الفرقان: ٣.

(٨) آل عمران: ٨٣.

ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً ...﴾[1].

وروى (توحيد الصّدوق) عن أحد أصحاب أبي منصور المتطبّب قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبدالله بن المقفّع في المسجد الحرام فقال ابن المقفّع: أترون هذا الخلق (وأومى بيده الى موضع الطّواف) ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيّة إلّا ذلك الشيخ الجالس (يعني جعفر بن محمد عليه السلام) فأمّا الباقون فرعاع وبهائم فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال لأني رأيت عنده مالم أرَ عندهم فقال ابن أبي العوجاء: لابدّ من اختبار ذلك فقال له ابن المقفّع: لا تفعل فانّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك فقال: ليس ذا رأيك لكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في اجلالك إيّاه المحلّ الذي وصفت فقال له: امّا اذ توهّمت عليّ هذا فقم اليه وتحفظ ما استطعت من الزّلل ولا تثن عنانك الى ارسال يسلمك الى عقال وسمّه مالك أو عليك قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت وابن المقفّع فرجع الينا فقال: يا ابن المقفّع ما هذا ببشر وان كان في الدّنيا روحانيّ يتجسّد اذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا فقال: وكيف؟ قال: جلست عنده فلّما لم يبق عنده غيري ابتدأ بي فقال: ان يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون (يعني أهل الطواف) فقد سلموا وعطبتم وان يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم أنتم وهم فقلت له: وأي شيء نقول؟ وأي شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلّا واحد قال: كيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: انّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بانّ للسّماء إلهاً وانّها عمران وأنتم تزعمون انّ السّماء خراب ليس فيها أحد، قال: فاغتنمتها منه فقلت له: ما منعه ان كان الأمر كما تقول ان يظهر لخلقه ويدعوهم الى عبادته

---

(١) الشورى: ٤٩ ـ ٥٠.

حتّى لا يختلف منهم اثنان ولِمَ احتجب عنهم وأرسل اليهم الرّسل ولو باشرهم بنفسه كان أقرب الى الايمان به فقال لي: ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك ونشأك ولم تكن وكبرك بعد صغرك وقوّتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوّتك وسقمك بعد صحّتك وصحّتك بعد سقمك ورضاك بعد غضبك وغضبك بعد رضاك وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إباءك، وإباءك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاك بعد يأسك، ويأسك بعد رجاءك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وغروب ما أنت معتقد عن ذهنك قال: ومازال يعدّ عليّ قدراته التي هي في نفسي الّتي لا أدفعها حتّى ظننت انّه سيظهر فيما بيني وبينه[1].

«ومقبوضون احتضاراً» ﴿الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الأُخرى الى أجلٍ مسمّىً انّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون﴾[2]، ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذٍ تنظرون * ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين﴾[3]، ﴿هو الذي يتوفاكم باللّيل ويعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه ليقضي أجلٌ مسمّىً ثمّ اليه مرجعكم ثمّ ينبّئكم بما كنتم تعملون﴾[4]، ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حَفَظَةً حتّى اذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون * ثمّ ردّوا الى الله

---

(١) الاعتقادات للصدوق: ١٢٦ ح ٤.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧.

(٤) الأنعام: ٦٠.

مولاهم الحقّ الا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾[١]، ﴿قل يتوفاكم ملكُ الموت الّذي وكّل بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون﴾[٢]، ﴿قل انّ الموت الّذي تفرّون منه فانّه ملاقيكم ثمّ تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون﴾[٣]، ﴿كلّا إذا بلغت التّراقي * وقيل من راقٍ * وظنَّ انّه الفراق * والتفّت السّاق بالسّاق * إلى ربّك يومئذٍ المساق﴾[٤].

«ومضمّنون اجداثاً» ﴿فبعثَ الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأُواري سوأة أخي فأصبح من النّادمين﴾[٥]، ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً اُخرى﴾[٦]، وفي الخبر سئل الباقر عليه السلام لأيّ علّة يولد الإنسان هاهنا ويموت في موضع آخر فقال عليه السلام: لأنّ الله تعالى خلق خلقه من أديم الأرض فمرجع كلّ انسان الى تربته[٧]، ﴿ألم تجعل الأرض كفاتاً * أحياءً وأمواتاً﴾[٨].

وروي عن يحيى بن هرثمة الذي أرسله المتوكّل لاشخاص الهادي عليه السلام اليه انّه كان معه قائد شامي وكاتب متشيّع فقال له: من قول صاحبكم ليس من الأرض بقعة إلّا وهي قبر أو ستكون قبراً فمن يموت في هذه البريّة العظيمة حتّى تمتلي قبوراً وتضاحكوا منه فانخذل ـ الى أن قال: فسرنا في الرّجوع الى

---

(١) الأنعام: ٦١ ـ ٦٢.

(٢) السجدة: ١١.

(٣) الجمعة: ٨.

(٤) القيامة: ٢٦ ـ ٣٠.

(٥) المائدة: ٣١.

(٦) طه: ٥٥.

(٧) علل الأحكام للصدوق ١: ٢٩٠، ونقله المجلسي في البحار ٥٧: ٣٥٨.

(٨) المرسلات: ٢٥ ـ ٢٦.

موضع المناظرة في القبور ـ ارتفعت سحابة وأرعدت وأبرقت حتّى اذا صارت على رؤسنا أرسلت علينا بَرَداً مثل الصّخور وقد شدّ الهادي عليه السلام على نفسه وغلمانه الخفاتين ولبسوا اللّبابيد والبرانس قبل ـ وكنّا في تموز أشدّ ما يكون من الحرّ ـ فقال لغلمانه: ادفعوا الى يحيى لبّادة والى الكاتب برنسا فقتل البرد من أصحابي ثمانين وزالت السّحابة ورجع الحرّ فقال الهادي عليه السلام: يا يحيى مر من بقي من أصحابك ليدفن من قد مات، ثمّ قال: يا يحيى هكذا يملأ الله قبوراً قال يحيى: فرميت نفسي عن دابتي وقبّلت ركابه وقلت: اشهد انكم خلفاء الله في أرضه وكنت كافراً وقد أسلمت الآن على يديك وتشيّعت[1].

وفي (الصحاح) الجدث: القبر والجمع أجدث وأجداث؛ قال المتنخّل الهذلي:

عرفت بأجدث فنعاف عرق ... علامات كتحبير النّماط[2]

قلت: كون أجدث جمع جدث أيضاً غير معلوم وان تبعه (القاموس) فلم يذكر (المصباح) و(النّهاية) غير (أجداث)[3] والشعر الذي أنشده غلط لأنّ أجدث فيه موضع كنعاف.

«وكائنون رفاتاً» في (الصحاح) الرّفات: الحطام قال تعالى ﴿ءاذا كنّا عظاماً ورفاتاً ...﴾[4].

وفي (غريب قرآن السّجستاني): رفاتاً وفتاتاً واحد ويقال الرّفات: ما تناثر من كلّ شيء[5].

«بلى ومبعوثون أفراداً» ﴿... يخرجون من الأجداث كأنّهم

---

(١) الخرائج والجرائح للقطب الراوندي: ٢٠٩ ونقله المجلسي في البحار ٥: ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٢) الصحاح: (جدث).

(٣) المصباح المنير للفيتوري: ٩٢، قاموس المحيط للفيروز آبادي: ٢١٣ (الجَدَث).

(٤) الصحاح: (رفت) والآية: ٤٩ من سورة الاسراء.

(٥) غريب الحديث للسجستاني: ٨٩.

جرادٌ منتشرٌ﴾[١].

«ومدينون جزاءً» ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين﴾[٢]، ﴿يومئذٍ يصدر النّاس اشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[٣]، ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ آتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٤]، ﴿يا بنيّ انّها ان تكُ مثقال حبّةٍ من خردلٍ فتكن في صخرة أو في السّماوات أو في الأرض يأتِ بها الله إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ﴾[٥].

«ومميّزون حساباً» ﴿يا أيُّها النّاس اتّقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً إنّ وعد الله حقٌّ فلا تغرّنكم الحياة الدُّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرورُ﴾[٦]، ﴿واتّقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ ولا يقبل منها عدلٌ ولا تنفعها شفاعةٌ ولا هم ينصرون﴾[٧].

«قد أمهلوا في طلب المخرج» ﴿أفحسبتم انّما خلقناكم عبثاً وانّكم الينا لا ترجعون﴾[٨]، ﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سدىً﴾[٩].

«وهدوا سبيل المنهج» ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه

---

(١) القمر: ٧.

(٢) الواقعة: ٨٥ ـ ٨٦.

(٣) الزلزال: ٦ ـ ٨.

(٤) الأنبياء: ٤٧.

(٥) لقمان: ١٦.

(٦) لقمان: ٣٣.

(٧) البقرة: ١٢٣.

(٨) المؤمنون: ١١٥.

(٩) القيامة: ٣٦.

فجعلناه سميعاً بصيراً * إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[١]، ﴿ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها﴾[٢]، بالرسول الباطن وهو العقل كما ذكّرها بالرسول الظاهر.

وفي (الصحاح) النهج الطريق الواضح وكذلك المنهج والمنهاج[٣].

«وعمّروا مهل المستعتب» في (الصحاح) اعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني قال الخليل العتاب مخاطبة الاذلال ومذاكرة الموجدة[٤].

قال تعالى ﴿ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقِّ ولا يكونوا كالّذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾[٥].

وفي الخبر أنّ قوله تعالى ﴿أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر ...﴾[٦] خطاب لابن ثماني عشرة سنة[٧].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: أنّ الشّمس لتطلع ومعها أربعة أملاك ملك ينادي يا صاحب الخير أتمّ وابشر وملك ينادي يا صاحب الشّرّ انزع واقصر[٨]....

«وكشف» هكذا في (المصرية)[٩] والصواب (وكُشِفتْ) كما في (ابن ابي

(١) الدهر: ٢ ـ ٣.

(٢) الشمس: ٧ ـ ٨.

(٣) الصحاح: (نهج).

(٤) الصحاح: (عتب).

(٥) الحديد: ١٦.

(٦) فاطر: ٣٧.

(٧) مجمع البيان للطبري ٥: ٣٠٦.

(٨) الكافي ٤: ٤٢ ح١.

(٩) الطبعة المصرية، بلفظ (كشفت): ١٩٠ ح٧٩.

الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«عنهم سدفُ الرّيب» في (الصحاح): قال الأُصمعي السَّدفة والسُّدفة في لغة نجد: الظّلمة وفي لغة غيرهم: الضّوء وكذلك السَّدَف بالتّحريك، وقال أبو عبيد وبعضهم يجعل السّدفة اختلاط الضّوء والظّلمة معاً كوقت ما بين طلوع الفجر والاسفار وقد أسدف اللّيل أي اظلم، ومنه قول العجاج (واقطع الليل اذا ما أسدفا) والسّدف اللّيل قال الشاعر (بارعن كالسّدف المظلم)[٢].

والرّيب الشّك والرّيب ما رابك من أمر والاسم الريبة بالكسر وهي التّهمة والشّك ...؛ قال النبيّ ﷺ للنّاس في حجّة الوداع، مامن شيءٍ يقرّبكم من الجنّة إلّا أمرتكم به وما من شيءٍ يقرّبكم من النّار إلّا نهيتكم عنه[٣].

وقال تعالى: ﴿لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرُّشد من الغيّ﴾[٤].

«وخُلقَ المضمار الجياد» في (الصحاح): تضمير الفرس أن يعلفه حتّى يسمن ثمّ يرده الى القوت، وذلك في أربعين يوماً وهذه المدّة تسمّى المضمار والموضع الّذي يضمر فيه الخيل أيضاً مضمار[٥].

وجاد الفرس أي: صار رائعاً يجود جودة (بالضّمّ) فهو جواد للذّكر والأُنثى من خيل جياد وأجياد وأجاويد ...

قال تعالى ﴿فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[٦].

---

(١) شرح بن ابي الحديد ٦: ٢٥٢ وشرح ابن ميثم ٢: ٢٤٤ ح ٨٠ بلفظ (كشف).

(٢) الصحاح: (سدف).

(٣) الكافي ٢: ٧٤ ح ٢.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

(٥) الصحاح: (ضمر).

(٦) المائدة: ٤٨.

«ورويّة الارتياد» في (الصحاح): الرّويّة: التفكّر في الأمر جرت في كلامهم غير مهموز[١].

قال وراد الكلا يروده روداً ورياداً وارتاده ارتياداً بمعنى أي طلبه والرّائد الّذي يرسل في طلب الكلأ يقال: لا يكذب الرّائد أهله ...

قال تعالى ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله انّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[٢]، ﴿ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * لا يستوي أصحاب النّار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون﴾[٣].

وقال عليه السلام لكليب الجرمي لمّا بعثه قوم من البصرة اليه عليه السلام قبل وروده عليه السلام ليعلم لهم حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبّهة عنهم فبيّن عليه السلام لهم ما علم به انّه على الحقّ، ثمّ قال له: بايع فقال انّي رسول قوم ولا أفعل حتى أرجع اليهم وأرى ما يقولون، فقال عليه السلام لو انّهم بعثوك رائداً فرجعت اليهم وأخبرتهم عن الماء والكلاء فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعاً؟ قال كنت تاركهم قال عليه السلام فامدد يدك إذن، قال فما استطعت الامتناع بعد قيام الحجّة[٤].

«وأناة المقتبس المرتاد» في (الصّحاح): تأنّى في الأمر أي: ترفق وانتظر واستأنى به أي: انتظر يقال استونى به حولاً والاسم الأناة مثل قناة، تقول: تأنّيتك حتّى لا أناة بي والقبس شعلة من النّار وكذلك المقباس[٥].

---

(١) الصحاح: (روا).

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) الحشر: ١٩ ـ ٢٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩٩.

(٥) الصحاح: (أنا).

«في مُدّة الأجل» ﴿وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصّالحين * ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون﴾[١].

«ومضطرب المَهَل» حكم عليه السلام بكون مهل الانسان مضطرباً لأنّ الانسان لا يدري أي وقت يجيىء موته أفي شبابه أم كهولته أم شيخوخته.

«فيالها أمثالاً صائبة» من قولهم سهم صائب والأمثال الصّائبة للانسان والدّنيا على أنحاء منها من حيث فنائها كقوله تعالى ﴿... يا أيُّها النّاس إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدُّنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون * انما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل النّاس والأنعام حتّى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها انّهم قادرون علهيا أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ...﴾[٢]، ومنها من حيث عدم ثبات من يستندون اليه من أهل الدّنيا كقوله تعالى ﴿مثل الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[٣]، ومنها من حيث عجز من يعتمدون عليه كقوله تعالى ﴿يا أيُّها النّاس ضرب مثلٌ فاستمعوا له انّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذُباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذّباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطّالب والمطلوب﴾[٤].

«ومواعظ شافيةً» من أمراض الأخلاق الرّذيلة ﴿يا أيُّها النّاس قد جائتكم

---

(١) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٢) يونس: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) العنكبوت: ٤١.

(٤) الحج: ٧٣.

موعظةٌ من ربّكم وشفاءٌ لما في الصّدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين﴾[١].

«لو صادفت قلوباً زاكيةً» ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون * إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[٢]، ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دسّاها﴾[٣].

«وأسماعاً واعيةً» في (الصحاح): وعيه أي: حفظه ... ﴿... وتعيها أُذُنٌ واعيةٌ﴾[٤].

«وآراء عازمةً» في (الصّحاح) عزمت على كذا عَزماً وعُزماً بالضّمّ وعزيمةً وعزيماً اذا أردت فعله وقطعت عليه قال تعالى ﴿ولم نجد له عَزماً﴾[٥].

وفي الخبر: المؤمن أشدّ من الجبل لا يعمل في دينه، وقال الحسين عليه السلام لو لم يكن لي ملجأ في الدّنيا ولا ناصر لما بايعت يزيد وحضر للجهاد في سبيل الحقّ مع تلك العدّة القليلة[٦].

«والباباً حازمةً» في (الصحاح): اللّب: العقل والجمع ألباب، والحزم: ضبط الرّجل أمره، وأخذه بالثّقة، وحُزم الرّجل (بالضّمّ) حزامة فهو حازم واحتزم وتحزّم بمعنى أي: تلبّب، وذلك اذا شدّ وسطه بحبل[٧] ...

﴿الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الّذين هداهم الله وأولئك هم أُولو الألباب﴾[٨].

---

(١) يونس: ٥٧.

(٢) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) الشمس: ٩ ـ ١٠.

(٤) الحاقة: ١٢.

(٥) طه: ١١٥، الصحاح: (عزم).

(٦) تفسير العياشي ٢: ٣٠١ ونقله المجلسي في بحار الأنوار عن (أبي عبدالله) ٦٣: ٢٥٧ ح ١٢٥.

(٧) الصحاح: (لبب).

(٨) الزمر: ١٨.

«فاتّقوا» هكذا في (المصرية)[١] والصواب (فاتّقوا الله) كما في (ابن ابي الحديد وابن ميثم و(الخطية)[٢].

«تقيّة من سمع فخشع» ﴿وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرّسول ترى أعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحقِّ ...﴾[٣]، ﴿ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقِّ ولا يكونوا كالّذين أُوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾[٤].

«واقترف فاعترف» في (الصحاح): الاقتراف: الاكتساب وقارف فلان الخطيئة أي: خالطها[٥] ...

﴿والذين اذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ...﴾[٦].

في (تفسير القمّي) ـ لمّا حاصر النبيّ صلى الله عليه وآله بني قريظة قالوا ابعث لنا أبا لبابة نستشيره في أمرنا فقال صلى الله عليه وآله له ائت حلفاءك فأتاهم فقالوا له ما ترى؟ أننزل على حكمه؟ فقال نعم واعلموا انّ حكمه فيكم ـ وأشار الى حلقه ـ أي الذّبح ثمّ ندم فقال خنت الله ورسوله ونزل من حصنهم ولم يرجع اليه صلى الله عليه وآله ومرّ الى المسجد وشدّ في عنقه حبلاً ثمّ شدّه الى الاسطوانة الّتي تسمّى اسطوانة التّوبة وقال لا أحلّه حتى أموت أو يتوب الله عليّ فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فقال انّا لو أتانا لاستغفرنا الله له وامّا اذ قصد الى ربّه فالله أولى به

---

(١) الطبعة المصرية المصححة كما ذكر المصنف: ١٩٠ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٥٥، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٤٦ بلفظ (فأتقوا تقيّة) .

(٣) المائدة: ٨٣ .

(٤) الحديد: ١٦ .

(٥) الصحاح: (قرف) .

(٦) آل عمران: ١٣٥ .

وكان يصوم النهار ويأكل باللّيل ما يمسك رمقه فكانت بنته تأتيه بعشائه وتحلّه عند قضاء الحاجة فلّما كان بعد ذلك والنبيّ ﷺ في بيت أُمّ سلمة نزلت توبته ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم﴾[1]، فقال ﷺ لها قد تاب الله عليه فقالت افاوذنه فقال لتفعلنّ فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت ابشر يا أبا لبابة قد تاب الله عليك فقال الحمد لله فوثب المسلمون يحلّونه فقال لا والله حتّى يحلّني ﷺ فجاء ﷺ فقال تاب الله عليك لو ولدت من امّك يومك هذا لكفاك فقال افاتصدّق به بمالي كلّه؟ قال لا قال فبثلثيه قال لا قال فبنصفه قال لا قال فثلثه فقال نعم[2].

«ووجِلَ فعمِلَ» ﴿إنّ الّذين هم من خشية ربّهم مشفقون * والّذين هم بآيات ربّهم يؤمنون والّذين هم بربّهم لا يشركون * والّذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجِلةٌ انّهم الى ربّهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[3]، ﴿فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ...﴾[4].

«وأيقن فأحسن» ﴿فأما من اعطى واتّقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسّره لليسرى﴾[5].

«وعبّر فاعتبر» أي: رأى اسباب العبرة فاعتبر بها.

«وحذِّر فازدجر» قال تعالى في سورة القمر كراراً ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر﴾.

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) تفسير القمي ١: ٣٠٣.

(٣) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

(٤) البقرة: ١٤٨.

(٥) الليل: ٥ ـ ٧.

«وأجاب فأناب» ﴿والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها وأنـابوا الى الله لهم البشرى ...﴾[١]، «ورجع» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب ((وراجع)) كما في (ابن ابي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«فتاب» ﴿... وتوبوا الى الله جميعاً أيّه المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾[٤].

«واقتدى فاحتذى» في (الصّحاح): حذوت النّعل بالنعل حذواً اذا قدّرت كلّ واحدة على صاحبتها[٥] ...

﴿قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[٦].

«وارى فرأى» ﴿هو الّذي يريكم آياته وينزّل لكم من السّماء رِزقاً وما يتذكّر إلّا من يُنيب﴾[٧].

«فأسرع طالباً» للخير «ونجا هارباً» من الشّرّ «فأفاد ذخيرةً» ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم﴾[٨].

«وأطاب سريرةً» ﴿قد أفلح من زكاها﴾[٩].

---

(١) الزمر: ١٧.

(٢) الطبعة المصرية: ١٩٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٥٥، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٤٦.

(٤) النور: ٣١.

(٥) الصحاح: (حذا).

(٦) آل عمران: ٣١.

(٧) المؤمنون: ١٣.

(٨) المزمل: ٢٠.

(٩) الشمس: ٩.

«وعمّر معاداً» ﴿وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان ...﴾[١].

«واستظهر زاداً» في (الصحاح): استظهر به أي استعان به واستظهر الشّيء حفظه وقرأه ظاهراً[٢].

«ليوم رحيله، ووجه سبيله وحال حاجته وموطن فاقته» في (الفقيه) عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلّا قال له ذلك اليوم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل فيّ خيراً اشهدُ لك يوم القيامة فانّك لن تراني بعده أبداً[٣].

«وقدّم أمامه لدار مقامه» ﴿وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريب فأصّدّق وأكن من الصّالحين﴾[٤].

«فاتّقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له» ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون﴾[٥]، ﴿أيحسب الإنسان أن يُترك سدىً﴾[٦]، ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون * ما أُريد منهم من رزقٍ وما أُريد أن يطعِمون﴾[٧].

«واحذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه» في (المصباح): كنه الشيء نهايته وحقيقته والكنه الوقت قال (وانّ كلام المرء في غير كنهه) أي في غير وقته ولا يشتقّ منه فعل[٨].

---

(١) المنكبوت: ٦٤.

(٢) الصحاح: (ظهر).

(٣) الفقيه ٤: ٣٩٧ ح٥٨٤٩.

(٤) المنافقون: ١٠.

(٥) المؤمنون: ١١٥.

(٦) القيامة: ٣٦.

(٧) الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧.

(٨) المصباح المنير للفيتوري ٢: ٢٣٣ (كنه).

قلت: كأنّه مشتقّ من كلمتي كونه أو كيانه فخفّفتا وصارتا كلمة واحدة وكيف كان قال تعالى ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ...﴾(١).

«واستحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتنجّز لصدق ميعاده» في (الصحاح): نجّز حاجته: قضاها واستنجز الرّجل حاجته وتنجّزها أي استنجحها والنّاجز الحاضر يقال بعته ناجزاً بناجز كقولك يداً بيد(٢).

والميعاد المواعدة والوقت والموضع.

«والحذر من هول معادِهِ» في (تفسير القمّي) عن الصادق عليه السلام: ما خلق الله خلقاً إلّا جعل له في الجنّة منزلاً وفي النّار منزلاً فاذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار نادى منادياً أهل الجنّة اشرفوا فيشرفون على أهل النّار وترفع لهم منازلهم لهم فيها ثمّ يقال لهم هذه منازلكم التي لو عصيتم الله لدخلتموها قال فلو انّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب ثمّ يناد مناد يا أهل النّار ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فينظرون الى منازلهم في الجنّة وما فيها من النّعيم فيقال لهم هذه منازلكم التي لو أطعتم ربّكم لدخلتموها فلو انّ أحداً مات حزناً لمات أهل النّار حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء(٣) وذلك قوله تعالى ﴿أُولئك هم الوارِثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾(٤).

---

(١) آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) الصحاح: (نجز).

(٣) تفسير القمي ٢: ٨٩.

(٤) المؤمنون: ١٠ ـ ١١.

٢٢

الخطبة (٩٨)

وَمِنْ كلامٍ لَهُ عليه السلام يَجْرِي مَجْرَى الْخُطْبَةِ:

وَذلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لِنِقَاشِ ٱلْحِسَابِ وَجَزَآءِ ٱلْأَعْمَالِ، خُضُوعاً، قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

أقول: قوله «ومن كلامٍ له عليه السلام يجري مجرى الخطبة» هكذا في (المصرية)[1] وفي «(ابن ابي حديد وابن ميثم)[2]: ((ومن خطبة له عليه السلام تجري هذا المجرى)): وهو الصّحيح وقوله ((هذا المجرى)) اشارة الى اشتمالها على ذكر الملاحم كسابقتها.

«وذلك يومٌ يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين» الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى ﴿قل إنّ الأولين والآخرين * لمجموعون الى ميقات يومٍ معلوم﴾[3]، ﴿إن كانت إلّا صيحةً واحدةً فاذا هم جميعٌ لدينا محضرون﴾[4]، ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ...﴾[5].

«لنقاش الحساب» النّقاش والمناقشة الاستقصاء في الحساب ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ...﴾[6]، ﴿وكلّ صغيرٍ وكبيرٍ

---

(١) الطبعة المصرية ليس فيها ما ذُكر: ٢٤٦ ح٩٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٢ ح١٠١، وشرح ابن ميثم ٣: ١٣ ح٩٩.

(٣) الواقعة: ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) يس: ٥٣.

(٥) التغابن: ٩.

(٦) البقرة: ٢٨٤.

مستطرٌ﴾[١]، ﴿ويقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرةً إلّا أحصاها ووجدوا ما عمِلوا حاضراً ...﴾[٢].

«وجزاء الأعمال» ﴿فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾[٣]، ﴿ليجزي الذين أسآؤا بما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى﴾[٤].

«خضوعاً» هنا هو جمع خاضع ﴿وخشعت الأصوات للرّحمن فلا تسمع إلّا همساً﴾[٥].

«قياماً» (قيام) يكون مصدر (قام) ويكون جمع قائم وهو المراد هنا.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيامة ادنيت الشّمس حتّى يكون بقدر ميل أو ميلين فيكونون في العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يلجمه إلجاماً ـ وأشار بيده الى فيه ـ[٦].

«ورجفت بهم الأرض» ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾[٧].

«فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متّسعاً» ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾[٨]، ﴿يوم ترجف الرّاجفة * تتبعها الرّادفة * قلوبٌ يومئذٍ

---

(١) القمر: ٥٣.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) الزلزلة: ٨ ـ ٩.

(٤) النجم: ٣١.

(٥) طه: ١٠٨.

(٦) الترمذي، سنن الترمذي: ح ٢٣٤٥ كتاب ٣٤ باب ١ عن المقداد.

(٧) المزمل: ١٤.

(٨) المزمل: ١٧.

واجفةٌ * أبصارها خاشعةٌ﴾[1].

هذا، ومرّ في فصل إمامته عليه السلام قوله عليه السلام «شغل من الجنّة والنّار أمامه» الى آخره.

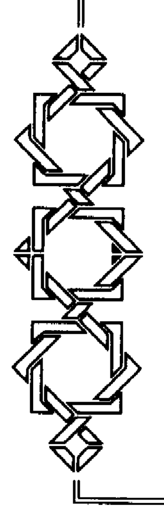
---

(١) النازعات: ٦ ـ ٩.



الفصل التاسع والثلاثون

في ما قاله عليه السلام
في ما يجب على العبد لربّه





١
الحكمة (١٠)

وَقَالَ عليه السلام:

اِذَا قَدَرْتَ عَلى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

في (العيون): أمر عبد الملك بقتل رجل فقال له الرّجل: إنّك أعزّ ما تكون أحوج ما تكون الى الله فاعف له فانّك به تعان واليه تعود، فخلّى سبيله[١].

وأمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر ان أمكنه الله ليفعلنّ به وليفعلنّ فقال له رجاء بن حياة: قد فعل الله ما تحبّ من الظّفر فافعل ما يحبّ الله من العفو[٢].

وأتى الحجّاج بأُسارى فأمر بضرب أعناقهم فقال له رجل منهم لمّا أرادوا ضرب عنقه: والله لئن كنّا أسأنا في الذّنب فما أحسنت في المكافأة فقال

(١ ـ ٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١٠٢.

الحجّاج: أُفّ لهذا الجيف ماكان فيهم أحد يحسن مثل هذا. وكفّ عن القتل[١].

وأتى الهادي برجل كان في حبسه فجعل يقرعه بذنوبه، فقال الرّجل اعتذاري ممّا تقرعني به ردّ عليك، واقراري بما تعتدّه عليّ يلزمني ذنباً لم أجنه ولكني أقول:

فان كنت ترجو في العقوبة راحةً فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر[٢]

وفي (العقد): قال مبارك بن فضالة كنت عند المنصور إذ أمر برجل ان يقتل فقلت له: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله ألا من كانت له عند الله يد فليتقدّم، فلا يتقدّم إلّا من عفى عن مذنب، فأمر بإطلاقه[٣].

وقال: قد ضلّ الأعشى في طريقه فأصبح بأبيات علقمة بن علاثة فقال: قائده وقد نظر الى قباب الادم، واسوء صباحاه! يا أبا بصير، هذه والله أبيات علقمة فخرج فتيان الحيّ فقبضوا على الأعشى فأتوا به علقمة فمثّل بين يديه. فقال: الحمد لله الذي أظفرني بك من غير ذمّة ولا عقد، قال الأعشى: أفتدري لِمَ ذلك؟ قال: نعم لأنتقم اليوم منك بتقوالك الباطل عليّ مع إحساني اليك، قال: لا والله ولكن أظفرك الله بي ليبلو قدر حلمك فيّ ... فأطرق علقمة فاندفع الأعشى فقال:

أعلقم قد صيّرتني الأمور اليك وما كان بي منكص

كساكم علاثة أثوابه وورّثكم مجده الأحوص

فهب لي ذنوبي فدتك النفوس فلازلت تنمى ولا تنقص[٤]

فقال: قد فعلت اما والله لو قلت فيّ ما قلت في عامر لأغنيتك طول حياتك ولو قلت في عامر بعض ما قلت فيّ ما اذاقك برد الحياة.

(١) المصدر نفسه ١: ١٠٣.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١٠٥.

(٣) العقد ٢: ١٨٩.

(٤) عيون الاخبار ٢: ١٨٩، وديوان الأعشى: ٤١٩.

٢

الحكمة(١٣)

وَقَالَ عليه السلام:

إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.

أقول: ذكره (ابن ابي الحديد) بعد (١٧)[١] ولكن في (ابن ميثم» كما هنا[٢]. وكيف كان فروى المصنّف في (مجازاته النبويّة) قريباً منه عن النبيّ صلى الله عليه وآله ولا غرو فهو منه كالصّنو من الصّنو والذّراع من العضد فقال: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله لبعض أزواجه احسني جوار نعم الله فانّها قلّما نفرت عن قوم فكادت ترجع اليهم، ثمّ قال: وهذه استعارة لأنّه صلى الله عليه وآله جعل النّعم المتفاضلة على الإنسان بمنزلة الضّيف النّازل والجار المجاور الّذي يجب أن يعدّ قراه ويكرم مثواه وتصفى مشاربه وتؤمن مساربه فان اخيف سربه ورنق شربه وضيعت قواصيه واعتميت مقاربه كان خليقاً بأن ينتقل وجديراً بأن يستبدل فكذلك النّعم اذا لم يجعل الشّكر قرى نازلها والحمد مهاد منزلها كانت وشيكه بالانتقال وخليقة بالزّيال[٣].

وفي رواية أُخرى ((احسنوا جوار نعم الدّنيا فانّها وحشيّة)) وباقي الخبر على لفظه، فعلى هذه الرّواية كأنّه صلى الله عليه وآله شبّه النّعم بأوابد الوحش الّتي تقيم مع الايناس وتنفر مع الايحاش ويصعب رجوع شاردها اذا شرد ودنوّ نافرها اذا بعد.

قلت: بل الظاهر ارادة المعنى الأخير على الرّواية الأُولى أيضاً فكما انّ

(١) ابن أبي الحديد ذكره في (١٤) ١٧: ١١٦.

(٢) ذكرها ابن ميثم في (١٨١) ٥: ٢٤٥.

(٣) المجازات النبوية للرضي: ٢١٩.

الوحشيّة قرينة لتشبيه النّعم بالأوايد كذلك قوله (لا تنفروا). قال تعالى﴿كأنّهم حُمرٌ مستنفرة * فرّت من قسورةٍ﴾[١].

وقال الشاعر:

ازجر حمارك انّه مستنفر   في اثر أحمرة عمدن لغرب[٢]

وفي المثل: كلّ ازبّ نفور[٣].

قال الجوهري: ينبت على حاجب البعير شعيرات فاذا ضربته الرّيح نفر. قال الكميت (او يتناسى الازبّ النفورا)[٤].

وممّا يشهد لما قلنا من التّشبيه ما رواه محمّد بن يعقوب عن الرّضا عليه السلام انّه قال لمحمّد بن عرفة انّ النّعم كالإبل المعتقلة في عطنها على القوم ما أحسنوا جوارها فاذا أساؤا معاملتها وابالتها نفرت عنهم[٥].

وكيف كان، فقال تعالى ﴿إنّ الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[٦]، ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديد﴾[٧].

وعن أبي عبدالله عليه السلام مكتوب في التوراة: (اشكر من أنعم عليك وانعم على من شكرك فانّه لا زوال للنّعماء اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت الشكر زيادة للنّعم وأمان من الغير)[٨].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿لقد كان لسبأٍ في مساكنهم آيةٌ جنّتان عن يمينٍ

---

(١) المدّثر: ٥٠ ـ ٥١.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٩: ٣٩٠.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد: ٩٨.

(٤) الصحاح: (زبب).

(٥) الكافي ٤: ٣٨ ح١.

(٦) الرعد: ١١.

(٧) إبراهيم: ٧.

(٨) الكافي ٢: ٩٤ ح٣.

وشمالٍ كلوا من رزقِ ربّكم واشكروا له بلدةٌ طيّبةٌ وربٌّ غفورٌ * فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أُكلٍ خمط واثلٍ وشيء من سدرٍ قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلّا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها قرىً ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيّاماً آمنين * فقالوا ربّنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كلّ ممزّقٍ إنّ في ذلك لآياتٍ لكلّ صبّارٍ شكور﴾[1]: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم الى بعض وانهار جارية وأموال ظاهرة فكفروا نِعم الله وغيّروا ما بأنفسهم من عافية الله فغيّر الله ما بهم من نعمه فأرسل عليهم سيل العرم ففرّق قراهم وخرّب ديارهم وذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جنّاتهم جنّتين ذواتي أكل خمط واثل وشيء من سدرٍ قليل[2].

٣
الحكمة (٢٤٦)

وَقالَ عليه السلام:

إِحْذَرُوا نَفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ.

مرّ في سابقه كون المراد من نفار النّعم تشبيهها بحيوان نفر وشرد اذا لم يحسن رعايته لأنّ الغالب عدم عوده وردّه، وفي محاجّة الصّادق عليه السلام مع سفيان الثّوري وأصحابه الصّوفية. قال النبيّ صلى الله عليه وآله انّ أصنافاً من أمّتي لا يستجاب لهم دعاؤهم، رجل يدعو على والديه ورجل يدعو على غريم له ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه ... ورجل رزقه الله تعالى مالاً كثيراً

---

(١) سبأ: ١٥ ـ ١٩.

(٢) الكافي ٢: ٢٧٤ ح ٢٣.

فأنفقه ثمّ أقبل يدعو ياربِّ ارزقني فيقول تعالى ألم أرزقك رزقاً واسعاً فهلّا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف[١]....

٤
الحكمة (٢٤٤)

وَقَالَ عليه السلام:

اِنَّ لِلّٰهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً، فَمَنْ اَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ النِّعَمِ.

أقول: هو في معنى قوله تعالى ﴿... لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾[٢] ﴿فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[٣].

وفي معناه قول الصادق عليه السلام لحسين الصّحاف - على ما رواه (الكافي) - ما ظاهر الله تعالى على عبد النّعم حتّى ظاهر عليه مؤونة النّاس فمن صبر لهم وقام بشأنهم زاد تعالى في نعمه عليه عندهم ومن لم يصبر لهم ولم يقم بشأنهم أزال الله تعالى تلك النعمة[٤].

٥
الحكمة (٢١٠)

وَقَالَ عليه السلام:

اِتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً، وَجَدَّ تَشْمِيراً، وَكَمَشَ فِي مَهَلٍ، وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوئِلِ وَعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ، وَمَغَبَّةِ الْمَرْجَعِ.

---

(١) الكافي ٥: ٦٧ ح١.

(٢) ابراهيم: ٧.

(٣) النحل: ١١٢.

(٤) الكافي ٤: ٣٧ ح٣.

«اتّقوا الله تقيّة من شمّر» أي: رفع ذيله. «تجريداً» عن ساقه. «وجدَّ» هكذا في (المصرية)[١] ولكن في (ابن ميثم): ((وجرّدَ))[٢] ونسبه ابن ابي الحديد الى رواية[٣]. وهو أولى لكونه أقرب الى البديع مع كون نسخة ابن ميثم بخطّ مصنّفه.

«تشميراً» بأن يأتي بكلّ ما افترض عليه وينتهي عن كلّ ما عنه نهى كما قال تعالى ﴿... اتّقوا الله حقّ تقاته ...﴾[٤].

«وكمش» هكذا في (المصرية)[٥] والصّواب (انكمش) كما في (ابن ابي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٦].

ومعنى انكمش : اسرع.

«في مهلٍ» أي: من عمره.

«وبادر عن وجل» أي: خوف قال تعالى ﴿والّذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلةٌ انّهم الى ربّهم راجعون * أُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٧].

«ونظر في كرّة الموئل» أي: المرجع.

«وعاقبة المصدر» وفي (النهاية) الصدَر بالتحريك رجوع المسافر من مقصده ومغبّة أي عاقبة المرجع، ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفسٌ ما

---

(١) الطبعة المصرية: ٧٤.

(٢) ابن ميثم كالمصرية راجع ٥: ٣٤٩.

(٣) ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠ح٢٠٦.

(٤) آل عمران: ١٠٢.

(٥) الطبعة المصرية: ٧٠٤.

(٦) ابن ميثم بلفظ (أكمش) ٥: ٣٤٩.

(٧) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

قدّمت لغدٍ واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾[١].

وعن بعض الحكماء: أنّ الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبِلى فما دام الروّح في جسده فهو في البلوى واذا فارقه فهو في البلى، فأنّى له السّرور وهو بين البلوى والبِلى ؟

٦
الحكمة (٢٥)

وَقَالَ عليه السلام:

يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ.

في (الكافي) عن الصّادق عليه السلام: أنّ الله تعالى اذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً اتبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار واذا أراد بعبدٍ شرّاً فأذنب ذنباً اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها[٢].

وهو قوله تعالى ﴿... سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[٣] أي بالنّعم عند المعاصي. وقال عزّوجلّ ﴿فلمّا نسوا ما ذُكروا بهِ فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتّى اذا فرِحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون﴾[٤].

٧
الحكمة (٣٠)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلْحَذَرَ اَلْحَذَرَ! فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ.

---

(١) الحشر: ١٨.

(٢) الكافي ٤: ١٨٨ ح ١.

(٣) الأعراف: ١٨٢.

(٤) الأنعام: ٤٤.

امّا ستره تعالى ففي الخبر: «لولا ستره لما دفنوا أكثر النّاس لسوء أعمالهم وقبح أفعالهم»(١).

وامّا وجوب الحذر من ذلك فعنه عليه السلام: لا تبديّن عن واضحة وقد علمت الأعمال الفاضحة ولا تأمننّ البيات وقد عملت السيئات(٢).

وعن الصادق عليه السلام تعوّذوا بالله من سطوات الله باللّيل والنّهار، قيل: له وما سطوات الله؟ قال: الأخذ عَلَى المعاصي(٣).

وعن أبي الحسن عليه السلام: إنّ لله تعالى في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي مهلاً مهلاً! عباد الله عن معاصي الله فلولا بهائم رتّع، وصبيّة رضّع، وشيوخ ركّع، لصبّ عليكم العذاب صبّاً ترضّون به رضّاً(٤).

٨
الحكمة (٢٤٢)

وَقَالَ عليه السلام:

إِتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقى وَإِنْ قَلَّ، وَاْجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْراً وإنْ رَقَّ.

لأنّه الرّبّ والنّاس عبيده فيجب عليهم اتّقاؤه كما ينبغي ﴿واَتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ...﴾(٥) فان عسر عليه ما ينبغي فما تيسّر ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...﴾(٦).

«وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْراً وَانْ رَقَّ» لانّه ليس كملوك الدّنيا فيفرّ منه فلابدّ له من ستر في البين وعنه عليه السلام ـ كما في (الكافي) ـ ما من عبد إلّا وعليه

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الكافي ٣: ٣٧٥ ح ٥.

(٣) الكافي ٣: ٣٧١ ح ٦.

(٤) الكافي ٣: ٣٧٨ ح ٣١.

(٥) آل عمران: ١٠٢.

(٦) التغابن: ١٦.

أربعون جنّة حتّى يعمل أربعين كبيرة فاذا عمل أربعين انكشف عنه الجنن فيوحى تعالى الى الملائكة ان استروا عبدي بأجنحتكم فيسترونه فما يدع شيئاً من القبيح إلّا قارفه حتّى يتمدّح الى النّاس بفعله القبيح فتقول الملائكة ياربّ هذا عبدك ما يدع شيئاً إلّا ركبه وانّا لنستحيي ممّا يصنع فيوحي تعالى اليهم إن ارفعوا أجنحتكم عنه فاذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينتهك ستره في السّماء وستره في الأرض فتقول الملائكة ياربّ هذا عبدك قد بقي مهتوك السّتر فيوحي اليهم لو كان لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنحتكم عنه[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام اتّقوا المحقّرات من الذّنوب فانّ لها طالباً يقول أحدكم أذنب واستغفر، انّ الله تعالى يقول ﴿... ونكتبُ ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين﴾[٢]، وقال ﴿... انّها إن تكُ مثقال حبّة من خردلٍ فتكن في صخرة أو في السّماوات أو في الأرض يأت بها الله إنَّ الله لطيفٌ خبيرٌ﴾[٣].

وعنه عليه السلام الذّنوب كلّها شديدة وأشدّها ما نبت عليه اللّحم والدّم لأنّه امّا مرحوم وامّا معذّب والجنّة لا يدخلها إلّا طيّب[٤].

وعن أبي عبدالله عليه السلام من همّ بسيّئة فلا يعملها فانّه ربّما عمل العبد السيّئة فيراه الرّبّ تعالى فيقول: «وعزّتي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً»[٥].

---

(١) الكافي ٣: ٣٨١ ح٩.

(٢) يس: ١٢.

(٣) الكافي ٣: ٣٧٢ ح١٠ والآية: ١٦ من سورة لقمان.

(٤) المصدر نفسه ٣: ٣٧١ ح٧.

(٥) الكافي ٣: ٣٧٤ ح٣.

وعنه عليه السلام: ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا مرض إلّا بذنب[١].

قال تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثيرٍ﴾[٢].

وعنه عليه السلام ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته فما تزال به حتّى يغلب عليه فيصير أعلاه أسفله[٣].

وعن الكاظم عليه السلام ان الله تعالى في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي مهلاً مهلاً عباد الله! عن معاصيه فلولا بهائم رتّع وصبية رضّع وشيوخ ركّع لصبّ عليكم صبّاً ترضّون به رضّاً[٤].

٩
الحكمة (١٦٥)

وَقَالَ عليه السلام:

لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

حتى لو كان ذاك المخلوق أحد الوالدين الّذين أوجب طاعتهما، فقال تعالى ﴿إن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير * وإن جاهداك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما ...﴾[٥]؛ واعتذر عبدالله بن عمرو بن العاص عن شهوده صفّين مع معاوية بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: أطع أباك؛ فقال له الحسن عليه السلام: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكذلك

(١) المصدر نفسه ٣: ٣٧٠ ح ٣.

(٢) الشورى: ٣٠.

(٣) الكافي ٣: ٣٧٠ ح ١.

(٤) الكافي ٣: ٣٧٨ ح ٣١.

(٥) لقمان: ١٤ ـ ١٥.

الحسين عليه السلام كما رواه الأسد في عبدالله بن عمرو بن العاص[١].

وفي (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله من طلب مرضاة النّاس بما يسخط الله كان حامده من النّاس ذامّاً له ومن آثر طاعة الله تعالى بما يغضب النّاس كفاه الله عدوّ كلّ عدوّ وحسد كلّ حاسد وبغي كلّ باغ وكان له ناصراً وظهيراً[٢].

وعنه عليه السلام من أرضى سلطاناً بسخط الله تعالى خرج من دين الله[٣].

وفي (بيان الجاحظ) قال معاوية لشدّاد بن أوس (قم فاذكر عليّاً فانتقصه) فقام شدّاد فقال الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى اثر من رضا غيره وعلى ذلك مضى أولهم وعلى ذلك مضى آخرهم ايها النّاس انّ الآخره وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر وانّ الدّنيا أكل حاضر يأكل منها البرّ والفاجر وانّ السامع المطيع لله لا حجّة عليه وانّ السامع العاصي لا حجّه له وانّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق واذا أراد الله بالناس خيراً استعمل عليهم صلحاءهم وقضى بينهم فقهاءهم وجعل المال في سمحائهم واذا اراد بالعباد شرّاً عمل عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهلاؤهم وجعل المال عند بخلائهم وانّ من اصلاح الولاة ان يصلح قرباها ثم التفت الى معاوية فقال نصحك يا معاوية من أسخطك بالحقّ وغشّك من أرضاك بالباطل فقطع معاوية عليه كلامه وأمر بإنزاله ثمّ لاطفه وأمر له بالمال فلّما قبضه قال ألست من السمحاء الذين ذكرت فقال ان كان لك مال غير مال المسلمين أصبته اقترافاً وأنفقته اسرافاً فانّ الله تعالى يقول ﴿انّ المُبذّرين كانوا اخوان الشّياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً﴾[٤].

---

(١) ابن الأثير، اسد الغابة ٣: ٢٣٤.

(٢) الكافي ٣: ٧٩ ح ٢.

(٣) المصدر نفسه ٣: ٨٠ ح ٥.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيان ٤: ٦٩ ـ ٧٠ والآية ٢٧ من سورة الاسراء.

وفي (كامل الجزري): كان نصير ـ أبو موسى بن نصير ـ على حرس معاية فلّما صار معاية إلى صفّين لم يسر معه فقال له ما يمنعك من المسير معي ويدي عندك معروفة فقال لا أشكرك بكفر من هو أولى بالشّكر منك وهو الله عزّوجلّ فسكت عنه معاوية[1].

وفي (المروج) انّ معاوية سأل صعصعة عن أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الحجاز وعن مضر وربيعة، فأجابه ثمّ أمسك معاوية فقال له ـ سل ـ وإلّا أخبرتك بمما تحيد عنه قال وما ذاك يا ابن صوحان، قال أهل الشام، قال فاخبرني عنهم قال أطوع النّاس لمخلوق وأعصاهم للخالق عصاة الجبّار وخلفة الأشرار فعليهم الدّمار ولهم سوء الدّار، الخ وفيه انّه أجابه عن أهل الحجاز بأنّهم أسرع النّاس الى فتنة وأضعفهم عنها غير انّ لهم ثباتاً في الدّين وتمسّكاً بعروة اليقين يتّبعون الأئمة الأبرار ويخلعون الفُسقة الفجّار فقال معاوية من البررة والفسقة؟ فقال يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع عليّ وأصحابه من الأبرار وأنت وأصحابك من أولئك فقال له معاوية والله يابن صوحان انّك لحامل مديتك منذ أزمان إلّا انّ حلم ابن أبي سفيان يردّ عنك[2].

وفيه: أنّ علياً عليه السلام لمّا شايع أبا ذرّ وزجر مروان لمّا كفّه وقد كان عثمان أمره أن لا يدع أحداً يشيّع أبا ذر ـ قال عثمان من يعذرني من عليّ، ردّ رسولي عمّا وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقّه فلما رجع عليّ عليه السلام استقبله الناس وقالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان لتشييعك أبا ذرّ فقال عليه السلام: غضب الخيل على اللّجام ثمّ جاء الى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤: ٥٣٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٣: ٤٠.

بمروان وردت أمري؟ فقال عليه السلام أما مروان فانّه استقبلني بردّتي فرددته عن ردّي وامّا أمرك فلم أردّه قال أولم يبلغك انّي قد نهيت النّاس عن أبي ذرّ وتشييعه فقال عليه السلام أو كلّما أمرتنا به من شيء يرى طاعة الله، والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك، تالله لا نفعل[1] ...

وهذا المعنى أمر عقليّ كما أنّه لنقل قطعي وهو دليل وجوب العصمة في الامام وإلّا لزم أن يكون تشييع مثل أبي ذرّ لنهي عثمان عنه حراماً؛ لهذا في (الطّبري): لمّا خرج ابراهيم بن المهدي على المأمون في سنة (٢٠٢) قام سهل بن سلامة المطوّعي ودعا النّاس الى العمل بالكتاب والسّنّة وألّا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاجتمع اليه عامّة أهل بغداد وكان كلّ من أجابه الى ذلك عمل على باب داره برجاً بجصّ وآجر ونصب عليه السلاح والمصاحف[2].

وفيه: أنّ يزيد بن الوليد خطب بعد قتل الوليد بن يزيد فقال: إنّي والله ما خرجت اشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدّنيا ولا رغبة في المُلك وما بي إطراء لنفسي إنّي لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربّي، ولكنّي خرجت غضباً لله ولرسوله ودينه داعياً إلى الله وكتابه وسنّة نبيّه لمّا هدمت معالم الهدى واطفئ نور أهل التّقوى وظهر الجبّار العنيد المستحلّ لكلّ حرمة والرّاكب لكلّ بدعة ... أيّها النّاس انّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا وفاء لمخلوق بنقض عهد الخالق انّما الطّاعة طاعة الله وأطيعوا المخلوق بطاعة الله[3]

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٤٦.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٥٧٠.

١٠
الحكمة (٣٢٤)

وَقَالَ عليه السلام:

إِتَّقُوا مَعَاصِيَ ٱللهِ فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ.

﴿وكلّ شيء فعلوه في الزّبر * وكلّ صغيرٍ وكبيرٍ مستطر»[١]، ﴿... ويقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ...»[٢]، ﴿يستخفون من النّاس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لايرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً﴾[٣]، ﴿يعلم السّر وأخفى﴾[٤]، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور﴾[٥].

ومرّ في (٢٢) من التوحيد قوله عليه السلام يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف النّينان في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرّياح العاصفات[٦].

هذا، وفي (المروج): ورد على الرّشيد يوماً كتاب صاحب البريد بخراسان ـ ويحيى بن يديه ـ يذكر أنَّ الفضل بن يحيى تشاغل بالصّيد واللّذّات عن النّظر في أمور الرّعيّة، فلّما قرأه رمى به الى يحيى وقال له: اقرأ هذا واكتب اليه كتاباً يردعه عن مثل هذا فمدّ يده الى دواة الرّشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب الرّشيد: قد انتهى الى الخليفة ما أنت عليه من التّشاغل

---

(١) القمر: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) النساء: ١٠٨.

(٤) طه: ٧.

(٥) غافر: ١٩.

(٦) مر في الجزء ١ من هذا الكتاب.

بالصّيد ومداومة اللّذّات عن النّظر في أمور الرعيّة ما أنكره فعاود بما هو أزين بك ـ وكتب أسفله هذه الأبيات:

انصب نهاراً في طلب العلى ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتّى اذا اللّيل بدا مقبلاً ... واستترت فيه وجوب العيوب
فبادر اللّيل بما تشتهي ... فانّما الليل نهار الأريب
كم من فتىً تحسبه ناسكاً ... يستقبل اللّيل بأمرٍ عجيب
ألقى عليه اللّيل استاره ... فبات في لهوٍ وعيشٍ خصيب
ولذّة الأحمق مكشوفةٌ ... يسعى بها كلّ عدوٍّ ورقيب

فلّما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً الى أن انصرف عن عمله[1].

«فانّ الشاهد هو الحاكم» في (تاريخ بغداد): قيل لأبي العتاهية: ما الّذي صرفك عن قول الغزل الى قول الزّهد؟ قال لمّا قلت:

الله بيني وبين مولاتي ... أهدت لي الصّدّ والملالات
منحتها مهجتي وخالصتي ... وكان هجرانها مكافاتي
هيّمني حبّها وصيّرني ... أحدوثة في جميع جاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كأنّ آتياً أتاني فقال: ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية إلّا الله تعالى فانتبهت مذعوراً وتبت الى الله تعالى من قول الغزل[2].

وفي (مصباح الشيخ): تدعو بعد الوتر بدعاء الحزين: أُناجيك يا موجود في كلّ مكانٍ لعلّك تسمع ندائي فقد عظم جرمي وقلّ حيائي مولاي

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٦٨.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦: ٢٥٠.

يا مولاي أيّ الأهوال أتذكّر وأيّها أنسى ولو لم يكن إلّا الموت لكفى كيف وما بعد الموت أعظم وأدهى مولاي يا مولاي حتّى متى إلى متى أقول لك العتبى مرّةً بعد أُخرى ثمّ لا تجد عندي صدقاً ولا وفاءً فياغوثاه ثم واغوثاه بك يا الله من هوىً قد غلبني ومن دنيا قد تزيّنت لي ومن نفس أمّارةٍ بالسّوء إلّا ما رحم ربّي، مولاي إن كنت رحمت مثلي فارحمني وان كنت قبلت مثلي فاقبلني يا قابل السّحرة اقبلني يا من لم أزل أتعرّف منه الحسنى يا من يغذيني بالنّعم صباحاً ومساءً إرحمني يوم آتيك فرداً شاخصاً اليك بصري مقلّداً عملي قد تبرّأ جميع الخلق منّي نعم وأبي وأُمّي ومن كان له كدّي وسعيي فإن لم ترحمني فمن يرحمني ومن يؤنس في القبر وحشتي ومن ينطق لساني اذا خلوت بعملي وسألتني عمّا أنت أعلم به منّي فان قلت نعم فأين المهربُ من عدلك وإن قلت لم أفعل قلت ألم أكن الشّاهد عليك فعفوك عفوك يا مولاي قبل سرابيل القطران عفوك عفوك يا مولاي قبل أن تغلّ الأيدي الى الأعناق يا أرحم الراحمين(١).

هذا، وفي (وزراء الجهشياري): تنازع الفضل بن الربيع وجعفر بن يحيى يوماً بحضرة الرّشيد فقال جعفر للفضل : يالقيط! فقال الفضل للرّشيد: إشهد، فقال جعفر للرّشيد: تراه عند من يقيمك هذا الجاهل شاهداً وأنت حاكم الحكّام(٢).

---

(١) مصباح المتهجد للطوسي ١: ١٦٣ ح١١٧.

(٢) الكتّاب والوزراء للجهشياري: ٢١٦.

١١
الحكمة (١٢٩)

وَقَالَ عليه السلام:

عِظَمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.

لأنّه لا حول لأحد ولو كان ملك الملوك إلّا بمشيّته؛ وفي السّير: انّ ذا القرنين لمّا فرغ من عمل السّدّ انطلق على وجهه فبينا يسير هو وجنوده إذ مرّ على شيخ يصلّي فوقف عليه بجنوده حتّى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرك من جنودي، قال: كنتُ أُناجي من هو أكثر منك جنوداً وأعزّ سلطاناً وأشدّ قوّة ولو صرفت وجهي اليك لا أدرك حاجتي قِبَله، فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي واستعين بك على بعض أمري؟ قال: نعم، ان ضمنت لي أربع خصال، نعيماً لا يزول، وصحّة لا سقم فيها، وشباباً لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها، فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال، فقال الشّيخ: فانّي مع من يقدر عليها ويملكها وإيّاك[1].

وفي الخبر: أنّ عبد الملك كان يطوف بالبيت وعليّ بن الحسين عليه السلام يطوف بين يديه ولا يلتفت اليه ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه، فقال: من هذا الّذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت الينا فقيل هذا عليّ بن الحسين عليهما السلام فجلس مكانه وقال: ردّوه إليّ فردّوه فقال له: انّي لستُ قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إليّ؟ فقال عليه السلام: انّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فان أحببت أن تكون مثله فكن، فقال: كلّا، ولكن صِرْ إلينا لتنال من دنيانا، فجلس وبسط رداءه وقال: اللّهمّ أرِهِ حرمة أوليائك عندك. فاذا

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٢: ١٧٥.

رداؤه مملوّ درّاً يكاد شعاعها يخطف الأبصار وقال له: من يكون هذا حرمته عند ربّه يحتاج الى دنياك؟ ثمّ قال: اللّهمّ خذها فلا حاجة لي فيها[١].

١٢
الحكمة (٣٣٠)

وَقَالَ عليه السلام:

اَقَلُّ مَا يَلْزِمُكُمْ لِلهِ اَنْ لَا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلى مَعَاصِيهِ.

عن النبيّ صلى الله عليه وآله يقول تعالى: يا ابن آدم! إن نازعك بصرك الى بعض ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فاطبق ولا تنظر وان نازعك لسانك الى بعض ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فاطبق ولا تتكلّم وان نازعك فرجك الى بعض ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فاطبق ولا تأت حراماً، وفي دعاء عرفه (عصيتك بعيني ولو شئت لأعميتني فلم تفعل ذلك بي وعصيتك بسمعي ولو شئت لأصممتني فلم تفعل ذلك بي وعصيتك بيدي ولو شئت وعزّتك لكنعتني فلم تفعل ذلك بي وعصيتك برجلي ولو شئت لجذمتني فلم تفعل ذلك بي وعصيتك بفرجي ولو شئت لعقمتني فلم تفعل ذلك بي وعصيتك بجميع جوارحي ولم يكن جزاؤك هذا منّي[٢].

وورد انّ ملك ابراهيم عليه السلام لمّا أراد أن يمدّ يده الى امرأته ساره دعا عليه فيبست يده[٣].

وانّ سراقة بن مالك الكناني الّذي بعثته قريش في طلب النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا هاجر ساخت قوائم فرسه وهو القائل لأبي جهل:

---

(١) المصدر نفسه ٤٦: ١٢٠.

(٢) الكافي للكليني ٨: ٢١٩ ح ٢٧٠.

(٣) تاريخ الطبري ١: ١٤٨ وهو فرعون مصر.

أبـا حكـم والله لو كـنت شـاهداً لأمر جـوادي إذ تسـوخ قـوائـمهُ
علمت ـ ولم تشكك ـ بأنّ محمّداً رسولٌ ببرهانٍ فمن ذا يُقاومُه[١]

والرّجل ان كان عنيّناً فلامرأته الفسخ، والمرأة ان كانت رتقاء أو عفلاء أو قرناء كان للرّجل الفسخ.

هذا، وقال ابن ابي الحديد قال الصّابي في رسالته الى سبكتكين من عزّ الدّولة بختيار: ليت شعري بأيّ قدم تواقفنا وراياتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك وخيلك موسومة باسمائنا تحتك وثيابنا محوكة في طرازنا على جسدك وسلاحنا المشحوز لأعدائنا في يدك[٢]....

١٣
الحكمة (٢٩٠)

وَقَالَ عليه السلام:

لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدَ اللهُ عَلى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ اَنْ لَا يُعْصى شُكْراً لِنِعْمَتِهِ.

أقول: ورواه ابن الجوزي في (مناقبه) ثمّ قال ومن هاهنا أخذ القائل ـ قيل انّها له عليه السلام وقيل انّها للمهلّبي ـ:

هب البعث لم يأتنا رسله وجاحمة النّار لم تضرم
أليس من الواجب المستحقّ حياء العباد من المنعم[٣]

ومثله سبطه في (تذكرته)[٤] لكن بدون النّسبة الى المهلّبي.

وعنه عليه السلام قال لرجل ان كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل من رزقه وان كنت

(١) تاريخ اليعقوبي لابن واضح ٢: ٤٠.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٤٢.
(٣) البحار للمجلسي ٧٨: ٦٩ ح ٢١.
(٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٤٤.

واليت عدوّه فاخرج من ملكه وان كنت غير قانع بقضاه وقدره فاطلب ربّاً سواه.

هذا وفي (المعجم): قال السيّرافي لخراسانيّ سأله عن المسكر، لو كان المسكر حلالاً في كتاب الله وسنّة رسوله لكان يجب على العاقل تركه بحجّة العقل فانّ شاربه محمول على كلّ معصية مدفوع الى كلّ بليّة مذموم عند كلّ ذي عقل ومروّة يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والأُدباء ويجعله من جملة السّفهاء ومع ذلك فيضرّ بالدّماغ والكبد والذّهن ويولد القروح في الجوف ويسلب شاربه ثوب الصّلاح والمروّة والمهابة حتّى يصير بمنزلة المخبط الخريق والمثبئج يقول بغير فهم ويأمر بغير علم ويضحك من غير عجب ويبكي من غير سبب ويخضع لعدوّه ويصول على وليّه ويعطي من لا يستحقّ العطيّة ويمنع من يستوجب الصّلة ويبذّر في الموضع الّذي يحتاج فيه ان يمسك ويمسك في الموضع الذي يحتاج فيه أن يبذّر يصير حامده ذامّاً وأفعاله ملاماً عبده لا يوقّره وأهله لا تقربه وولده يهرب منه وأخوه يفزع منه يتمرّغ في قيئه ويتقلّب في سحله ويبول في ثيابه وربّما قتل قريبه وشتم نسيبه وطلّق امرأته وكسر آلة البيت ولفظ بالخنى وقال كلّ غليظة وفحش يدعو عليه جاره ويزري به أصحابه عند الله ملوم وعند النّاس مذموم وربّما يستولي عليه في حال سكره مخايل الهموم فيبكي دماً ويشقّ جيبه حزناً وينسى القريب ويتذكّر البعيد والصبيان يضحكون منه والنّسوان يفتعلن النّوادر عليه ومع ذلك فبعيد من الله قريب من الشيطان قد خالف الرّحمن في طاعة الشيطان وتمكّن من ناصيته وزيّن في عينه اتيان الكبائر وركوب الفواحش واستحلال الحرام وإضاعة الصّلاة والحنث في الايمان سوى ما

حلّ به عند الإفاقة من النّدامة ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة[١].

وكيف وقد توعّد تعالى حتّى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿قل انّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يومٍ عظيم﴾[٢]، وقال ﴿إذا رأتهم من مكانٍ بعيد سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً * واذا القوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً * لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾[٣]، وقال ﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ...﴾[٤].

١٤
الحكمة (١٠٥)

وَقَالَ عليه السلام:

إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْفَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا؛ وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً، فَلَا تَعْتَدُوهَا؛ وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا؛ وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا.

«انّ الله افترض عليكم الفرائض» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب (فرائض) كما في (ابن ابي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٦].

«فلا تضيّعوها» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ الصّلاة اذا ارتفعت في أولّ وقتها رجعت الى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول حفظتني حفظك الله واذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت الى صاحبها وهي سوداء

---

(١) معجم الأدباء للحموي ٨: ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٢) الأنعام: ١٥.

(٣) الفرقان: ١٢ ـ ١٤.

(٤) النساء: ٥٦.

(٥) الطبعة المصرية: ٦٨٠ ح١٠٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٩٤ بلفظ (الفرائض) والخطية: ٣١٧.

مظلمة تقول ضيّعتني ضيّعك الله[١].

وقال تعالى بعد ذكر جمع من أنبيائه ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً﴾[٢] وفسّر قوله تعالى ﴿والّذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[٣] بالتضّييع.

وفي الخبر: من ضيّع صلاته حشر مع قارون وهامان ـ وعنهم عليهم السلام: أعبد النّاس من أقام الفرائض[٤].

«وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها» أي: فلا تتعدّوها قال تعالى بعد ذكر ميراث الزّوجين وكلالة الأمّ ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهين﴾[٥].

وقال بعد ذكر طلاق الأزواج للرجعة ﴿... لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ ولا يخرجن إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنةٍ وتلك حدود الله ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾[٦].

وقال في خلع الأزواج ﴿فإن خفتم ألّا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظّالمون﴾[٧].

---

(١) الكافي ٣: ٢٦٨ ح ٤.

(٢) مريم: ٥٩.

(٣) الماعون: ٥.

(٤) الفقيه ٤: ٣٩٤ ح ٥٨٤٠.

(٥) النساء: ١٣ ـ ١٤.

(٦) الطلاق: ١.

(٧) البقرة: ٢٢٩.

«ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها» وفي نسخة (ابن ميثم) **«فلا تنهتكوها»**[١] وعلى الأوّل افتعال من النّهك وعلى الثاني انفعال من الهتك وقال الجوهري الهتك خرق السّتر عمّا وراءه وقد هتكه فانهتك ـ وقال انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحلّ، قال تعالى ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تُفلحون * إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصّلاة فهل أنتم منتهون﴾[٢]، وقال تعالى ﴿انتهوا خيراً لكم﴾[٣].

«وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها» أي: لم يتركها.

«نسياناً فلا تتكلّفوها» ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزّل القرآن تبد لكم عفى الله عنها والله غفورٌ حليمٌ * قد سألها قومٌ من قبلكم ثمّ أصبحوا بها كافرين﴾[٤].

١٥
الحكمة (٣٣٨)

وَقَالَ عليه السلام:

إِحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من همّ بخير فليعجّله ولا يؤخّره فإنّ

---

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٢٩٤ ح٩٧.

(٢) المائدة: ٩٠ ـ ٩١.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) المائدة: ١٠١.

العبد ربّما عمل العمل فيقول تعالى: قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً، ومن همّ بسيّئة فلا يعملها فانّه ربّما عمل العبد السّيئة فيراه الرّبّ سبحانه فيقول وعزّتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً[١].

وعنه عليه السلام: من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكره كثيراً لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر وان كان منه ولكن ذكر الله عندما أحلّ وحرّم فان كان طاعة عمل بها وان كان معصيةً تركها[٢].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿فما أصبرهم على النّار﴾[٣]، أي: ما أصبرهم على فعل ما يعلمون انّه يصيّرهم الى النّار[٤].

«فتكون من الخاسرين» ﴿والعصر * إنّ الإنسان لفي خُسرٍ * إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر﴾[٥]، ﴿إستحوذ عليهم الشّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشّيطان ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون﴾[٦]، ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون﴾[٧]، ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلهِكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾[٨].

«واذا قويت فاقو على طاعة الله واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس فيأتون

---

(١) الكافي ٣: ٢١٣ ح ٧.

(٢) المصدر نفسه ٣: ١٣٧ ح ٤.

(٣) البقرة: ١٧٥.

(٤) الكافي ٣: ٣٧١ ح ٢.

(٥) العصر: ١ ـ ٣.

(٦) المجادلة: ١٩.

(٧) الأعراف: ٩٩.

(٨) المنافقون: ٩.

باب الجنّة فيضربون فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن أهل الصّبر كنّا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فيقول تعالى صدقوا ادخلوهم الجنّة[١].

وهو قوله تعالى ﴿... إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حسابٍ﴾[٢].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾[٣]: من علم انّ الله تعالى يراه ويسمع ما يقوله ويفعله من خير وشرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الّذي خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى[٤].

١٦
الحكمة (١٧٠)

وَقَالَ عليه السلام:

تَرْكُ الْذَّنْبِ اَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ.

أقول ما في (المصرية)[٥]: ((مِنْ طَلَبِ المَعونَةِ)) تحريفٌ.

في (مطالب سؤول ابن طلحة الشّافعي): سئل عليّ عليه السلام عن واجب وأوجب فقال عليه السلام «توب ربّ الورى واجب عليهم وتركهم للذّنوب أوجب»[٦].

ووجه ما ذكره عليه السلام معلوم فانّ ارتكاب الذّنب كاستعمال السّمّ والتوبة كاستعمال التّرياق لدفعه فقد لا يتيسّر استعماله وقد لايكون مؤثّراً لشدّة السّمّ.

وروى (روضة الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: كان عابد في

---

(١) الكافي ٣: ١١٩ ح ٤.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) الكافي ٣: ١٢٦ ح ١.

(٥) الطبعة المصرية المصححة كما ذكر المصنف: ٦٩٨ (١٧٠).

(٦) مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ٦٢.

بني اسرائيل لم يقارف من أمر الدّنيا شيئاً فنخر إبليس نخرة فاجتمع اليه جنوده فقال من لي بفلان؟ فقال: بعضهم أنا له فقال من أين تأتيه؟ قال من ناحية النّساء، قال: لست له، لم يجرّب النساء، فقال له آخر فأنا له، فقال من أين تأتيه ؟ قال من الشّرب واللّذات قال: لست له، ليس هذا هو. قال آخر: فأنا له، قال من أين تأتيه؟ قال من ناحية البِرّ قال: انطلق فأنت صاحبه فانطلق الى موضع الرّجل فأقام حيناً يصلّي وكان الرّجل ينام والشيطان يصلّي لا ينام والرّجل يستريح والشّيطان لا يستريح، فتحوّل اليه الرّجل وقد تقاصرت اليه نفسه واستصغر عمله، فقال يا عبد الله بأي شيء قويت على ذلك؟ فلم يجبه ثم أعاد فقال: يا عبدالله اني أذنبت ذنباً وأنا تائب منه فاذا ذكرت الذّنب قويت على الصّلاوة قال فاخبرني بذنبك حتّى أعمل وأتوب وأقوى على الصّلاة قال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغيّة فأعطها درهمين ونل منها قال ومن أين لي درهمان وما أدري ما الدّرهمان فتناول الشيطان من تحت قدميه در همين، فناوله إيّاهما فقام فدخل المدينة بجلابيبه فسأل عن منزل فلانة البغيّة فأرشده النّاس وظنّوا أنّه جاء يعظها فجاء اليها فرمى اليها بالدّرهمين وقال: قومي فقامت ودخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: انّك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها فاخبرني بخبرك فاخبرها فقالت يا عبدالله انّ ترك الذّنب أهون من طلب التّوبة، وليس كلّ من طلب التّوبة وجدها وانّما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثّل لك فانصرف فانّك لا ترى شيئاً فانصرف[1] ....

---

(١) الكافي ٨: ٣٨٤ ح ٥٨٤.

١٧
الحكمة (٢٣٧)

وَقَالَ عليه السلام:

إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ.

في الخبر: أنّ عيسى عليه السلام مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم فقال ما الّذي أرى بكم؟ قالوا الخوف من النّار قال: حق على الله أن يؤمن من يخافه، ثمّ مرّ على ثلاثة آخرين فاذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً فقال: ما الّذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا الشّوق الى الجنّة فقال: حقّ على الله تعالى أن يعطي من رجاه ثمّ مرّ على ثلاثة آخرين فاذا هم أشدّ نحولاً وعلى وجوههم مثل المرائي من النّور فقال ما الّذي بلغ بكم؟ قالوا: حبّ الله عزوجلّ فقال ـ ثلاثاً ـ أنتم المقرّبون[١].

وفي الخبر: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله نظر الى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تمنطق به فقال: انظروا الى الرّجل الّذي قد نوّر الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطّعام والشّراب فدعاه حبّ الله ورسوله الى ما ترون[٢].

وعابدته عليه السلام كانت عبادة الأحرار فكان عليه السلام يقول لم أعبده خوفاً ولا طمعاً ولكنّي وجدته أهلاً للعبادة فعبدته[٣].

وعنه عليه السلام أيضاً: الجلوس في المسجد عندي أحبّ من الجلوس في

(١ ـ ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه ١٠: ١٥٧.

الجنّة لأنّ في الأوّل رضا ربّي وفي الثّاني رضاي[١].

وفي مناجاة شعبان: «الهي والحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً وعن سواك منحرفاً ومنك خائفاً مراقباً»[٢].

وفي دعاء كميل: «وهبني صبرتُ على حرّ نارك فكيف أصبر على فراقك»[٣].

وفي الثامنة من المناجاة (١٥): «فأنت لا غيرك مرادي ولك لا سواك سهري وسهادي ولقاءك قرّة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي محبّتك ولهي والى هواك صبابتي ورضاك بُغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبي وقربك غاية سؤلي وفي مناجاتك روحي وراحتي وعندك دواء علّتي وشفاء غلّتي وبرد لوعتي وكشف كربتي فكن أنيسي في وحشتي ومقيل عثرتي وغافر زلّتي وقابل توبتي ومجيب دعوتي ووليّ عصمتي ومغني فاقتي ولا تقطعني عنك ولا تبعدني منك يا نعيمي ويا دنياي وآخرتي»[٤].

وفي الثانية عشرة: الهي ما ألذّ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما أحلى المسير اليك بالأوهام في مسالك الغيوب وما أطيب طعم حبّك وما أعذب شرب قربك فاعذنا من طردك وابعادك واجعلنا من أخصّ عارفيك ....

وفي (١٣): الهي بك هامت القلوب الوالهة وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة فلا تطمئنّ القلوب إلّا بذكراك ولا تسكن النّفوس إلّا عند رؤياك أنت المسبّح في كلّ مكان والمعبود في كلّ زمان والموجود في كلّ أوان والمدعوّ بكلّ لسان والمعظّم في كلّ جنان استغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك ومن كلّ

---

(١) الكافي ٢: ٣٥٦ ح١.

(٢) مفاتيح الجنان للقمي: ٢٨٨.

(٣) مفاتيح الجنان للقمي: ١١٧.

(٤) مفاتيح الجنان للقمي، المناجاة الشعبانية.

راحةٍ بغير أُنسك ومن كلّ سرور بغير قربك ومن كلّ شغلٍ بغير طاعتك[(١)].

هذا، و(في المناقب) ـ سأل رسول ملك الرّوم أبا بكر عن رجل لا يرجو الجنّة ولا يخاف النّار ولا يخاف الله ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدّم ويحبّ الفتنة ويبغض الحقّ ويشهد بما لا يرى، فلم يجبه أبو بكر وقال له عمر: ازددت كفراً الى كفرك، فأخبر بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: هذا رجل من أولياء الله لا يرجو الجنّة ولا يخاف النّار ولكن يخاف الله ويرجوه ولا يخاف الله من جوره وانّما يخاف من عدله ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة ويأكل الجراد والسّمك وهما ميتة ويأكل الكبد، وهو الدّم ويشهد بالجنّة والنّار، وهو لم يرهما ويحبّ ولده، والولد فتنة، ويبغض الموت، والموت حقّ[(٢)].

١٨
الحكمة (٣٨٢)

وَقَالَ عليه السلام:

لَا تَقُلْ ما لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمْ فَإنَّ اللهَ فَرَضَ عَلى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَآئِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

«لا تقل ما لا تعلم» لأنّه من الكذب، وفي (أدب ابن المقفّع): أكثر النّاس كذباً من يحدّث بما يسمع ولا يبالي ممّن سمع وذلك مفسدة للصّدق ومزراة بالرّاي فان استطعت ألّا تخبر بشيء إلّا وأنت به مصدّق وألّا يكون تصديقك إلّا ببرهان فافعل[(٣)].

---

(١) مفاتيح الجنان للقمي، المناجاة الشعبانية.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٠.

(٣) الأدب الكبير والأدب الصغير لابن مقفع: ٩٠ (بتصرف).

«بل لا تقل كلّ ما تعلم» فالغيبة أيضاً من القول بما يعلم ومن علم من رجل أو امرأة غير معروفين بالفجور ولم تكمل الشّهود الأربعة فقال ذلك، يكون قاذفاً مستحقّاً للحدّ، قال تعالى ﴿والّذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾[1].

«فان الله فرض» هكذا في (المصرية)[2] والصواب (فانّ الله سبحانه قد فرض) كما في (ابن ابي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

«على جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة» ﴿ولا تقف ما ليس لك به علمٌ إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[4].

تمّت بخير والحمد لله أوّلاً وآخراً

---

(١) النور: ٤.

(٢) الطبعة المصرية: ٧٤٨ ح ٣٨٢.

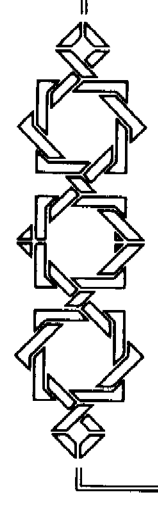
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٢٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٣٤، بدون لفظ (سبحانه).

(٤) الاسراء: ٣٦.



الفصل الاربعون

في الاسلام والكفر والايمان والنفاق



١
من الخطبة (١٧١)

من خطبة له عليه السلام:

اَلْعَمَلَ اَلْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ وَاَلْوَرَعَ اَلْوَرَعَ، إنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلى نِهايَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً، فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلإِسْلاَمِ غايَةً فَانْتَهُوا إِلى غَايَتِهِ، وَاَخْرُجُوا إِلَى اَللهِ بِما اَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّن لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ، أَنا شاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ. أَلَا وَإِنَّ اَلْقَدَرَ السّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَاَلْقَضاءَ اَلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اَللهِ وَحُجَّتِهِ، قالَ اَللهُ تَعالى: ﴿إِنَّ اَلَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اَللهُ ثُمَّ اَسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اَلْمَلائِكَةُ أَلّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ اَلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وَقُلْتُمْ: «رَبُّنا اَللهُ»، فَاسْتَقِيمُوا عَلى كِتابِهِ، وَعَلى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصّالِحَةِ مِنْ عِبادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْها، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيها، وَلا تُخَالِفُوا

عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْلَ ٱلْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ، ثُمَّ إِيّاكُمْ وَتَهْزِيعَ ٱلأَخْلاَقِ وَتَصْرِيفَها، وَٱجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً، وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسانَهُ، فَإِنَّ هذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصاحِبِهِ، وَٱللهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوىً تَنْفَعُهُ، حَتّى يَخْزُنَ لِسانَهُ، وَإِنَّ لِسانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسانِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذا أَرادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلام تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كانَ خَيْراً أَبْداهُ، وَإِنْ كانَ شَرّاً وَارَاهُ، وَإِنّ الْمُنافِقَ يَتَكَلَّمُ بِما أَتى عَلى لِسانِهِ، لاَ يَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عَبْدٍ حَتّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتّى يَسْتَقِيمَ لِسانُهُ»، فَمَنِ ٱسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللهَ تَعالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِماءِ الْمُسْلِمينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ وَٱعْلَمُوا عِبادَ ٱللهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ ٱلْعَامَ ما ٱسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ ٱلْعَامَ ما حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ؛ وَأَنَّ ما أَحْدَثَ النَّاسُ لاَ يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلكِنَّ ٱلْحَلاَلَ ما أَحَلَّ ٱللهُ، وَٱلْحَرَامَ ما حَرَّمَ ٱللهُ. فَقَدْ جَرَّبْتُمُ ٱلأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوها، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتْ لَكُمُ الأَمْثَالُ، وَدُعِيتُمْ إِلى الأَمْرِ ٱلْواضِحِ؛ فَلا يَصَمُّ عَنْ ذلِكَ إِلاّ أَصَمُّ، وَلا يَعْمى عَنْ ذلِكَ إِلّا أَعْمى ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِالْبَلاَءِ وَالتَّجَارِبِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ، حَتّى يَعْرِفَ ما أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ ما عَرَفَ، فَإِنَّ النّاسَ رَجُلاَنِ، مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ سُبْحانَهُ بُرْهانُ سُنَّةٍ، وَلا ضِياءُ حُجَّةٍ.

«العمل العَمَل ثم النهاية النهاية». أي: نهاية العمل وهي الجنّة ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾[1] ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون

---

(١) الطور: ١٩.

سلام عليكم أدخلوا الجنّة بما كنتم تعملون﴾[١] ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[٢].

«والاستقامة الاستقامة». ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ...﴾[٣] ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً ...﴾[٤].

«ثم الصبر الصبر». أي: على الطاعات ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنّة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين* الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾[٥].

«والورع الورع». أي: عن المعاصي والمحرّمات.

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال تعالى: يا ابن آدم اجتنب ما حرّمت عليك تكن من أورع الناس ـ وعن الصادق عليه السلام يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المخدَّرات بورعه في خدورهنَّ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم مِنْ خلق اللهِ أورع منه.

«ان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم». نهايتنا الآخرة، وانتهاؤنا إليها العمل لها، قال مؤمن آل فرعون لقومه: ﴿يا قوم ان هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار﴾[٦].

«وان لكم عَلَما». بالتحريك وهو العلامة.

«فاهتوا إلى عَلَمكم». قالوا: كان ابرهة بن الرائش، من ملوك اليمن أول من

---

(١) النحل: ٣٢.

(٢) الصافات: ٦١.

(٣) الانعام: ١٥٣.

(٤) الانعام: ١٢٦.

(٥) لعنكبوت: ٥٨ ـ ٥٩.

(٦) المؤمن: ٣٩.

ضرب المنار على طريقه، في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع.

قال: ابن أبي الحديد أراد عليه السلام بعَلَمهم الذي يجب عليهم الاهتداء إليه نفسه.

قلت: لأنّه تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله إذا وقع بين أُمته اختلاف، يجب عليهم الرجوع إليه كما تواتر عنه صلى الله عليه وآله أنّه عليه السلام على الحق، والحقُّ يدور معه.

«وان للاسلام غاية». أي: حدوداً.

«فانتهوا إلى غايته». ولا تتعدّوا حدوده، ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[1] ﴿ومن يعصِ اللهَ ورسولَه ويتعدَّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهينٌ﴾[2].

«وأخرجوا إلى الله بما» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد والخطّية) (ممّا) وفي (ابن ميثم) (فيما).

«افترض عليكم من حقِّه» ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاتِه، ولا تموتنَّ إلّا وأنتم مُسلمون﴾[3].

«وبيّن لكم من وظائفِه». ﴿يا أهل الكتاب قد جائكم رسولُنا يبيّنُ لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جائكم بشير ونذير ...﴾[4].

«أنا شهيد». هكذا في (المصرية)، والصواب: (شاهد) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطّية).

«لكم وحجيجٌ يوم القيامةِ عنكم». ﴿ونزعنا من كلّ أُمة شهيداً فقلنا هاتوا

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) النساء: ١٤.

(٣) ال عمران: ١٠٢.

(٤) المائدة: ١٩.

برهانكم فَعلِموا أن الحقَّ لله وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾[١] ﴿ويوم نبعثُ من كلّ أُمة شهيداً، ثم لا يُؤْذن للذين كفروا ولا هم يُستعتبون﴾[٢] ﴿ويوم نبعثُ في كلّ أُمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ...﴾[٣].

وفي تفسير القمي، في قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كلَّ أُناس بإمامهم ...﴾[٤] ينادى يوم القيامةِ منادٍ ليقم أبو بكر وشيعتهُ، وعمر وشيعتهُ، وعثمان وشيعتهُ، وعلي وشيعته.

وفي الاختصاص المنسوب إلى المفيد، عن الأصبغ، قال: أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة، فسِرنا يوم الأحد وتخلّف عمرو بن حريث في سبعة نفر، فخرجوا إلى مكان بالحيرة، يسمّى الخورنق، فقالوا: نتنزّه، فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا، فلحقنا علياً قبل أن يجمع، فبيناهم يتغدّون، إذ خرج عليهم ضبّ فصادوه، فأخذه عمرو، فنصب كفّه، فقال: بايعوا هذا، هذا أمير المؤمنين، فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، وارتحلوا ليلة الأربعاء، فقدموا المدائن يوم الجمعة وأميرالمؤمنين عليه السلام يخطب ولم يفارق بعضهم بعضاً، كانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر اليهم عليه السلام فقال: أيّها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ اليَّ ألفَ حديثٍ، في كلّ حديث ألف باب، لكلّ باب الف مفتاح وأني سمعت الله يقول: ﴿يوم ندعو كلَّ أناس بإمامهم ...﴾ واني أقسم لكم بالله ليبعثنَّ يوم القيامَةِ ثمانية نفر بإمامهم، وهو ضبّ، ولو أردت أن أُسمّيهم لفعلت ـ قال الأصبغ: فلقد رأيت عمرو بن حريث يتنقّط مثل السعفة رعباً.

---

(١) القصص: ٧٥.

(٢) النحل: ٨٤.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) الاسراء: ٧١.

«ألا وان القدر السابق قد وقع، والقضاء الماضي قد تورد» أي: ورد قليلاً قليلاً.

قال ابن أبي الحديد يعني عليه السلام بالقدر السابق، والقضاء الماضي خلافته عليه السلام.

قلت: بل الظاهر إرادته عليه السلام حدوث الخوارج، روى (سنن أبي داود)، عن أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، قالا: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: سيكون في أُمتي اختلاف وفرقة يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرأُون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، هم شرّ الخلق، طوبى لمن قاتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء.

«واني متكلّم بِعِدَة الله». في (الصحاح) قالوا: في الخير الوعد والعِدة وفي الشر الايعاد والوعيد.

«وحجّته». أي: برهانه.

«قال الله تعالى: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزَّل عليهِمُ الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[1] الآية في سورة فصّلت، وبعدها ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسُكم ولكم فيها ما تدّعون * نزلاً من غفورٍ رحيمٍ﴾[2].

«وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه» ولا تكونوا كالذين حكى الله تعالى هجرهم كتابه حتى يشكو نبيّهم منهم يومَ القيامةَ في قوله تعالى: ﴿وقال الرسولُ يا ربِّ إنَّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾[3].

(١) فصّلت: ٣٠.

(٢) فصلت: ٣١ ـ ٣٢.

(٣) الفرقان: ٣٠.

«وعلى منهاج أمره» أي: طريقه الواضح.

«وعلى الطريقة الصالحة من عبادته» قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها، ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون﴾(١).

«ثمّ لا تمرقوا» قال الجوهري: مرق السهم من الرمية: خرج من الجانب الآخر، وبه سمّيت الخوارج مارقة لقول النبي صلى الله عليه وآله يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية.

«منها» أي: من الطريقة الصالحة.

«ولا تبتدعوا فيها» بالادخال في الدين ما ليس منه.

«ولا تخالفوا عنها» ﴿...فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(٢).

«فان أهل المروق منقطَع بهم عند الله» قال الجوهري: فلان منقَطَع به إذا عجز عن سفره، بأن ذهبت نفقته أو قامت عليه راحلته أو أتاه أمر لا يقدر على أن يتحرّك.

عن غارات الثقفي سأل ابن الكوّاء علياً عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾(٣) فقال عليه السلام هم كفرة أهل الكتاب فان أولاهم كانوا في حق فابتدعوا في دينهم وأشركوا بربهم، وهم يجتهدون في العبادة يحسبون أنّهم على شيء ـ ثم رفع صوته وقال: وما أهل النهروان غداً منهم ببعيد.

«ثم إيّاكم وتهزيع» في الجمهرة الهزع الاضطراب، يقال: تهزّع الرمح إذا

---

(١) الجاثية: ١٨.

(٢) النور: ٦٣.

(٣) الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤.

اضطرب، واهتزّ، ويقال هزعت الشيء هزعاً إذا كسرته وكذلك هزعته تهزيعاً.

«**الأخلاق وتصريفها**» كما كان الزبير، فكان كما وصفه عمر، مؤمن الرضا كافر الغضب يوماً انسان ويوماً شيطان.

«**واجعلوا اللسان واحداً**» في الخبر، قال عزوجل لعيسى عليه السلام ليكن لسانك في السرّ والعلانية واحداً.

«**وليخزن**» هكذا في (المصرية) والصواب: (وليختزن) كما في (ابن ميثم والخطّية).

«**الرجل لسانه**» في الخبر ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان.

«**فان هذا اللسان جموح بصاحبه**» كفرس جموح، أخذ الاختيار من راكبه قال الشاعر:

خلعت عذاري جامحاً ما يردّني عن البيض أمثال الدمى زجر زاجر

«**والله ما أرى عبداً يتقى تقوى تنفعه حتى يخزن**» هكذا في (المصرية) والصواب: «يختزن» كما في (ابن ميثم والخطّية).

«**لسانه**» عن الصادق عليه السلام نجاة المؤمن في حفظ لسانه.

وعن السجاد عليه السلام لسان ابن آدم يشرف كلّ يوم على جوارحه، فيقول: كيف أصبحتم، فيقولون بخير ان تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون انما نثاب بك ونعاقب بك.

وعن النبي صلى الله عليه وآله يجيءُ يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لساناً له في قفاه وآخر من قدامه يلهبان ناراً حتى يلهبا جسده، ثم يقال: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين يعرف بذلك يوم القيامة.

«**وان لسان المؤمن من وراء قلبه وان قلب المنافق من وراء لسانه**» قال ابن أبي الحديد فان قلت المسموع (لسان العاقل من وراء قلبه وقلب الأحمق من

وراء لسانه) فكيف نقله إلى المؤمن والمنافق ـ ثم أجاب بأنّه، قلّ ان يكون المنافق إلّا أحمق، وقلّ ان يكون العاقل إلّا مؤمناً، فلأكثرية ذلك استعمل لفظ المؤمن وأراد العاقل.

قلت: فقرة (لسان العاقل) وفقرة (لسان الأحمق) أيضاً من كلامه عليه السلام مذكور في قصار النهج لكنَّ ذلك في مقامٍ وهذا في مقامٍ وليس الأمر كما قال من أنّه قلَّ ان يكون المنافق إلّا أحمق بل قلَّ ان يكون المنافق أحمق كيف وأكثر المنافقين دهاة وانما مراده عليه السلام ان المؤمن لسانه من وراء قلبه لا يتكلم لسانه إلّا بما شهد قلبه انّه ليس مخلاً بدينه، والمنافق لا يراعي الدين إنما يراعي دنياه، واما الأحمق فلا يراعي دنياه أيضاً، وقد شرح عليه السلام الفقرتين بعد قوله.

«لأَنَّ المؤمنَ إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبّره في نفسه فان كان خيراً» «أي: غير مُخلٍّ بدينه».

«أبداه» «أي: أظهره ولفظ به».

«وان كان شرّاً واراه» أي: أخفاه، وأبقاه في صدره.

«وان المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه» أي: في أمر دينه، وأما بالنسبة إلى دنياه فلا يقول إلّا ما ويميت دينه لاحياء دنياه ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون * إلّا أنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[1].

«ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله» هكذا في (المصرية) وليست كلمة (وسلّم) في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«لا يستقيم ايمان عبدٍ حتى يستقيمَ قلبه» فان الركن الأول من الايمان اعتقاد القلب.

---

(١) البقرة: ١١ ـ ١٢.

«ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» أي: لا يفهم استقامة قلبه إلّا من استقامة لسانه لمّا مرَّ ان لسانه لا يلفظ بشيء إلّا بعد مشاورة قلبه.

«فمن استطاع منكم أن يلقى الله» هكذا في (المصرية) والصواب: (ان يلقى الله سبحانه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«وهو نقي الراحة» أي: الكف.

«من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم، فليفعل» قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[1] وقال عزَّ اسمه: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلّا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ﴾.

وفي الطبري كان ربيعة بن أُمية بن خلف صرَّخ بقول النبي صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع ـ فقال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هل تدرون أي: شهر هذا؟ فقالوا الشهر الحرام ـ فقال يقول لكم ان الله قد حرّم عليكم دمائكم وأموالكمأن تلقوا ربّكم كحرمة شهركم هذا، ـ ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لكم هل تدرون أي: بلد هذا، فيقولون البلد الحرام فيقول قال لكم ان الله حرّم عليكم دمائكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة بلدكم هذا، ـ فقال أيّها الناس يقول لكم رسول الله صلى الله عليه وآله أتدرون أي يوم هذا، فقالوا يوم الحجّ الأكبر فقال يقول لكم ان الله قد حرّم عليكم دمائكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا.

«واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحلّ العام ما استحل عاماً أول ويحرّم العام ما حرّم عاماً أوّل» قال الجوهري إذا جعلت أوّل صفة لم تصرفه، وإذا لم تجعله صفة تقول (لقيته عاماً أولا) قال ابن السكيت: ولا تقل عام الأول، ـ وقال اختلف

---

(١) الانعام: ٨٢.

في أول هل هو أفعل وأصله (أوئل)، أو فوعل، وأصله (وول).

في مختلف حديث ابن قتيبة، جاء رجل من أهل المشرق، إلى أبي حنيفة بكتاب وهو بمكة، فعرضه عليه، ـ وكان جمعه ممّا سمعه منه عاماً أوّل، فرجع أبو حنيفة عمّا فيه كلّه، فوضع الرجل التراب على رأسه، ثم قال يا معشر الناس أتيت هذا الرجل عاماً أوّل فأفتاني بهذا الكتاب، فاهرقت به الدماء، وأنكحت به الفروج ثم رجع عنه العام، ـ ثم قال لأبي حنيفة كيف هذا فقال كان رأياً رأيته، فرأيت العام غيره، قال فتأمنني أن لا ترى من قابلٍ شيئاً آخر قال لا أدري. فقال الرجل لكني أدري ان عليك لعنة الله.

«وان ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئاً ممّا حُرِّم عليكم ولكن الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرّم الله» لمّا أجبر الخوارج أمير المؤمنين عليه السلام على منع الأشتر لقتال معاوية بعد رفع المصاحف، فكف، ورجع إليهم، قال لهم أمهلوني عدو الفرس فأني قد طمعت في النصر، فقالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك، فقال لهم الأشتر حدّثوني عنكم، ـ وقد قتل أماثلكم، وبقى أراذلكم، متى كنتم محقين، فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم في النار إذن أن صرتم محقين بترك قتالهم، ـ الخ، ـ.

«فقد جرّبتم الأمور وضرستموها» أي: عضضتموها باضراسكم، وميّزتم بين لينها وشديدها.

«ووعظتم بمن كان قبلكم» قال تعالى: ﴿ولقد علمتم الذين أعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالاً لمّا بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾[1].

«وضربت لكم الأمثال» هكذا في (المصرية) والصواب: «وضربت الأمثال

---

(١) البقرة: ٦٥ ـ ٦٦.

لكم» كما في (ابن ميثم والخطّية وإبن أبي الحديد).

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لَبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[1] ـ ﴿... يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاعَ الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون * إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض ممّا يأكلُ الناس والأنعام حتى إذا أخذتِ الأرضُ زخرُفَها وَازَّيَّنَت وظنَّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأَن لم تَغنَ بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يتفكَّرون﴾.

«ودعيتم إلى الأمر الواضح» ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيِّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[2] ﴿والله يدعو إلى دار السلامِ ويهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾[3].

«فلا يصَمُّ عن ذلك إلّا أصم ولا يعمى عن ذلك إلّا أعمى» قال تعالى: ﴿أَفلَم يسيروا في الأرض فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمَى الأبصار ولكن تعمَى القلوب التي في الصدور﴾[4].

«ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة» فان بعض الناس كما قال تعالى: ﴿ولو أننا نزَّلنا إليهم الملائكة وكلّمهُمُ الموتى وحشرنا عليهم كلَّ شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله ...﴾. ـ وكما قال عزوجل:

---

(١) العنكبوت: ٤١.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) يونس: ٢٥.

(٤) الحج: ٤٦.

﴿... ولو ردّوا لعادوا لمّا نُهوا عنه ...﴾[١] فمثله كيف ينتفع بشيء.

«وأتاه التقصير» هكذا في (المصرية) والصواب: (النقص) كما في (ابن ميثم والخوئي وابن ابي الحديد).

«من امامه» أي: قدّامه.

«حتى يعرف ما أنكر» يعني يبلغ اتيان النقص إليه من قدّامه بحد بصير، قائلاً بعرفان ما أنكر، كالخوارج الذين كانوا منكرين لمعاوية ووجوب جهاده فصاروا عارفين به قائلين بحرمة الحرب معه.

«وينكر ما عرف» فأنكروا أمير المؤمنين عليه السلام وقد كانوا عارفين بوجوب جهاد أعدائه، فقالوا له: لو لم تجب إلى التحكيم، لنقتلنّك.

«فان الناس رجلان متبع شرعةً» تكون سبباً لحياته، والشرعة الشريعة.

«ومبتدع بدعة» تؤدي به إلى الهلكة وعن الباقر عليه السلام أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً فيحب عليه، ويبغض عليه.

وعن الصادق عليه السلام من مشى إلى صاحب بدعة فوقّره، فقد مشى في هدم الاسلام.

«ليس مَعهُ من الله برهان سُنَّةٍ ولا ضياء حجّة» قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونُصْله جهنم وساءت مصيرا﴾[٢] ﴿أفمن كان على بيّنةٍ من ربه كمن زيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾[٣].

---

(١) الانعام: ٢٨.

(٢) النساء: ١١٥.

(٣) محمد: ١٤.

٢
من الحكمة (١٢٥)

وقال عليه السلام:

لَأَنْسُبَنَّ الإسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبْلِي، الإسْلامُ هُوَ التَّسْليمُ، والتَّسْليمُ هُوَ الْيَقِينُ، والْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، والتَّصْدِيقُ هُوَ الإِقْرارُ، والإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ، والأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ.

أقول رواه (الكافي) و(معاني الأخبار) مع زيادة واختلاف فروى الأول عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي. مرفوعاً قال قال أمير المؤمنين عليه السلام لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلّا بمثل ذلك، ان الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الاقرار، والاقرار هو العمل والعمل هو الاداء، ان المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه من ربه فأخذه، ان المؤمن يرى يقينه في عمله، والكافر يرى انكاره في عمله فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

وروى الثاني عنه عن أبيه عن محمّد بن يحيى عن غياث بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الاداء، والاداء هو العمل ان المؤمن أخذ دينه من ربه، ولم يأخذه عن رأيه، أيُّها الناس دينكم دينكم تمسّكوا به، لا يزيلنكم ولا يردّنكم أحد عنه، لأن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره، لأن السيئة فيه تغفر، والحسنة في غيره لا تقبل.

«لأنسبن الاسلام» أي: الإسلام الحقيقي، وإلّا فالاسلام الظاهري عبارة

عن مجرّد الإقرار.

«نسبة لم ينسبها» هكذا نقله المصنف وعليه فالضمير راجع إلى النسبة والأظهر نقل الكليني والصدوق، (لم ينسبه) كما مر فيكون الضمير راجعاً الإسلام.

«أحد قبلي» قد عرفت أن الكليني والصدوق زادا، (ولا ينسبه أحد بعدي) كما عرفت زيادة الأول (الا بمثل ذلك) وعليه، فيحتمل رجوع الاستثناء(قبلي) أيضاً.

«الاسلام هو التسليم» كما هو سلم وسلامة، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ...﴾[1] وقال صلى الله عليه وآله (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه).

قال الصادق عليه السلام لو أن قوماً عبدوا الله تعالى وحده، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله تعالى، أو النبي صلى الله عليه وآله ألا صنع بخلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً﴾[2]، ـ ثم قال عليه السلام فعليكم بالتسليم.

«والتسليم هو اليقين» هكذا نقل المصنف، والكليني وقد عرفت أن الصدوق نقله (والتسليم هو التصديق) . والظاهر أصحّيّته كما لا يخفى.

وكيف كان فروى (الكافي) أن أناساً أتوا النبي صلى الله عليه وآله بعدما أسلموا فقالوا أيؤخذ الرجل منّا بما كان عمل في الجاهلية؟ ـ فقال صلى الله عليه وآله من حسن

---

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) النساء: ٦٥.

إسلامه، وصحّ يقين إيمانه لم يأخذه تعالى بما عمل في الجاهلية، ومن سخفَ اسلامه: ولم يصحّ يقين ايمانه يأخذه الله بالأول والاخر.

«**واليقين هو التصديق**» قد عرفت أن (المعاني) رواه، (والتصديق هو اليقين).

وهو الأصح لأن التصديق يستلزم اليقين، دون العكس، قال تعالى مشيراً إلى آياته: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ...﴾[1].

«**والتصديق هو الاقرار**» قد عرفت اختلاف المعاني مع المتن في هذه الفقرة وما بعدها أيضاً.

وكيف كان ففي الطبري، -في قصة يهود بني قريظة وحصر النبي صلى الله عليه وآله لهم،-قال كعب بن أسد لهم يا معشر اليهود، انّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، واني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيّها شئتم، قالوا ماهي؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبيّن لكم أنّه لنبي مرسل، وانّه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وابنائكم ونسائكم، قالوا لا نفارق حكم التوراة أبداً.

«**والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل**» قد عرفت ان (الكافي) بدَّله بقوله «والاقرار هو العمل، والعمل هو الاداء» وان (المعاني) بدله بقوله (واليقين هو الاداء، والاداء هو العمل).

وكيف كان فروى (الكافي) أن محمد بن مارد قال لأبي عبدالله عليه السلام: روي لنا أنك قلت (إذا عرفت فاعمل ما شئت) ـ فقال: قد قلت ذلك، قال وان زنوا أو سرقوا، أو شربوا، فقال عليه السلام انا لله وإنّا إليه راجعون، أخذنا بالعمل، ووضع عنهم، انما قلت (إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير، أو

---

(١) النمل: ١٤.

كثيره، فانّه يقبل منك).

٣
من الخطبة (١٠٢)

ومن خطبةٍ له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي شَرَعَ ٱلْاسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلى مَنْ غالَبَهُ. فَجَعَلَهُ أُمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهاناً لِـمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُوراً لِمَنْ ٱسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ ٱتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ. فَهُوَ أَبْلَجُ المَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ ٱلْوَلاَئِجِ، مُشْرَفُ المَنَارِ، مُشْرِقُ ٱلْجَوَادِّ، مُضِيءُ المَصَابِيحِ، كَرِيمُ المِضْمَارِ، رَفِيعُ ٱلْغايَةِ وجامِعُ ٱلْحَلْبَةِ ومُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ ٱلْفُرْسَانِ، التَّصْدِيقُ مِـنْهَاجُهُ، وَالصَّـالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالمَوْتُ غايَتُهُ، وَٱلدُّنْيَا مِـضْمَارُهُ، وَٱلْـقِيَامَةُ حَـلْبَتُهُ، وَٱلْـجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

أقول رواه الشيخان في أماليهما، ورواه (الكافي) في بـاب بـعد (بـاب نسبه الاسلام) عن القمي عن أبيه والعطار عن الأشعري عن البرقي جميعاً عن ابن محبوب عن يعقوب السراج، عن أبي جعفر عليه السلام وبأسانيد عن الأصـبغ، قال خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره، ـ أو القصر، ثم أمر فكُتب في كـتاب وقُرئ على الناس، وروى غيره أن ابن الكواء سأله عليه السلام عن صـفة الإسـلام والايمان والكفر والنفاق، فقال أما بعد فان الله تعالى شرع الاسـلام، وسـهّل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه لمن حاربه، وجعله عزّاً لمن تـولّاه، وسـلماً لمن دخله. وهدىً لمن ائتمَّ به، وزينةً لمن تجلّله، وعذراً من انتحله، وعروة لمن

اعتصم به وحبلاً لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلّم به، ونوراً لمن استضاء به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وعِلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن روى، وحُكماً لمن قضى، وحلماً لمن جرّب، ولباساً لمن تدبّر، وفهماً لمن تفطَّن، ويقيناً لمن عَقَل، وبصيرةً لمن عزم، وآيةً لمن توسَّم، وعبرةً لمن اتَّعظَ، ونجاةً لمن صدق، وتؤدةً لمن أصلح، وزلفى لمن اقترب، وثقةً لمن توكّل، ورجاءً لمن فوّض، وسُبقةً لمن أحسن، وخيراً لمن سارع، وجُنّةً لمن صبر، ولباساً لمن اتقى، وظهيراً لمن رشد وكهفاً لمن آمن، وأمنةً لمن سلم، ورجاءً لمن صدق، وغنىً لمن قنع، فذلك الحقّ سبيله الهدى، ومأثرتُه المجد، وصفتُه الحُسنى، فهو أبلغُ المناهج، مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريعُ السُبقة، أليم النقمة كامل العدّة، كريم الفرسان، فالايمان منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصابيحه، والدنيا مضماره، والموت غايته، والقيامة حلبته، والجنة سُبقته والنار نقمته والتقوى عدّته، والمحسنون فرسانه، فبالايمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمّر الفقه، وبالفقه يرهب الموت. وبالموت تختم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة، القيامة تزلف الجنة، والجنّةُ حسرةُ أهل النار، والنارُ موعظةٌ للمتّقين، والتَّقْوى سنخ الايمان. ونقلهُ (الخوئي) أيضاً.

وروى الأوَّلان عن المرزباني، عن أحمد بن سليمان الطوسي عن الزبير ابن بكّار، عن السدي؛ عن عبد خير، عن قبيصة، عن جابر الأسدي. قال قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن الايمان، فقام خطيباً ـ فقال: الحمد لله الذي شرَع الاسلام فسهّل شرائعه، واعزّ أركانه على من حاربه، وجعله عزّاً لمن والاه، وسلماً لمن دخله وبرهاناً لمن تكلَّم به، ونوراً لمن استضاءَ به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به وعِلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن رواه.

وحُكماً لمن قضى به، وحِلماً لمن جرَّب، ولُبّاً لمن تدبّر، وفَهماً لمن فَطن، ويقيناً لمن عَقل، وبصيرةً لمن عزم، وآية لمن توسَّم، وعزة لمن اتّعظَ، ونجاةً لمن صدق، ومودةً من الله لمن أصلح، وزلفى لمن ارتقب، وثقة لمن توكّل، وراحة لمن فوّض، وجُنة لمن صبر، الحقُّ سبيله، والهدى صفته، والحسنى مأثرته، فهو أبلج المنهاج، مشرق المنار، مضيء المَصابيح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحَلبة، متنافس السُبقة، كريم الفرسان، التصديق منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصابيحه، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حلبته، والجنة سُبقته، والنار نقمته، والتقوى عدّته والمحسنون فرسانه، فبالايمان يستدلّ على الصالحات، ـ الخ مثل (الكافي) لكن في آخره، وبالقيامة تزلفُ الجَنّةُ للمتقين وتبرزُ الجحيمُ للغاوين.

ورواه (تحف عقول) لإبن أبي شعبة الحلبي، ـ فقال: قال عليه السلام ان الله ابتدأ الأمور، فاصطنع لنفسه ما شاء، واستخلص منها ما أحبّ، فكان ممّا أحبّ، أنّه ارتضى الايمان، فاشتقه فنحله من أحبَّ من خلقه ثم بيّنه، فسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه على من جانبه، وجعله عزّاً لمن والاه، وأَمناً لمن دخله، وهدىً لمن ائتم به، وزينةً لمن تحلّى به، وديناً لمن انتحله، وعصمة لمن اعتصم به، وحبلاً لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشرفاً لمن عرفه، وحكمةً لمن نطق به، ونوراً لمن استضاء به، وحجّة لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وعِلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحُكماً لمن قضى، وحِلماً لمن حدّث، ولُبّاً لمن تَدبر، وفهماً لمن تفكر، ويقيناً لمن عقل، وبصيرةً لمن عزم، وآية لمن توسَّم، وعبرةً لمن اتعظ، ونجاةً لمن آمن به، ومودةً من الله لمن صلح، وزلفى لمن ارتقب، وثقةً لمن توكّل، وراحةً لمن فوّض، وصبغةً لمن أحسن، وخيراً لمن سارع، وجُنةً لمن صبر ولباساً لمن اتقى وتطهيراً لمن

رشد، وأمنة لمن سلم، وروحاً للصادقين، فالايمان أصل الحق، سبيله الهدى، وصفته الحسنى، ومأثرته المجد، فهو أبلج المنهاج، مشرق المنار، مضيء المصابيح رفيعُ الغاية، والموتُ غايته، والدنيا مضمارُه، والقيامَةُ حلبته، والجنة سُبقته، والنار نقمته، والتقوى عدته، والمحسنون فرسانه، فبالايمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت تختم الدنيا، وبالدنيا تحذر الآخرة، وبالقيمة تزلف الجنّة، والجَنةُ حسرةُ أهل النار، والنار موعظة التقوى، والتقوى سنخ الاحسان، والتقوى غاية لا يهلك من تبعها، ولا يندم من يعمل بها، لأن بالتقوى فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون، فليزدجر أولوا النهى، وليتذكر أهل التقوى.

«الحمد لله الذي شرَع الاسلام» ﴿شرَع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصّينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه ...﴾[1].

«فسهّل شرائعه» جمع الشريعة مشرعة الماء وهي مورد الشاربة، ﴿... ما جعل عليكم في الدينِ من حرجٍ ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمينَ من قبل ...﴾[2] ـ وقال النبي صلى الله عليه وآله بعثت على الشريعة السمحة السهلة، روى الخصال في عنوان (وضع الله تعالى الاسلام على سبعة أسهم) عن عمّار بن الأحوص قلت لأبي عبدالله عليه السلام ان عندنا أقواماً يقولون بأمير المؤمنين عليه السلام، ويفضّلونه على الناس كلّهم وليس يصفون ما نصف من فضلكم انتولاّهم؟

فقال لي نعم في الجملة أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وآله ولرسول الله صلى الله عليه وآله عند الله ما ليس لنا وعندنا ما ليس عندكم وعندكم ما ليس

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) الحج: ٧٨.

عند غيركم ان الله تعالى وضع الاسلام على سبعة أسهم على الصبر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعِلم والحِلم ثم قسّم ذلك بين الناس فمن جعل فيه هذه الأسهم فهو كامل الايمان محتمل ولبعض الناس السهم ولبعضٍ السهمان ولبعضٍ الثلاثة ولبعضٍ الأربعة ولبعضٍ الخمسة ولبعضٍ الستة ولبعضٍ السبعة فلا تحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم، ولا على صاحب الثلاثة أربعة أسهم، ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم، ولا على الخمسة ستة أسهم، ولا على صاحب الستة سبعة أسهم، فتثقلوهم وتنفروهم ولكن ترفقوا بهم وسهّلوا لهم المدخل.

وسأضرب لك مثلاً تعتبر به انّه كان رجل مسلماً، وكان له جار كافر وكان الكافر يرفق بالمؤمن فحبَّب المؤمن للكافر الإسلام فلم يزل يزيّن له الاسلام حتى أسلم فغدا عليه المؤمن فاستخرجه من منزله، فذهب به إلى المسجد ليصلّي معه الفجر في جماعة فلمّا صلّى قال له: لو قعدنا نذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس فقعد معه فقال: لو تعلّمت القرآن إلى أن تزول الشمس وصمت اليوم كان أفضل فقعد معه وصام حتى صلّى الظهر والعصر، فقال: لو صبرت حتى تصلّي المغرب والعشاء كان أفضل فقعد معه حتى صلّى المغرب والعشاء ثم نهضا وقد بلغ مجهوده وحمل عليه ما لم يطق فلمّا كان من الغد غدا عليه وهو يريد به مثل ما صنع بالأمس فدق عليه بابه، ثم قال له: أخرج حتى نذهب الى المسجد، فأجاب: (اعزب عني فان هذا دين شديد لا أُطيقه) فلا تخرقوا بهم اما عَلمتَ أن امارة بني أُمية كانت بالسيف والعسف، وأمارتنا بالرفق والتآلف وحسن الخلطة والورع والاجتهاد فرغّبوا الناس في دينكم وفي ما أنتم فيه).

«**وأعزّ أركانه على من غالبه**» أي: جعلها شديدة على من أراد الغلبة عليها

فلا يقدر عليها.

وفي المثل «إذا عز أخوك فهن» أي: إذا اشتد هو فكن أنت هيناً.

«فجعله أمناً لمن علقه» قال يصف أسداً:

إذا علقت قرناً خطاطيف كفّه رأى الموت في عينيه أسودَ أحمرا

وفي المثل (علقت معالقها وصر الجندب)، الضمير ـ كما في الأساس ـ للدلو.

قال النبي صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع ـ كما في (طبقات) كاتب الواقدي أيّها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا الا لا ترجعن بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ.

«وسلماً لمن دخله» ﴿... ولا تقولوا لمن القى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرةٌ كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم فتبيّنوا ان الله كان بما تعملون خبيرا﴾[1].

«وبرهاناً لمن تكلّم به» ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ...﴾[2].

«وشاهداً لمن خاصم عنهُ» ﴿ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب * فان حاجّوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعنِ وقل للذين أُوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك

---

(١) النساء: ٩٤.

(٢) ال عمران: ٦٤.

البلاغ والله بصيرٌ بالعباد﴾[١].

﴿وقالوا لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيُّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[٢].

«ونوراً لمن استضاء به» ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلالٍ مبين﴾[٣].

ولكونه نوراً لمن استضاء به، كان المنافقون في إظهارهم الإسلام وعدم التزامهم بمقتضاه كمن له نور ذهب به، قال تعالى فيهم ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون﴾[٤].

«وفهماً لمن عقل» ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت اللهِ التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٥].

«ولباً» وهو مافي القشر.

«لمن تدبر» فيه.

﴿ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً ...﴾[٦].

«وآية» أي: علامة لله.

---

(١) ال عمران: ١٩ ـ ٢٠.

(٢) البقرة: ١١١ ـ ١١٢.

(٣) الزمر: ٢٢.

(٤) البقرة: ١٧.

(٥) الروم: ٣٠.

(٦) النساء: ١٢٥.

«لمن توسّم» أي: تفرّس ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميعٌ عليم﴾[١].

﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأُخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ...﴾[٢].

«وتبصرة لمن عزم» قد عرفت ان (الكافي) رواه (وبصيرة لمن عزم) وهو أصحّ فمن عزم على أمر لابد أن يكون على بصيرة منه، ولا يلزم إذا كان هو على بصيرة تبصرة غير له.

«وعبرة لمن اتعظ» ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيّدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلّكم تشكرون﴾[٣].

«ونجاة لمن صدق» ﴿... وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون﴾[٤].

«وثقة لمن توكل» في (الكافي) قال الحسن عليه السلام لعبد الله بن جعفر كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمته، ويحقر منزلته، والحاكم عليه الله، وأنا الضامن لمن لا يهجس في قلبه إلّا الرضا ان يدعو الله فيستجاب له.

«وراحةً لمن فوّض» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام ما يضر رجلاً إذا كان على ذي الرأي ما قال الناس ولو قالوا مجنون وما يضرّه، ولو كان على رأس جبل يعبد الله حتى يجيئه الموت.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) ال عمران: ١٣.

(٣) الانفال: ٢٦.

(٤) ال عمران: ١٠٣.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى لو لم يكن في الأرض إلّا مؤمن واحد، لاستغنيت به عن جميع خلقي، ولجعلت له من ايمانه انساً لا يحتاج إلى أحد.

«وجُنة لمن صبر» في (الكافي) شكا رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام الحاجة فقال: اصبر فان الله سيجعل لك فرجاً، ثم مكث ساعة، فأقبل على الرجل، وقال: اخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟ فقال: ضيّق منتن وأهله بأشدّ حال قال فانما أنت في السجن فتريد أن تكون فيه في سعة اما علمت ان الدنيا سجن المؤمن.

«فهو أبلج» أي: مشرق مضيء قال: العجاج، «حتى بدت أعناق صبح ابلجا».

«المناهج» جمع المنهج، أو المنهاج، الطريق الواضح، ﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ...﴾[1].

«وأوضح الولائج» هكذا في (المصرية) والصواب: (واضح الولائج) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) والولائج جمع الوليجة البطانة.

ولائجه مثل محمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام الرجل الأول والثاني في العالم وفيهما قال تعالى: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه ...﴾[2] فقال عليه السلام ـ في المستفيض عنه ـ النبي صلى الله عليه وآله على بيّنة وأنا شاهد منه».

«مشرَف المنار» والمنارة ما يوضع فوقها السراج.

«مشرق الجوادّ» جمع الجادّة.

«ومُضيءُ المصابيح» جمع المصباح السراج.

«كريم المضمار» قال الجوهري تضمير الفرس أن يعلفه حتى يسمن ثم

---

(١) الانعام: ١٥٣.

(٢) هود: ١٧.

يـردّه إلى القـوت، وذلك فـي أربـعين يـوماً وهـذه المـدّة تسـمّى المـضمار والموضع الذي تضمر فيه الخيل أيضاً مضماره.

«رفيع الغاية» المراد الغاية في المسابقة بقرينة قبله وبعده.

«جامع الحلبة» بسكون اللام في الأساس الحلبة مجال الخـيل للسـباق والخيل التي تأتي من كل أوب.

«متنافس» أي: متراغب.

«السُبقة» بالتحريك الخطر الذي يوضع بين أهل السباق.

﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقْتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والانجيل والقـرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشِروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[1].

«شريف الفرسان» ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خـير البرية * جزاؤهم عند ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾[2].

﴿وما أدريك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام في يـوم ذي مسـغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة * ثم كان من الذين آمـنوا وتـواصـوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أُولئك أصحاب الميمنة﴾[3].

«التصديق منهاجه» ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليما﴾[4].

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) البينة: ٧ ـ ٨.

(٣) البلد: ١١ ـ ١٢.

(٤) النساء: ٦٥.

«والصالحات مناره» ﴿... فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[١].

«والموت غايته» ﴿واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين﴾[٢].

«والدنيا مضماره» ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغدٍ ...﴾[٣] ﴿... وتزوَّدوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾[٤].

﴿وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾[٥].

«والقيامة حلبته» ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ...﴾[٦] ﴿وإن كُلٌّ لَمّا جميعٌ لدينا مُحضَرون﴾[٧].

«والجنّة سُبقته» ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهىَ النفس عن الهوى * فان الجنّة هي المأوى﴾[٨].

﴿إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يدخلون الجنّة ولا يُظلَمون شيئاً * جناتِ عدنٍ التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنّه كان وعده مأتيّا * لا يسمعون فيها لغواً إلّا سلاماً ولهم رزقُهم فيها بكرة وعشيّا * تلك الجنّة التي

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) الحجر: ٩٩.

(٣) الحشر: ١٨.

(٤) البقرة: ١٩٧.

(٥) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٦) التغابن: ٩.

(٧) يس: ٣٢.

(٨) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

نورث من عبادنا من كان تقيا﴾(١).

﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلوتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأُولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صَلَواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾(٢).

﴿... أدخلوا الجنّة بما كنتم تعملون﴾(٣)، ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾(٤).

هذا وزاد في الكتب الأربعة بعد ما مرَّ «والنار نقمته» وفقرات أُخرى كما مرّ وكان على المصنف نقلها لكمال مناسبتها.

٤
من الحكمة (٣٠)

وسئل عليه السلام عن الايمان فقال:

اَلْإيمانُ عَلى أَرْبَعِ دَعَآئِمَ، عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ، وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلى أرْبَعِ شُعَبٍ، عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ، فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ، سَلاَ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ، اِجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اِسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ،

---

(١) مريم: ٦٠ ـ ٦٣.

(٢) المؤمنون: ١ ـ ١١.

(٣) النحل: ٣٢.

(٤) فصلت: ٣٠.

وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَاليَقِينُ مِنْهَا عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ، عَلَى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ الْأَوَّلِينَ. فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِينَ، وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ، عَلى غائِصِ الْفَهْمِ، وَغَوْرِ الْعِلْمِ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ، فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ، صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ؛ وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً ـ وَالْجِهَادُ مِنْهَا على أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الْأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَنَآنِ الْفاسِقِينَ، فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْكَافِرِينَ؛ وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضى مَا عَلَيْهِ؛ وَمَنْ شَنِئَ الْفَاسِقينَ وَغَضِبَ للهِ غَضِبَ اللهُ لَهُ وَأَرْضاهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

أقول رواه (الكافي) و(الاماليان)، و(التحف) أيضاً بالسند المذكور في سابقه، ففي (الكافي) بعدما مر (باب صفة الايمان) بالاسناد الأول عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان مثله مع تغيير يسير وفيه، (والاشفاق) بدل (والشفق) وفيه (ومعرفة العبرة) بدل قوله (وموعظة العبرة) وفيه (ومن عرف العبرة عرف السنّة، ومن عرف السنّة فكأنما كان مع الأولين واهتدى للتي هي أقوم، ونظر إلى من نجا بما نجا، وإلى من هلك بما هلك. وانما أهلك الله من أهلك بمعصيته، وأنجا من أنجا بطاعته) بدل قوله، (ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين) ـ وفي (الأمالي) (ومن عرف العبرة عرف السنّة ومن عرف السنّة فكأنما كان في الأولين) ـ ومثله (التحف) لكنّ فيه (فكأنما عاش في الأولين).

وكيف كان فزاد هذا على سابقه برواية (الخصال) له، (عن أبيه عن سعد عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب وأحمد بن فضال عن ابن اسباط، عن الحسن ابن زيد عن محمد بن سالم عن سعد بن طريف عن الأصبغ عنه عليه السلام - ورواه (تنبيه) البكري عن ابن دريد عن محمد بن عثمان عن منجاب بن الحارث عن بشر بن عثمان عن محمد بن سوقة قال: سأل رجل علياً عليه السلام عن الايمان مع اختلاف يسير في آخره فقام الرجل فقبّل رأسه.

«الايمان على أربع دعائم» جمع دعامة عماد البيت.

«على الصبر» جعل الصبر الدعامة الأولى من الايمان لأنّه بمنزلة الرأس من الجسد.

«واليقين» فعيل.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان العمل الدائم القليل على اليقين، أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين.

وعنه عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لا يجد عبدٌ طعم الايمان، حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطيه، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه، وان الضار النافع هو الله تعالى.

«والعدل» قال تعالى: ﴿... وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلّف نفساً إلّا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون * وان هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتقون﴾[1].

«أعدلوا هو أقرب للتقوى» - ﴿... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى

---

(١) لانعام: ١٥٢ - ١٥٣.

وثُلاث ورباعَ فان خفتم ألا تعدلوا فواحدةً ...﴾[١] ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزَّل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأَبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[٢].

«**والجهاد**» ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده ...﴾[٣].

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا ان يقبلوا حتى أمره بالقتال فالخير في السيف، وتحت السيف، والأمر يعود كما بدأ.

وفي (الاسد) عن عمرو بن واثلة، ضحك النبي صلى الله عليه وآله حتى استغرب فقال: ألا تسألوني مم ضحكت؟ فقالوا الله ورسوله أعلم قال عجبت من قوم يقادون الجنّة بالسلاسل وهم يتقاعسون عنها، ـ قالوا وكيف؟ قال أقوام من العجم سباهم المهاجرون يدخلونهم في الإسلام وهم كارهون.

«**والصبر منها على أربع شعب**» جمع شعبة قال الجوهري الشعب الأغصان.

«**على الشوق**» قال الجوهري الشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء.

«**والشفق**» قال الجوهري الشفقة والشفق الاسم من الاشفاق قال «تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً».

«**والزهد**» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله لايجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه، حتى لا يبالي من أكل الدنيا ـ ثم قال عليه السلام حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا.

---

(١) النساء: ٣.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) الحج: ٧٨.

«والترقب» قال الجوهري الترقب الانتظار.

«فمن اشتاق إلى الجنة، سلا عن الشهوات» ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أَذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسُقون﴾[١].

«ومن أشفق من النارِ أجتنبَ المحرّماتِ» ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنّة هي المأوى﴾[٢] وقال النبي صلى الله عليه وآله «حُفَّت الجنّةُ بالمكاره وحفّتِ النار بالشهواتِ».

«ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات» في (الكافي) عن أبي بصير شكوت أبي عبدالله عليه السلام الوسواس، فقال يا أبا محمد اذكر تقطّع أوصالك في قبرك، ورجوع أحبائك عنك، إذا دفنوك في حفرتك وخروج بنات الماء من منخريك، وأكل الدود لحمك فان ذلك يسلّي عنك، ـ قال فوالله ما ذكرته إلّا سلا عني.

«ومن ارتقب الموت»

«سارع إلى» كذا في (المصرية) والصواب: (في) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«الخيرات» ﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بأيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انّهم إلى ربّهم راجعون * أولئك يسارعون في

---

(١) الاحقاف: ٢٠.

(٢) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

الخيران وهم لها سابقون﴾[١].

«واليقين منها» أي: من دعائم الايمان الأربع.

«على أربع شعب» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال لأبي بصير ليس شيء إلّا وله حد، فقال أبو بصير: فما حد التوكل؟ قال عليه السلام اليقين، قال فما حد اليقين؟ قال ألا تخاف مع الله شيئاً.

«على تبصرة الفطنة» الاضافة في التبصرة بمعنى (في) كما يشهد له قوله بعد (فمن تبصّر في الفطنة).

قال تعالى: ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[٢].

«وتأوّل الحكمة» أي: فهم مآلها، قال الشاعر:

على انها كانت تـؤَوّل حـبها تأَوُّل ربعي السقاب فـاصحبا

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام من صحّة يقين المرء المسلم، ألا يرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فان الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرَّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه، كما يدركه الموت.

«وموعظة العبرة» الاضافة في (الموعظة) بمعنى (من) أو (في).

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأُولي الألباب ...﴾[٣] ـ ﴿... فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أُولي الأبصار﴾[٤].

---

(١) المؤمنون: ٤٧ ـ ٦١.

(٢) ق: ٣٧.

(٣) يوسف: ١١١.

(٤) الحشر: ٢.

﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأُخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيّد بنصره من يشاء إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾[١].

﴿يقلّب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾[٢] - ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى * إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى﴾[٣] ﴿وأن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾[٤] - ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشّاربين﴾[٥].

«وسنّة الأولين» ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[٦] - ﴿يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم﴾[٧].

﴿... ولا يحيق المكر السيِّىء إلّا بأهله فهل ينظرون إلّا سُنَّتَ الأولين فلن تجد لِسُنَّتِ الله تبديلاً ولن تجد نَسلكُهُ الله تحويلاً﴾[٨].

﴿فلم يكُ ينفعهم أيمانُهم لمّا رأوا بأسنا سُنَّتَ الله الّتي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾[٩].

---

(١) آل عمران: ١٣.

(٢) النور: ٤٤.

(٣) النازعات: ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) المؤمنون: ٢١.

(٥) النحل: ٦٦.

(٦) آل عمران: ١٣٧.

(٧) النساء: ٢٦.

(٨) فاطر: ٤٣.

(٩) المؤمن: ٨٥.

﴿... ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سُنَّتُ الأولين﴾[١] . ـ ﴿كذلك نَسلكُهُ في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنّة الأولين﴾[٢].

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءَهم الهدى ويستغفروا ربّهم إلّا أن تأتيهم سنّة الأولين أو يأتِيَهم العذاب قُبُلاً﴾[٣].

«فمن تبصر» أي: صار ذا بصيرة.

«في الفطنة تبيّنت له الحكمة» قالوا : الحكمة العلم الذي يدفع الإنسان عن فعل القبيح مستعار من حكمة اللجام.

«ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين» قد عرفت ان (الكافي) نقله «ومن عرف العبرة عرف السنّة ومن عرف السنّة فكأنما كان في الأولين» ـ الخ ـ كما مرَّ.

«والعدل منها» أي: من تلك الدعائم.

«على أربع شعب» الأولى.

«على غائص الفهم» أي: فهم يغوص على الحقائق كمن يغوص على الدرّ، واللؤلؤ ـ وعرفت ان في (الكافي) و(الأمالي) (على غامض الفهم) .

«وغور العلم» أي: قعره.

«وزهرة الحكم» أي: بهجة الفقه والقضاء.

«ورساخة» أي: ثبوت.

«الحلم».

---

(١) الانفال: ٣٨.

(٢) الحجر: ١٢ ـ ١٣ .

(٣) الكهف: ٥٥ .

وفي (الخصال) و(الأمالي) و(التحف) و(الكافي): (وروضة الحلم) وهو الأنسب بسابقه، (وزهرة الحكم).

«فمن فهم علم غور العلم» لأن شرط العلم الفهم.

«ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم» والصدور عن شرائع الحكم كناية عن الإصابة في الحكم، لأن الشرائع موارد استقاء الناس، والصدور عنها: الرجوع عنها.

«ومن حلم لم يفرط» من الافراط تجاوز الحد لا التفريط ـ كما في المرآة ـ لعدم مناسبته مع الحلم.

«في أمره وعاش في الناس حميداً» في الخبر: إذا وقعت منازعة بين رجلين نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما: قلت وقلت وأنت أهل لمّا قلت وستُجزى بما قلت. ويقولان للحليم: صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان أتممت ذلك.

«والجهاد منها على أربع شعب، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في (الكافي): كان أبو عبدالله عليه السلام إذا مرّ بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتى يقول ثلاثاً: اتقوا الله. (يرفع بها صوته).

«وعن النبي صلى الله عليه وآله: ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له. قيل من هو؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر».

وعن الصادق عليه السلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق، الله فمن نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله.

«والصدق» في المواطن قولاً وعملاً، خوفاً وأمناً، ﴿ليس البرّ أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة

والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أُولئك الذين صدقوا وأُولئك هم المتّقون﴾[١].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لمّا نزلت ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة﴾[٢] قام رجل وقال للنبي صلى الله عليه وآله: الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يقتل إلّا أنّه يقترف من هذه المحارف أشهيد هو؟ فأنزل تعالى: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾[٣] فبشر النبي صلى الله عليه وآله المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنّة وقال: التائبون من الذنوب، العابدون الذين لا يعبدون إلّا الله ولا يشركون به شيئاً؛ الحامدون الذين يحمدون الله على كلّ حال في الشدّة والرخاء؛ السائحون وهم الصائمون؛ والراكعون الساجدون الذين يواظبون على الصلوات الخمس، الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها وفي الخشوع فيها، وفي أوقاتها؛ الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به؛ الناهون عن المنكر والمنتهون عنه. فبشّر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنّة.

«وشنآن» أي: بغض.

«الفاسقين» في (الكافي) عن الباقر صلى الله عليه وآله أوحى تعالى إلى شعيب عليه السلام أني معذّب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال فما بال الأخيار قال: داهنوا أهل المعاصي

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) التوبة: ١١٢.

ولم يغضبوا لغضبي.

«فمن أمر بالمعروف شَدَّ» أي: أحكم.

«ظهور المؤمنين» قال تعالى: ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تَفِئَ إلى أمر الله ...﴾[1].

«ومن نهى عن المنكر ارغم» أي: الصق بالرغام، وهو التراب.

«أنوف الكافرين» هكذا في المصرية والصواب: (المنافقين) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

﴿محمّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ...﴾[2] وقال عليه السلام أمرنا النبي صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفَهرّة.

«ومن صدق في المواطن قضى ما عليه» من التكليف والوظائف الإلهية.

﴿وما أدريك ما العقبة * فك رقبة * أو اطعام في يوم ذي مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة﴾.

﴿فأما من أعطى واتقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى﴾[3].

«ومن شَنِيءَ الفاسقين وغضب لله غضب الله له، وأرضاه يوم القيامة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان الله عزوجل بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فوجدا رجلاً يدعو الله ويتضرّع، فقال: أحدهما للآخر أما ترى هذا؟ فقال بلى ولكن أمضي لمّا أمر به ربي وقال الآخر لكني أراجع ربي، فعاد، فقال

(١) الحجرات: ٩.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) البلد: ١٢ ـ ١٨.

يا رب اني انتهيت إلى المدينة. فوجدت عبدك فلاناً يدعوك، ويتضرّع إليك، فقال له تعالى: أمض لمّا أُمرت فإن ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لله قط.

هذا وكما فصل عليه السلام في هذا الكلام دعائم الايمان وشعب كلّ دعامة فصل عليه السلام أرواح الايمان في كلام آخر.

ففي (الكافي) عن الأصبغ جاء رجل إليه عليه السلام فقال ان ناساً زعموا أن العبد يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، وقد ثقل هذا عليّ، وحرج منه صدري حين أزعم ان هذا العبد يصلّي صلاتي، ويدعو دعائي ويناكحني وأُناكحه، ويوارثني وأوارثه، وقد خرج من الايمان من أجل ذنب يسير أصابه ـ فقال عليه السلام صدقت، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ـ والدليل عليه كتاب الله ـ خلق الله الناس على ثلاث طبقات، وأنزلهم ثلاث منازل وذلك قوله تعالى: في الكتاب «أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون»، فاما ما ذكره من أمر السابقين، فانهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح، روح القدس، وروح الايمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا أشياء وبروح الايمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوّة جاهدوا عدوّهم وعالجوا معاشهم، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام، ونكحوا الحلال من شباب النساء، وبروح البدن، دبوا ودرجوا، قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله، ورفع بعضهم درجات، وآتينا عيسى بن مريم البيّنات، وأيدناه بروح القدس ...﴾[1] ـ ثم قال في جماعتهم ﴿... وأيدهم

(١) البقرة: ٢٥٣.

بروح منه ...﴾[١] يقول أكرمهم بها ففضّلهم على من سواهم فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم ثم ذكر أصحاب الميمنة وهم المؤمنون حقّاً بأعيانهم، جعل تعالى فيهم أربعة أرواح روح الايمان وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح البدن، فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربعة حتى تأتي عليه حالات، ـ فقال الرجل ما هذه الحالات؟ ـ قال أما أولاهن فهو كما قال تعالى: ﴿... ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علمٍ شيئاً ...﴾[٢] فهذا ينتقص منه جميع الأرواح، وليس بالذي يخرج من دين الله لأن الفاعل به رده، إلى أرذل العمر فهو لا يعرف للصلاة وقتاً ولا يستطيع التهجد بالليل ولا بالنهار، ولا القيام في الصف مع الناس فهذا نقصان من روح الايمان وليس يضرّه شيئاً وفيهم من ينتقص منه روح الشهوة فلو مرّت به أصبح بنات آدم لم يحن إليها وتبقى روح البدن فيه، فهو يدبّ. ويدرج حتى يأتيه ملك الموت، فهذا بحال خير لأن الله تعالى هو الفاعل به، وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه فيهمّ بالخطيئة فتشجّعه روح القوة وتزيّن له روح الشهوة، وتقوده روح البدن حتى توقِعه في الخطيئة فإذا لامسها نقص من الايمان وتقضى عنه، وليس يعود فيه حتى يتوب فإذا تاب تاب الله عليه وان عاد أدخله الله نار جهنم فأما أصحاب المشأمة، فهم اليهود والنصارى.

يقول الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...﴾[٣] يعرفون محمداً صلى الله عليه وآله والولاية في التوراة، والانجيل، كما يعرفون ابناءهم في منازلهم «وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ـ

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) النحل: ٧٠.

(٣) البقرة: ١٤٦.

انك الرسول إليهم ـ فلا تكونن من الممترين فلمّا جحدوا ما عرفوا ابتلاهم بذلك فسلبهم روح الايمان، وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح، روح القوّة، وروح الشهوة وروح البدن، ثم أضافهم إلى الأنعام فقال ان هم إلّا كالأنعام، لأن الدابة انما تحمل بروح القوّة، وتعتلف بروح الشهوة، وتسير بروح البدن، فقال السائل أحييت قلبي باذن الله.

هذا وفي ٢٦٦ باب الحِكم «سأله رجل أن يعرفه ما الايمان فقال عليه السلام: إذا كان الغَدُ، فأتني حتى أخبرك على اسماع الناس، فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا ـ وقد ذكرنا ما أجابه عليه السلام به في ما تقدّم من هذا الباب وهو قوله عليه السلام الايمان على أربع شعب» وقد شرحناه في فصل أجوبته التمثيلية وأدب السؤال.

٥
الحكمة (٢٢٧)

وسئل عن الإيمان فقال عليه السلام:

اَلْإيمانُ مَعْرِفَةٌ بالقَلْبِ، وَإقْرَارٌ باللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ.

أقول رواه (العيون) باسانيد عنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله.

روي عن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القرشي الحاكم عن أبي بكر محمّد بن خالد المطوعي البخاري عن أبي بكر بن أبي داود عن علي بن حرب الملائي عن أبي الصلت الهروي عن الرضا عليه السلام عن آبائه واحداً بعد واحد عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله الايمان معرفة بالقلب، واقرار باللسان، وعمل بالأركان.

وروي عن أبي أحمد محمد بن جعفر البندار بفرغانه، عن أبي العباس محمد بن محمد بن جمهور الحمادي عن محمد بن عمر بن منصور البلخي

عن أبي يونس أحمد بن محمد الجمحي، عن أبي الصلت مثله.

وروي عن سليمان بن أحمد اللخمي، عن علي بن عبد العزيز ومعاذ بن المثنى عن أبي الصلت مثله.

وروي عن حمزة بن محمد العلوي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه عن أبي الصلت مثله ـ وقال : قال أبو حاتم: لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لبرىء!.

ورواه الخطيب، في (تاريخ بغداد) ـ في عنوان محمد بن إسحاق بن محمد الهروي ـ بأسانيده عن علي بن غراب وعن محمد بن سهل بن عامر البجلي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام مثله.

ورواه الهلال بن المحسن الصابي في (وزرائه) عن عبيد الله بن عبدالله ابن طاهر عن أبي الصلت عن الرضا عليه السلام عن الكاظم عن الصادق عن الباقر عن السجاد عن السبط، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله «الايمان عقدٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالأركان» ـ وقال: ما هذا الاسناد؟ فقال له ابن رشيد: هذا سَعُوط الشيلثا الذي إذا سُعط به المجنون بَرَىءَ[1].

وبالجملة، كلّ ما وقفت عليه في اسناده نسبه عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وفي أوائل الجزء ١٦ من (أمالي) ابن الشيخ، ـ بعد روايته الحديث بطرق ـ قال أبو المفضل، وهذا حديث لم يحدث به عن النبي صلى الله عليه وآله إلّا أمير المؤمنين عليه السلام من رواية الرضا عن آبائه عليهم السلام، وعلى هذا القول أئمة أصحاب الحديث في ما أعلم واحتجوا بهذا الحديث، على المرجئة، ـ ولم يحدّث به في ما أعلم، إلّا موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام، وكنت لا أعلم ان أحداً رواه عن موسى بن جعفر عليه السلام إلّا ابنه الرضا عليه السلام حتى حدثناه محمد بن علي بن معمر الكوفي، ـ

(١) الوزراء لأبو الحسن الصابي ١٩٠ تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عيسى البابي. ١٩٥٨م.

وما كتبته إلّا عنه، ـ عن عبدالله بن سعيد البصري عن محمد بن صدقة ومحمد بن تميم عن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه باسناده مثله سواء[١]، الخ ـ فتراه صرّح بأنّه لم يروه عن النبي صلى الله عليه وآله إلّا أمير المؤمنين عليه السلام كما لم يروه عن أمير المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وآله إلّا الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، ولم يروه عن الكاظم عليه السلام إلّا ابنه الرضا عليه السلام في طرقه المروية وانما روى له ابن معمر طريقاً آخر عن الكاظم عليه السلام وكيف كان فروى أبو المفضل، عن أبي حاتم، قال أبو الصلت: لو قُرىء هذا الاسناد على مجنون لبرىء باذن الله، وأن إسحاق بن راهويه قال لأبي الصلت أي اسناد هذا؟ قال هذا سعوط المجانين هذا عطر الرجال ذوي الألباب ويصح نسبته إليه عليه السلام لأن ما يقوله، أوّل المعصومين عليه السلام يقوله آخرهم، ولأنّه عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله كنفس واحدة.

وقول المصنف، وسئل عن الايمان فقال: هكذا في (المصرية) والصواب: «وقال عليه السلام وقد سئل عن الايمان» كما في (ابن أبي الحديد والخطّية)، قوله عليه السلام.

«الايمان معرفة بالقلب» فما لم يكن معتقداً بالقلب، لم يكن مؤمناً، ولو أقرّ وعمل، قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ فأن أصابه خير اطمأن به وأن أصابته فتنة انقلب على وجهه ...﴾[٢].

وفي معارف ابن قتيبة كان أُمية بن أبي الصلت قد قرأ الكتب، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأن نبيّاً يبعث قد أظل زمانه، فلمّا سمع بخروج النبي صلى الله عليه وآله كفر حسداً له، ولمّا أنشد النبي صلى الله عليه وآله شعره، قال آمن لسانه وكفر قلبه.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي، حسن ابن الشيخ ٢: ٦٣ ـ ٦٤ مطبعة النعمان / النجف.

(٢) الحج: ١١.

هذا وفي (تاريخ بغداد)، قال عبّاد بن كثير قلت لأبي حنيفة رجل قال أعلم أن الكعبة حق وأنها بيت الله، ولكن لا أدري هي التي بمكة، أو هي بخراسان، أمؤمن هو؟ قال نعم ـ قلت له فما تقول في رجل قال أنا أعلم أن محمّداً رسول الله، ولكن لا أدري هو الذي كان بالمدينة، ومن قريش أو محمّد آخر، أمؤمن هو؟ قال نعم.

وفيه قال يحيى بن حمزة قال أبو حنيفة لو أن رجلاً عَبد هذه النعل يتقرّب بها إلى الله لم أرَ بذلك بأساً.

وفيه، قال القاسم بن حبيب، وضعت نعلي في الحصى، ثم قلت لأبي حنيفة أرأيت رجلاً صلّى لهذه النعل حتى مات إلّا انّه يعرف الله بقلبه فقال مؤمن.

«واقرار باللسان» فما لم يقرّ باللسان لم يكن مؤمناً ولو تيقن بالقلب قال تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ...﴾[1].

ولمّا أراد النبي ﷺ قتل كعب بن أسيد في جملة بني قريظة ذكره قول حبر لهم بكونه نبيّاً فقال له كعب: لولا ان اليهود تعيّرني اني خشيت عند القتل لامنت بك، وصدقتك ولكني على دين اليهود عليه أحيى وعليه أموت.

«وعمل بالأركان» فما لم يكن عمل، لم يكن ايمان ولو كان مقرّاً باللسان ومعتقداً بالجنان.

قال تعالى ﴿انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم أيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقّاً ...﴾[2] وقال: ﴿... فان تابوا

---

(١) النمل: ١٤.

(٢) الانفال: ٢ ـ ٤.

وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ...﴾[١] ـ وقال ﴿... ولله على الناس حجّ البيت من استطاع سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين﴾[٢].

وروى الكراجكي في تفضيله مسنداً عن جابر الأنصاري قال لمّا فرغ النبي صلى الله عليه وآله من هوازن نزل بالطائف فتحصن أهله أياماً فسأله القوم أن يفرج عنهم ليقدم وفدهم فيشترط ويشترطون لأنفسهم، فسار حتى نزل مكة فقدم عليه نفر منهم باسلام قومهم ولم ينجع له القوم، بالصلاة ولا بالزكاة ـ فقال النبي صلى الله عليه وآله لا خير في دين لا ركوع فيه، ولا سجود، اما والذي نفسي بيده ليقيمنّ الصلاة، وليؤتنّ الزكاة أو لأبعثن إليهم رجلاً هو مني كنفسي فليضربن أعناق مقاتليهم، وليسبين ذراريهم، هو هذا هو هذا، ـ ثم أخذ بيد علي عليه السلام فأشالها[٣].

وفي أسباب نزول الواحدي عن ابن عباس بلغنا والله أعلم ان آية ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين * فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ...﴾[٤] نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة بن مخزوم كان بنو المغيرة يربون لثقيف، فلمّا أظهر الله تعالى رسوله على مكة، وضع يومئذ الربا كلّه، فأتى بنو عمرو، وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد ـ وهو على مكة ـ فقال بنو المغيرة: جعلنا أشقى الناس بالربا، وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا ـ فكتب عتاب في ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فنزلت الآية، فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله.

---

(١) التوبة: ١١.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) الكرجكي، التفضيل: ٦ نشر جلال الدين، طهران ١٣٢٩ هـ.

(٤) البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

هذا وفي (تاريخ بغداد)، قال شريك كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله تعالى قال عزوجل ﴿... ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيامة﴾[١] وزعم أبو حنيفة ان الصلاة ليست من دين الله.

هذا وأما ما رواه (العيون) باسناده، (عن محمد بن عبدالله بن طاهر، قال كنت واقفاً على رأس أبي، وعنده أبو الصلت الهروي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن محمد بن حنبل فقال أبي ليحدّثني كلّ واحد منكم بحديث ـ فقال أبو الصلت الهروي حدّثني علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ وكان والله رضى كما سمّي ـ عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «الايمان قول وعمل» ـ فلمّا خرجنا، قال ابن حنبل ما هذا الاسناد فقال له أبي هذا سعوط المجانين، إذا سعط به المجنون أفاق) فلا ينافي العنوان لأن الغالب ان القول والعمل، لا يكونان إلّا عن معرفة بالقلب.

هذا وفي (الكافي) عن الصادق ان بني أُمية اطلقوا للناس تعليم الايمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم على الكفر لم يعرفوه.

وفيه عن سليم بن قيس قال سمعت علياً عليه السلام يقول وقال له رجل ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً؟ وأدنى ما يكون به كافراً؟ وأدنى ما يكون به ضالّاً؟ ـ قال سألت فافهم الجواب ـ أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرّفه الله تعالى نفسه فيقرّ له بالطاعة ويعرّفه نبيّه فيقرّ له بالطاعة ويعرّفه امامه وحجّته في أرضه وشاهده على خلقه، فيقرّ له بالطاعة، فقال وان جهل جميع الأشياء إلّا ما وصفت، قال نعم، إذا أمر أطاع، وإذا نهى انتهى ـ وأدنى ما يكون به العبد كافراً. من زعم ان شيئاً نهى الله تعالى عنه انّه تعالى أمر به، ونصبه

(١) البينة: ٥.

ديناً يتولى عليه ويزعم انّه يعبد الذي أمره به وانما يعبد الشيطان ـ وأدنى ما يكون به العبد ضالاًّ، ألا يعرف حجّة الله وشاهده على عباده الذي أمر الله بطاعته وفرض ولايته، ـ فقال صفهم لي، فقال عليه السلام الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...﴾[1] ـ فقال: جعلت فداك أوضح لي فقال: الذين قال النبي صلى الله عليه وآله في آخر خطبته يوم قبضه الله تعالى إليه اني قد تركت فيكم أمرين، لن تضلوا بعدي ما ان تمسكتم بهما، كتاب الله تعالى وعترتي أهل بيتي فان اللطيف الخبير أخبر انهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ـ الخبر .

٦
من غريب كلامه (٥)

ومن حديثه عليه السلام :

إنَّ الإيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي ٱلْقَلْبِ، كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْإِيمَانُ ازْدَادَت اللُّمْظَةُ.

«ان الايمان يبدو لمظة» أي: يسيراً، يقال (عنده لمظة من سمن) أي يسير تأخذه باصبعك كالجوزة.

«في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة» في (الكافي) عن أبي عمرو الزبيري قلت لأبي عبدالله عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله، قال ما لا يقبل الله شيئاً إلّا به، الايمان أعلى الأعمال درجةً، واشرفها منزلةً وأسناها حظّاً.

قلت أقولٌ وعملٌ أم قولٌ بلا عمل؟ فقال الايمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل يشهد له به الكتاب، قلت صفه لي قال الايمان حالات ودرجات، وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه ـ قلت ان الايمان ليتم وينقص ويزيد، قال نعم قلت كيف

---

(١) النساء: ٥٩ .

ذاك؟ قال لأن الله تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم، وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكلت من الايمان به، غير ما وكلت به اختها، فمنها قلبه الذي به يعقل، ويفقه وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه.

ومنها عيناه اللتان يبصر بهما، واذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباه من قبله، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه، فليس من هذه جارحة إلّا وقد وكلت من الايمان به غير ما وكلت به اختها، بفرض من الله، ففرض على القلب غير ما فرض على السمع وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فاما ما فرض على القلب، فالاقرار والمعرفة والعقل والرضا والتسليم بأن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له الهاً واحداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وان محمداً عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله من نبي وكتاب، فذلك ما فرض الله على القلب وهو عمله وهو قوله تعالى:

﴿... إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾[1] وقال ﴿... ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[2] وقال ﴿... من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾[3]

---

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) المائدة: ٤١.

وقال: ﴿... ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء ...﴾[١] وعمله رأس الايمان ـ وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقرّ به قال تعالى: ﴿... وقولوا للناس حسناً﴾[٢] وقال: ﴿... وقولوا آمنا بالّذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾[٣] ـ وفرض الله على السمع، أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرّم الله، وان يعرض عمّا لا يحل له ممّا نهى الله تعالى عنه والاصغاء إلى ما أسخط الله تعالى فقال: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره ...﴾[٤] ثم استثنى تعالى مواضع النسيان فقال: ﴿... وإما ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[٥] وقال: ﴿... فبشر عِبادِ * الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أُولئك الذين هداهم الله وأُولئك هم أولوا الألباب﴾[٦] وقال: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلوتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون﴾[٧] وقال: ﴿... وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ...﴾[٨] وقال: ﴿... وإذا مروا باللغو مرّوا كراماً﴾[٩] ـ وفرض على البصر، أن لا ينظر إلى ما حرّم الله عليه، وان يعرض عمّا نهى الله عنه ممّا لا يحل له، فقال

---

(١) البقرة: ٢٨٤.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) العنكبوت: ٤٦.

(٤) النساء: ١٤٠.

(٥) الانعام: ٦٨.

(٦) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٧) المؤمنون: ١ ـ ٣.

(٨) القصص: ٥٥.

(٩) الفرقان: ٧٢.

تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ...﴾[١] فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم، وان ينظر المرء إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه، ان ينظر إليه، وقال: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن...﴾[٢] من أن تنظر احداهن إلى فرج اختها وتحفظ فرجها، من أن يُنظر إليه وكل شيءٍ جاءَ في القرآن في حفظ الفرج فهو التحفظ من الزنا إلّا هذه الآية فانّها من النظر ثم نظم تعالى ما فرض في آية أُخرى فقال ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ...﴾[٣] يعني بالجلود، الفروج والأفخاذ، وقال: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولا ...﴾[٤] هذا ما فرض الله على العينين من عملهما من الايمان وفرض على اليدين ألا يبطش بهما إلّا إلى ما أمر الله تعالى به، وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والطهور للصلاة كما في آية الوضوء وقال: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدّوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ...﴾[٥] وقال في الرجلين: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾[٦] ـ وقال : ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[٧] ـ وقال في ما

---

(١) النور: ٣٠.

(٢) النور: ٣١.

(٣) فصلت: ٢٢.

(٤) الإسراء: ٣٦.

(٥) محمد: ٤.

(٦) الاسراء: ٣٧.

(٧) لقمان: ١٩.

شهدت الأيدي والأرجل على تضييعهما، ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾(١) ـ وفرض على الوجه السجود له سبحانه، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون﴾(٢).

وقال: ﴿وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾(٣).

ولمّا صرف تعالى نبيه عن بيت المقدس إلى الكعبة أنزل الآية ﴿... وما كان الله ليضيع ايمانكم ...﴾(٤) فسمّى الصلاة ايماناً فمن لقى الله تعالى حافظاً لجوارحه، موفياً كلما فرض الله تعالى عليها لقي الله تعالى مستكملاً لايمانه، وهو من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها أو تعدّى ما أمر الله تعالى به لقى الله ناقص الايمان.

قلت قد فهمت نقصان الايمان وتمامه فمن أين جاءت زيادته؟ قال قوله تعالى ﴿وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون * واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم ...﴾(٥).

وقال: ﴿نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً﴾(٦) ولو كان الايمان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر، ولكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة

---

(١) يس: ٦٥.

(٢) الحج: ٧٧.

(٣) الجن: ١٨.

(٤) البقرة: ١٤٣.

(٥) التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٦) الكهف: ١٣.

في الايمان يتفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النار.

هذا وفي تاريخ بغداد، قال: شريك كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله احداهما ﴿... ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ...﴾[١] وزعم أبو حنيفة ان الايمان لا يزيد ولا ينقص، ـ وقال الفزاري قال أبو حنيفة ايمان آدم، وايمان ابليس واحد، قال ابليس: ﴿... ربِّ بما أغويتني ...﴾[٢] ﴿رب فأَنظرني إلى يوم يبعثون﴾[٣]، وقال آدم: ﴿... ربنا ظلمنا أنفسنا ...﴾[٤].

وفيه، قال القاسم بن عثمان مر أبو حنيفة بسكران يبول قائماً، فقال له أبو حنيفة: لو بلت جالساً ـ فنظر في وجه أبي حنيفة وقال ألا تمر يا مرجئ! فقال له أبو حنيفة هذا جزائي منك، صيّرت ايمانك كايمان جبرئيل.

قول المصنف «واللُّمَظَة» هكذا في (المصرية) والصواب: (اللُّمْظَة) كما في (ابن ميثم والخطّية) وكذا (ابن أبي الحديد).

واللُّمْظة مثل النكتة أو نحوها من البياض، واما اللماظة فما يبقى في الفم من الطعام.

ومنه قيل (فرس المظ) إذا كان بجحفلته (أي: شفته قالوا الجحفلة للخيل والبغال كالشفة للإنسان).

شيءٌ من البياض. وقال في (الجمهرة)، وأكثر ما يستعمل إذا كان البياض في جحفلته السفلى، فإذا كان في العليا فالفرس أرثم.

هذا وفي (العقد)، كان خالد بن صفوان يقول ما في قلب بلال بن أبي

---

(١) الفتح: ٤.

(٢) الحجر: ٣٩.

(٣) الحجر: ٣٦.

(٤) الاعراف: ٢٣.

بردة بن أبي موسى من الايمان إلّا ما في بيت أبي الزرد الحنفي من الجوهر ـ أبو الزرد: رجل مفلس.

٧
من الخطبة (١٩٣)

من خطبةٍ له عليه السلام [في فضل الاسلام]:

ثُمَّ إِنَّ هذَا الإِسْلاَمَ دِينُ ٱللهِ الَّذِي ٱصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَٱصْطَنَعَهُ عَلى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ ٱلْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدآءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مَحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلاَلَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتأَقَ ٱلْحِياضَ لِمواتِحِهِ. ثُمَّ جَعَلَهُ لاَ ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلاَ فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلاَ ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَلاَ زَوَالَ لِدَعائِمِهِ، وَلاَ ٱنْقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ وَلاَ ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلاَ عَفاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلاَ ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلاَ وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلاَ سَوَادَ لِوَضَحِهِ، وَلاَ عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ: وَلا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلاَ وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلاَ ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلاَ مَرَارَةَ لِحَلاَوَتِهِ؛ فَهُوَ دَعائِمُ أَسَاخَ فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا؛ وَثَبَّتَ لَهَا أُسَسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَت عُيُونُهَا، وَمَصابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُها؛ وَمَنَارٌ ٱقْتَدى بِهَا سُفَّارُهَا؛ وَأَعْلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا؛ وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا؛ جَعَلَ ٱللهُ فِيهِ مُنْتَهى رِضْوَانِهِ؛ وَذِرْوَةَ دَعائِمِهِ؛ وَسَنَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ وَثيقُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ؛ مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ، مُعْوِذُ ٱلْمَثَارِ؛ فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ؛ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ؛ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

«ثم ان هذا الاسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه» استدل له بقوله تعالى

﴿ان الدين عند الله الاسلام ...﴾[١] ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٢] ومعنى اصطفاء الله له لنفسه، اختياره له ليدين عباده به فهو في الحقيقة، اصطفاه لعباده قال يعقوب لبنيه ﴿... يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلّا وأنتم مسلمون﴾[٣].

«**واصطنعه على عينه**» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿... ولتصنع على عيني﴾[٤] قال في التبيان: وتقديره انا أراك، يجري أمرك على ما أريد بك، من الرفاهية في غذائك.

«**واصفاه**» أي: آثر به، واخلص.

«**خيرة خلقه**» من الأولين والآخرين، نبينا خاتم النبيين.

روى (الاكمال) عن أبان الاحمر عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال لمّا دعا النبي ﷺ بكعب بن أسد ليضرب عنقه في بني قريظة نظر النبي ﷺ إليه وقال له يا كعب اما نفعك وصيّة ابن حواش الحبر الذي أقبل من الشام فقال تركت الخمر والخمير، وحبئت إلى البؤس والتمور، لنبي يبعث هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكة، وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتال يجتزي بالكسرة والتمرات ويركب الحمار العاري في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر ـ قال كعب قد كان ذلك يا محمد، ولولا ان اليهود تعيّرني اني خشيت عند القتل لآمنتُ بك ...

«**وأقام دعائمه على مَحبَّتِهِ**» جمع الدعامة عماد البيت.

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) البقرة: ١٣٢.

(٤) طه: ٣٩.

﴿واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبّب إليكم الايمان وزيّنه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ...﴾[١].

﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انّه عزيز حكيم﴾[٢].

«أذل الأديان بعزّته» هكذا في (المصرية) والصواب: (بعزّه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)، ﴿ولا يحزنك قولهم ان العزّة لله جميعاً هو السميع العليم﴾[٣].

«ووضع الملل برفعه» استدل بقوله تعالى ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾[٤].

وفي خبر بحيرا الراهب (قال للنبيّ صلى الله عليه وآله قبل نبوّته) أنت الذي لا تقوم الساعة حتى تدخل الملوك كلّها في دينك صاغرةً قمئة.

وفي خبر خالد بن أسيد عن كبير الرهبان لمّا أخبره خالد بأن معهم شاباً من بني هاشم يسمّونه يتيم أبي طالب فوالله لقد نخر نخرة كاد أن يغشى عليه، ثم وثب، وقال أوه أوه هلكت النصرانية والمسيح.

وفي خبر يوسف اليهودي لمّا عرضوا النبي صلى الله عليه وآله حين ولادته عليه، وقع مغشياً عليه فضحكت قريش منه فقال أتضحكون يا معشر قريش، هذا نبي السيف ليتبرنكم وقد ذهبت النبوّة من بني اسرائيل إلى الأبد ـ رواها (الاكمال).

---

(١) الحجرات: ٧.

(٢) الانفال: ٦٣.

(٣) يونس: ٦٥.

(٤) الصف: ٩.

«وأهان أعداءه بكرامته» ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر. ما ظننتم ان يخرجوا وظنّوا انّهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخرّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[1].

«وخذل محاديه بنصره» وقد اعترف محادوه بخذلان الله لهم.

وفي الطبري في أمر النبي صلى الله عليه وآله بضرب أعناق بني قريظة وهم ستمائة أو سبعمائة ـ وقيل ثمانمائة أو تسعمائة ـ حتى فرغ منهم ـ وأتى بحي بن أخطب عدوّ الله وعليه حلّة قد شققها عليه من كلّ ناحية كموضع الانملة، لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلمّا نظر إلى النبي صلى الله عليه وآله قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يُخذل ـ ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره وملحمة قد كتبت على بني اسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل الثعلبي:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغي العز كلّ مقلقل

«وهدم أركان الضلالة بركنه» قال الجوهري ركن الشيء جانبه الأقوى.

«وسقى من عَطِش مِن حياضه» من الاحبار والرُهبان الذين كانوا منتظرين له والأنصار الذين كانوا شائقين إليه.

وفي (معارف) ابن قتيبة، كان أبو قيس صرمة بن أبي أنس النجاري قد ترهب قبل الاسلام وفارق الأوثان، ولبس المسوح، واتخذ بيته مسجداً، لا يدخله جنب ولا طامث، وقال: اعبد ربّ إبراهيم فلمّا قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة أسلم. وقال في النبي صلى الله عليه وآله:

---

(١) الحشر: ٢.

ثوى في قريش بضع عشرة حجّة بـمكة لا يـلقى صـديقاً مـؤاتـيا
ويعرض في أهل المواسـم نـفسه فـلم يـرَ مـن يـوفي ولم يـرَ داعـيا
فـلمّا أتـانا أظـهر الله ديـنه وأصـبح مسـروراً بـطيبة راضـيا
وأصبح لا يخشى من الناس واحداً بعيداً ولا يخشى من النـاس دانـيا
بـذلنا له الأمـوال فـي كـلّ مـلكنا وأنـفسنا عـند الوغـى والتأسـيا
ونـعلم ان الله لا ربّ غـيره وان رسـول الله للـحق رائـيا
نعادي الذي عادى من الناس كلّهم جميعاً وان كان الحبيب المـصافيا

«واتاق» أي: مَلأ.

«الحياض لمواتحه» هكذا في (المصرية) والصواب: (بمواتحه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) أي: مستقيه.

«ثم جعله لا انفصام» أي: لا انكسار.

«لعروته» من عروة الكوز.

«ولا فك لحلقته» بالتسكين من حلقة الدروع.

«ولا انهدام لأساسه» وهو القرآن وقد قال تعالى: ﴿انّا نحن نزلنا الذكر وانّا له لحافظون﴾[1].

«ولا زوال لدعائمه» أي: أعمدته.

وفي (الكافي)، قال عيسى بن السري لأبي عبدالله عليه السلام حدّثني عمّا بنيت عليه دعائم الاسلام إذا أخذت بها زكا عملي ولم يضرّني جهل ما جهلت بعده، فقال شهادة ان لا إله إلّا الله وان محمّداً رسوله والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال والولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمّد عليهم السلام فان النبي صلى الله عليه وآله قال: من مات لم يعرف امامه مات ميتةً جاهلية، وأحوج ما يكون أحدكم إلى

(١) الحجر: ٩.

معرفته إذا بلغت نفسه ههنا ـ وأهوى بيده إلى صدره ـ وقال تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم﴾.

«ولا انقلاع لشجرته» لاستحكام عروقها قال تعالى: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كلّ حين باذن ربّها ...﴾[1].

«ولا انقطاع لمدته» لأن حلال محمّد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة لأنّه لا ناسخ له.

«ولا عفاء» أي: اندراس وانمحاء.

«لشرائعه» مشارع شاربيه.

«ولا جذّ» أي: لا كسر ولا قطع.

«لفروعه» كأصوله.

«ولا ضنك» أي: لا ضيق.

«لطرقه» قال تعالى ﴿... ما جعل عليكم في الدين من حرج ...﴾[2].

«ولا وعوثة» الوعث مكان تفيث فيه الأقدام، ويشقّ على من يمشي فيه «لسهولته» ﴿الذين يتّبعون الرسول النبي الأُمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ...﴾[3].

«ولا سواد لوضحه» أي: بياضه.

«ولا عوج لانتصابه» أي: استقامته واستدل له بقوله تعالى: ﴿قل انني

(١) ابراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الاعراف: ١٥٧.

هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيّماً ملّة إبراهيم حنيفاً ...﴾[١].

«ولا عصل في عوده» قال الجوهري: العصل التواء في عسيب الذنب حتى يبدو بعض باطنه الذي لا شعر عليه.

«ولا وعث لفجه» قال الجوهري الفج الطريق الواسع بين الجبلين.

«ولا انطفاء لمصابيحه» ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[٢] ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[٣].

«ولا مرارة لحلاوته» ﴿... ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدّة من أيام أُخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ...﴾[٤] ـ ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ...﴾[٥].

﴿... ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً ...﴾[٦] ـ ثم نسخ ذلك لصعوبته فقال: ﴿الأن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين﴾[٧].

«فهو دعائم» أي: أعمدة.

---

(١) الانعام: ١٦١.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) الصف: ٨.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) البقرة: ١٨٧.

(٦) الانفال: ٦٥.

(٧) الانفال: ٦٦.

«اساخ» أي: ادخل.

«في الحق أسناخها» أي: اصولها.

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾.

«وثبت لها اسسها» هكذا في (المصرية) والصواب: «آساسها» على وزن (اسناخها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وان كان كلّ منهما جمعاً (اسس جمع أساس) و (آساس) جمع (أس) كما يفهم من الصحاح.

﴿وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيامة﴾[1].

«وينابيع غزرت» بتقديم الزاي، أي: كثرت.

«عيونها» مواضع النبع التي كالعيون.

«ومصابيح شبت نيرانها» أي: أوقدت .

«ومنار» قال الجوهري: المنار علم الطريق، وذو المنار ملك من اليمن أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع.

«اقتدى بها سفّارها» أي: مسافروها.

«وأعلام» أي: جبال قال: «إذا قطعن علما بدا علم».

«قصد بها فِجاجها» أي: الطريق بينها هينة السير لا تعب فيه.

«ومناهل» قال الجوهري تسمى المنازل التي في المفاوز، على طرق السفر مناهل لأن فيها ماء.

«رَوِي» من (روى من الماء)، بالكسر وأما (روى الحديث) فبالفتح.

«بها ورّادها» واردوها.

---

(١) البينة: ٥.

«جعل الله فيه منتهى رضوانه» ﴿ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله...﴾[١]، ﴿... فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٢] ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه﴾[٣] ﴿ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ...﴾[٤] ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٥] ﴿... هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين ...﴾[٦] ولكن إذا أكمل بالولاية فقال تعالى بعد إنزال الولاية: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً...﴾[٧].

«وذروة دعائمه» أي: أعلى أعمدته والضمير في (دعائمه) راجع إليه تعالى كما في (رضوانه) والاضافة فيه بمعنى اللام ومثله قوله.

«وسنام طاعته» والأصل في السنام سنام الابل.

«فهو» أي: الاسلام.

«عند الله وثيق الأركان» أي: محكمها ﴿... فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[٨].

«رفيع البنيان» الاسلام يعلو ولا يعلى عليه.

---

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) البقرة: ١١٢.

(٣) آل عمران: ٨٥.

(٤) فصّلت: ٣٣.

(٥) البقرة: ١١٢.

(٦) الحج: ٧٨.

(٧) المائدة: ٣.

(٨) البقرة: ٢٥٦.

وفي (الاسد) قال النبي ﷺ في ابن بنته زينب علي بن أبـي العـاص - وكان مسترضـعاً في بني غاضرة وكان أبوه يومئذ مشركاً فضمّه إليه ـ من شاركني في بنيي فانا أحق به منه وايما كافر شارك مسلماً في شيء فالمسلم أحقّ به منه.

«مُضِيءُ النيران» ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾[1].

«عزيز السلطان» ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ...﴾[2].

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآويكم وأيّدكم بنصره ...﴾[3] ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[4] ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾[5].

«مشرف المنار» أي: عاليه .

«معوز» من (أعوزه الشيء) إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

«المثار» من (اثار الصيد) هيجه قال:

أثار الليث في عريس غـيل　　　له الويـلات مـمّا يسـتثير

«فشرّفوه واتّبعوه وأدّوا إليه حقّه وضعوه مواضيعه» هكذا في (المصرية) والصواب: (مواضعه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انّه لكم عـدو

---

(١) الزمر: ٢٢.

(٢) التوبة: ٢٥.

(٣) الانفال: ٢٦.

(٤) الفتح: ١.

(٥) النصر: ١ ـ ٢.

مبين﴾[1] ﴿يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين﴾[2].

٨
الحكمة (٣١٠)

قال عليه السلام:

لا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ.

أقول: الأصل فيه ما رواه المسعودي في (مروجه) مرفوعاً، وسبط ابن الجوزي في (تذكرته) مسنداً قال الأول أنّ سائلاً وقف على باب عليّ عليه السلام فقال للحسن عليه السلام قل لأمك تدفع إليه درهماً، فقال انما عندنا ستة دراهم للدقيق فقال عليه السلام «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده» ـ ثم أمر للسائل بالستة الدراهم كلّها ـ فما برح عليه السلام حتى مر به رجل يقود بعيراً، فاشتراه منه بمائة وأربعين درهماً وانسأ أجله ثمانية أيام، فلم يحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا؟ فقال بمأتي درهم، فقال قد أخذته، فوزن له الثمن فدفع منه مائة وأربعين درهماً للذي ابتاعه منه، ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام فسألته من أين هي فقال عليه السلام هذه تصديق لمّا جاء به أبوك صلى الله عليه وآله ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾[3].

وروى الثاني مسنداً عن أبي أراكة، جاء سائل إلى علي عليه السلام فقال لبعض ولده إذهب إلى أُمك، وقل لها هات ذاك الدرهم الذي عندك فمضى ثم عاد، وقال قالت خبأناه للدقيق، فقال إذهب وائتني به، فأتاه به فدفعه إلى السائل وقال: ـ

---

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) الحجرات: ١٧.

(٣) الانعام: ١٦٠.

«لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده» ـ فبينا هو يتحدّث إذ مر به رجل يبيع جملاً، فاشتراه منه بمائة درهم، ثم باعه بمأتين فدفع المائة إلى ولده، وقال له إذهب بها إلى أُمك وقل لها، هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه.

«لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله» هكذا في (المصرية) وفيها سقط فزاد (ابن أبي الحديد والخطّية) (سبحانه) وكذا (ابن ميثم)، لكن في (الخطّية) (تعالى).

«أوثق منه بما في يده» لكونه لازم الايمان بكونه رازقاً، وانّه لولا حفظ الله لسلب ما في يده ـ وقيل لأبي حازم ما مالك ؟ قال مالان الثقة بما عند الله واليأس ممّا في أيدي الناس.

وورد عن عترته عليهم السلام ما يقرب من كلامه عليه السلام وعلائم أُخر فعن الصادق عليه السلام «لا يجد الرجل حلاوة الايمان حتى لا يُبالي من أكل الدنيا.. ثم قال حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا ـ، وليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا الا يكون بما في يدك أوثق مِنه بما في يد الله عزوجل.

وعن الرضا عليه السلام لا يكون المؤمن مؤمناً، حتى يكون فيه ثلاث خصال سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليه، فاما السنّة من ربه، فكتمان سرّه، قال جل جلاله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلّا من ارتضى من رسولٍ﴾[1] وأما السنّة من نبيّه صلى الله عليه وآله فمداراة الناس قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعُرفِ واعرض عن الجاهلين﴾[2] وأما السنة من وليّه، فالصبر في

(١) الجن: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) الاعراف: ١٩٩.

البأساء والضراء، يقول تعالى: ﴿... والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا وأُولئك هم المتّقون﴾[١].

وعنهم عليهم السلام من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غضّ بصره لم يرتد إليه طرفه حتى يعقبه الله ايماناً يجد طعمه.

٩
الحكمة (٤٥٨)

وقال عليه السلام:

عَلاَمَةُ الْايْمَانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَأَلاَّ يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ، وَأَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ.

«الايمان» هكذا في (المصرية)، والصواب: «علامة الايمان» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«ان تؤثر» أي: تختار.

«الصدق حيث يضرّك في دنياك».

«على الكذب، حيث ينفعك» فيها كما ان علامة المريض الذي له شعور ان يؤثر الدواء المرّ على الطعام الحلو.

وكيف لا وقد قال تعالى: ﴿انما يفتري الكذِبَ الذينَ لا يؤمنون ...﴾[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله يكون المؤمن جباناً وبخيلاً ولا يكون كاذباً..

وفي (الكافي) عن الأصبغ، قال أمير المؤمنين عليه السلام لا يجد عبد طعم الايمان، حتى يترك الكذب هزله وجدّه.

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) النحل: ١٠٥.

وعن أبي جعفر عليه‌السلام كان علي بن الحسين عليه‌السلام يقول لولده اتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كلّ جد وهزل، فان الرجل، إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير، وقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله ما زال العبد يصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً، ولا يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذّاباً.

وعنه عليه‌السلام ان الكذب هو خراب الايمان، وان الله تعالى جعل للشرّ أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب.

وعنه عليه‌السلام ان أوّل من يكذب الكذّاب الله ثم الملكان اللذان معه، ثم هو يعلم أنّه كاذب.

وعن الصادق عليه‌السلام أن ممّا أعان الله به على الكذابين النسيان وقال عيسى عليه‌السلام من كثر كذبه ذهب بهاؤه.

وقال عليه‌السلام لأبي بصير، ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين، ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال تعالى صدق وبرّ، وإذا كذب قال تعالى كذب وفجر.

ويكفي في فضل الصدق قوله تعالى: ﴿... وكونوا مع الصادقين﴾[1] ـ وقول الصادق عليه‌السلام ان الله تعالى، لم يبعث نبياً إلّا بصدق الحديث واداء الامانة إلى البر والفاجر،ـ وبعث عليه‌السلام إلى عبدالله بن أبي يعفور انظر ما بلغ به علي عليه‌السلام عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فألزمه ان علياً عليه‌السلام انما بلغ ما بلغ بصدق الحديث، واداء الامانة ، ـ وقال عليه‌السلام لفضيل بن يسار ان الصادق أوّل من يصدقه هو الله عزوجل.

وفي (تاريخ بغداد)، كان لربعي بن خراش العبسي ابنان عاصيان في زمن الحجّاج، فقيل للحجاج ان أباهما لم يكذب كذبة قط لو أرسلت إليه فسألته

---

(١) التوبة: ١١٩.

عنهما، فأرسل إليه، أين ابناك؟ فقال: هما في البيت، فقال الحجاج قد عفونا عنك بصدقك.

وفي (السير) أن الحجاج أمر بقتل أحد الأسارى من أصحاب ابن الأشعث، فقال: لا تقتلني، فلي عندك يد، قال: ما هي؟ قال: سبّك ابن الأشعث يوماً، وأنا دافعت عنك، قال: هل لك شاهد؟ قال: نعم فلان ـ رجل آخر من أسارى ابن الأشعث. فقال له: هل دافع عني؟ قال: نعم، قال: فأنت أيضاً دافعت؟ قال لا: قال لِمَ؟ قال: لأني كنت أبغضك وأُسر بسببك ـ فقال الحجاج عفوت عن الأول بدفاعه عني، وعفوت عنك بصدقك في بغضي، وممّا يقرب من قوله عليه السلام (ان تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك) قولهم (عليك بالصدق وان جر عليك المغارم، وإيّاك والكذب وان ساق عليك المغانم).

هذا: ومن الأكاذيب الهزلية، ما في (كامل المبرد) (قال تكاذب اعرابيان، فقال أحدهما خرجت مرة على فرس لي فإذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت إليها، فإذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى انبهتها فانجابت فقال الآخر لقد رميت ظبياً مرّة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم يمنة خلفه، فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه، ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه، فانحدر الظبي، فانحدر السهم خلفه حتى أخذه.

«وان لا يكون في حديثك فضل عن عملك» هكذا في (المصرية) والصواب: (عن علمك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) قال تعالى: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلّ أُولئك كان عنه مسئُولا﴾[1].

وعن الباقر عليه السلام (من أفتى الناس بغير علم ولا هدىً لعنته ملائكة

---

(١) الاسراء: ٣٦.

الرحمة وملائكة العذاب وعليه وزر من عمل بفتياه ـ فان قيل ان (عن عملك) أيضاً صحيح لأنّه في معنى قوله تعالى ﴿كبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾[١].

قلت: بل لا معنى له لأن (عملك) يدل على وقوع عمل منه.

«وان تتقي الله في حديث غيرك حتى لا يكون فيه غيبته وما يسوؤه لو سمعه».

قال تعالى: ﴿... لا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله يا معشر من أَسلم بلسانه، ولم يُسلم بقلبه، لا تتبعوا عثرات المسلمين، فانّه من يتّبع عثراتِ المسلمين يتّبع الله عثراته، ومن تتبَّع الله عثراته يفضحه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه، وقال الصادق عليه السلام من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أُذناه فهو من الذين قال تعالى فيهم: ﴿ان الذين يحبّون ان تشيعَ الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ...﴾[٣].

١٠
الحكمة (٣٠٩)

وقال عليه السلام:

اِتَّقُواْ ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَ الْحَقَّ عَلى أَلْسِنَتِهِمْ.

---

(١) الصف: ٣.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) النور: ١٩.

أقول: الأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وآله «اتقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله».

وروى محمد بن بابويه، في معاني أخباره، عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة، قلت لجعفر بن محمّد عليه السلام في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها، فقال ان شئت أخبرتك قبل أن تسألني وان شئت فسل، قلت وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟ فقال بالتوسم والتفرس أما سمعت قول الله تعالى ﴿ان في ذلك لآيات للمتوسّمين﴾[1].

وقول النبي صلى الله عليه وآله «اتقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله» فقلت له فاخبرني بمسألتي، قال أردت أن تسألني عن النبي صلى الله عليه وآله لِمَ لم يطق حمله علي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوّته وشدّته، وما ظهر منه، من قلع باب خيبر، والرمي به إلى ورائِه أربعين ذراعاً وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، ـ فقلت له عن هذا أردت والله أن أسألك فاخبرني فقال: ان علياً عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله تشرّف وبه ارتفع وبه وصل إلى ان اطفأ نار الشرك، وأبطل كلّ معبود من دون الله عزوجل ولو علاه النبي صلى الله عليه وآله لحطّ الأصنام لكان بعلي عليه السلام مرتفعاً وشريفاً ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه ألا ترى ان علياً عليه السلام قال لمّا علوت ظهر النبي صلى الله عليه وآله ارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها أما علمت ان المصباح هو الذي يُهتدى به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله.

وقد قال علي عليه السلام «أنا من أحمد كالضوء من الضوء» أما علمت ان محمّداً وعلياً صلى الله عليهما وآلهما كانا نورين بين يدي الله تعالى قبل خلق الخلق بألفي عام، وان الملائكة لمّا رأت ذلك النور، رأت له أصلاً قد تشعّب منه شعاع لامع فقالت

---

(١) الحجر: ٧٥.

إلهنا، ما هذا النور؟ فقال تعالى: هذا نور من نوري، اصله نبوة وفرعه امامة اما النبوة فلمحمّدٍ عبدي، واما الإمامة فلعلي حجّتي ووليي، ولولاهما ما خلقت خلقي، أما علمت ان النبي صلى الله عليه وآله رفع يد علي عليه السلام بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض ابطيه، فجعله مولى المسلمين وامامهم ـ وقد احتمل الحسن والحسين يوم حظيرة بني النجّار، فلمّا قال له بعض أصحابه ناولني أحدهما قال نعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما.

وان النبي صلى الله عليه وآله كان يصلّي بأصحابه، فأطال سجدة من سجداته، فلما سلَّم قيل له قد أطلت هذه السجدة، فقال: «ان ابني ارتحلني، فكرهت ان اعاجله حتى ينزل».

وانما أراد بذلك رفعهم وتشريفهم فالنبي صلى الله عليه وآله امامٌ نبي، وعليٌ عليه السلام امام ليس بنبي، فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوّة ـ فقلت له زدني يا بن رسول الله فقال انّك لأهل للزيادة، ان النبي صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره، يريد بذلك أنّه أبو ولده، وامامة الائمة من صلبه، كما حول رداءه في صلاة الاستسقاء، واراد أن يعلم بذلك أصحابه انّه تحوّل الجدب خصباً.

قلت له: زدني فقال: احتمله ليُعلم قومه انّه هو الذي يخفف عن ظهر النبي صلى الله عليه وآله ما عليه من الدين والعدات والاداء عنه من بعده.

قلت له: زدني فقال: احتمله لِيُعلم بذلك انّه قد احتمله، وما حمل إلّا لأنّه معصوم لا يحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ان الله تعالى حمّلني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي وذلك قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ...﴾[1] ولمّا أنزل تعالى:

---

(١) الفتح: ٢.

﴿... عليكم أنفسكم ...﴾[١] قال النبي صلى الله عليه وآله أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضل إذا اهتديتم، وعلي نفسي وأخي، أطيعوا علياً، فانّه مطهَّرٌ معصومٌ لا يضلّ ولا يشقى، ثم تلا هذه الآية ﴿قل اطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم، وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلّا البلاغ المبين﴾[٢].

ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام لو أخبرتك أيّها الأمير، بما في حمل النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عند حطّ الأصنام من سطح الكعبة من المعاني التي أرادها لقلت ان جعفر بن محمد مجنون، فحسبك من ذلك ما قد سمعت. فقمت إِلَيه وقبّلت رأسه وقلت ﴿... الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٣].

وروى خبر حمل النبي صلى الله عليه وآله له عليه السلام لحط الأصنام الخطيب وفي خبره، ان النبي صلى الله عليه وآله لمّا حمله ونهض به صعد عليه السلام علي الكعبة وتنحى النبي صلى الله عليه وآله فألقى علي عليه السلام صنمهم ونزل[٤].

قلت: ويمكن أن يقال ان اصعاده بدون إنزاله للدلالة على انّه كالكعبة له العلو، وليس له حط ونزول أصلاً.

١١
الحكمة (٣٣٣)

وقال عليه السلام فِي صِفَةِ الْمُؤْمِن:

اَلْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ؛ أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وأَذَلُّ

---

(١) المائدة: ١٠٥.

(٢) النور: ٥٤.

(٣) الانعام: ١٢٤.

(٤) الخطيب الخوارزمي في مناقب أمير المؤمنين: الباب الحادي عشر: ٥٤ (طبع حجري) ١٣١١ خط محمد باقر، كربلاء.

شَيْءٍ نَفْساً، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ؛ وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ؛ طَوِيلٌ غَمُّهُ؛ بَعِيدٌ هَمُّهُ؛ كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ: مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ؛ ضَنِينٌ بِخُلَّتِهِ؛ سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ؛ لَيِّنُ ٱلْعَرِيكَةِ؛ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ؛ وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ ٱلْعَبْدِ.

أقول الأصل فيه رواية مجاهد عن ابن عباس ـ على ما في تذكرة سبط ابن الجوزي ـ قال وصف أمير المؤمنين عليه السلام المؤمن فقال:

«حزنُه في قلبه، وبشرُه في وجهه، أوسعُ الناس صدراً، وأرفعهم قدراً يكره الرفعة، ولا يحب السمعة، طويل غمّه، بعيد همّه، كثير صمته مشغول بما ينفعه، شكور صبور، قلبه بذكر الله معمور، سهل الخليقة لين العريكة».

وفي رواية (الكافي) جعله جزء خطبة همّام الآتية في (١٣).

«المؤمن بشره في وجهه» كما كان عليه السلام نفسه كذلك حتى عابه فاروقهم الفظ ذو الحوزة الخشناء بذلك وسمّى بشره دعابة فقال لابن عباس في الشورى ـ كما في (تاريخ اليعقوبي) ـ أترى صاحبكم لها موضعاً؟ قال له ابن عباس واني يبعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه، فقال هو والله كما ذكرت ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق والمحجّة الواضحة إلّا ان فيه الدعابة في المجلس، واستبداد الرأي، والتبكيت للناس مع حداثة السن ـ فقال له ابن عباس هلا استحدثتم سنة يوم الخندق ـ قلت وفي خبر آخر: انّه قال له: هلّا استحدثتم سنه يوم أخذ البراءة من صاحبك.

وفي (المناقب) كان علي عليه السلام بشره دائم، وثغره باسم، غيث لمن رغب، وغياث لمن رهب، مآل الآمل وثمال الأرامل[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله لبني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ١١٥ مؤسسة انتشارات علّامة. قم.

فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر.

«وحزنه في قلبه» كما كان عليه‌السلام كذلك ففي (مروج المسعودي)، استسقى علي عليه‌السلام يوم الجمل، فاتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفي وهو غريب البلد فقال عبدالله بن جعفر ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟ قال انّه والله ما حلا بصدر عمك شيء قط من أمر الدنيا.

وفيه في وروده عليه‌السلام البصرة ـ قال المنذر بن الجارود لمّا قدم علي عليه‌السلام البصرة، دخل ممّا يلي الطف، فأتى الزاوية فخرجت انظر إليه ـ إلى أن قال: ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح في أوّله راية كبيرة يقدمهم رجل كانما كسر وجبر قلت: من هؤلاء؟ قيل: هذا علي بن أبي طالب عليه‌السلام وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذي خلفه عبدالله بن جعفر وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار فساروا حتى نزلوا الزاوية فصلّى أربع ركعات وعفر خديه على التراب وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو: اللّهم ربّ السماوات وما أظلّت، والأرضين وما أقلّت، وربّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرّها، اللّهم انزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللّهم هؤلاء القوم، قد خلعوا طاعتي، وبغوا عليّ ونكثوا بيعتي، اللّهم احقن دماء المسلمين ـ الخ ـ.

«أوسع شيءٍ صدرا، وأذلّ شيءٍ نفسا» في (تاريخ بغداد) قال ابن ميمون سألت ذا النون عن الصوفي فقال: من إذا نطق ابان نطقه عن الحقائق وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق[1].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه‌السلام كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله جالساً في المسجد،

---

(١) لم نعثر عليه في ترجمة «ذو النون المصري» راجع (تاريخ بغداد) ٨: ٣٩٣ ـ ٣٩٧ رقم الترجمة (٤٤٩٧).

فجاءت جارية لبعض الأنصار، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل ﷺ لها شيئاً، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات ففي الرابعة أخذت هدبة ورجعت، فقال لها الناس فعل الله بك حبست النبي ﷺ ثلاث مرات، لا تقولين شيئاً فما حاجتك؟ قالت ان لنا مريضاً فأرسلني أهلي لأخذ هدبة من ثوبه يستشفي بها فاستحييت أن أقول له حتى أخذتها في الرابعة.

وفي الخبر مرّت امرأة بذيه على النبي ﷺ وهو يأكل جالساً على الحضيض فقالت يا محمّد، انك تأكل أكل العبد وتجلس جلوسه، فقال لها النبي ﷺ وأي عبد أعبد مني.

وعن الصادق عليه السلام أوحى الله تعالى إلى موسى، أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال يارب لِمَ؟ قال اني قلبت عبادي ظهر البطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي نفساً منك، انّك إذا صلّيت وضعت خدّك على التراب.

«يكره الرفعة» ﴿تلك الدار الآخرة نجعلُها للذين لا يريدون عُلوّاً في الأرضِ ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[1].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع هذا في أوّلها وذاك في آخرها، أسرع فيها من حب الدنيا والشرف في دين المؤمن.

«ويشنأ» أي: يبغض.

«السمعة» لأن عباداته خالصة لوجه الله تعالى ويحبّ بقاءها على الخلوص، ومن ذكر عبادته خفية لواحد ينقص أجره من الخفاء إلى الجهر، فإذا ذكرها لاثنين تكون كالرياء بلا أجر.

«طويل غمّه» للنجاة من النار.

«بعيد همّه» لتحصيل الجنّة.

---

(١) القصص: ٨٣.

«كثير صمته» في (الخبر) ان الصمت باب من أبواب الحكمة وانّه دليل على كلّ خير، وكان العابد من بني اسرائيل، لا يتعبّد حتى يصمت عشر سنين.

وعن الباقر عليه السلام انما شيعتنا الخرس، وقال المسيح عليه السلام لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قلوبهم قاسية، ولكن لا يعلمون.

وفي (الخبر)، ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله أوصني ـ ثلاث مرات ـ في كلّ مرة يقول له: احفظ لسانك حتى قال له في الثالثة: ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم.

وعن الصادق عليه السلام في حكمة آل داود (على العاقل ان يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه).

«مشغول وقته» في (الخبر)، للمؤمن ثلاث ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرمّ معاشه، وساعة يخلي بين نفسه ولذّتها في ما يحلّ ويجمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً، إلّا في ثلاثٍ: مرمةٍ لمعاش، أو خطوةٍ في معاد، أو لذّةٍ في غير محرّم.

«شكور» في (الخبر)، كان النبي صلى الله عليه وآله في سفر يسير على ناقةٍ له إذ نزل فسجد خمس سجدات، فقالوا له صنعت شيئاً لم تصنعه، فقال استقبلني جبرئيل فبشّرني ببشارات من الله فسجدت شكراً لله لكلّ بشرى سجدة ـ وكان صلى الله عليه وآله ورد عليه أمر يسرّه قال: الحمد لله على هذه النعمة وإذا ورد عليه أمر يغتم به، قال: الحمد لله على كلّ حال.

وعن الباقر عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله عند عايشة في ليلتها فقالت له: لِمَ تتعب نفسك، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، فقال لها ألا أكون عبداً شكوراً؟

«صبور» لكون الصبر من الايمان، بمنزلةِ الرأسِ من الجسد.

وعن يونس بن يعقوب أمرني أبو عبدالله عليه السلام ان آتي المفضل وأُعزيه باسماعيل وقال اقرئ المفضل السلام وقل له انا قد أصبنا باسماعيل فصبرنا فاَصبر كما صبرنا، انّا أردنا أمراً وأراد الله تعالى أمراً فسلمنا لأمر الله تعالى.

«مغمور» استعارة عن الانغماس في الماء.

«بفكرته» لأن الفكرة، توجب العبرة والعبرة توجب الفوز والسعادة، وفي (الخبر)، سئل الصادق عليه السلام عمّا روى «ان تفكّر ساعة خير من قيام ليلة» كيف؟ قال: يمر بالخربة فيقول اين ساكنوك أين بانوك، وعنه عليه السلام أفضل العبادة ادمان التفكّر في الله وفي قدرته.

وفي (الكافي) عن علي عليه السلام «نبّه بالتفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك» وكان عليه السلام يقول التفكّر يدعو إلى البرّ.

«ضنين بخلته» بضم الخاء، فلا يتخذ خليلاً لنفسه إلّا من وثق بديانته وأمانته وعفته، فقالوا (عن المرء لا تسأل وسل عن خليله).

«سهل الخليقة لين العريكة» أي: الطبيعة.

عن النبي صلى الله عليه وآله المؤمن هيّن ليّن، كالجمل الألف ان قُيِّد انقاد وان أُنيخ على صخرة استناخ.

«نفسه أصلب» أي: أشدّ.

«من الصلد» أي: الحجر الصلب الايبس.

عن الباقر عليه السلام المؤمن أصلب من الجبل، الجبل يستقل منه، والمؤمن لا يستقل من دينه شيء ـ وعن الصادق عليه السلام مر النبي صلى الله عليه وآله بقوم يربعون حجراً، فقال: ما هذا؟ قالوا: نعرف بذلك أشدّنا، وأقوانا، فقال صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بأشدّكم، وأقواكم قالوا: بلى، قال: أشدّكم وأقواكم الذي إذا رضى لم يدخله

رضاه في إثم، ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له بحق.

«وهو أذل من العبد» عن الصادق عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله يجلس جلسة العبيد، ويضع يده على الأرض، ويأكل بثلاثة أصابع، لا كالجبارين باصبعين.

وفي (العيون) عن الرضا عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله خمس لا أدعهن حتى الممات، الأكل على الحضيض مع العبد، وركوبي الحمار موكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبسي الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنّةً من بعدي - ولبعضهم:

تراه مكيناً وهو للهو ماقتٌ	به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجه علم عن الجهل كلّه	وما عالم شيئاً كمن هو جاهله
عبوس من الجهّال حين يراهم	فليس له منهم خدين يهازله
تذكر ما يلقى من العيش اجلا	فاشغله عن عاجل العيش آجله

١٢
الخطبة (١٨٤)

ومن كلامٍ له عليه السلام:

فَمِنَ ٱلْايمانِ ما يَكُونُ ثابِتاً مُسْتَقِرًّا فِي ٱلْقُلُوبِ، وَمِنْهُ ما يَكُونُ عَوارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، إِلى أَجَلٍ، فَإِذا كانَتْ لَكُمْ بَراءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ، حَتّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرائَةِ.

قول المصنف:

ومن كلام له عليه السلام هكذا في (المصرية) والصواب: (ومن خطبة له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب» وهم الذين قال تعالى فيهم:

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب﴾[1] - ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾[2].

وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: «الايمان مخالط لحمك ودمك كما هو مخالط لحمي ودمي».

«ومنه ما يكون عواري» جمع العاريّة بالتشديد، قال الجوهري كانها منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار وعيب وينشد، «انما أنفسنا عاريّة، والعواري قصاران ترد».

«بين القلوب والصدور» في (الكافي) قال عيسى شلقان: كنت قاعداً فمرّ أبو الحسن موسى عليه السلام ومعه بهيمة فقلت يا غلام، ما ترى ما يصنع أبوك؟ يأمرنا بالشيء ثم ينهانا عنه، أمرنا أن نتولّى أبا الخطاب، ثم أمرنا أن نلعنه، ونتبرأ منه، فقال عليه السلام وهو غلام، ان الله خلق خلقاً للايمان، لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك أعارهم الايمان يسمّون المُعارين، إذا شاء سلبهم، -وكان أبو الخطاب ممّن أُعير الايمان -، فدخلت على أبيه عليه السلام فأخبرته بما قلت له وما قال لي فقال انّه نبعة نبوة» هذا وقال ابن ميثم ابن ابي الحديد في نسخة الرضي بخطه، ونسخ كثيرة انما ذكر قسمان مستقراً في القلوب وعواري بين القلوب والصدور، ولكن نقل ابن أبي الحديد في النسخة التي شرح عليها الكتاب ثلاثة فزاد بينهما، «ومنه ما يكون عواري في القلوب» وقال في شرح الثلاثة الأول: ايمان عن برهان، والثاني ايمان عن جدل، والثالث ايمان عن تقليد.

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

قلت: حيث انّه تفرّد به ولم يوافقه عليه حتى الكيدري كما في تقديم خطبة همّام وخطب أُخرى يعلم ان الثاني كان حاشية اجتهادية من بعض المحشين خلطت بالمتن في نسخة ابن أبي الحديد مع ان القول بكون ما في القلب عارية ركيك.

وبعد كون الايمان ثابتاً وعارية.

«فإذا كانت لكم براءة من أحد، فقفوه، حتى يحضُرَه الموت فعند ذلك» أي: حضور الموت.

«يقع حد البراءة» منه ويعلم كون ايمانه غير مستقر.

في (الكافي) عن إسحاق بن عمّار، قال أبو عبدالله عليه السلام ان الله تعالى جبل النبيين على نبوّتهم، فلا يرتدُّون أبداً، وجبل الأوصياء على وصاياهم، فلا يرتدُّون أبداً، وجبل بعض المؤمنين على الايمان فلا يرتدُّون أبداً ومنهم من أُعير الايمان عاريّة فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الايمان.

وممّا يشهد لوجوب الوقف في البراءة إلى موته ان كثيراً من السعداء يمشون في طريق الأشقياء وبالعكس ثم يرجع كلّ منهما إلى أصله.

١٣

الخطبة (١٨٨)

ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتّقين:

رُوِيَ أنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقالُ لَهُ هَمّامُ، كانَ رَجُلاً عَابِداً، فَقالَ لَهُ يا أميرَ الْمؤمنين: صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ، حَتّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَتَثَاقَلَ عليه السلام عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَ قالَ:

«يا هَمَّامُ اِتَّقِ ٱللهَ وَأَحْسِنْ، فَإِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا، وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهذَا الْقَوْلِ، حَتّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ ٱللهَ، وَأَثْنى عَلَيْهِ، وَصَلّى عَلى النَّبِي صلى الله عليه وآله ثُمَّ قالَ عليه السلام:

أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالى: خَلَقَ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصاهُ؛ وَلا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ؛ فَقَسَمَ مَعَايِشَهُمْ؛ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ؛ مَنْطِقُهُم الصَّوَابُ؛ وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ؛ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ النّافِعِ لَهُمْ؛ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلاَءِ؛ كَالَّذِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ، وَلَوْلاَ ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ؛ وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ؛ عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ فَصَغُرَ مادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ؛ فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ؛ وَهُمْ وَالنّارُ؛ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيها مُعَذَّبُونَ؛ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ؛ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ؛ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ؛ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ؛ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيّاماً قَصِيرَةً؛ أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً؛ تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ؛ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ؛ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا؛ أَمَّا ٱللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ؛ تَالِينَ لِأَجْزاءِ ٱلْقُرْآنِ، يُرَتِّلُونَها تَرْتِيلاً؛ يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ؛ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ. فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ؛ رَكَنُوا إِلَيهَا طَمَعاً؛ وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْها شَوْقاً؛ وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ؛ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ؛ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ؛ فَهُمْ حَانُونَ عَلى أَوْسَاطِهِمْ؛ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ؛ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ؛ يَطْلُبُونَ إِلَى

ٱللهِ تَعَالى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارَ عُلَماءُ؛ أَبْرَارٌ أَتْقِياءُ، قَدْ بَرَاهُمُ ٱلْخَوْفُ؛ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النّاظِرُ، فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضى؛ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ؛ وَيَـقُولُ: لَـقَدْ خُولِطُوا؛ وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ؛ لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ؛ وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ؛ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ؛ وَمِنْ أَعْمالِهِمْ مُشْفِقُونَ؛ إِذا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ؛ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِـنْ غَـيْرِي؛ وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي مِنْ نَفْسِي! اَللَّـهُمَّ لاَ تُـؤَاخِـذْنِي بِـمَا يَـقُولُونَ؛ وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ؛ وَٱغْفِرْ لِي مَا لا يَـعْلَمُونَ؛ فَـمِنْ عَـلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ؛ وَحَزْماً فِي لِينٍ؛ وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ؛ وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ؛ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ؛ وَقَصْداً فِي غِـنىً؛ وَخُشُـوعاً فِـي عِبَادَةٍ؛ وَتَجَمُّلاً فِي فاقَةٍ؛ وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ؛ وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ؛ وَنِشاطاً فِي هُدىً؛ وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ.

يَعْمَلُ ٱلْأَعْمَالَ الصّالِحَةَ وَهُوَ عَلى وَجَلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ؛ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ؛ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِـنَ ٱلْـغَفْلَةِ؛ وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ؛ إِنِ ٱسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي مَا يَكْرَهُ لَمْ يُعْطِها سُؤْلَهَا فِي مَا تُحِبُّ؛ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي مَا لاَ يَزُولُ؛ وَزَهَادَتُهُ فِي مَا لاَ يَبْقى؛ يَمْزُجُ ٱلْحِلْمَ بِالْعِلْمِ؛ وَٱلْقَوْلَ بِالْعَمَلِ؛ تَرَاهُ قَرِيباً أَمَـلُهُ؛ قَلِيلاً زَلَلُهُ؛ خَاشِعاً قَلْبُهُ؛ قانِعَةً نَفْسُهُ؛ مَنْزُوراً أَكْلُهُ؛ سَهْلاً أَمْرُهُ؛ حَرِيزاً دِينُهُ؛ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ؛ مَكْظُوماً غَيْظُهُ؛ ٱلْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُـولٌ؛ وَالشَّـرُّ مِـنْهُ مَأْمُونٌ؛ إِنْ كَانَ فِي ٱلْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ؛ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلذّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ؛ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُـحْشُهُ؛

لَيِّناً قَوْلُهُ؛ غائِباً مُنْكَرُهُ، حاضِراً مَعْرُوفُهُ؛ مُقْبِلاً خَيْرُهُ؛ مُدْبِراً شَرُّهُ؛ فِي الزَّلازِلِ وَقُورٌ؛ وَفِي المَكَارِهِ صَبُورٌ؛ وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ؛ لاَ يَحِيفُ عَلى مَنْ يُبْغِضُ؛ وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ؛ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لا يُضِيعُ مَا ٱسْتَحْفِظَ؛ وَلاَ يَنْسى مَا ذُكِّرَ؛ وَلا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ؛ وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ؛ وَلا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ؛ وَلاَ يَدْخُلُ فِي ٱلْبَاطِلِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْحَقِّ؛ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ؛ وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ؛ وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ؛ حَتّى يَكُونَ ٱللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ؛ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ؛ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي راحَةٍ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ؛ وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ؛ بُعْدُهُ عَمَّنْ زُهْدٌ ودُنُوُّهُ مِنْهُ لِينٌ لَيْسَ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ؛ وَلا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

قَالَ فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا، فَقَالَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام:
أَنَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قالَ قالَ:
أهكَذا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟
فَقالَ لَهُ قائِلٌ فَمَا بَالُكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقالَ عليه السلام:
وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لاَ يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لاَ يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلى لِسَانِكَ.

أقول: قد عرفت في أوّل الكتاب اختلاف نسخ النهج من هنا إلى ثماني خطب وبه صرّح (ثم) فقال بعد هذه اختلف نسخ النهج فكثير منها يكون هذه الخطبة فيها أول المجلد الثاني منه بعد الخطبة المسمّاة بالقاصعة، ويكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر الطائي قوله (ومن خطبة له عليه السلام) (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد).

وكثير من النسخ تكون هذه الخطبة، فيها متصلة بكلامه عليه السلام للبرج

وتتأخر تلك الخطبة، فيكون بعد قوله (ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله) صلى الله عليه وآله ويتصل ذلك إلى تمام الخطبة المسمّاة بالقاصعة ثم يليه قوله (باب المختار من كتبه عليه السلام) وعليه جماعة من الشارحين كالامام قطب الدين أبي الحسن الكيدري، والفاضل عبد الحميد بن أبي الحديد، ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ الصحيحة.

قلت: لكن العجب منه انّه كثيراً ما يقول ان نهجه بخط المصنِّف ثم يتبع نسخ غيره والمفهوم منه ان نسخته كانت كنسخنا بل المفهوم منه، ان نسخة الراوندي أيضاً كانت كنسخنا لكن قلنا في أوّل الكتاب، وجهاً لاختلاف النسخ بكون المصنِّف كتب نسخاً ولا أقل من مسودة ومبيضة.

وكيف كان فروى الخطبة (الكافي) في (باب المؤمن وعلاماته وصفاته)، ورواها سليم بن قيس في كتابه، وابن أبي شعبة الحلي في (تحفه)، ومحمد بن بابويه في (أماليه)، و(صفات شيعته)، وسبط ابن الجوزي في (تذكرته)، وابن طلحة الشافعي في (مطالب سؤوله)[1]، والكراجكي في (كنزه).

روى الأخير باسنادين عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن رجل من قومه ـ يعني يحيى بن أُم الطويل ـ عن نوف البكالي، قال عرضَت لي الى أمير المؤمنين عليه السلام حاجة فاستتبعت إليه جندب بن زهير، والربيع بن خيثم وابن أخيه همّام بن عبادة بن حسم وكان من أصحاب البرانس.

فأقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين عليه السلام فألقيناه حين خرج يؤُم المسجد فأفضى ونحن معه إلى نفر متدينين قد أفاضوا في الاحدوثات تفكهاً، وبعضهم يلهى بعضاً، فلمّا أشرف لهم أمير المؤمنين عليه السلام أسرعوا إليه قياماً، فسلّموا وردّ التحية ثم قال: من القوم؟ قالوا: اناس من شيعتك، فقال لهم: خيراً

---

(١) مطالب السّؤول، ابن طلحة الشافعي: ٥٤ ـ ٥٥ طبع حجري في ايران.

ـ ثم قال يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا؟! وحلية أحبتنا أهل البيت؟ ـ فأمسك القوم حياءً ـ فأقبل عليه جندب والربيع فقالا ما سمة شيعتكم؟ وصفتهم؟ فتثاقل عن جوابهما، فقال: اتقيا الله، ايها الرجلان واحسنا، ﴿إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1].

فقال همّام بن عبادة ـ وكان عابداً مجتهداً ـ أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وفضّلكم تفضيلاً، الا انبأتنا بصفة شيعتكم.

فقال لا تقسم فسأُنبئكم جميعاً ـ وأخذ بيد همّام، فدخل المسجد وسبّح ركعتين وأوجزهما وأكملهما، ثم جلس وأقبل علينا، وحف القوم به، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثم قال:

«أما بعد فان الله جلّ شأنه، وتقدّست أسماؤُه، خلق خلقه فألزمهم عبادته وكلّفهم طاعته، وقسّم بينهم معايشهم، ووضعهم في الدنيا بحيث وضعهم، ووصفهم في الدين بحيث وصفهم، وهو في ذلك غني عنهم، لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضرّه معصية من عصاه منهم.

لكنّه علم تعالى قصورهم، عمّا يصلح عليه شؤونهم، ويستقيم به داء أودهم في عاجلهم وآجلهم، فأدبهم بأدبه في أمره ونهيه، فأمرهم تخييراً، وكلّفهم يسيراً وأماز وأثابهم كثيراً سبحانه بعدل حكمه وحكمته بين الموجب من انامه إلى مرضاته ومحبته وبين المبطئ عنها والمستظهر على نعمته، منهم بمعصيته، فذلك قوله عزوجل: ﴿أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾[2].

---

(١) النحل: ١٢٨.

(٢) الجاثية: ٢١.

ثم وضع يده على منكب همّام بن عبادة فقال: ـ ألا من سأل من شيعة أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم في كتابه مع نبيه تطهيراً، فهم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل والفواضل، منطقهم الصواب:، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع وبخعوا الله بطاعته، وخضعوا له بعبادته، فمضوا غاضّين أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، واقفين أسماعهم على العلم بدينهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذين نزلت منهم في الرخاء رضي عن الله بالقضاء فلولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى لقاء الله والثواب، وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم، وصَغُرَ ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها، فهم على أرائكها متكئون، وهم والنار كمن دخلها، فهم فيها معذّبون.

قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، ومعرفتهم في الإسلام عظيمة، صبروا أياماً قليلة، فأعقبتهم راحة طويلة وتجارة مربحة، يسّرها لهم ربّ كريم، اناس أكياس ارادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فاعجزوها.

اما الليل فصافّون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن، يرتلونه ترتيلا، يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة يفترشون جباههم وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم ويمجّدون جبّاراً عظيماً ويجارون إليه جل جلاله في فكاك رقابهم هذا ليلهم.

وأما نهارهم فحلماء علماء، بررة اتقياء براهم خوف بارئهم فهم أمثال القداح يحسبهم الناظر إليهم مرضى.

وما بالقوم من مرضٍ ـ أو قد خولطوا وقد خالط القوم من عظمة ربهم، وشدّة سلطانه، أمر عظيم طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فاذا

استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى. بالأعمال الزاكية. لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل، فهم لأنفسهم متَّهِمُون، ومن أعمالهم مشفقون ـ ان زكى أحدهم خاف ممّا يقولون وقال انا أعلم بنفسي من غيري. وربي أعلم بي.

اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون. واجعلني خيراً ممّا يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فانّك علّام الغيوب وساتر العيوب.

هذا ومن علامة أحدهم ان ترى له قوّة في دين وحزماً في لين وايماناً في يقين وحرصاً على علم وفهماً في فقه وعلماً في حلم وكيساً في رفق وقصداً في غنىً وتجملاً في فاقةٍ وصبراً في شدّةٍ وخشوعاً في عبادةٍ ورحمةً للمجهود واعطاءً في حق ورفقاً في كسب وطلباً في حلال وتعففاً في طمع وطمعاً في غير طبع ونشاطاً في هدىً واعتصاماً في شهوة وبراً في استقامة لا يغيّره ما جهله ولا يدع احصاء ما عمله يستبطئ نفسه في العمل وهو من صالح عمله على وجل يصبح وشغله الذكر ويمسي وهمّه الشكر.

يبيت حذراً من سنّة الغفلة ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه نفسه في ما تركه لم يعطها سؤلها في ما إليه تشره رغبته في ما يبقى وزهادته فيما يفنى قد قرن العمل بالعلم والعلم بالحكم يظلّ دائماً نشاطه بعيداً كسله قريباً أمله قليلاً زلله متوقعاً أجله خاشعاً قلبه ذاكراً ربّه قانعة نفسه عازباً جهله محرزاً دينه ميتاً داؤه كاظماً غيظه.

صافياً خلقه آمناً منه جاره سهلاً أمره معدوماً كِبْره بيّناً صبره كثيراً ذكره لا يعمل شيئاً من الخير رياءً وما يتركه حياءً الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان بين الغافلين كتب في الذاكرين، وان كان مع الذاكرين لم يكتب مع الغافلين، يعفو عمّن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه.

قريب معروفه، صادق قوله، حسن فعله، مقبل خيره، مدبر شره في الزلازل، وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم في من يحب، ولا يدعّي ما ليس له، لا يجحد ما عليه يعترف بالحق قبل أن يشهد به عليه، لا يضيع ما استحفظه ولا ينابز بالألقاب ولا يبغي على أحد ولا يغلبه الحسد ولا يضار بالجار.

ولا يشمت بالمصاب مؤدٍ للأمانات عامل بالطاعات سريع إلى الخيرات بطئ عن المنكرات يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويجتنبه، لا يدخل في الأُمور بجهل ولا يخرج من الحق بعجز.

ان صمت لم يعيه الصمت، وان نطق لم يعله اللفظ وان ضحك، لم يعل به صوته قانع بالذي قدر له لا يجح به الغيظ ولا يغلبه الهوى ولا يقهره الشح، يخالط الناس بعلم ويفارقهم بسلم يتكلّم ليغنم ويسأل ليفهم نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أراح الناس من نفسه واتعبها لاخوته ان بغى عليه صبر ليكون الله تعالى هو المنتصر يقتدي بمن سلف من أهل الخير قبله فهو قدوة لمن خلف من طالب البر بعده أُولئك عمّال الله ومطايا أمره وطاعته، وسرج أرضه وبريته، أُولئك شيعتنا وأحبتنا ومنّا ومعنا».

فصاح همّام بن عبادة صيحة وقع مغشياً عليه فحرّكوه، فإذا هو قد فارق الدنيا ـ فاستعبر الربيع باكياً، وقال لأسرع ما أودت موعظتك يا أمير المؤمنين بابن أخي ولوددت اني بمكانه ـ فقال أمير المؤمنين عليه السلام هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها، اما والله لقد كنت أخافها عليه.

فقال له عليه السلام قائل فما بالك أنت؟ ـ فقال: ويحك ان لكلّ واحد أجلاً لا يعدوه وسبباً لن يتجاوزه، فلا تعد بها فإنما نفثها على لسانك الشيطان فصلّى عليه السلام عليه عشية ذلك اليوم وشهد جنازته، ونحن معه، قال الراوي عن

نوف فصرت إلى الربيع بن خثيم فذكرت له ما حدثني نوف، فبكى الربيع حتى كادت نفسه أن تقبض، وقال: صدق أخي لا جرم ان موعظة أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه ذلك بمرأى مني ومسمع وما ذكرت من همّام بن عبادة يومئذ وأنا في رفاهية إلّا كدرها ولا بشدة إلّا فرّجها.

ومثله في (مطالب مَسؤُول ابن طلحة الشافعي مع اختلاف يسير، واختصار غير كثير.

(وتذكرة) سبط ابن الجوزي في رواية مجاهد عن ابن عباس عنه عليه السلام مثل المتن لكن فيه (شوقاً إلى جزيل الثواب، وخوفاً من وبيل العقاب) ـ وفيه أيضاً «تالين أغر الكلام وأحسن النظام يحبِّرونه تخبيراً، ويرتِّلونه ترتيلاً».

ورواه كتاب سليم مثل ما في المتن لكن فيه بعد قوله، (ووضعهم من الدنيا مواضعهم).

«وانما أهبط آدم إليها عقوبة لمّا صنع حيث نهاه الله فخالفه، وأمره فعصاه»ـ وفيه بعد قوله (وأنفسهم عفيفة) (ومعونتهم في الاسلام عظيمة) ـ وبعد قوله (دواء داءهم) «وتهيج أحزانهم بكاءً على ذنوبهم، ووجع كلوم جوانحهم» ـ.

وبعد قوله (حانين على أوساتهم) «يمجدون جبّاراً عظيماً» ـ وبعد قوله (وأطراف أقدامهم) «تجري دموعهم على خدودهم» ـ وبعد قوله (وقد خالط القوم أمر عظيم)» إذا هم ذكروا عظمة الله وشدّة سلطانه، مع ما يخالطهم من ذكر الموت وأهوال القيامة، فزع من ذلك قلوبهم، وطاشت له حلومهم، وذهلت عنهم عقولهم، واقشعرت منها جلودهم، وإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله بالأعمال الزكية» .

وبعد قوله (وعلماً في حلم) «وشفقة في نفقة، وكيساً في رفق» وبعد قوله (وصبراً في شدّة) «ورحمةً للمجهود، واعطاءً في حق، ورفقاً في كسب،

وطيباً في الحلال. ونشاطاً في الهدى، وتحرجاً عن الطمع، وبرّاً في استقامة واعتصاماً عند شهوةٌ لا يغره ثناء من جهله، ولا يدع احصاء عمله، مستبطي لنفسه في العمل».

وبعد قوله (مكظوماً غيظه) «صافياً خلقه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كِبْره، قانعاً بالذي قدر له، متيناً صبره، محكماً أمره، كثيراً ذكره لا يحدث بما ائتمن عليه الأصدقاء، ولا يكتم شهادته الأعداء، لا يعمل شيئاً من الحق رياءً، ولا يتركه حياءً» ـ.

وفيه زيادات أُخر وفي آخره «فصاح همّام صيحة ثم وقع مغشياً عليه فقال عليه السلام ـ إلى أن قال، ثم رفع رأسه فصعق صعقةً وفارق الدنيا.

ورواها (الأمالي)، و(صفات الشيعة) مثل سليم، باختلاف يسير عن ابن الوليد عن الصفار عن علي بن حسان عن عمّه عبد الرحمان بن كثير الهاشمي عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام .

ورواها (الكافي) عن محمد بن يحيى عن محمد بن جعفر عن محمد بن إسماعيل عن عبدالله بن زاهر عن الحسن بن يحيى، عن قثم بن أبي قتادة الحراني عن عبدالله بن يونس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قام رجل يقال له همّام: ـ وكان عابداً ناسكاً مجتهداً ـ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب، فقال: صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه فقال: «ياهمام :

المؤمن هو الكيس الفطن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسعُ شيءٍ صدراً، وأذلُّ شيءٍ نفساً، زاجرٌ عن كلّ فانٍ، حاضٌ على كلّ حسن، لاحقود ولا حسود ولا وثّاب ولا سبّاب ولا عيّاب ولا مغتاب، يكره الرفعة ويشنأ السمعة، طويل الغمّ، بعيد الهمّ، كثير الصمت، وقور ذكور صبور شكور مغموم بكفره مسرور بفقره، سهل الخليقة لين العريكة، رصين الوفاء قليل الأذى.

لا متأفك ولا متهتك، ان ضحك لم يخرق، وان غضب لم ينزق، ضحكه تبسّم، واستفهامه تعلّم، ومراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجوز في علمه.

نفسه أصلب من الصلد، ومكاوحته أحلى من الشهد، لا خشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف ولا متكلّف، ولا متعمّق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل ان غضب، رفيق ان طلب، لا يتهور ولا يتهتك، ولا يتجبّر، خالص الود، وثيق العهد، وفي العقد شفيق، وصول حليم خمول، قليل الفضول.

راضٍ عن الله عزوجل مخالفٌ لهواه، لا يغلظ على من دونه، ولا يخوض في ما لا يعنيه، ناصر للدين، محامٍ عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه، ولا ينكى الطمع قلبه، ولا يصرف اللعب حكمه، ولا يطلع الجاهل علمه، قوّال عمّال، حازم لا بفحّاش، ولا بطيّاش، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف.

لا بختّال ولا بغدّار، لا يقتفي أثراً، ولا يحيف بشراً، رفيق بالخلق، ساعٍ في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك ستراً، ولا يكشف سرّاً، كثير البلوى، قليل الشكوى، ان رأى خيراً ذكره، وان عاين شرّاً ستره، يستر العيب، ويحفظ الغيب، ويقيل العثرة، ويغفر الزلة.

لا يطّلع على نصح فيذره، ولا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين رصين، تقي نقي، زكي رضي، يقبل العذر، ويجمل الذكر، ويحسن بالناس الظن، ويتهم على الغيب نفسه، يحب في الله بفقه وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فرح، ولا يطيش به مرح.

مذكّر للعالم، معلّم للجاهل، لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف له غائلة، كلّ

سعي أخلص عنده من سعيه، وكلّ نفس عنده أصلح من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمه، لا يثق بغير ربه، غريب وحيد، حزين، يحب في الله، ويجاهد في الله ليتبع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولا يوالي في سخط ربه.

مجالسٌ لأهل الفقر، مصادق لأهل الصدق، مؤازر لأهل الحق، عون للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة، حفي بأهل المسكنة، مرجو لكلّ كريهة، مأمول لكلّ شدّة، هشّاش بشّاش، لا بعبّاس ولا بجسّاس، صليب كظّام بسام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يبخل، وان بخل عنه صبر عقل فاستحيى.

وقنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، ووده يعلو حسده، وعفوه يعلو حقده، لا ينطق بغير صواب، ولا يلبس إلّا الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربه بطاعته، راضٍ عنه في كلّ حالاته، نيّته خالصة، أعماله ليس فيها غش، ولا خديعة، نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكم.

مناصحاً متباذلاً متواخياً، ناصح في السر والعلانية، لا يهجر أخاه، ولا يغتابه، ولا يمكر به، ولا يأسف على ما فاته، ولا يحزن على ما أصابه، ولا يرجو ما لا يجوز له الرجاء، ولا يفشل في الشدّة، ولا يبطر في الرخاء، يمزج العلم بالحلم، والعقل بالصبر، تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقعاً لأجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربّه، قانعة نفسه، متقياً جهله، سهلاً أمره.

حزيناً لذنبه، ميتة شهوته، كظوماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كبره، قانعاً بالذي قدّر له، متيناً صبره، محكماً أمره، كثيراً ذكره، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، ويتّجر ليغنم.

لا ينصب للخير ليفخر به، ولا يتكلم ليتجبر به على سواه، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحةٍ، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، ان

بغي عليه صبر، حتى يكون الله الذي ينتصر له بعده ممّن تباعد عنه بغض ونزاهة ودنوه ممّن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبراً ولا عظمة، ولا دنوه خديعة، ولا خلابة، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، فهو امام لمن بعده من أهل البر».

فصاح همّام صيحة وقع مغشياً عليه فقال عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه وقال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ـ فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ان لكلّ أجلاً لن يعدوه، وسبباً لا يجاوزه، فانما نفث على لسانك شيطان.

قول المصنف: روي ان صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام الصاحب هنا بمعنى المصاحب الخاص، وقد وصفوا في كتب الرجال (محمد بن مسلم) بكونه صاحب الباقر عليه السلام و (أبان بن تغلب) بكونه صاحب الصادق عليه السلام و (زكريا بن إدريس) بكونه صاحب الكاظم عليه السلام و (زكريا بن آدم) و (ابن أبي نصر البزنطي) بكونهما صاحبي الرضا وكلّهم من الأجلّة.

كما انّهم وصفوا في الكتب الصحابية كلثوم بن هرم الأنصاري الذي نزل النبي صلى الله عليه وآله في هجرته عليه بقبا أربعة أيام ثم خرج إلى أبي أيوب ـ بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد يجيىء بمعنى الطرف كما في قوله تعالى: ﴿... إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنودٍ لم تروها ...﴾[1] ـ وكما في قوله تعالى: ﴿... فقال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالاً، وأعزّ نفراً﴾[2] ـ إلى ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) الكهف: ٣٤.

أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفةٍ ثم سوّاك رجلاً﴾[1].

«يقال له همّام» قد عرفت من رواية الكراجكي وكذا رواية ابن طلحة الشافعي كون همّام هذا (همّام بن عبادة بن خيثم) أبي أخي (ربيع بن خيثم) المعروف فيكون من ثور بن عبد مناة بن ادبن طابخة بن الياس بن مضر.

وقال ابن أبي الحديد «هو همّام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمر بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب بن الحرث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن سيفي بن سعد العشيرة» ـ ولم يأت لقوله بمستند ولم أدرِ إلى أي شيء استند.

«كان رجلاً عابداً» ومؤمناً حقيقياً كما كان حارثة بن مالك الأنصاري كذلك ففي (الكافي) استقبله النبي صلى الله عليه وآله وقال له: كيف أنت؟ قال مؤمن حقاً عرفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرشِ ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال النبي صلى الله عليه وآله هذا عبدٌ نوّر الله قلبه فقال للنبي صلى الله عليه وآله: ادع الله لي أن يرزقني الشهادة. فبعثه مع جعفر بن أبي طالب فقتل تسعة أو ثمانية ثم قتل وكان الشهيد العاشر.

«فقال: صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم» كان همّام عالماً بأنّه عليه السلام يقتدر على وصف الشيء بما يجعله مشاهَداً ولعمري لاتى عليه السلام فوق ما انتظر.

«فتثاقل عليه السلام عن جوابه» لمّا يعلم من عاقبة أمره لكن عرفت ان رواية الكراجكي تضمنت انّه عليه السلام تثاقل عن جواب جندب بن زهير والربيع بن خيثم عمّ همّام.

«ثم قال يا همّام اتق الله» في الحلية عن ابن عباس ان آخر آية نزلت في

---

(١) الكهف: ٣٧.

كتاب الله ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ...﴾[(١)].

«واحسن» ﴿هل جزاء الاحسان إلّا الاحسان﴾[(٢)].

﴿إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[(٣)] اقتباس من آخر النحل ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[(٤)].

«فلم يقنع همّام بهذا» هكذا في (المصرية) والصواب: (بذلك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«القول» أي: (اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وليس (القول) في نسخة (ابن ميثم) والمعنى يفهم بدونه.

«حتى عزم عليه» قال الجوهري (عزمت عليك) أي: أقسمت عليك.

«فحمد الله، وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله» يفهم منه، انّه ينبغي أن يؤتى قبل كل كلام طويل بحمد وتصلية.

«ثم قال» بعد الحمد والتصلية.

«أما بعد، فان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم» ﴿... ولله جنود السماوات والأرض ...﴾[(٥)] ﴿... ولله خزائن السماوات والأرض...﴾[(٦)] ﴿وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فان

---

(١) أ ـ البقرة: ٢٨١.

ب ـ ذكره الواحدي في أسباب النزول برواية المجلسي في «بحار الأنوار» مسنداً إلى عكرمة عن ابن عباس، ٢٢ / ٤٧١ ورواية (٢٠) باب (١). ولم نعثر عليه في ترجمة عبدالله بن عباس في «حلية الأولياء».

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) النحل: ١٢٨.

(٤) النحل: ١٢٨.

(٥) الفتح: ٧.

(٦) المنافقون: ٧٠.

الله لغني حميد﴾[١].

«آمناً من معصيتهم» ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انّهم لن يضرّوا الله شيئاً ...﴾[٢].

«لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه» ﴿... إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾[٣].

«ولا تنفعه طاعة من أطاعه» ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها...﴾[٤].

وفي (الأسد) عن أبي ذر. قال النبي ﷺ: قال جبرئيل: قال الله تعالى: يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم، وانسكم وجنّكم كانوا على قلب افجر رجل منكم، لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً، ولو أن أوّلكم وآخركم وانسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئاً.

«فقسّم بينهم معايشهم» ﴿أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ...﴾[٥].

«ووضعهم من الدنيا مواضعهم» ملكاً وسوقة غنياً وفقيراً ﴿... ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا﴾[٦].

«فالمتقون فيها هم أهل الفضائل» ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر

---

(١) براهيم: ٨.

(٢) آل عمران: ١٧٦.

(٣) يونس: ٢٣.

(٤) الجاثية: ١٥.

(٥) الزخرف: ٣٢.

(٦) الزخرف: ٣٢.

وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ...﴾[١] -﴿... انما يتقبّل الله من المتقين﴾[٢] -﴿تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾[٣] -﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[٤]-.

﴿وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلّا من آمن وعمل صالحاً فأُولئك لهم جزاء الضِّعْفِ بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾[٥].

وفي رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير المروي في (١٦) من (روضة الكافي) أوصيك بتقوى الله فان فيها السلامة من التلف والغنيمة في المنقلب، ان الله عزوجل يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه، ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهله وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة، وصالح ومن معه من الصاعقة وبالتقوى فاز الفائزون ونجت تلك العصب من المهالك، ولهم اخوان على تلك الطريقة يلتمسون تلك الفضيلة، نبذوا طغيانهم في الايراد بالشهوات، لمّا بلغهم في الكتاب من المثلات، حمدوا ربهم على ما رزقهم، وهو أهل الحمد، وذموا أنفسهم وهم أهل الذم.

ومن لم يكن من أهل التقوى فأي فضل له، ولو كان كفرعون في السلطنة فكان يقول ﴿... أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي...﴾[٦] فكان مثاله ان أخذ هو وجنوده فنبذوا في اليم واغرقوا - أو

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) المائدة: ٢٧.

(٣) مريم: ٦٣.

(٤) الطلاق: ٢ - ٣.

(٥) سبأ: ٣٧.

(٦) الزخرف: ٥١.

كقارون في الثروة (فكان أُوتي من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة فكان عاقبته ان خسف به وبداره الأرض) ـ وأما المتقي فلو ابتلي بالدنيا بكلّ بلاء من الحبس والقتل والنهب والأسر، كأهل بيت النبي ﷺ فله في الدنيا العزّة الإلهية في القلوب والنفوس وفي العقبى الدرجات الرفيعة عند الله عزّوجلّ.

وعن النبي ﷺ عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عزوجل له قضاءً، إلّا كان خيراً له، ان قرض بالمقاريض، كان خيراً له، وان ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له.

وعن الصادق عليه السلام ان الحُرَّ حُرٌّ في جميع أحواله إن تأتِه نائبة صبر وان تداكّت عليه المصائب لم تكسره وان اسر وقهر، واستبدل باليسر عسراً، كما كان يوسف الصدّيق لم يضرر حريته ان استعبد واسر وقهر، ولم تضرره ظلمة الجبّ ووحشته، وما ناله، ان منَّ الله عليه فجعل الجبّار العالي عبداً له بعد أن كان مالكاً.

«ومنطقهم الصواب» لا يتكلمون إلّا في موضعه وعن برهان ـ ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾[1] ﴿... وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما﴾[2].

«وملبسهم الاقتصاد» في (الخصال) عن النبي ﷺ الاقتصاد جزء من خمسة وأربعين جزء من النبوّة ـ وعد معه الهدى الصالح والسمت الصالح[3].

وفي (الخبر) بلي ثوب النبي ﷺ فحمل إليه رجل اثنى عشر درهماً، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام خذ هذه واشتر لي بها ثوباً، فذهب إلى السوق وفعل

---

(١) المؤمنون: ٣.

(٢) الفرقان: ٧٢.

(٣) الخصال للصدوق ٥ : ١٧٨ . وذكره المجلسي في بحار الأنوار ٧١: ٣٤٣ رواية ٢ باب ٨٥ .

وجاء به إليه، فنظر إليه فقال غير هذا أحبّ الي أترى صاحبه يقيلنا؟ فقال: انظر فقال له النبي ﷺ: قد كره هذا يريد غيره، فأقلنا فيه فرد عليه الدراهم، فجاء بها إليه فمشى معه إلى السوق ليبتاع قميصاً آخر فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها النبي ﷺ ما شأنك؟

قالت ان أهلي أعطوني أربعة دراهم، لأشتري لهم حاجة، فضلّت فلا أجسر ان أرجع، فأعطاها النبي ﷺ أربعة من الدراهم وقال لها: ارجعي إلى أهلك ومضى إلى السوق فاشترى قميصاً بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله تعالى ورأى رجلاً عرياناً، يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنّة فخلع النبي ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة الباقية قميصاً آخر فلبسه، وحمد الله تعالى، ورجع فإذا الجارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها مالك لا تأتين أهلك.

قالت: قد أبطأت وأخاف، فقال ﷺ لها: مري بين يدي ودليني على أهلك وجاء حتى وقف على باب دارهم وقال السلام عليكم يا أهل الدار فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام فقالوا وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال ﷺ: ما لكم تركتم اجابتي في السلام الأول والثاني فقالوا سمعنا سلامك فأحببنا أن نستكثر منه، فقال ﷺ لهم ان هذه الجارية ابطأت عليكم فلا تؤاخذوها فقالوا هي حرّة لممشاك فقال ﷺ: الحمد لله ما رأيت اثنى عشر درهماً أعظم بركة من هذه كسى الله بها عاريين واعتق بها نسمة.

«ومشيهم التواضع» ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[1].

---

(١) الفرقان: ٦٣.

والمشي متكبراً مبغوض عند الله تعالى قال تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً انّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كلّ ذلك كان سَيِّئُهُ عند ربك مكروهاً﴾[1].

وفي (الخبر) ارخاء الازار من الخيلاء ومن أخلاق قوم لوط ـ وعن الصادق عليه السلام من مشى على الأرض اختيالاً لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها.

وعن النبي صلى الله عليه وآله من لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنم وكان قرين قارون لأنّه أوّل من اختال فخسف الله به وبداره الأرض ـ ولا يجد ريح الجنّة عاقّ ولا قاطع رحم ولا مرخي الازار خيلاء.

«**غضوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم**» في (الفقيه) قال الصادق عليه السلام من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوّجه الله من الحور العين ـ وفي خبر آخر ـ لم يرتد إليه طرفه حتى يعقبه الله ايماناً يجد طعمه.

وفيه قال الصادق عليه السلام أوّل النظرة لك والثانية عليك ولا لك والثالثة فيها الهلاك وفي (الخبر) النظر سهم من سهام إبليس مسموم ـ واستشهد له بقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم...﴾[2] ـ ويقول الصادق عليه السلام كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث: عين غضّت عن محارم الله وعين سهرت في طاعة الله وعين بكت في جوف الليل من خشية الله.

«**و وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم**» ﴿... فبشّر عبادِ * الذين

---

(١) الاسراء: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) النور: ٣.

يستمعون القول فيتبعون أحسنه أُولئك الذين هـداهـم الله وأُولئك هـم أُولوا الألبابِ﴾[١].

وفي (الكافي) عنه عليه السلام أيّها الناس اعلموا ان كمال الديـن طـلب العـلم والعمل به، ألا وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم، وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه.

وعن النبي صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ألا وان الله يحبّ بغاة العلم ـ ودخل النبي صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هـذا؟ قالوا: علّامة، فقال: وما العلّامة؟ قالوا أعلم الناس بانساب العرب ووقـايعها وأيام الجاهلية، والأشعار والعربية ـ فقال النبي صلى الله عليه وآله ذاك عـلم لا يـضرّ مـن جهله ولا ينفع من علمه انما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة وما خلاهن فهو فضل.

وعن الصادق عليه السلام لوددت ان أصـحابي ضـربت رؤُوسـهم بـالسياط، حتى يتفقهوا، وعنه عليه السلام ان العلماء ورثة الأنبياء. وذاك ان الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانما أورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً. فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فان فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأوّل الجاهلين.

وعن أبي جعفر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه أفضل من سـبعين ألف عـابد ـ ومن علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك مـن أجـورهم شيئاً ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به، ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً.

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

وعن النبي ﷺ من سلك طريقاً يطلب فيه علم سلك الله به طريقاً إلى الجنّة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى به وانّه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على النجوم ليلة البدر.

وعن السجاد عليه السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه، ولو بسفك المهج وخوض اللجج، ان الله تعالى أوحى إلى دانيال ان أمقتَ عبيدي إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وان أحبّ عبيدي الي التقيّ الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء.

وعن الصادق عليه السلام من تعلم العلم وعمل به وعلّم لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل تعلّم لله وعمل لله وعلم لله.

وعن الكاظم عليه السلام محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي ـ وفي مرفوع يونس قال لقمان لابنه: يا بني اختر المجالس على عينك، فان رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فان تك عالماً نفعك علمك، وان تك جاهلاً علموك ولعلّ الله ان يظلّهم برحمة فيعمّك معهم وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فان تك عالماً لم ينفعك علمك وان كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعلّ الله ان يظلّهم بعقوبة فيعمّك معهم.

وعن النبي ﷺ افٍ لرجل لا يفرغ نفسه في كلّ جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه.

«نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي» هكذا في (المصرية) والصواب: (كالذي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي) بل وفي الراوندي والكيدري على نقل المجلسي عنهما وكذا في كثير من أسانيده (التحف) و(الصفات) وكتاب سليم ومطالب ابن طلحة وبالجملة لا ريب ان في النهج

(كالذي) وما في (المصرية) تصحيف.

ثم أوّل الشراح (كالذي) بكونه مثل قوله تعالى: ﴿... وخضتم كالذي خاضوا ...﴾[١] وقوله تعالى: ﴿... كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا اضاءَت ما حوله ذهب الله بنورهم ...﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق...﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدّق به اولئك هم المتّقون﴾[٤] وبيت الحماسة:

عسى الأيامِ أن يرجعنَ يوماً كالذي كانوا

وقول الشاعر:

وان الذي حانت بفلج دمائهم هُمُ القوم كلّ القومِ يا أُم خالد

«نزلت في الرخاء» روى صفات الشيعة عن الرضا عليه السلام قال لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه وسنّةٍ من نبيّه، وسنّة من وليّه ـ إلى أن قال: ـ وأما السنّة من وليّه فالصبر على البأساء والضراء يقول تعالى: ﴿... والصابرين في البأساء والضّرّاء ...﴾[٥].

«ولولا الأجل الذي كتب عليهم» ﴿وما كان لنفس أن تموت إلّا باذن الله كتاباً مؤجلا ...﴾[٦].

«لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب» في الطبري عن غلام لعبد الرحمن الأنصاري قال: كنت مع مولاي في

(١) التوبة: ٦٩.

(٢) البقرة: ١٧.

(٣) البقرة: ١٧١.

(٤) الزمر: ٣٣.

(٥) البقرة: ١٧٧.

(٦) آل عمران: ١٤٥.

الطف فلمّا أقبل الناس إلى الحسين عليه السلام أمر بفسطاط فضرب ثم أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة ثم دخل فتطلى بالنورة ومولاي وبرير على باب الفسطاط تحتك مناكبهما فازدحما أيّهما يطلّ على أثره فجعل برير يهازل مولاي فقال له: مولاي دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل فقال له برير والله لقد علم قومي اني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكن والله اني لمستبشر بما نحن لاتون والله ان بيننا وبين حور الجنّة إلّا أن تميل علينا هؤلاء باسيافهم ولوددت انّهم مالوا علينا بأسيافهم ـ الخ ـ.

وكان عليه السلام يقول: انا آنس بالموت من الطفل بثدي أُمه، وقد يموت الإنسان شوقاً إلى زخارف الدنيا وخوفاً من مخاوفه فكيف لا يموت لو كان من أهل الحقيقة شوقاً إلى ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا على قلب خطر ـ.

﴿... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[1] وخوفاً من عقاب لا تقوم به السماوات والأرض وقد مات همّام لمّا حضره أجله بسبب شوقه إلى الثواب وخوفه من العقاب بسبب تذكره عليه السلام هذا.

وعن (در منثور) الشيخ علي سبط الشهيد الثاني كان لي ابن في سن اثنتين وعشرين توفي ـ وكان في غاية التقوى والعبادة والذكاوة ـ فرآه بعد مدّة ابن عمه في المنام وانّه جاء إلى بيتهم ودقّ الباب فخرجت إليه فرأيته راكباً فرساً حسناء فقلت له ادخل فقال: الآن بيوتكم لا تعجبني وأنا في بيوت من اللؤلؤ والجوهر، ولكن جئت أُخبركم ان عندي كتاباً عارية لرجل اسمه ملّا أفضل فاني لم أوص به فَفُتِح صندوقه فكان كما قال![2].

---

(١) المطفّفين: ٢٦.

(٢) لا وجود لهذه الفقرة في كتاب «الدرّ المنثور» من المأثور للشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن العاملي وهو كتاب مخطوط مودع في خزانة مكتبة آية الله العظمى الگلبايگاني برقم ٣٠ / ١٧٥. لكننا وجدناه في النسخة المطبوعة ٢ / ٢٤٩ طبع مطبعة مهر قم ١٣٩٨ هـ.

«عظم الخالق في أعينهم فصغر ما دونه في أعينهم».

﴿قل اللّهم مالك المُلك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انّك على كلّ شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحيَّ من الميِّت وتخرج الميِّت من الحيِّ وترزق من تشاء بغير حسابٍ﴾[١] ـ.

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٢] غلب أمره تعالى على أمر فرعون في ذبح أبناء بني اسرائيل لئلا يوجد موسى فربّاه بنفسه ـ وعلى اخوة يوسف في يوسف فألقوه في غيابة الجبّ حتى قالوا له ﴿... تالله لقد آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين﴾[٣] بعد صيرورته ملك مصر ـ وفي نمرود إبراهيم ﴿قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[٤].

﴿... ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضَعفَ الطالبُ والمطلوبُ﴾[٥].

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وأن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[٦] ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربِّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾[٧].

---

(١) آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) يوسف: ٢١.

(٣) يوسف: ٩١.

(٤) الانبياء: ٦٨ ـ ٦٩.

(٥) الحج: ٧٣.

(٦) العنكبوت: ٤١.

(٧) الكهف: ١٠٩.

ومرّ ملك على عارف فما قام له العارف فقال له الملك: لِمَ ما قمت لي وأنت رعيتي وعبدي فقال له العارف بل انت عبد عبدي قال: وكيف؟ قال: لأنك عبد هواك وأنا جعلت الهوى عبدي.

«فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون» كان عليه‌السلام ـ وهو سيّد المتقين ـ يعبد الله كما كان احدى صفحتي وجهه إلى الجنة وأُخرى إلى النار ـ ومر قول حارثة بن مالك للنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله كاني انظر إلى أهل الجنّة حين يتزاورون فيها وإلى أهل النار حين يتعاوون فيها ـ.

ورواه (ذيل الطبري) عن الحارث بن مالك ولمّا رأى الحر تصميم ابن سعد على قتال الحسين عليه‌السلام أخذ يدنو منه عليه‌السلام قليلاً قليلاً قليلاً فقال له رجل من قومه أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العُرَواء، فقال له لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ قال: اني والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار والله لا اختار على الجنّة شيئاً ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه ولحق به عليه‌السلام.

هذا وكأنّه وقع تقديم وتأخير في الفقرات فالأنسب أن يكون (فهم والجنة ـ إلى ـ فيها معذبون) بعد (وخوفاً من العقاب) وكون (عظم الخالق ـ إلى ـ في أعينهم) الثاني بعد (نزلت ـ إلى ـ في الرخاء).

«قلوبهم محزونة» روى الخطيب عن الحارث الغنوي قال آلى الربيع ان لا يفتر اسنانه ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره فما ضحك إلّا بعد موته وآلى أخوه ربعي بعده ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار قال الحارث فلقد أخبرني غاسله انّه لم يزل متبسماً على سريره، ونحن نغسله حتى فرغنا منه[1].

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨: ٤٣٤ في ترجمة (ربعي بن طرش العبسي).

وأيضاً قلوبهم محزونة لمّا يرون من غلبة الباطل ومغلوبية الحق من أهل الدنيا وظلم الظلمة وفجور الفسقة وعدم عبادة الناس لربهم قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿لعلّك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾[١].

«وشرورهم مأمونة» وفي (الإرشاد) روي ان علي بن الحسين عليهما السلام دعا مملوكه مرتين فلم يجبه فلمّا أجابه في الثالثة قال له يا بني أما سمعت صوتي؟ قال بلى قال فمالك لم تجبني؟ قال أمنتك قال الحمد لله الذي جعل مملوكي يامنني.

«وأجسادهم نحيفة» روى (أمالي الشيخ) ان فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام لمّا نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين عليه السلام بنفسه من الدأب في العبادة أتت جابر الأنصاري فقالت له: يا صاحب رسول الله ان لنا عليكم حقوقاً ومنها إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً ان تذكروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه وهذا علي بن الحسين عليه السلام بقية أخي الحسين عليه السلام قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه ادآبا منه لنفسه في العبادة.

فأتاه عليه السلام جابر فوجده في محرابه قد انضته العبادة، فقال له: يا ابن رسول الله أما علمت ان الله تعالى خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم وخلق النار لمن عاداكم، وأبغضكم فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك فقال عليه السلام له يا صاحب رسول الله أما علمت ان جدّي النبي صلى الله عليه وآله قد غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد بأبي هو وأُمي حتى ورم قدمه وانتفخ ساقه وقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً؟

فلمّا رأى جابر لا يغني قوله قال له يا ابن رسول الله البُقيا على نفسك فانّك من أُسرة بهم يستدفع البلاء ويستكشف اللاواء وبهم يستمطر السماء ـ

---

(١) الشعراء: ٣.

فقال له يا جابر لا أزال على منهاج أبوي محمّد وعليّ صلى الله عليه وآله مؤتسياً بهما حتى ألقاهما.

«وحاجاتهم خفيفة» دخل الصادق عليه السلام حماماً فقال له صاحبه نحميه لك؟ فقال عليه السلام لا أُريد (ان المؤمن خفيف المؤنة) ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام لصعصعة بن صوحان انك خفيف المؤنة كثير المعونة.

«وأنفسهم عفيفة» ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسِه وغلَّقتِ الأبوابَ وقالت هَيت لك قال معاذَ الله انّه ربي أحسن مثواي انّه لا يفلح الظالمون﴾[١] وأيضاً ﴿... ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين * قال رب السجن أحب اليَّ ممّا يدعونني إليه ...﴾[٢].

وعدم العفة في البطن والفرج يوجب النار قال النبي صلى الله عليه وآله أكثر ما يلج به أُمتي النار البطن والفرج.

«صبروا أياماً قليلة أعقبتهم راحة طويلة» كانوا عليهم السلام يقولون لشيعتهم الخلّص ما بين أحدكم والجنة الا ان يبلغ النفس ههنا أي الحلق.

﴿وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً * متكئين فيها على الأَرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا * ودانيةً عليهم ظلالُها وذُلّلت قطوفها تذليلا * ويطاف عليهم بآنية من فضّةٍ وأكوابٌ كانت قواريرا * قواريرا من فضة قدّروها تقديرا * ويسقون فيها كأساً كان مِزاجها زنجبيلا * عيناً فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً * وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً * عاليهم ثيابُ سندسٍ خضرٌ واستبرقٌ وحلّوا أساور من فضة وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً * ان هذا كان لكم جزاءً

---

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) يوسف: ٣٢ ـ ٣٣.

وكان سعيكم مشكوراً﴾[١].

«تجارة مربحة» أي: هذه الأيام القصيرة.

«يسّرها لهم ربّهم» الدنيا مزرعة الآخرة وفي الخبر تقول الملائكة كلّ ليلة من شهر رمضان لصائميه لقد جعتم قليلاً وستشبعون كثيراً.

«ارادتهم الدنيا» بتمكينهم منها.

«فلم يريدوها واسرتهم» بشهواتها.

«ففدوا أنفسهم منها» بعدم حصول علقة لهم بها ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ...﴾[٢] ـ.

وفي الديوان المنسوب إليه عليه السلام:

لقد خاب من غرته دنيا دنية	وما هي ان غرت قروناً بطائل
اتتنا على زي العزيز بثينة	وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غري سواي فانني	عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
فغري سواي انني غير راغب	لمّا فيك من عزّ وملك ونائل
وقد قنعت نفسي بما قد رزقته	فشانك يا دنيا وأهل الغوائل
فاني أخاف الله يوم لقائه	وأخشى عتاباً دائماً غير زائل

وكان عليه السلام يخاطب الدنيا بقوله «الي تعرضتِ؟ أم اليَّ تشوّقتِ ؟ لا حان حينك، غُرّي غيري فعيشُك قصير وخَطرُكِ يسير وأملُكِ حقير.

وقوله عليه السلام (اسرتهم ففدوا أنفسهم منها) مع ان العارفين لا يقعون في حبالتها حتى يطلقوا أنفسهم منها نظير قوله عليه السلام (قد طلقتك ثلاثا) مع انّه عليه السلام لم يتزوجها حتى يطلقها وانما قال عليه السلام ذلك لأن البشر لمّا كان بطبعه وقواه

---

(١) الدهر: ١٢ ـ ٢٢.

(٢) الحديد: ٢٣.

في مظنّة الأسر والوقوع في حبالتها ﴿زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخيرٍ من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وأزواجٌ مطهّرة ورضوانٌ من الله والله بصير بالعباد * الذين يقولون ربّنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار﴾[1] ودفعوا تلك المقتضيات الناسوتية بالموانع اللاهوتية فكأنهم فدوا أنفسهم منها وطلقوها.

«أما الليل فصافون أقدامهم» عن الصادق عليه السلام كان في ما ناجى الله تعالى موسى عليه السلام كذب من زعم انّه يحبني فإذا جنّه الليل نام عني أليس كلّ حبيب يحب خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطّلع على أحبائي فإذا جنّهم الليل مثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة يا ابن عمران هب لي من قبلك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع وادعني تجدني قريباً.

«وقال تعالى: ﴿تتجافى جُنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قُرَّةِ أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون﴾[2].

«تالين لأجزاء القرآن» في (الكافي) عنه عليه السلام البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله تعالى فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض ـ وان البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله تعالى فيه تقلّ بركته وتهجره

---

(١) آل عمران: ١٤ ـ ١٥.

(٢) السجدة: ١٦ ـ ١٧.

الملائكة وتحضره الشياطين.

وعن الصادق عليه السلام البيت الذي يتلو المسلم فيه القرآن يتراياه أهل السماء كما يترايا أهل الأرض الكوكب الدريّ في السماء.

«يرتلونه ترتيلا» قال القمي في قوله تعالى: ﴿... ورتل القرآن ترتيلا﴾[١] بيّنه تبياناً ولا تنثره نثر الرمل ولا تهذه هذّ الشعر ولكن اقرع به القلوب القاسية.

«يحزنون به أنفسهم» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن.

«ويستثيرون» أي: يثيرون من (أثار الأرض) (به) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وسقط من (المصرية).

«دواء دَائِهِمْ» ﴿يا أيها الناس قد جاءَتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لمّا في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين﴾[٢] ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ...﴾[٣].

في (تاريخ الطبري) عن جابر الأنصاري قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع فأصاب رجل من المسلمين إمرأة من المشركين، فلمّا انصرف النبي صلى الله عليه وآله قافلاً أتى زوجها ـ وكان غائباً فحلف ألا ينتهي حتى يهرق في أصحاب محمّد دماً فخرج يتّبع أثر النبي صلى الله عليه وآله فنزل النبي صلى الله عليه وآله منزلاً فقال من رجل يكلَؤنا ليلتنا هذه؟ فانتُدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا نحن، قال فكونا بفم الشِعب، وكان صلى الله عليه وآله وأصحابه قد نزلوا الشعب من

---

(١) المزمل: ٤.

(٢) يونس: ٥٧.

(٣) الاسراء: ٨٢.

بطن الوادي، فلمّا خرج الرجلان إلى فم الشِعب قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن اكفيكه أوّله أو آخره؟ قال أوّله فاضطجع المهاجري وقام الأنصاري يصلّي، وأتى زوج المرأة فلمّا رأى شخص الرجل عرف انّه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه الأنصاري وثبت قائماً يصلّي ثم رماه بآخر فوضعه فيه فنزعه أيضاً وثبت قائماً يصلّي ثم عاد له بثالث فوضعه فيه فنزعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه، فقال اجلس فقد أتيت فوثب المهاجري فلمّا رآهما الرجل عرف انّهم قد نذروا به ـ ولمّا رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال سبحان الله أفلا أهببتني أوّل ما رماك؟ قال كنت في سورة أقرأها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها، فلمّا تتابع عليّ الرمي ركعت فآذنتك وأيم الله لولا ان اضيع ثغراً أمرني النبي ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن اقطعها أو انفدها.

«فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً».

(ما ذكرت يوماً لها من سمية ... من الدهر إلّا اعتاد عيني واشل)

«وظنّوا انها نصبُ أعينهم» برفع نُصب، وجوز بعضهم فيه النصب على الظرفية قال الفيروز آبادي (وهذا نصب عيني) بالضم والفتح والفتح لحن.

«وإذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا» أي أمالوا إليها.

«مسامع قلوبهم» ومن آداب التلاوة السؤال عند آيات الوعد والاستعاذة عند آيات الوعيد.

هذا وقال الجاحظ روى محمد بن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال إذا سألتم الله فسلوه بباطن الكفين، وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما[1].

«وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها» قال الجوهري: الزفير أوّل صوت الحمار

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين ٣: ٢٨٩ مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

والشهيق آخره، لأن الزفير إدخال النفس، والشهيق اخراجه ـ ويقال الشهيق رد النفس، والزفير اخراجه.

«**في أصول آذانهم**» أي: أسفلها.

«**فهم حانون**» من (حنيت ظهري).

«**على أوساطهم**» الكلام كناية عن الركوع فيجب فيه الانحناء بحدٍ تصل به الكفان إلى الركبتين، ومن آدابه أن يكون بحيث لو صبّ الدهن على ظهره يبقى عليه.

«**مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم**» الكلام كناية عن السجود فيجب فيه وضع الأعضاء السبعة: الجبهة والكفّين والركبتين وإبهامي الرجلين على الأرض.

قال تعالى: ﴿محمّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ...﴾[١].

«**يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم**» ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً * انها ساءَت مستقراً ومقاماً﴾[٢].

«**وأما النهار فحلماء**»» عن الجهّال ـ وعن الصادق عليه السلام كان بالمدينة رجل بطّال يضحك الناس منه، فقال: قد أعياني هذا الرجل ـ يعني علي بن الحسين عليهما السلام أن اضحكه، فمر عليه السلام وخلفه موليان له فجاء الرجل حتى انتزع رداءَه من رقبته ثم مضى فلم يلتفت عليه السلام إليه فاتبعوه، وأخذوا الرداء منه

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الفرقان: ٦٤ ـ ٦٦.

وجاؤوا به إليه عليه السلام فقال لهم: من هذا؟ قالوا: بطّال يضحك أهل المدينة، فقال: قولوا له ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون.

«علماء» عن ايضاح العلّامة عن خط محمد بن معد الموسوي مسنداً عن سفيان بن عيينة ان الصادق عليه السلام دخل على المنصور وعنده رجل من ولد الزبير وقد سأله فأمر له بشيء فاستقله فاغضب المنصور ذلك فأقبل الصادق عليه السلام على المنصور وقال لقد حدثني أبي عن أبيه علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب قال قال النبي صلى الله عليه وآله: من أعطى عطيةً طيبة بها نفسه بورك للمعطي والمعطى، فقال المنصور: والله لقد أعطيت وأنا غير طيب النفس بها ولقد طابت بحديثك هذا، ـ ثم أقبل على الزبيري فقال حدثني أبي عن أبيه عن جده قال النبي صلى الله عليه وآله من استقل قليل الرزق حرم كثيره، فقال الزبيري والله لقد كان قليلاً ولقد كثر عندي بحديثك هذا، قال سفيان فلقيت الزبيري فسألته عن تلك العطية، فقال: لقد كانت قليلة فبلغت في يدي خمسين ألف درهم، قال سفيان مثل هؤلاء مثل الغيث حيث وقع نفع.

وفي (الأمالي) كان أمير المؤمنين عليه السلام كلّ بكرةٍ يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرة على عاتقه ـ وكان لها طرفان وكانت تسمّى السبية ـ فيقف على سوق سوق فينادي يا معشر التجار «قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا، ﴿... أَوْفوا المكيالَ والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثَوْا في الأرضِ مفسدين﴾[1] ـ ويطوف في جميع الأسواق فيقولها ثم يقول:

تفنى اللذاذةُ ممّن نالَ صفوتَها ... مِنَ الحرام ويبقى الاثمُ والعارُ

---

(١) هود: ٨٥.

تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبّتها لا خيرَ في لذةٍ مِنْ بعدها النار

«أبرار أتقياء» عن الباقر عليه السلام كان علي عليه السلام إذا صلّى الفجر لم يزل معقباً إلى ان تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين فيعطيهم ويعلّم باقي الناس الفقه والقرآن وقالوا دخل عقيل بعده عليه السلام على معاوية فقال له اخبرني عن عسكري وعسكر أخيك فقد وردت عليهما فقال عقيل: مررت بعسكر أخي فإذا ليل كليل النبي صلى الله عليه وآله ونهار كنهار النبي صلى الله عليه وآله ما رأيت إلّا مصلّياً ولا سمعت إلّا قارياً - ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممّن نفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة.

«قد براهم» من «بريت السهم».

«الخوف برى القداح» جمع القدح بالكسر السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله.

في (الكافي) مر أمير المؤمنين عليه السلام بمجلس فاذا هو بقوم بيض ثيابهم صافية ألوانهم كثير ضحكهم يشيرون إلى من يمر بهم - ثم مر بمجلس الأوس والخزرج فإذا قوم بليت منهم الأبدان ودقت منهم الرقاب واصفرت منهم الألوان وقد تواضعوا فتعجب ودخل على النبي صلى الله عليه وآله فقال:

مررت بمجلس لآل فلان - ثم وصفهم - ومررت بمجلس للأوس والخزرج - فوصفهم - ثم قال: وجميع مؤمنون فاخبرني بصفة المؤمن فقال: عشرون خصلة في المؤمن فان لم تكن فيه لم يكمل ايمانه ان من أخلاق المؤمنين الحاضرون للصلاة، والمسارعون إلى الزكاة، والمطعمون المسكين، والماسحون على رأس اليتيم، المطهرون أطهارهم، المتزرون على أوساطهم، الذين ان حدّثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وان تكلّموا صدقوا، رهبان بالليل، أشداء بالنهار، قائمون الليل،

صائمون النهار، لا يؤذون جاراً، ولا يتأذى بهم جار، الذين مشيهم على الأرض هون، وخطاهم إلى بيوت الأرامل وعلى أثر الجنائز.

«**ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض**» روى (صفات الشيعة) عن أبي جعفر عليه السلام قال: شيعة علي الشاحبون الناحلون الذابلون[1].

«**ويقول قد خولطوا**» أي: فسد عقلهم.

«**ولقد خالطهم**» أي: شوشهم.

«**أمر عظيم**» ذكر النار والجنة وخوف الله تعالى.

ابى حب لبنى ان يرى بي صحة ... مدى الدهر أو يرجو حياتي آمل

في الحلية في الثوري عن النبي صلى الله عليه وآله كان الناس يعودون داود عليه السلام يظنون به مرضاً وما به شيء إلّا الخوف من الله والحياء[2].

وفي (الكشي) بكى أبو ذر من خشية الله حتى اشتكى عينيه فخافوا عليهما فقيل له يا أبا ذر لو دعوت الله في عينيك فقال اني عنهما لمشغول وما عناني أكثر ـ فقيل له وما شغلك عنهما؟ قال العظيمتان: الجنّة والنار.

وفيه مر سلمان على الحدادين بالكوفة وإذا شاب قد صرع والناس قد اجتمعوا حوله فقالوا له: هذا الشاب قد صرع فلو جئت فقرأت في اذنه فجاء سلمان، فلمّا دنا منه رفع رأسه فنظر إليه فقال ليسي في شيء ممّا يقول هؤلاء لكني مررت بهؤلاء الحدادين فذكرت قوله تعالى ﴿ولهم مقامع من حديد﴾[3] فاتخذه سلمان أخاً فلم يزل معه حتى مرض الشاب فجاء سلمان فجلس عند رأسه في الموت فقال: يا ملك الموت ارفق بأخي فقال يا أبا عبدالله: اني بكلّ

---

(١) صفات الشيعة للصدوق: ١٣ حديث ٢٤.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ٧: ١٣٧، أخرجه عن ابن عمر ـ دار الكتب العلمية.

(٣) الحج: ٢١.

مؤمن رفيق وفي دعاء عرفة لأبي عبدالله الحسين عليه السلام حاجتي التي ان أعطيتني لا يضرني ما منعتني فكاك رقبتي.

«**لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير**» عن الفتح قال الزهري دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك، فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عينيه، فقال له: لقد بيّن عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من النبي صلى الله عليه وآله قريب النسب، وكيد السبب، وأنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك، وذوي عصرك ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك، إلّا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه، ـ فقال عليه السلام له كلّ ما وصفته وذكرته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم؟ كان النبي صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى ترم قدماه، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: ألم يغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» ـ والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله تعالى بشكر عشر العشير من نعمةٍ واحدةٍ من جميع نعمه التي لا يحصيها العادّون، ويبلغ حد نعمة منها على جميع حمد الحامدين، لا والله لا يراني الله يشغلني شيء من شكره وذكره في ليل ولا نهار، ولا اعلان ولا اسرار، والله لولا أن لأهلي عليَّ حقاً، ولساير الناس من خاصهم وعامّهم عليَّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة، لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي، وهو خير الحاكمين ـ وبكى عليه السلام فبكى عبد الملك وقال شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا لم يبالِ من أين جاءته وماله في الآخرة من خلاق[1].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٦: ٥٧ رواية (١).

«فهم لأنفسهم متهمون» وأصل (متهمون) (موتهمون).

قال مثل يوسف الصديق ﴿وما أُبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء إلّا ما رحم ربي ان ربي غَفورٌ رحيم﴾[1].

«ومن أعمالهم مشفقون» أي: حذرون لتعديه بمن.

﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايت رَبهم يؤمنون* والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انّهم إلى ربهم راجعون * أُولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[2].

«إذا زكي أحدهم خاف ممّا يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي» أثنى رجل على عارف، فقال: أن عبدك هذا تقرّب الي بمقتك، وأنا أشهدك على مقته ـ وقال ابن أبي الحديد هذا مثل قوله عليه السلام لمن زكّاه نفاقاً «أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك» وهو كما ترى فان هذا في مقام وذاك في مقام.

هذا وكان المقداد عند عثمان فجعل رجل يثني على عثمان وجعل المقداد يحثو في وجه الرجل التراب، فقال عثمان للمقداد: ما تفعل؟ فقال المقداد سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول «احثوا في وجوه المداحين التراب».

«اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل ممّا يظنون واغفر لي ما لا يعلمون» قال: إبن أبي الحديد هذا مفرد مستقل بنفسه منقول عنه عليه السلام انّه قال لقوم مر عليهم، وهم مختلفون في أمره فمنهم الحامد له، ومنهم الذام، فقال: «اللّهم لا تؤاخذني» ـ الخ ـ ومعناه اللّهم ان كان ما ينسبه الذامون اليّ من

---

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

الأفعال الموجبة للذم حقاً فلا تؤاخذني بذلك، وأغفر لي ما لا يعلمونه من أفعالي، وان كان ما يقوله الحامدون حقّاً فاجعلني أفضل ممّا يظنون».

قلت: بل لا ريب انّه غير مستقل، وانّه جزء مقول المتقين كقولهم (أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي) ـ وقد عرفت من أسانيد الخطبة انّه جزْؤُها ـ وقال: ابن أبي الحديد ما قال لزعمه ان الرضي لا يراعي الربط، فقال ما قال باجتهاده، وان فرض انّه رأى خبراً بما قال من مروره عليه السلام بجمع بعضهم حامد له، وبعضهم ذام، وقال هذا الكلام فهو لأن قول هذا الكلام من صفات جميع المتقين، وهو امامهم لا ان المراد به هنا ما قال إلّا ان هذا الكلام لا يناسب ان يقال إلّا لمن زكي، وأما لو ذم أحدهم باطلاً فالمناسب له هو ما قاله السجاد عليه السلام للمثنّى.

ففي (الإرشاد)، وقف الحسن بن الحسن على علي بن الحسين عليه السلام فاسمعه فلمّا انصرف قال لجلسائه. لقد سمعتم ما قال هذا الرجل؟ وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردي عليه، فقالوا: نفعل وكنّا نحب أن تقول له وتقول ـ فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿... والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[1] ـ فعلموا أنّه لا يقول له سيئاً فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به، فقالوا له هذا علي بن الحسين عليه السلام فخرج متوثباً للشرّ وهو لا يشك انّه انما جاء مكافياً له على بعض ما كان منه فقال عليه السلام له يا أخي كنت وقفت على آنفا وقلت فان كنت قلت ما في فاستغفر الله منه، وان كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك ـ فقبّل الرجل بين عينيه، وقال بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحق به.

«فمن علامة أحدهم انك ترى له قوّة في دين» أرادت قريش منع النبي صلى الله عليه وآله

(١) آل عمران: ١٣٤.

عن دعوته بتزويجه أجمل بناتهم واعطاءه أكثر أموالهم، وجعله ملكهم، فقال: لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما أدع دعوتي كما رواه الطبري ـ وقال الحسين عليه السلام لو لم يبق لي ملجأ في الدنيا لا أبايع يزيد بن معاوية.

وأراد عثمان أن يكفّ أبا ذر عن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بإرسال مال له فلم يتيسر له ذلك كما رواه الكشي.

«وحزماً في لين» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان العلم خليل المؤمن والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والرفق أخوه، واللين ولده.

«وايماناً في يقين» في (الكافي) صلّى النبي صلى الله عليه وآله الصبح بالناس فنظر إلى شاب مصفراً لونه قد نحف جسمه، وغارت عينه فقال له: كيف أصبحت؟ قال أصبحت موقناً، فقال صلى الله عليه وآله لكلّ يقين حقيقة، قال يقيني أحزنني، وأسحر ليلي، وأظمأ هواجري فقال صلى الله عليه وآله هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان.

«وحرصاً في علمٍ» قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿... وقل رب زدني علما﴾[1] وكما لا يشبع طالب الدنيا منها كذلك لا يشبع طالب العلم منه، وقال تعالى: ﴿...يرفع الله الذين آمنوا مِنْكُمْ والذين اوتوا العلم درجات ...﴾[2] ﴿... هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب﴾[3].

«وقصداً في غنى» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله من الثلاث المنجيات: القصد في الغنى وعنه عليه السلام القصد مثراة والسرف متواة.

وعن الصادق عليه السلام لو أن رجلاً انفق ما في يديه في سبيل من سبل الله ما

---

(١) طه: ١١٤.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) الزمر: ٩.

كان أحسن، ولا وفق، أليس يقول تعالى: ﴿... ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واحسنوا ان الله يحبّ المحسنين﴾[١] - يعني المقتصدين.

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿... وآتوا حقّه يومَ حصاده، ولا تسرفوا انّه لا يحب المسرفين﴾[٢] - كان لرجل أنصاري حرث وكان اخذا أخذه يتصدّق به ويبقى هو وعياله بغير شيء، فجعل تعالى ذلك سرفاً.

وعنه عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله كان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً إلّا أعطاه، فأرسلت إليه امرأة أبناً لها وقالت له انطلق إليه وأسأله فان قال لك ليس عندنا شيء، فقل اعطني قميصك، ففعل فرمى النبي صلى الله عليه وآله بقميصه إليه فأدبه الله عزوجل على القصد فقال: ﴿ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسطِ فتقعدَ ملوماً محسوراً﴾[٣].

وعنه عليه السلام أربعة لا يستجاب لهم، أحدهم رجل كان له مال فأفسده فيقول يارب ارزقني فيقول عزوجل ألم آمرك بالاقتصاد.

«وخشوعاً في عبادة» في (الكافي): كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام في الصلاة تغيّر لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفضّ عرقاً وكان كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه شيء إلّا ما حرّكت الريح منه.

وعن أبي جعفر عليه السلام إذا قمت في الصلاة فعليك بالاقبال على صلاتك فانما يحسب لك منها ما أقبلت عليه.

«وتجمّلاً في فاقة» ولا يبعد كون هذا بعد (وقصداً في غنىً) فاخر وكيف كان ففي الأسد طوى مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري ثلاثاً ولم يسأل

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الانعام: ١٤١.

(٣) الاسرء: ٢٩.

أحداً شيئاً فقال النبي ﷺ من أراد أن ينظر إلى العفيف المسألة فلينظر إلى مالك وفي المجمع في قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً ...﴾[1] ـ قال أبو جعفر عليه السلام نزل في أصحاب الصفة ـ وكذلك رواه الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من أربعمأة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون إليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كلّ سرية يبعثها النبي ﷺ فحث الله الناس عليهم، فكان الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا أمسى[2].

«وصبراً في شدّة» ﴿... والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأُولئك هم المتّقون﴾[3].

«وطلباً من حلال» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال يكفّ به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه.

وعنه عليه السلام أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً فبكى أربعين صباحاً فأوحى الله تعالى إلى الحديد ان لن لعبدي فلان له فكان يعمل كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى من بيت المال.

وعن اسباط بن سالم قال سألني أبو عبدالله عليه السلام عن عمر بن مسلم فقلت صالح ولكنه ترك التجارة.

---

(١) البقرة: ٢٧٣.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ١: ٣٨٧، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٣) البقرة: ١٧٧.

فقال عليه السلام عمل الشيطان ـ ثلاثاً ـ أما علم ان النبي صلى الله عليه وآله اشترى عِيراً أتت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسّم في قرابته يقول عزوجل: ﴿رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوبُ والأبصارُ * ليجزيَهمُ اللهُ أحسنَ ما عملوا ويزيدَهم من فضله ...﴾[1] ـ يقول القصّاص ان القوم لم يكونوا يتّجرون ـ كذبوا ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها وهو أفضل ممّن حضر الصلاة ولم يتّجر.

وعن محمد بن عذافر أعطى أبو عبدالله عليه السلام أبي الفاً وسبعمائة دينار فقال له اتّجر لي بها ثم قال اما انّه ليس له رغبة في ربحها وان كان الربح مرغوباً فيه ولكني أحببت ان يراني الله تعالى معترضاً لفوائده فربحت له فيه مائة دينار ثم لقيته فأخبرته ففرح فرحاً شديداً ثم قال اثبتها في رأس مالك.

وعن أبي بصير، سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول اني لأعمل في بعض ضياعي حتى أعرق وان لي من يكفيني ليعلم الله عزوجل اني أطلب الرزق الحلال.

وعنه عليه السلام: ان أمير المؤمنين عليه السلام اعتق ألف مملوك من كديده عليه السلام.

وعنه عليه السلام ان محمد بن المنكدر كان يقول ما كنت أرى ان علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتى رأيت ابنه محمد بن علي فاردت أن أعظه فوعظني كنت خرجت في ساعة حارة إلى بعض نواحي المدينة فلقيته ـ وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متّكىء على غلامين أسودين أو موليين فقلت في نفسي سبحان الله شيخ من قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أما لأعظنه فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ علي بنهر وهو يتصابّ عرقاً

---

(١) النور: ٣٧ ـ ٣٨.

فقلت شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أرأيت لو جاءك أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟ فقال:

لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وانما كنت أخاف ان لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله عزوجل فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني.

وعن علي بن أبي حمزة قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يعمل في أرض له، قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: قد عمل باليد في أرضه من هو خير مني ومن أبي ؟

فقلت : ومن هو فقال: النبي وأمير المؤمنين وآبائي عليهم السلام كلّهم كانوا قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين.

وعن أبي جعفر عليه السلام من طلب الدنيا استغناءً عن الناس وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر.

وعن خالد بن نجيح، قال قال أبو عبدالله عليه السلام : اقرِئوا من لقيتم من أصحابكم السلام، وقولوا لهم: ان فلان بن فلان يُقرِئُكم السلام، ويقول لكم عليكم بتقوى الله وما ينال به ما عند الله اني واللهِ ما آمركم إلّا بما نأمر به أنفسنا فعليكم بالجد والاجتهاد وإذا صليتم الصبح فانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال فان الله عزوجل سيرزقكم ويعينكم عليه.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال ـ وفي الخبر طلب العلاء بن كامل وكليب الصيداوي من أبي عبدالله عليه السلام ان يدعو لهما للرزق فقال عليه السلام لا أدعو لكما اطلبا كما أمركما الله تعالى وقال عليه السلام من قعد في بيته وقال لأصلِّينّ وأصومنّ وأعبد ربي فاما

رزقي فسيأتيني، فهو أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم.

«ونشاطاً في هدى» لا كالمنافقين الذين قال تعالى فيهم ﴿... وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ...﴾[1].

هذا وفي الصحاح «والناشطات نشطا» يعني النجوم تنشط من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد والنشيطة ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه، والانشوطة عقد يسهل انحلالها مثل عقدة التكة.

«وتحرجا عن طمع» لادائه إلى الطبع.

وفي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام بئس العبد عبد له طمع يقوده.

وعن أبي عبدالله عليه السلام ما أقبح بالمؤمن ان تكون له رغبة تذلّه.

«يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل» أي: خوف، قال الجوهري المستقبل من (وجل) يوجل ويأجل وييجل وييجل بكسر الياء وكذلك في ما أشبهه من المثال.

والأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿والذين يُؤتونَ ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربِّهم راجعون﴾[2].

«يمسي وهمّه الشكر» في الكشاف كان نوح إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني، وإذا احتذا قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية، ولو شاء حبسه قال تعالى فيه: ﴿... انه كانَ عبداً شكوراً﴾[3].

---

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) المؤمنون: ٦٠.

(٣) الاسراء: ٣.

«ويصبح وهمّه الذكر» عن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى يا ابن آدم اذكرني بعد الغداة ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما أهمك.

«يبيت حذراً» وعنه عليه السلام ان المؤمن لا يصبح إلّا خائفاً، وان كان محسناً، ولا يمسي إلّا خائفاً وان كان محسناً لأنّه بين أمرين وقت قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات ـ الخبر ـ ولنعم ما قيل بالفارسية:

رس كشته از بسكه شب رانده‌اند سحرگه خروشان كه وا مانده‌اند

«ويصبح فرحاً» ويقول الحمد لله الذي رد علي روحي أحمده وأعبده.

«حذراً لمّا حذر من الغفلة» بيان لقوله (يبيت حذراً) واشارة إلى قوله تعالى: ﴿أفأَمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون * أفامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون﴾[١].

«وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة» استدل له بقوله تعالى: ﴿قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٢].

«وان استصعبت عليه نفسه في ما يكره لم يعطها سؤلها في ما تحب» في تاج الجاحظ كان اردشير قد وكل غلامين ذكيين لا يفارقان مجلسه بحفظ الفاظه عند الشرب والمنادمة، أحدهما يملي والآخر يكتب حرفاً حرفاً وهذا انما يفعلانه إذا غلب على الملك السكر فإذا أصبح ورفع عن وجهه الحجاب قرأ عليه الكاتب كلّ ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام فإذا قُرِئ عليه ما أمر به الزامر

---

(١) الاعراف: ٩٧ ـ ٩٩.

(٢) آل عمران: ٧٣ ـ ٧٤.

ومخالفة الزامر أمره دعا بالزامر فخلع عليه وجزاه الخير وقال! أصبت في ما فعلت واخطأ الملك في ما أمرك به فهذا ثواب صوابك وكذلك العقوبة لمن أخطأ وعقوبتي ان لا نزمزم اليوم إلّا على خبز الشعير والجبن فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما.

«قرّة عينه في ما لا يزول» كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: قرّة عيني في الصلاة.

«وزهادته في ما لايبقى» ﴿زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ...﴾[1] ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾[2].

«يمزج الحلم بالعلم» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً».

وعن الصادق عليه السلام إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت وأنت أهل لمّا قلت وستجزى بما قلت ـ ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت وسيغفر الله لك ان أتممت ـ فان رد الحليم ارتفع الملكان.

وعن النبي صلى الله عليه وآله ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم.

«والقول بالعمل» قالوا لئلا يدخل في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[3].

وما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فكبكبوا فيها هم والغاون﴾[4] ان

---

(١) آل عمران: ١٤.

(٢) الكهف: ٤٦.

(٣) الصف: ٢ ـ ٣.

(٤) الشعراء: ٩٤.

الغاوين قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره ـ وقال ابن أبي الحديد هو كقول الأحوص.

وأراك تفعلُ ما تقولُ وبعضهم　　　مذق اللسانِ يقولُ ما لا يفعلُ

«تراه قريباً أمله» قالوا لأن بعد الأمل من نسيان الآخرة، وهو متذكرها أبداً.

«قليلاً زلله» ﴿... ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلّا اللمم ...﴾[١].

«خاشعاً قلبه» ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ...﴾[٢].

«قانعة نفسه» في (الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الاعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحةً.

«منزوراً» أي: قليلاً.

«أكله» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق في سبعة أمعاء.

وعنه صلى الله عليه وآله أطولكم جشاء في الدنيا أطولكم جوعاً في الآخرة، وفي (الاسد) أكل أبو جحيفة ثريدة بلحم فأتى النبي صلى الله عليه وآله وهو يتجشأ فقال صلى الله عليه وآله: اكفف جشاءك أبا جحيفة فان أكثرهم شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة قال فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان إذا تعشى لا

---

(١) النجم: ٣١ ـ ٣٢.

(٢) الزمر: ٢٣.

يتغدّى وإذا تغدى لا يتعشى.

وعن الصادق الأكل على الشبع يورث البرص.

وعنه عليه السلام كلّ داء من التخمة ما خلا الحمّى فانها ترد وروداً ـ وقال عليه السلام ثلث البطن للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس، ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح.

وعنه عليه السلام أقرب ما يكون العبد من الله تعالى إذا خف بطنه وأبغض ما يكون العبد إذا امتلأ بطنه.

وعنه عليه السلام علامات المؤمن أربع نومه كنوم الغرقى وأكله كأكل المرضى وبكاؤه كبكاء الثكلى وقعوده كقعود المواثب ـ وقال ابن أبي الحديد قال أعشى باهلة:

تكفيهِ فلذةُ لحْمٍ ان ألمَّ بِها　　　من الشواءِ ويكفي شربه الغمر

وقال متمم بن نوير:

لقد كفن المنهال تحت ردائه　　　فتى غير مبطان العشيات أروعا

«سهلا أمره» في (الكافي) أتى حارث بن الأعور أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: أحب أن تكرِّمَني بأن تأكل عندي فقال عليه السلام له على أن لا تتكلّف لي شيئاً ودخل فأتاه الحارث بكسر فجعل عليه السلام يأكل فقال الحارث ان معي دراهم ـ وأظهرها في كميه ـ فان أذنت اشتريت شيئاً، فقال عليه السلام هذه ممّا في بيتك ـ ورواه الكشي وفيه قال عليه السلام: على شرط ألا تدخرني شيئاً ممّا في بيتك، ولا تكلّف لي شيئاً ممّا وراء بابك، قال نعم فدخل يتحرّف ويحب أن يشتري له وهو يظن انّه لا يجوز له ـ إلى أن قال قال: فهذه ممّا في بيتك[1].

«حريزاً» أي: حصيناً.

---

(١) الكافي للكليني ٦: ٤٢٨ رواية ٢.

«دينه» في (الخبر) المؤمن دِينُه أشدّ من الجبال الراسية وذلك لضنته بدينه وشحه عليه.

«ميتة شهوته» ﴿والذين هم لفروجهم حافظون * إلّا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأُولئك هم العادون﴾[1].

وفي (الخبر) أكثر ما يدخل به أُمتي النار الأجوفان: البطن والفرج.

«مكظوماً غيظه» ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وجنّة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين﴾[2].

وعن السجاد عليه السلام ما أحب ان لي بذل حمر النعم، وما تجرعت من جرعة أحب اليّ من جرعة غيظ لا أُكافي بها صاحبها.

«والخير منه مأمول» في (المناقب) كان علي بن الحسين عليه السلام إذا جنّه الليل وهدأت العيون قام إلى منزله فجمع ما بقي فيه من قوت أهله، وجعله في جراب ورمى به في عاتقه وخرج إلى دور الفقراء، وهو متلثم ويفرّق عليهم ـ وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه ـ فإذا رأوه تباشروا به وقالوا جاء صاحب الجراب ـ وكان عليه السلام يتصدّق بالكسر واللوز فسئل عن ذلك فقرأ ﴿لن تنالوا البر حتى تُنفقوا ممّا تحبون ...﴾[3].

وعن (الكافي) احتضر عبدالله بن عباس فاجتمع غرماؤه فطالبوه بدين لهم، فقال لا مال عندي أعطيكم ولكن ارضوا بمن شئتم من ابني عمي علي بن

---

(١) المؤمنون: ٥ ـ ٧.

(٢) آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣) آل عمران: ٩٢.

الحسين عليه السلام وعبدالله بن جعفر ـ فقال الغرماء عبدالله بن جعفر متمول وعلي بن الحسين عليه السلام رجل لا مال له صدوق فهو أحبّ إلينا فارسل إليه فأخبره الخبر فقال عليه السلام أضمن لكم المال إلى غلة ـ ولم يكن له غلة ـ فقال القوم قد رضينا وضمنه فلمّا أتت الغلة أتاح الله له المال فأوفاه.

«والشر منه مأمون» في (صفات الشيعة) عن النبي صلى الله عليه وآله سمّي المؤمن مؤمناً لائتمان الناس إيّاه على أنفسهم وأموالهم ألا أُنبئكم من المسلم، المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ألا أُنبئكم من المهاجر؟ المهاجر من هجر السيئات وما حرّم الله تعالى[1].

وفي (الخصال) عنه صلى الله عليه وآله ما عبد الله بشيء أفضل من العقل ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى تجتمع فيه عشر خصال، الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره، ولا يتبرم بطلب الحوائج قبله، والذلّ أحبّ إليه من العزّ، والفقر أحب إليه من الغنى، نصيبه من الدنيا القوت، ولا يرى أحداً إلّا قال هو خير مني، فإن رأى من هو خير منه تواضع له ليلحق به، وإذا لقى الذي شرّ منه، قال عسى خير هذا باطن وشره ظاهر، وعسى ان يختم له بالخير، فاذا فعل ذلك فقد ساد أهل زمانه.

«ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين» لأن غفلته انما كانت لساناً وأما قلباً فهو ذاكراً لله أبداً، والأصل ذكر القلب لأنّه المنتج، وان كان خالياً عن ذكر اللسان.

«وان كان في الذاكرين لم يكتب في الغافلين» لعدم كون ذكره بمجرد اللسان حتى يكون غير مفيد.

---

(١) صفات الشيعة للصدوق: ٣١ حديث ٤٣.

«**يعفو عمّن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه**» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك.

وعن أبي جعفر عليه السلام أُتي النبي صلى الله عليه وآله باليهودية التي سمّت الشاة له فقال لها ما حملك على ما صنعت؟ قالت: قلت ان كان نبياً لم يضره، وان كان ملكاً أرحت الناس منه فعفا عنها.

وعن معتب كان الكاظم عليه السلام في حايط له يصرم فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارةً من تمر، فرمى بها وراء الحائط فأتيته فأخذته وذهبت به إليه، فقال له أتجوع؟ قال لا، قال افتعرى؟ قال لا قال فلأي شيء أخذت هذا؟ قال اشتهيت ذلك، قال اذهب فهي لك وقال خلوا عنه.

«**بعيداً فحشه**» كناية عن عدم صدور الفحش منه.

«**ليناً قوله**» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام حد حسن الخلق ان تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن.

«**غائباً منكره حاضراً معروفه**» ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أُولئك سيرحمهم الله ان الله عزيزٌ حكيمٌ﴾.

«**مقبلاً خيره مدبراً شره**» ﴿انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خروا سجّداً وسبّحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾[1] ﴿... وإذا مروا باللغو

---

(١) السجدة: ١٥ ـ ١٧.

مروا كراما﴾[١] ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[٢].

«في الزلازل وقور» قال ابن أبي الحديد يقال ان علي بن الحسين عليهما السلام كان يصلّي فوقعت عليه حية فلم يتحرّك لها ثم انسابت بين قدميه، فما حرّك أحديهما عن مكانه ولا تغيّر لونه.

«وفي المكاره صبور» ﴿ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلّا ايماناً وتسليماً﴾[٣].

«وفي الرخاء» مقابل الشدّة.

«شكور» لأن شكر المنعم واجب.

«لا يحيف» أي: لا يجور.

«على من يبغض» ﴿... ولا يَجرمَّنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى ...﴾[٤].

«ولا يأثم في من يحب» ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾[٥].

«يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه» في (الأغاني) قال دعبل بلغني ان ثابت قطنته قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً:

لا يعرف الناس منه غير قطنة   وما سواها من الأنساب مجهولُ

---

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) الفرقان: ٦٣.

(٣) الاحزاب: ٢٢.

(٤) المائدة: ٨.

(٥) النساء: ١٣٥.

وقال: هذا بيت سوف أهجي به أو معناه ـ وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية ـ وقال : اشهدوا اني قائله فقالوا له ويحك ما أردت ان تهجو نفسك به؟ ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا؟ فقال: لابد من أن يقع على خاطر غيري فأكون قد سبقته إليه فقالوا له: أما هذا فشر قد تعجلته ولعلّه لا يقع لغيرك فلمّا هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على انّه هو قائله فشهدوا على ذلك فقال يرد على حاجب الفيل.

هيهات ذلك بيتٌ قد سبقت له فاطلب له ثانيا يا حاجب الفيل[1]

«لا يضيع ما استحفظ» قيل أي: لا يضيع ما أودع عنده من الأموال بالتفريط والخيانة، ومن الأسرار بالافشاء والاذاعة ويحتمل شموله لمّا استحفظه الله من دينه وكتابه وقيل في أمر الصلاة قال تعالى: ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾[2] ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى...﴾[3].

«ولا ينسى ما ذُكِّر» فليسوا ممّن قال تعالى فيهم: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ...﴾[4] ﴿... نسوا الله فأنساهم أنفسهم ...﴾[5] بل ممّن قال تعالى: ﴿وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾[6] ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾.

«ولا يُنابِزُ بالألقاب» في الجمهرة «تنابر القوم إذا تعايروا ولقب بعضهم

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني ١٤: ٢٨٦.

(٢) المؤمنون: ٩٠.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) المجادلة: ١٩.

(٥) الحشر: ١٩.

(٦) الذاريات: ٥٥.

بعضاً وفي الأساس قال الحماسي:

اكنيه حين أناديه لأكرمه ولا أُلقبه والسوأة اللقبا

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿... ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأُولئك هم الظالمون﴾[1].

«ولا يضار بالجار» قال النبي صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى جميع الناس (لا ضرر ولا ضرار) فكيف بالنسبة إلى الجار الذي وصّى الله تعالى به في قوله: ﴿...وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب ...﴾[2].

واستشهد له بما روي ان النبي صلى الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب ان الجار كالنفس غير مضار - وان النبي صلى الله عليه وآله أمر علياً عليه السلام وسلمان وأبا ذر والمقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى صوتهم، «لا ايمان لمن لا يأمن جاره بوائقه» - فنادوا بها ثلاثاً - ثم أومأ النبي صلى الله عليه وآله إلى كلّ أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله - وان النبي صلى الله عليه وآله قال من آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير ومن ضيّع حق جاره فليس منّا مازال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انّه سيورثه.

«ولا يشمت بالمصائب» استشهد له بما روي عن الصادق عليه السلام ان من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها.

«ولا يدخل في الباطل» قيل أي: في مجالس الفسق واللهو والفساد وقيل المراد عدم ارتكاب الباطل.

---

(١) الحجرات: ١١.

(٢) النساء: ٤٦.

«ولا يخرج من الحق» قيل أي: من مجالسه أو عدم ترك الحق.

«ان صمت لم يغمّه صمته» فان من يغمّه صمته انما هو لعدم اقتداره على الكلام في مقام يقتضي التكلّم والمتقي انما يصمت إذا لم يكن مقتضياً لتكلمه وإذا أراد الكلام تكلّم بلسان كالحسام.

«وان ضحك لم يعل صوته»، ومن كلامه عليه السلام (لا تبدين عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة ولا تأمنن البيات وقد عملت بالسيئات) واستشهد له بما عنه عليه السلام ان ضحك النبي صلى الله عليه وآله كان تبسماً. وانه اجتاز ذات يوم بفتية من الأنصار وإذا هم يتحدثون ويضحكون ملءُ أفواههم فقال صلى الله عليه وآله مه يا هؤلاء من غره منكم أمله وقصّر به في الخير عمله فليطلع القبور وليعتبر بالنشور واذكروا الموت فانّه هادم اللذات.

«وان بغى عليه صبر، حتى يكون الله هو الذي ينتقم له» في الخبر قيل للرضا عليه السلام لِمَ لم يسترجع أمير المؤمنين عليه السلام فدك لمّا ولي أمر الناس؟ فقال: لأنّا أهل البيت وليّنا الله عزوجل لا يأخذ لنا حقوقنا إلّا هو ونحن أولياء المؤمنين انما نحكم لهم ونأخذ لهم حقوقهم ممّن ظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا.

واستشهد له أيضاً بقوله تعالى ﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[1].

«نفسه منه في عناء والناس منه في راحةٍ» عن الباقر عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى إلّا أخذ بأشدهما.

وقال معاوية لضرار بن ضمرة صف لي علياً قال: كان والله صوّاماً

---

(١) النحل: ١٢٦.

بالنهار قوّاماً بالليل يحبّ من اللباس أخشنه ومن الطعام أجشبه، وكان يجلس فينا، ويبتدئ إذا سكتنا، ويجيب إذا سألنا يقسّم بالسويّة ويعدل في الرعيّة لا يخاف الضعيفُ جورَه ولا يطمع القوي في ميله والله لقد رأيته مسبلاً للدموع على خده قابضاً على لحيته يخاطب دنياه فيقول يا دنيا أبي تشوّقت أم إليَّ تعرضت لا حان حينك فقد ابنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ـ الخبر ـ.

«بعده عمّن تباعد عنه زهد ونزاهة» ﴿...وإذا مروا باللغو مرّوا كراما﴾[1].

وفي (ذيل الطبري) لمّا قدم أبو موسى الأشعري لقى أبا ذر فجعل يلزمه ويقول له أبو ذر: إليك عني ويقول أبو موسى مرحباً بأخي، ويقول له أبو ذر: لست بأخيك انما كنت أخاك قبل أن تستعمل ـ ثم لقي أبا هريرة فالتزمه وقال: مرحباً بأخي فقال له أبا ذر إليك عني[2] ـ الخ ـ.

«ودنوه ممّن دنا منه لين ورحمة» استشهد له بقوله ﴿محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم ...﴾[3].

«ليس تباعده بكبر وعظمة» في (المناقب) مرَّ الحسن عليه السلام على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها فقالوا له هلم يا ابن بنت رسول الله إلى الغداء فنزل وقال ان الله لا يحب المستكبرين وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم.

«ولا دنوه بمكر وخديعة» قالوا: كان المغيرة قد صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله أما الاسلام فأقبل وأما

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) الطبري، (ذيل المذيل من تاريخ الطبري): ٣٥ منشورات الأعلمي.

(٣) الفتح: ٢٩.

المال فلست منه في شيء.

وقالوا كان بين المغيرة ومصقلة بن هبيرة تنازع فضرع له المغيرة وتواضع في كلامه حتى طمع فيه مصقلة واستعلى عليه فشتمه وقذفه فقدمه المغيرة إلى شريح وهو القاضي يومئذ ـ فأقام عليه الحد فآلى مصقلة ان لا يقيم ببلدة فيها المغيرة ما دام حياً ـ وقال الشعبي ان مصقلة قال للمغيرة: والله اني لأعرف شبهي في غرّة ابنك فاشهد عليه بذلك وحده الحد.

«قال فصعف همّام صعقة» قال الجوهري صعق صعقةً أي: غشي عليه وقوله تعالى ﴿... فصعق من في السماوات ومن في الأرض ...﴾[1] أي: مات.

«كانت نفسه» أي: روحه.

«فيها» أي: في تلك الصعقة التي فارق الدنيا.

هذا وفي (عرائس الثعلبي) روي ان لقمان لمّا قال لابنه هذه الكلمة أي ﴿يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير﴾[2] انفطرت مرارته من هيبتها ومات[3] وفي عيون ابن قتيبة، قال بهز بن حكيم صلّى بنا زرارة بن أوفى الغداة فقرأ ﴿فاذا نقر في الناقور * فذلك يومئذٍ يوم عسير﴾[4] فخر مغشياً عليه فحملناه ميتاً.

وفي (تاريخ بغداد)، عن ابن مقاتل الحريري لمّا وافى ذو النون إلى بغداد اجتمع إليه جماعة من الصوفية ومعهم من يقول: فاستأذنوه ان يقول

---

(١) الزمر: ٦٨.

(٢) لقمان: ١٦.

(٣) لا وجود لهذه العبارة في «عرائس الثعلبي»، راجع صفحة ٣٤٨ ـ ٣٥٠ في ذكر لقمان الحكيم. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ م.

(٤) المدثر: ٨ ـ ٩.

شيئاً من عنده فقال؛ نعم فابتدأ القوّال:

صغيرُ هواكَ عذَّبني فكيفَ به إذا احتنكا
وأنتَ جمعتَ من قَلبي هوىً قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئبٍ إذا ضحك الخليّ بكى

فقام ذو النون قائماً ثم سقط على وجهه ترى الدم يجري منه ولا يسقط إلى الأرض منه شيء.

وفيه عن ذي الكفل أخي ذي النون دخل غلام لذي النون إلى بغداد فسمع قوّالاً يقول: فصاح غلام ذى النون صيحة خرّ ميتاً فاتصل الخبر بذي النون فدخل إلى بغداد، فقال عليَّ بالقوّال واسترد الأبيات فصاح ذو النون صيحةً فمات القوّال ثم خرج ذو النون وهو يقول: النفس بالنفس والجروح قصاص».

وفي (كامل الجزري) اجتمع جماعة من الصوفية في رجب (٦٠٠) برباط شيخ الشيوخ ببغداد، وفيهم صوفي اسمه أحمد بن إبراهيم الداري من أصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحمن بن اسماعيل ومعهم مغنٍ يغني:

أعاذلتي اقصري كفى بمشيبي عذل
شباب كان لم يكن وشيب كان لم يزل
وحق ليالي الوصل وآخرها والأول
وصفرة لون المحب عند استماع العذل
لئن عاد عيشي بكم خلا العيش لي واتصل

فتحرك الجماعة عادة الصوفية في السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد، ثم سقط مغشياً عليه فحرّكوه فإذا هو ميّت.

هذا وكما مات بموعظته رجل مات ـ كما روي ـ بمعجزته أيضاً رجل

ففي المناقب روى زيد وصعصعة ابنا صوحان والبراء بن سبرة، والأصبغ بن نباتة وجابر بن شرحبيل، ومحمود بن الكوّاء انّه ذكر بدير الديلم من أرض فارس لأسقف وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة ان رجلاً ـ يعنون علياً عليه السلام.

قد فسّر الناقوس فقال سيروا بي إليه فاني أجده أنزع بطيناً فلمّا وافاه عليه السلام قال قد عرفت صفته في الانجيل، وانا أشهد انّه وصي ابن عمه فقال عليه السلام له جئت لتؤمن ءأزيدك رغبة في ايمانك؟ قال: نعم قال انزع مدرعتك فار أصحابك الشامة التي بين كتفيك فقال اشهد ان لا إله إلّا الله، وان محمّداً عبده ورسوله وشهق شهقة فمات فقال عليه السلام عاش في الاسلام قليلاً وينعم في جوار الله كثيراً[1].

فقال أمير المؤمنين عليه السلام **أما والله لقد كنت أخافها عليه**» ولذا تثاقل عليه السلام على رواية أولا عن جوابه، وأجمل له في وصفه.

«**ثم قال أهكذا**» هكذا في (المصرية) (هكذا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«**تصنع المواعظ البالغة بأهلها**» ﴿وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾[2].

عن يحيى بن معاذ الرازي (العيش في حبه أعجب من الموت في حبه).

وعن الشبلي الموت على ثلاثة أضرب موت في حب الدنيا وموت في حب العقبى وموت في حب المولى فمن مات في حب الدنيا مات منافقاً، ومن مات في حب العقبى مات زاهداً ومن مات في حب المولى مات عارفاً.

والموت من حب المخلوق كثير، حتى صنّف فيه الكتب، ومنها (كتاب مصارع العشاق، ومن العشاق جمع معروف ومنهم عبدالله بن عجلان

---

(١) ذكره المجلسي في «بحار الأنوار» ٤١: ٣١٢ رواية ٣٩ باب ١١٤.

(٢) الذاريات: ٥٥.

صاحب هند الذي قال فيه الشاعر:

ان مت مــــن الحب فقد مات ابن عـجلان

هذا وقد عرفت ان في رواية الكراجكي وابن طلحة الشافعي[١] (فاستعبر الربيع باكياً وقال لأسرع ما أودت موعظتك يا أمير المؤمنين بابن أخي ولوددت اني بمكانه فقال عليه السلام هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها -إلى أن قال- قال الراوي عن نوف هذه القصة (فصرت إلى الربيع بن خثيم وذكرت له ما حدّثني نوف فبكى الربيع حتى كادت نفسه أن تقبض وقال صدق أخي نوف لا جرم ان موعظة أمير المؤمنين وكلامه ذلك بمرأى مني ومسمع وما ذكرت من همام يومئذ وأنا في رفاهية إلّا كدرها ولا بشدّة إلّا فرّجها.

«**فقال له قائل فما بالك**» أي: حالك وزاد في (ابن ميثم والخطّية) (أنت).

«**يا أمير المؤمنين ؟ فقال** (ويحك) قيل ويحك بمعنى ويلك للعذاب وقيل كلمة رحمة.

«**ان لكلّ أجل وقتاً لايعدوه**» أي: لا يجاوزه.

«**وسبباً لايتجاوزه**» ﴿... ولا يملكون لأنفسهم ضَرّاً ولا نَفْعاً ولا يَملِكُونَ موتاً ولا حياة ولا نُشورا﴾[٢].

«**فمهلاً لا تعدل لمثلها**» أي: مثل المقالة.

«**فانما نفث**» قال الجوهري النفث شبيه بالنفخ.

«**الشيطان على لسانك**».

هذا ونظير خطبته عليه السلام هذه في وصف المتّقين، كلامه عليه السلام في وصف أصحابه الخواصّ.

---

(١) ابن طلحة الشافعي، (مطالب السّؤول): ٥٤ طبع حجري.

(٢) الفُرقان: ٣.

روى الصدوق في (صفات شيعته) عن محمد بن الحنفية قال لمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام البصرة بعد قتال أهل الجمل دعاه الأحنف بن قيس واتخذ له طعاماً فبعث إليه عليه السلام وإلى أصحابه فأقبل عليه السلام ثم قال يا أحنف ادعُ لي أصحابي فدخل عليه قوم متخشّعون كأنّهم شنآن بوال فقال الأحنف ما هذا الذي نزل بهم؟ أمن قلّة الطعام؟ أو من هول الحرب؟

فقال عليه السلام «يا أحنف ان الله سبحانه أقواماً تنسكوا إليه في دار الدنيا تنسك من هجم على ما علم من قربهم من يوم القيامة من قبل ان يشاهدوها فحملوا أنفسهم على مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى توهموا خروج عنق تخرج من النار يحشر الخلائق إلى ربهم تعالى، وكتاب يبدو فيه على رؤوس الأشهاد فضائح دونهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلاناً أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيراناً، وتفارقهم عقولهم (إذا خلت بهم من له الرجل المجرد إلى الله سبحانه غلياناً)».

فكانوا يحنّون حنين الواله في دجى الظلم، وكانوا يفجعون ما أوقفوا عليه أنفسهم، فمضوا ذبل الأجسام حزينة قلوبهم، كالحة وجوههم، ذابلة شفاههم خامصة بطونهم، تراهم سكارى اسمارا، في وحشة الليل متخشعون، كأنّهم شنآن بوال، قد اخلصوا لله سبحانه أعمالهم سرّاً وعلانية، فلم ينامو من فزع قلوبهم، بل كانوا كمن حرسوا قباب خراجهم، فلو رأيتهم في ليلتهم، وقد نامت العيون، وهدأت الأجساد! وسكنت الحركات، من الطير في الوكور، وقد نبههم خوف يوم القيامة والوعيد كما قال سبحانه: ﴿أفأَمِنَ أهلُ القرى ان يأتيهم بأسُنا بَياتاً وهم نائمون﴾[1]. فاستقبلوا لها فزعين وقاموا إلى صلاتهم، معولين باكين تارةً وأُخرى مسبِّحين يبكون في

---

(١) الاعراف: ٩٧.

محاريبهم، ويرنون يصطفون ليلة مظلمة بهماء يبكون، فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم قياماً على أطرافهم منحنية ظهورهم، يتلون أجزاء القرآن لصلاتهم، قد اشتدت أعوالُهم ونحيبُهم وزفيرُهم، فإذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صفدت في أعناقهم، فلو رأيتهم في نهارهم اذن رأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً، ويقولون للناس حُسناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، وإذا مروا باللغو مروا كراماً، قد قيّدوا أقدامهم من التهمات، وأبكموا ألسنتهم أن يتكلموا في أعراض الناس، وسجموا أسماعهم أن يلجها خوض خائض، وكحلوا أبصارهم بغض النظر إلى المعاصي، وانتجعوا دار السلام التي من دخلها كان آمناً من الريب والأحزان، فلعلّك يا أحنف شغلك نظرك في وجه واحدة تبدي الأسقام بناضرة وجهها، ودار قد اشغلت بنقش رواقها، وستور قد علقتها والريح والاحنام موكلة حبرها، وليست دارك دار البقاء، فأحبك له الدار التي خلقها سبحانه من لؤلؤة بيضاء، فشقّ فيها أنهارها، وغرس فيها أشجارها، وأَذلَّ عليها بالنضج من ثمارها، وكبسها بالعواتق من حورها، ثم سكّنها أوليـاءَه وأهل طاعته، فلو رأيتهم يا أحنف وقد قدموا على زيادات ربهم سبحانه، فاذا ضربت خباءهم صوتت رواحلهم بأصوات لم يسمع السامعون بأحسن منها، وأظلتهم غمامة فأمطرت عليهم المسك والوردان، وصهلت خيولهم بين أغراس تلك الجنان، وتخللت بهم نوقهم بين كثب الزعفران، وتلألأ من تحت أقدامهم اللؤلؤ والمرجان، واستقبلتهم قهارمتها بمنابر الريحان، وهاجت لهم ريح من قبل العرش فنثرت عليهم الياسمين والاقحوان، ولمّا ذهبوا إلى بابها فيفتح لهم الباب رضوان، ثم يسجدون لله في فناء الجنان، فقال لهم الجبّار: ارفعوا رُؤوسكم، فاني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة، واسكنتم جنّة الرضوان،

فان فاتك يا أحنف ما ذكرت لك في صدر كلامي لتتركن في سرابيل القطران، ولتطوفن بينها وبين حميم آن، ولتسقين شراباً حار الغليان في انضاجه فكم يومئذ في النار من صلب محطوم، ووجه مهشوم، ومشوه مضروب على الخرطوم.

قد أكلت الجامعة كفّه، والتحم الطوق بعنقه فلو رأيتهم يا أحنف ينحدرون أوديتها ويصعدون جبالها، وقد البسوا المقطعات من القطران، واقترنوا مع فجّارها وشياطينها، وإذا استغاثوا يغاثوا أحدث من حريق شدنت عليهم عقاربُها وحيّاتُها، ولو رأيت منادياً ينادي وهو يقول: يا أهل الجنّة ونعيمها وأهل حليها وحليها خلدوا فلا موت.

ينقطع رجاؤُهم، وتغلق الأبواب، وتنقطع بهم الأسباب فكم من شيخٍ يومئذ ينادي واشيبتاه وكم من شاب ينادي واشباباه وكم من امرأة تنادي وافضيحتاه، هتكت عنهم الستور، فكم يومئذ من مغموس، بين أطباقها محبوس، يالك غم البسك بعد لباس الكتان، والماء المبرّد على الجدران، وأكل الطعام ألواناً بعد ألوان، لباساً لم يدع لك شعراً ناعماً كنت مطيّبه إلّا بيّضه، ولا عيناً كنت تبصر بها إلى حبيب إلّا فقأها، هذا والله ما أعد الله للمجرمين وذلك ما اعد الله للمتقين[1].

والنسخة كانت سقيمة فمن وقف على سليمة صحّح.

١٤
الحكمة (٩٥)

وقال عليه السلام :

لاَ يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوى؛ وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ.

---

(١) صفات الشيعة للصدوق : ٣٨ ـ ٤٥ حديث ٦٢.

أقول: جَعَلَتْهُ (المصرية) عنواناً مستقلاً والصواب جعله ذيل سابقه كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) ورواه تذكرة سبط ابن الجوزي أيضاً جزء سابقه «وسئل عن الخير» وإلى الأصل في روايته استند المصنف وان كان (أمالي المفيد) رواه مستقلاً ورواه أواخر حلية أبي نعيم في عنوان ابن خفيف عن عبد خير عنه عليه السلام جزء سابقه ورواه باسناده عن قيس بن أبي حازم قال قال علي بن أبي طالب عليه السلام كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً بالعمل فانّه لن يقبل عمل إلّا مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل».

«لا يقل» هكذا في (المصرية) والصواب: (ولا يقل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وأيضاً عرفت انّه ذيل سابقه فلابد أن يعطف على ما قبله.

«عمل مع التقوى» قال الشاعر: «قليلك لا يقال له قليل» كما لا يكثر عمل مع الفجور، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾[1].

«وكيف يقل ما يتقبل» قال تعالى حاكياً عن لسان هابيل لقابيل: ﴿... انما يتقبل الله من المتقين﴾[2].

١٥
الحكمة (٢٨٩)

وقال عليه السلام:

كَانَ لِي فِي ما مَضى أَخٌ فِي ٱللهِ؛ وَكانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ؛ وَكانَ خارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلا يَشْتَهِي مَا لاَ يَجِدُ؛ وَلاَ يُكْثِرُ إذَا وَجَدَ؛ وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً؛ فَإنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ وَكانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإنْ جاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ؛ وَصِلُّ

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) المائدة: ٢٧.

وَادٍ؛ لا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتّى يَأْتِيَ قَاضِياً.

وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلى ما يَجِدُ ٱلْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتّى يَسْمَعَ ٱعْتِذَارَهُ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلاَ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ.

وَكانَ عَلى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلى أَنْ يَتَكَلَّمَ. وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى ٱلْهَوى فَيُخَالِفُهُ فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ الْخَلائِقِ فَالزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ ٱلْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ ٱلْكَثِيرِ.

أقول: لم أدر من أين نسب المصنف هذا الكلام إليه عليه السلام وقد اتفقت الخاصة والعامة على انّه كلام ابنه الحسن عليه السلام ـ رواه عنه الكليني وابن أبي شعبة من الخاصة، وابن قتيبة والخطيب من العامة ـ ففي (الكافي) (عدة عن أحمد البرقي عن بعض أصحابه من العراقيين رفعه قال خطب الناس الحسن بن علي عليه السلام فقال:

أيها الناس أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لايجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه.

كان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يمد يده إلّا على ثقة لمنفعته، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم، كان أكثر دهره صمّاتاً، فإذا قال بذا القائلين كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً وكان لا يغفل عن اخوانه.

ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً، فاذا جاء الجد

كان ليثاً عادياً، كان لا يلوم أحداً في ما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، وكان يفعل ما يقول، ويفعل ما لا يقول، كان اذا ابتزه أمران لا يدري أيّهما افضل، نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلّا عند من يرجو عنده البرء ولا يستشير إلّا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم، ولا يغفل عن العدو فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة ان اطقتموها، فان لم تطيقوها كلّها فأخذ القليل خير من ترك الكثير.

وفي (التحف) قال الحسن عليه السلام ـ في ما روي عنه ـ:

كان من أعظم الناس في عيني وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يمد يداً إلّا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشكى ولا يتسخط ولا يتبرم كان أكثر دهره صامتاً فاذا قال بذ القائلين كان ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جاء الجد فهو الليث عادياً، كان إذا جامع العلماء على أن يستمع أحرص منه على أن يقول.

كان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على السكوت، كان لا يقول ما لايفعل، ويفعل ما لا يقول، كان إذا عرض له أمران لا يدري أيّهما اقرب إلى ربه، نظر أقربهما من هواه فخالفه، كان لا يلوم أحداً على ما يقع العذر في مثله.

وفي (العيون) حدّثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي، قال: سمعت أبا الربيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول: قال الحسن بن علي: ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه.

كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يحل، ولا يُكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يداً إلّا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشكى

ولا يتبرم، كان أكثر دهره صامتاً، فاذا قال بذالقائلين كان ضعيفاً مستضعفاً، فاذا جاء الجد فهو الليث عادياً، كان إذا جامع العلماء على ان يسمع أحرص منه على أن يقول، كان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على السكوت.

كان لا يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول، كان إذا عرض له أمران لا يدري أيّهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالفه، كان لا يلوم أحداً على ما يقع العذر في مثله ـ زاد في غيره ـ كان لا يقول حتى يرى قاضياً وشهوداً عدولاً.

وفي (تاريخ بغداد) ـ في عيثم الزاهد ـ أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن إبراهيم بن شاذان، عن محمد بن الحسين بن حميد اللخمي عن خضر بن أبان بن عبيدة الواعظ عن عيثم البغدادي الزاهد عن محمد بن كيسان أبو بكر الأصم.

قال: قال الحسن بن علي عليه السلام : ذات يوم لأصحابه اني أُخبركم عن أخ لي، وكان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد.

وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يمد يداً إلّا على ثقة المنفعة، كان لا يتسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلّم، كان اذا غلب على الكلام لم يغلب على الصمت، كان أكثر دهره صامتاً.

فاذا قال بذالقائلين كان لا يشارك في دعوى ولا يدخل في مراء، ولا يدلي بحجّة حتى يرى قاضياً، كان يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول، تفضّلاً وتكرّماً، كان لا يغفل عن اخوانه، ولا يختص بشيء دونهم، كان لا يلوم أحداً

في ما يقع العذر في مثله، كان إذا بدهه أمران لا يدري أيّهما أقرب، نظر في ما هو أقرب إلى هواه فخالفه.

ثم العجب ان ابن المقفع أخذ الكلام سرقة في أدبه الكبير، جاعلاً له من نفسه! فقال في آخر كتاب (واني مخبرك عن صاحب لي كان من أعظم الناس في عيني وكان رأس ما اعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه.

كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يدعو إليه ريبة، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً، وكان خارجاً من سلطان لسانه، لا يقول ما لا يعلم، ولا ينازع في ما يعلم، وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يقدم أبداً إلّا على ثقة بمنفعة، كان أكثر دهره صامتاً، فاذا نطق بذّ الناطقين.

كان يرى متضاعفاً مستضعفاً، فاذا جاء الجد فهو الليث عادياً، كان لا يدخل في دعوى ولا يشترك في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً عدلاً، وشهوداً عدولاً، وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر في مثله، حتى يعلم ما اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلّا إلى من يرجو عنده البرء.

وكان لا يستشير صاحباً إلّا من يرجو عنده النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهّى ولا يتشكّى وكان لا ينتقم على الولي ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوّته فعليك بهذه الأخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع[1].

فتراه قد سَرق كلام الإمام عليه السلام لفظاً ومعنىً وما ترى من يسير اختلاف نظير اختلاف تلك الروايات الأربع، واما سرقة ابن كناسة مضمون كثير من فقراته في أبياته: خاله ابن أدهم كما سيأتي فسرقات الشعراء أمر متداول.

(١) الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع : ١٣٣ ـ ١٣٤ دار صادر ـ بيروت .

«كان لي في ما مضى أخ في الله» قال إبن أبي الحديد اختلفوا في مراده عليه السلام بهذا الأخ فقيل النبي صلى الله عليه وآله واستبعد لقوله «وكان ضعيفاً مستضعفاً» وقيل أبو ذر واستبعد لقوله «فان جاء الجد فهو ليث غابٍ وصلّ وادٍ» وأبو ذر لم يكن معروفاً بالبسالة والشجاعة، وقيل المقداد، وقيل ليس باشارة إلى أخ معين، ولكنه خارج مخرج المثل، وعادة العرب جارية بمثله كقولهم في الشعر (فقلت لصاحبي ويا صاحبي) . وهذا عندي أقوى.

قلت: قد عرفت ما في أصل نسبته إليه عليه السلام وعلى فرض صحتها فما قاله من منافاة قوله (فان جاء الجد فهو ليثٌ عادٍ وصلّ وادٍ) لارادة أبي ذر غلط، فانّه في غاية الانطباق، فابو ذر مع كونه ضعيفاً لا سيما بعد ارجاع معاوية له من الشام على جمل بلا قتب يسوقه ليلاً ونهاراً، حتى سقط لحم فخذيه! وظن الناس انّه يموت، فقال لهم:

انّه لا يموت من ذلك حسبما أخبره النبي صلى الله عليه وآله بموته من شيء آخر ومستضعفاً أخرجه عثمان تارةً إلى الشام، وأُخرى إلى الربذة، كان كليث عاد على عثمان، حتى إجترأ ان يقول له مع كونه سلطاناً جبّاراً، ان النبي صلى الله عليه وآله قال: فيه وفي بني أُمية .

«إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً».

وكان صلّ وادٍ على معاوية حتى جسر أن يقول له: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول فيك إذا ولّى الأمة، الأعين، الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع، فلتأخذ الأُمة حذرها منه، وسمعته يقول: وقد مررت به «اللّهم العنه ولا تشبعه إلّا بالتراب» وسمعته يقول:

«استُ معاوية في النار» وهل قام أحد مثل قيامه في قِبال حكومة عثمان الجائرة؟!

ولِمَ لم يذكر سلمان، ولم يذكر عمارا وحذيفة، واقتصر على أبي ذر والمقداد فكلّهم كانوا اخوان الصفا له عليه السلام ومتصفين بتلك الصفات، وعمار قام على عثمان إلى قتله وحتى ان جمعا من أصحابه لمّا كتبوا بدع عثمان في كتاب.

وكانوا عشرة منهم المقداد ومنهم عمّار، فلمّا خرجوا بالكتاب ـ كما في الخلفاء ـ ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمّار، جعلوا يتسللون عنه، حتى بقي وحده فمضى حتى دخل على عثمان وعنده مروان وأهله من بني أُمية، فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال له: أنت كتبت هذا؟ قال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال نفر تفرّقوا عنك فرقاً منك، قال: فلم اجترأت عليّ من بينهم؟

وقال مروان ان هذا العبد الأسود قد جرأ عليك الناس وانّك ان قتلته نكلت به من ورائه، فقال اضربوه فضربوه، وضربه معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار!! إلّا انّه ينفي إرادة أبي ذر واخوانه قوله عليه السلام:

(كان لي في ما مضى أخ في الله) فانّهم كانوا قريب العهد به عليه السلام وان ماتوا قبله، وكأنّه على فرض صحّة النسبة أراد وصف أخ له في عهد الرسول صلى الله عليه وآله ولا يبعد إرادة عثمان بن مظعون الذي لمّا مات قبل النبي صلى الله عليه وآله وجهه ولمّا ماتت إحدى بناته صلى الله عليه وآله قال لها الحقي بسلفك الصالح عثمان بن مظعون وسمّى عليه السلام أحد بنيه من أُم البنين عثمان باسمه.

وأما ما قاله في إرادة النبي صلى الله عليه وآله فينفيه سوى ما نقله من عدم مناسبة قوله عليه السلام (وكان ضعيفاً مستضعفاً) ان النبي صلى الله عليه وآله وان كان أخاه حيث انّه صلى الله عليه وآله عقد الأُخوة بين أصحابه وتركه عليه السلام لنفسه إلّا انّه عليه السلام لا يعبّر عن النبي صلى الله عليه وآله بلفظ (اخ لي)، ولا يقتصر على اخوّته بل يقول: (أخي وحبيبي

وخليلي رسول الله صلى الله عليه وآله).

كما ان ما قاله من عدم إرادة أخ معيّن، وقواه في غاية السقوط فالكلام كالصريح في إرادة شخص معين، نظير كلامه عليه السلام في ارادة جمع معين ممّا رواه الكافي انّه عليه السلام صلّى الصبح بالعراق فلمّا انصرف وعظهم، وقال: (لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وانهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب المعز) ـ الخبر ـ.

وما يفعل بتنكير الأخ ـ كما ان ما قاله من انّهم يقولون في الشعر: (فقلت لصاحبي ويا صاحبي) أيضاً لم يعلم صحته ـ هذا.

وفي الكشي كان ليونس بن عبد الرحمن أربعون أخاً يدور عليهم في كلّ يوم مسلّماً ثم يرجع إلى منزله فيأكل ويتهيأ للصلاة ثم يجلس للتصنيف وتأليف الكتب.

وكيف كان فمما ينسلك في الباب من مدح الأخ الصميمي ما في البيان عن المدائني قيل لرجل ـ أراه خالد بن صفوان ـ مات صديقك فقال: رحمه الله لقد كان يملأ العين جمالاً، والاذن بياناً ولقد كان يرجى ولا يخشى، ويغشى ولا يغشى ويعطي ولا يعطى. قليلاً لدى الشر حضوره سليماً للصديق ضميره.

وما فيه وقف جبار بن سليمان بن مالك بن جعفر بن كلاب على قبر عامر بن الطفيل، فقال: كان والله لا يضلّ حتى يضلّ النجم، ولا يعطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل، وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا.

«وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه» في مناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام: ان الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها

ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي.

يا موسى ان عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم، وساير الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من أحد عظّمها فقرت عيناه فيها، ولم يحقرها أحد إلّا انتفع بها - وعن الصادق عليه السلام رأس كلّ خطيئة حبّ الدنيا.

هذا وأخذ بعضهم كلامه عليه السلام في مدح أخ له وعكسه فجعله للذم فقال: «صغر فلاناً في عيني عظم الدنيا في عينه».

«وكان خارجاً من سلطان بطنه» قال النبي صلى الله عليه وآله أكثر ما يدخل أُمتي به النار الأجوفان الفرج والبطن.

وقال ابن أبي الحديد أكل علي عليه السلام قليلاً من تمر دقل وشرب عليه ماءً وأمرَ يده على بطنه، وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم تمثّل:

فانك مهما تعطِ بطنك سُؤلَهُ وفرجَك نالا منتهى الذمِّ أجمعا

«فلا يشتهي» هكذا في (المصرية) والصواب: (فلا يتشهّى) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«مالايجد» روى (ثواب الأعمال) ان الصادق عليه السلام قال لبعض أصحابه: اما تدخل السوق اما ترى الفاكهة تباع، والشيء ممّا تشتهيه؟ فقال بلى: فقال عليه السلام: اما ان لك بكلّ ما تراه ولا تقدر على شرائه وتصبر عليه حسنة.

«ولا يكثر إذا وجد» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد.

وعنه صلى الله عليه وآله أطولكم جشأً في الدنيا أطولكم جوعاً في الآخرة - وعنه صلى الله عليه وآله يأكل المؤمن في معاء واحد، ويأكل الكافر في سبعة أمعاء.

وعن أبي جعفر عليه السلام ما من شيء أبغض إلى الله من بطن مملوء، وإذا شبع البطن طغى - وعن الصادق عليه السلام الأكل على الشبع يورث البرص، وقال:

كلّ داء من التخمة ما خلا الحمّى.

وعنه ﷺ ليس لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه فاذا أكل أحدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام، وثلث بطنه للشراب، وثلثه للنفس، ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح.

وقال الشاعر:

ترى أهلَه في نعمةٍ وهو شاحبٌ

طوى البطن مخماص الضحى والاصائل

وقال ابن أبي الحديد قال أعشى باهله يرثي المنتشر بن وهب:

طاوي المصير على الغرّاء منصلت ... بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

تكفيه فلذةُ لحمٍ إن ألَمَّ بها ... من الشواءِ ويروي شربَه الغمرُ

ولا ينادي لمّا في القدر يرقبه ... ولا تراهُ أمام يعتفر

لا يغمز الساق من أين ولاَ وصب ... ولا يعضّ على شرسوفه الصفر

وقال الشنفري:

وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت

خطوطة ماري تغار وتفتل

وان مُدَّت الأَيدي إلى الزاد لم أكنْ

بأعجلهم إذا جشع القوم أعجل

وما ذاك إلّا بسطة عن تفضّلٍ

عليهم وكان الافضل المتفضِّل

وقال ابن دريد العرب تعيّر بكثرة الأكل وأنشد:

لست بأكّالٍ كأكلِ العبدِ ... ولا بنوّام كنومِ الفهد

أيضاً:

إذا لم أزر الا لآكــل أكـلة فلا رفعت كفّي إلى طعامي
فـما أكـلة نلتها بـغنيمة ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقال حاتم :

وانــي لأستحيي صـحابي ان يَـروا مكـانَ يَـدي مـن جـانبِ الزاد أقـوعا
أقــــصّر كَـــفّي ان تــنال أكــفّهم إذا نــحن أهــوينا وحــاجاتنا مــعا
أبيت خميص البطن مضطمر الحشا حـــياءً أخــــاف الذمَّ ان اتــضلّعا
فـــإنك ان أعــطيت بــطنك ســؤلهُ وفَــرجكَ نــالا مُـنتهى الذمِّ أجـمعا

وقال عمرو بن العاص لأصـحابه يـوم حكـم الحكـمان اكـثروا لأبـي موسى من الطعام الطيّب فوالله ما بطن قوم قط إلّا فقدوا عقولهم أو بعضها - ودعا عبد الملك رجلاً إلى الغذاء فقال: ما في فضل؟ فقال: اني لا أحب الرجل حتى لا يكون فيه فضل، فقال: عندي مستزاد ولكني أكره أن أصير إلى الحال التي استقبحتها.

«وصف لسابور ذي الاكتاف رجل من اصـطخر للـقضاء، فـاستقدمه فدعاه إلى الطعام، فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصفها وجعل نصفها بين يدي ذلك الرجل فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الآخر فصرفه إلى بلده وقال: ان سلفنا كانوا يقولون من شره إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشره.

وقيل لسميرة بن حبيب: ان ابنك أكل طعاماً فاتخم وكاد يموت، فقال: لو مات منه ما صلّيت عليه - وقيل ليوسف عليه السلام مالكَ لا تشبع وفي يديك خزائن مصر؟ قال: اني إذا شبعت نسيت الجائعين.

وقال أبو هريرة : ما شبع النبي صلى الله عليه وآله وأهله ثلاثة أيام متوالية من خبز حنطة حتى فارق الدنيا - وروى عون بن أبي جحيفة عن أبيه، قال: أكلت يوماً

ثريداً ولحماً سميناً ثم أتيت النبي ﷺ وأنا اتجشأ فقال: احبس جشأك يا أبا جحيفة ان أكثركم شبعاً في الدنيا أكثركم جوعاً في الآخرة فما أكل أبو جحيفة بعدها ملاء بطنه إلى ان قبضه الله.

«وكانَ أكثر دهرِهِ صامتاً» عن الرضا عليه السلام كان العابد من بني اسرائيل لا يتعبّد حتى يصمت عشر سنين.

وعن المسيح عليه السلام: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإنَّ الذين يُكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون.

«فان قال بذّ» أي: غلب.

«القائلين» قال افلاح بن حزن المنقري في مثجور بن غيلان بن خرشة كما في البيان:

إذا قال بذَّ القائلين مقالةً ويأخذ من أكفائه بالمخنق

وقال محمد بن كناسة في خاله إبراهيم بن أدهم:

رأيتُك ما يغنيك ما دونه الغنى وقد كان يغنى دون ذاك آبن أدهما
وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمَها وكان لحق اللهِ فيها مُعظِّما
وأكثر ما تلقاهُ في القوم صَامتاً فان قال بذَّ القائلينَ وأحكما

«ونقع» من (نقع الماء العطش) سكّنه.

«غليل» أي: حرارة العطش.

«السائلين» قال بعضهم:

لقد وارى المقابرَ من شريكٍ كثير تحلمٍ وقيل عاب
صموتاً في المجالس غير عيٍ جديراً حين ينطق بالصواب

وفي (الكافي) عن عبدالله بن مصعب الزبيري قال جلسنا إلى موسى بن جعفر عليه السلام في مسجد النبي ﷺ فتذاكرنا أمر النساء فأكثرنا الخوض وهو

ساكت لا يدخل في حديثنا حرف فلمّا سكتنا قال:

اما الحرائر فلا تذكروهنَّ ولكن خير الجواري ما كان لك فيها هوىً وكان لها عقل وأدب فلست تحتاج إلى ان تأمر وتنهى، ودون ذلك ما كان لك فيها هوىً ولها عقل، وليس لها أدب فأنت تحتاج إلى الأمر والنهي ودونها ماكان لك فيها هوىً وليس لها عقل ولا أدب فتصبر عليها لمكان هواك فيها، وجارية ليس لك فيها هوىً وليس لها عقل ولا أدب فتعجل في ما بينك وبينها البحر الأخضر ـ قال الزبيري:

فأخذت بلحيتي فأردت أن اضرط فيها لكثرة خوضنا في ما لم نقم فيه على شيء ولجمعه الكلام فقال لي: مه ان فعلت لم أُجالسك.

«وكان ضعيفاً» في بدنه.

«مستضعفاً» يعدّه الناس ضعيفاً.

«فان جاء الجهد فهو ليث» كالأسد.

«غاب» ليث غاب، وان كان صحيحاً فالغاب الاجام إلّا ان الصواب: (عاد) من عداء كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم).

«وصِلّ» بالكسر الحية لا ينفع معها الرقية.

«واد» ويقال أيضاً (صل اصلال) قال:

ماذا زرئنا به من حيةٍ ذكرٍ نضناضة بالرزايا صلّ أَصلال

وقال الحافظ الشيرازي: في معنى (ليث عاد وصل واد) بالفارسية:

رنگ تزوير پيش ما نبود شير سر خيم وافعى سيهيم

وقد عرفت مصداقه في أبي ذر وعمّار ونظرائهما وأخذ معنى جميع الكلام من قوله: (وكان ضعيفاً في (بدنه) ـ الخ ـ محمد بن كناسة في خاله في قوله:

يرى مُستكيناً خاضعاً متواضِعاً وليثاً إذا لاقى الكتيبة ضيغما
وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده فما يستطيع الجهلُ ان يترزمزما

«لا يدلي» أي: لا يحتج.

«بحجة حتى يأتي قاضيا» لكون ادلائه بها قبل اتيانه لغواً.

«وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره».

قال الشاعر:

فتىً مثل صفو الماء ليس بباطلٍ عليك ولا مهد ملاما لباخل
ولا قائل عوراء تؤذي رفيقه ولا رافع راساً بعوراء قائل
ولا مسلم مولى لأمر يصيبه ولا خالط حقّاً مصيباً بباطل
ولا رافع احدوثة السوء معجباً بها بين أيدي المجلس المتقابل

«وكان لا يشكو وجعاً إلّا عند برئه» وبعد البرء يكون حكاية لا شكاية ففي الحقيقة لم يكن منه شكوى أصلاً.

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى: ما من عبد ابتليته ببلاء فلم يشك إلى عواده. إلّا أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه فان قبضته قبضته إلى رحمتي وان عاش عاش وليس له ذنب.

وعن أبي عبدالله عليه السلام من مرض ليلةً فقبلها بقبولها كتب الله له عبادة ستين سنة قلت ما معنى قبولها قال لا يشكو ما أصابه فيها إلى أحد.

وعنه عليه السلام ـ وقد سئل عن حد الشكوى للمريض فقال: ان الرجل يقول حممت اليوم وسهرت البارحة وقد صدق وليس هذا شكوى. وانما الشكوى ان يقول لقد ابتليت بما لم يبتل به أحد، ويقول لقد أصابني ما لم يصب أحداً.

«**وكان يقول ما يفعل**» فوعد المؤمن نذر.

«**ولا يقول ما لا يفعل**» ﴿كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾[1].

«**وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت**» لأن المقتضى للسكوت أكثر منه للكلام، حسب أكثرية الاعدام من الوجودات.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال لقمان لابنه ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب.

«**وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلّم**» والمراد إذا حضر مجلس عالم أو أعلم منه والسماع للإستفادة، والتكلّم للإفادة والاستفادة مقدّمة بالطبع على الإفادة.

«**وكان إذا بدهه**» أي: فاجأه.

«**أمران ينظر**» هكذا في (المصرية) والصواب: (نظر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«**أيّهما أقرب إلى الهوى فخالفه**» هو ميزان صحيح لفهم الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنّة هي المأوى﴾[2] وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه ...﴾[3] في (الأغاني) عن مصعب الزبيري قلت لمحمد بن كناسة الأسدي بباب الخليفة أنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم ـ وأنشد الأبيات الثلاثة المتقدمة ـ فقال نعم أنا قلتها وتركت أجودها وهو:

أهان الهوى حتى تجنّبه الهوى   كما اجتنب الجاني الدم الطالب دما

---

(١) الصف: ٣.

(٢) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٣) الجاثية: ٢٣.

«فعليكم بهذه الخلائق» أي: الأخلاق العالية.

«فالزموها».

قال الشاعر:

إنّي رأيتك للمكارم عـاشقاً والمكرماتُ قليلةُ العشّـاق

«وتنافسوا» أي: ارغبوا.

«فيها» قال تعالى: ﴿... وفي ذلك فليتنافس المـتنافسون﴾[1] وان هـذه الصفات مؤدية إلى تلك الدرجات وفي الحض على المكارم قال الشاعر:

هذي المكارم لا قعبان من لبـن شيبت بماءٍ ثمَّ عادت بعدُ أبوالا

«فان لم تستطيعوها فاعلموا ان أخذ القليل خير من ترك الكثير» فما لا يدرك كلّه لا يترك كله، ـ والميسور لا يسقط المعسور.

وعن الصادق عليه السلام الايمان عشر درجات بمنزلة السلّم له عشر مراقي وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الواحـدة لصـاحب الثـانية لست على شيء حتى انتهي إلى العاشرة ـ وكان سلمان في العاشرة وأبو ذر في التاسعة والمقداد في الثامنة.

هذا وعكس قوله عليه السلام في أخ له قول بعضهم في ابن حمّاد الكاتب «هو والله عيث في دينه قذر في دنياه، رث في مروته، سمج في هيئته، منقطع إلى نفسه، راضٍ عن عقله، بخيلٌ بما وسع الله عليه من رزقه، كتوم لمّا آتاه الله من فضله، لجوج لا ينصف إلّا صاغراً، ولا يعدل إلّا راغماً، ولا يـرفع نـفسه عـن منزله إلّا ذلّ بعد تعززه فيها».

(١) المطففين: ٢٦.

١٦
الخطبة (٢١٥)

ومن كلام له عليه السلام:

قَدْ أَحْيى عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ؛ وَبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ ٱلْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ؛ وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ إلى بَابِ السَّلَامَةِ؛ وَدَارِ ٱلْاقَامَةِ؛ وَثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ؛ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ؛ بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضى رَبَّهُ.

«قد احيى عقله» باماتة نفسه، قيل للصادق عليه السلام ـ كما في (الكافي) ـ ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قالوا فالذي كان في معاوية؟ قال: تلك النكراء تلك الشيطنة شبيهة بالعقل وليست بالعقل.

وقيل له عليه السلام ـ كما فيه أيضاً ـ فلان من عبادته ودينه وفضله كذا وكذا، فقال: كيف عقله، ان الثواب على قدر العقل، ان رجلاً من بني اسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر ظاهرة الماء، وان ملكاً من الملائكة مر به فقال يا رب ارني ثواب عبدك هذا، فأراه فاستقله فأوحى إليه ان أصحبه فاتاه الملك في صورة انسي، فقال له من أنت؟ قال:

أنا رجل عابد بلغني مكانُك وعبادتُك في هذا المكان، فاتيتك لأعبد الله معك. فكان معه يومه ذلك فلمّا أصبح قال له الملك: ان مكانك لنزه، وما يصلح إلّا للعبادة فقال العابد:

ان لمكاننا هذا عيباً قال ما هو؟ قال: ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فان هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك: وما لربك حمار فقال لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا، فأوحى الله تعالى إلى الملك انما اثيبه على قدر عقله.

وعنه عليه السلام ـ ان النبي صلى الله عليه وآله ما كلّم العباد بكنه عقله قط، وقال انّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس بقدر عقولهم.

وعنه عليه السلام ـ (في خبر جنود العقل والجهل) (٧٥) فكان ممّا اعطى العقل الخير وهو وزيره وجعل ضده الشر وزير الجهل، ومنها الايمان وضده الكفر والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضدّه الجور، والرضا وضدّه السخط، والشكر وضده الكفران، والطمع وضده اليأس، والتوكل وضده الحرص، والرأفة وضدها القسوة، والرحمة وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهم وضده الحمق، والعفة وضدها التهتك، والزهد وضده الرغبة.

والرفق وضده الخرق، والرهبة وضدها الجرأة، والتواضُع وضده الكبر، والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضده السفه، والصمت وضدّه الهدر، والاستسلام وضدّه الاستكبار، والتسليم وضده الشك، والصبر وضده الجزع، والصفح وضده الانتقام.

والغنى وضده الفقر، والتذكّر وضده السهو، والحفظ وضده النسيان، والتعطف وضده القطيعة، والقنوع وضده الحرص، والمواساة وضدها المنع، والمودة وضدها العداوة، والوفاء وضده الغدر، والطاعة وضدها المعصية.

والخضوع وضدّه التطاول، والسلامة وضدها البلاء، والحب وضده البغض، والصدق وضده الكذب، والحقّ وضده الباطل، والأمانة وضدها الخيانة، والاخلاص وضده الشوب، والشهامة وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفة وضدها الانكار.

والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدها المماكرة، والكتمان وضده الافشاء، والصلاة وضدها الاضاعة، والصوم وضده

الإفطار، والجهاد وضده النكول، والحجّ وضده نبذ الميثاق، وصون الحديث وضده النميمة.

وبرّ الوالدين وضدّه العقوق، والحقيقة وضدها الرياء، والمعروف وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقيّة وضدها الاذاعة، والانصاف وضده الحميّة، والتهيئة وضدها البغي.

والنظافة وضدها القذر، والحياء وضدها الخلع، والقصد وضده العدوان، والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها الصعوبة، والبركة وضدها المحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكابرة، والحكمة وضدها الهوى، والوقار وضده الخفّة، والسعادة وضدها الشقاوة.

والتوبة وضدها الاصرار، والاستغفار وضده الاغترار، والمحافظة وضدها التهاون، والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاط وضده الكسل، والفرح وضده الحزن والألفة وضدها الفرقة، والسخاء وضده البخل.

قال عليه السلام لسماعة بن مهران لا تجتمع هذا الخصال من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان، واما ساير موالينا فانّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود، حتى يستكمل، وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا.

«وأمات نفسه» بتغليب جنود العقل على جنود الجهل، وهو الجهاد الأكبر، فقال النبي صلّى الله عليه وآله لقوم رجعوا من حرب الكفّار بلباس الحرب: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر.

كيف لا وقد قال سليمان عليه السلام «الغالب لهواه أشدّ من الذي يفتح البلاد وحده، ـ وقال يوسف الصدّيق ﴿وما ابرئُ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء إلّا

ما رحم ربّي ان ربّي غفورٌ رحيمٌ﴾[١].

«حتى دقّ جليله» من كلفة اتيان العبادات بواسطة احياء عقله.

«ولطف غليظه» من شدّة ترك الشهوات بواسطة اماتة نفسه ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنّة هي المأوى﴾[٢].

«وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق» أي: أوضحه أو اتضح كما في قوله:

لو دبَّ ذر فوق ضاحي جلدها   لأبــان مــن آثـارهن حـدور

وعليه فالطريق مرفوع وعلى الأول منصوب، قال الجوهري: ابان واستبان وتبين تتعدى ولا تتعدى.

«وسلك به السبيل» استشهد له بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به...﴾[٣].

«وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة» استشهد له بقوله تعالى: ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقوم يذكرون * لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾[٤] ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[٥].

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا

---

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٣) الحديد: ٢٨.

(٤) الانعام: ١٢٦ ـ ١٢٨.

(٥) يونس: ٢٥.

تحزنوا وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[١].

«ودار الاقامة» استشهد له بقوله تعالى: ﴿جنات عدنٍ يدخلونها يُحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن ان ربنا لغفور شكور * الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾[٢].

ثم قوله عليه السلام (وبرق له لامع كثيراً لبرق -إلى ودار الاقامة) استعارة ومثل ومحصله ان العارفين بالله مثلهم كمثل من أراد مقصداً في ليل مظلم فبرق له سحاب لامع يتصل برقه فانكشف له الطريق فسلك مبصراً حتى وصل إلى مقصده سالماً.

أخذ عليه السلام مثله من عكس ما ضربه الله تعالى للمنافقين في قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا اَضاءَت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون * أو كصيّب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾[٣].

﴿يكاد البرق يخطَفُ أبصارهم كلّما أضاء لهم مشَوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كلّ شيءٍ قديرٌ﴾[٤].

هذا والمشبه به في كلامه عليه السلام معقول، وقد وقع محسوساً في (مناقب السبطين) كما روي ففي (عيون) ابن بابويه، ان الحسن والحسين عليهما السلام كانا

---

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) فاطر: ٣٣ ـ ٣٥.

(٣) البقرة: ١٧ ـ ١٩.

(٤) البقرة: ٢٠.

يلعبان عند النبي ﷺ حتى مضى عامة الليل، ثم قال لهما انصرفا إلى امكما فبرقت برقة فما زالت تضيئ لهما حتى دخلا على فاطمة عليها السلام والنبي ﷺ ينظر إلى البرقة، فقال الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت.

وروى (أماليه) عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ان النبي ﷺ مرض فعادته فاطمة ومعها الحسنان عليهما السلام فما أفاق من نومه، فقالت لهما انصرفا حتى يفيق جدكما فقالا لسنا ببارحين فاضطجعا على عضدي النبي ﷺ فغفيا وانتبها قبل النبي ﷺ وقد كانت فاطمة عليها السلام لمّا ناما انصرفت ـ.

فقالا لعايشة ما فعلت أُمّنا؟ قالت لمّا نمتما رجعت. فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها فسطع لهما نور فلم يزالا يمشيان في ذلك النور ويتحدثان حتى أتيا حديقة بني النجار ـ الخبر بطوله ـ

هذا وقال ابن أبي الحديد بعد قوله عليه السلام (وبرق له لامع) ـ الخ ـ قال ابن سينا في (اشاراته) في ذكر السالك إلى مرتبة العرفان ثم انّه إذا بلغت به الرياضة والإرادة حدّاً ما عنت له (خلسات) من اطلاع نور الحق عليه لذيذة كأنّها بروق تومض إليه، ثم تخمد عنه.

وهي التي تسمّى عندهم أوقاتاً، وكلّ وقت يكتنفه وجد إليه ووجد عليه ثم انّه ليكثر عليه هذه الغواشي، إذا أمعن في الارتياض ثم انّه ليتوغل حتى يغشاه غير الارتياض، فكلما لمح شيئاً عاج منه إلى جانب القدس فتذكر من أمره أمراً فغشيه غاشٍ فيكاد يرى الحق في كلّ شيء ولعلّه إلى هذا الحد تستولي عليه غواشيه ويزول عن سكينته، ويتنبه جليسه لاستنفاره عن قراره.

فاذا طالت عليه الرياضة لم يستنفره غاشية، وهدى للتانس بما هو فيه،

ثم انّه لتبلغ به الرياضة مبلغاً ينقلب له وقته سكينة فيصير المخطوب، مألوفاً والوميض شهاباً بيّناً، ويحصل له معارفه مستقره كأنّها صحّة مستمرة.

ويستمتع فيها ببهجته، فإذا انقلب عنها انقلب حيران اسفاً ـ وقال القشيري لما ذكر الحال والأُمور الواردة على العارفين، هي بروق تلمع ثم تخمد. وأنوار تبدو ثم تخفى ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها.

وهي ثلاث مراتب: اللوائح، ثم اللوامع، ثم الطوالع، فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى استترت كما قال:

فافترقنا حولاً فلمّا التقينا كان تسليمه عليّ وداعا

واللوامع أظهر من اللوائح. وليس زوالها بتلك السرعة، ولكن كما قيل:

والعين باكية لم تشبع النظرا

ثم الطوالع وهي أبقى وقتاً ـ قال ابن أبي الحديد وكلاهما يتبعان ألفاظ أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه حكيم الحكماء، وعارف العارفين، ومعلّم الصوفية ولولا أخلاقه وكلامه وتعليمه للناس هذا الفن تارة بقوله وتارة بفعله، لمّا اهتدى أحد من هذه الطائفة ولا علم كيف يورد ولا كيف يصدر.

وقال ابن ميثم بعده آخذاً معنى كلام (الاشارات) أشار عليه السلام باللامع إلى ما يعرض للسالك عند بلوغ الإرادة بالرياضة به حدّاً ما من الخلسات إلى الجناب الأعلى فيظهر له أنوار إلهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه واختفائه.

وتلك اللوامع مسمّاة عند أهل الطريقة أوقاتاً وكلّ وقت فانّه محفوف بوجد إليه ما قبله، ووجد عليه ما بعده، لأنّه لمّا ذاق تلك اللذة ثم فارقها حصل فيه حنين وأنين إلى ما فات منها ثم ان هذه اللوامع في مبدأ الأمر تعرض له قليلاً فإذا أمعن في الارتياض كثرت فأشار عليه السلام باللامع إلى نفس ذلك النور

وبكثرة برقه إلى كثرة عروضه بعد الامعان في الرياضة ـ وكلّ منهما كما ترى.

ونقل (الخوئي) بعده المناجاة التاسعة من الخمس عشرة، «يامن أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة» ـ والثانية عشر.

«الهي فاجعلنا من الذين توشحت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع المصافاة يردون.

قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم في ضمائرهم وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم، وعذب في معين المعاملة شربهم.

وطاب في مجلس الأنس سرّهم، وامن في موطن المخافة سربهم، واطمأنت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم، وتيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، واستقر بإدراك السؤل ونيل المأمول قرارهم».

«وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة» استشهد له بقوله تعالى: ﴿اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما﴾[1] ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلّ

---

(١) الفرقان: ٧٥ ـ ٧٦.

باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[1].

﴿ان المتقين في جناتٍ وعيونٍ * ادخلوها بسلام آمنين﴾[2].

«بما استعمل قلبه» هكذا في النسخ وفسّر باستعمال قلبه في ذكر ربه وحبسه عن إرادة سوى إرادته ويحتمل كونه محرف (بما استغل قلبه) من قولهم «استغل عبده» أي: كلّفه ان يغل عليه.

«وأرضى ربه» استشهد له بقوله تعالى : ﴿يا ايتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾[3].

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾[4] وبقول الشعراء:

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ولم تدر انـي للـمقام أطوف

ما أبيض وجه المرء في طلب العلى حتى تُسوِّد وجهه البيداء

فاطلب هدوا بالتقلقل واستثر بالعيس من تحت السهاد هجودا

ما ان ترى الاحساب بيضاً وضحا إلّا بحيث ترى المنايا سودا

هذا وفي (تاريخ بغداد)، لمّا مات داود بن نصير الطائي جاء ابن السماك فجلس على قبره، ثم قال: ايها الناس ان أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غداً عليهم وان أهل الرغبة تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب عليهم غدا والزهادة راحة

---

(١) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الحجر: ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

(٤) البينة: ٧ ـ ٨.

لصاحبها في الدنيا والآخرة.

رحمك الله يا أبا سليمان ما كان أعجب شأنك لزمت نفسك الصبر حتى قويتها عليها أجعتها وأنت تريد شبعها، واظمأتها وأنت تريد ريّها، أخشنت المطعم وانما تريد أطيبه وخشنت الملبس وانما تريد لينه.

أما كنت تشتهي في الطعام طيبه، ومن الماء بارده ومن اللباس ليّنه بلى ولكنك أخّرت ذلك ـ الخ ـ

وعن ذي النون المصري ان لله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندماً وحزناً، فجنوا من غير جنون، وتبلدوا من غير عي ولا بكم ـ الخ ـ.

وفي (عرائس) الثعلبي روي ان الله تعالى أوحى إلى إبراهيم انك لمّا سلمت مالك إلى الضيفان، وابنك إلى القربان، ونفسك إلى النيران، وقلبك إلى الرحمن اتخذناك خليلا[1].

١٧

الحكمة (٣٩٠)

وقال عليه السلام:

للمؤمن ثلاثُ ساعاتٍ: فَساعَةٌ يُنَاجي فيها ربَّهَ، وساعةٌ يَرُمُّ معاشَهُ، وَساعَةٌ يُخَلّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِها في مَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ وَلَيْسَ للعاقِلِ أَن يَكونَ شاخِصاً الّا في ثلاثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعاش؛ أوْ خُطْوَةٍ في مَعادٍ او لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

أقول وفي (عرائس) الثعلبي عن أبي ذر قال النبي صلى الله عليه وآله: ممّا في صحف إبراهيم عليه السلام على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات:

(١) عرائس المجالس للثعلبي: ١٠٠ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ساعةٌ يناجي فيها ربهُ، وساعةٌ يتفكّر في صنع الله تعالى، وساعة يحاسبُ فيها نفسه على ما قدّم وأخّر، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال وترك الحرام في المطعم والمشرب وغيرهما»[١].

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلّا في ثلاثٍ تزوُّدٍ لمعاده، ومؤنةٍ لمعاشه، ولذّةٍ في غير محرّم.

«للمؤمن ثلاث ساعات» روى محمد بن بابويه في (خصاله) عن مالك بن أنس فقيه المدينة، قال: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فيقدم لي مخدة ويعرف لي قدراً ـ وكان عليه السلام لا يخلو من احدى ثلاث خصال:

أما صائماً، وأما قائماً، وأما ذاكراً، وكان من عظماء العباد، وأكابر الزّهاد والذين يخشون الله تعالى وكان كثير الحديث طيب المجالسة، كثير الفوائد، فاذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أخضر مرّة، وأصفر أُخرى، حتى ينكره من يعرفه.

ولقد حججت معه سنةً فلمّا استوت به راحلته عن الإحرام كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد يخر من راحلته فقلت قل يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلابد لك من أن تقول فقال عليه السلام:

يا ابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول «لبيك اللّهم لبيك» وأخشى أن يقول عزوجل لا لبيّك ولا سعديك.

«فساعةٌ يناجي فيها ربه» في (العيون) عن محمد بن يحيى الصولي عن جدته قالت اشتُريتُ مع عدّة جوار من الكوفة وكنت من مولداتها فحُملنا إلى المأمون فكنّا في داره في جنّة من الأكل والشرب والطيب وكثرة الدنانير، فوهبني للرضا عليه السلام.

---

(١) المصدر السابق.

فلمّا صرت في داره فقدت جميع ما كنت فيه من النعيم وكانت علينا قيّمة تنبهنا من الليل وتأخذنا بالصلاة ـ وكان ذلك من أشدّ شيء علينا ـ.

فكنت أتمنى الخروج من داره إلى ان وهبني لجدّك عبدالله بن العباس فلمّا صرت إلى منزله كنت كأني قد أُدخلت الجنّة.

وكان الرضا عليه السلام إذا صلّى الغداة ـ وكان يصليها في أول وقت ثم يسجد فلا يرفع رأسه إلى أن ترتفع الشمس ثم يقوم فيجلس للناس أو يركب ولم يكن يقدر أحد أن يرفع صوته في داره كائناً ما كان، انما يتكلّم الناس قليلاً قليلاً.

«وساعةٌ يرمّ» بضم العين وكسره أي: يُصلح .

«معاشه» فالعبادة سبعون جزءً أفضلها طلب الحلال.

«وساعة يخلّى بين نفسه وبين لذّته في ما يحل ويجمل» في (العيون) كان الرضا عليه السلام ضحكه التبسّم وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه ومواليه حتى البوّاب البائس.

«وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلّا في ثلاث مرمة لمعاش» ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾[1].

«أو خطوة في معاد» في (العيون) كان الرضا عليه السلام كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول: ذلك صوم الدهر ـ وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة فمن زعم انّه رأى مثله في فضله فلا يصدّق.

وعن أبي الصلت: جئت إلى باب الدار التي حبس فيها الرضا عليه السلام

---

(١) النور: ٣٧.

بسرخس وقد قيّد فاستأذنت عليه السجّان فقال لا سبيل لك عليه قلت ولِمَ؟! قال لكونه ربما صلّى في يومه وليله ألف ركعة.

وانما ينفلت من صلاته ساعة في صدر النهار وقبل الزوال، وعند اصفرار الشمس فهو في هذه الأوقات قاعد في مصلّاه يناجي ربه.

«أو لذّة في غير محرم» في الاستيعاب زار سلمان أبا الدرداء فرأى أُم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك قالت: ان أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا، فلمّا جاء سلمان وجاء بطعام إلى سلمان قال له سلمان: اطعم قال: اني صائم، قال أقسمت عليك ألا طعمت اني لست بآكل حتى تطعم.

وبات عنده فقام أبو الدرداء في الليل فحبسه سلمان وقال له ان لربك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، فاعط كلّ ذي حقٍ حقّه.

فلمّا كان وجه الصبح قال قم الآن فقاما فصليا ثم خرجا إلى الصلاة فأخبر أبو الدرداء بما قال سلمان النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله مثل سلمان.

وفي (تاريخ بغداد)، كان زيد بن صوحان يقوم الليل ويصوم النهار وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها.

فكان يكرهها ممّا يلقى فيها، فبلغ سلمان ما كان يصنع فأتاه، فقال أين هو؟ قالت امرأته ليس ههنا.

قال فاني اقسم عليك، لمّا صنعت طعاماً ولبست محاسن ثيابك ثم بعثت إليه فجاء فقرب الطعام فقال سلمان: كلّ يا زييد قال: اني صائم.

قال يا زييد لا ينقص دينك، ان شرّ السير الحقحقة، ان لعينك عليك حقاً، وان لبدنك عليك حقّاً، وان لزوجتك عليك حقّاً كل يا زييد فأكل وترك ما كان يصنع.

١٨
الخطبة (٣٨)

ومن خطبةٍ له عليه السلام:

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ؛ وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ؛ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَى فِي قَلْبِهِ؛ وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ؛ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ؛ وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ. نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ. وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ؛ فَشَرِبَ نَهَلاً؛ وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً؛ قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ؛ وَتَخَلَّى مِنَ ٱلْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ؛ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ ٱلْعَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ ٱلْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ ٱلْهُدَى؛ وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ ٱلرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ؛ وَسَلَكَ سَبِيلَهُ؛ وَعَرَفَ مَنَارَهُ؛ وَقَطَعَ غِمَارَهُ واسْتَمْسَكَ مِنَ ٱلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا وَمِنَ ٱلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا فَهُوَ مِنَ ٱلْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ. قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ للهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ ٱلْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ؛ وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ. مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ؛ كَشَّافُ عَشَوَاتٍ؛ مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ؛ دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ؛ دَلِيلُ فَلَوَاتٍ؛ يَقُولُ فَيُفْهِمُ؛ وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ. قَدْ أَخْلَصَ للهِ فَاسْتَخْلَصَهُ؛ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ؛ وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ ٱلْعَدْلَ؛ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ ٱلْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ؛ يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ؛ لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا؛ وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ؛ فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ؛ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ؛ وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

أقول: قال: ابن أبي الحديد هذا الكلام من الكلام الذي له ظاهر وباطن، فظاهره ان يشرح حال العارف المطلق، وباطنه ان يشرح حال عارف معين

وهو نفسه وسيأتي في آخر الخطبة ما يدل على ذلك.

قلت: بل الظاهر انّه عليه السلام أراد نفسه وأهل بيته، وهو عليه السلام وان قال في طي الخطبة «واعذروا من لا حجّة لكم عليه وهوانا، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر.

قد ركّزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي» إلاّ أن قبله.

«فأين يُتاه بكم وكيف تعمهُون، وبينكم عترةُ نبيّكم، وهم أزمّةُ الحقِّ وألسنةُ الصدق، فانزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردُّوهم ورود الهيم العطاش، ايها الناس خذوا عن خاتم النبيين انّه يموت من مات منّا وليس بميت، ويبلى من بلى منّا وليس ببالٍ».

بل ويمكن إضافة خواص أصحابه عليه السلام كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة ونظرائهم.

«عباد الله ان من أحبّ عباد الله عبد أعانه الله على نفسه» حتى يمنعه من هواها قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿... ان النفس لامارةٌ بالسوءِ إلّا ما رحم ربي ان ربي غفورٌ رحيم﴾[1].

«فاستشعر الحزن» أي: جعل الحزن شعاراً له كاللباس المباشر للجسد، وحزنه لماضيه لِما أكثر فيه من العمل الصالح ولمّا يرى من غفلة الناس عن الله تعالى قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا﴾[2].

---

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) الكهف: ٦.

«وتجلببَ الخوفَ» أي: جعل الخوف من الله جلبابا وملحفة له.

«فزهر» أي: أضاء.

«مصباح الهدى في قلبه» في مناجاة المحبين: «يامن أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة».

«وأعدَّ القِرى» القرى طعام الضيف.

«ليومه النازل به» عنه عليه السلام طوبى لكلّ عبد نُوْمة لا يؤبه له، يعرف الناس ولا يعرفه الناس، يقربه الله منه برضوان أولئك مصابيح الهدى، وينابيع العلم، يتجلى عنهم كلّ فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذور، ولا بالجفاة المرائين.

«فقرّب على نفسه البعيد» أي: يوم القيامة ﴿انهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً﴾[1].

«وهوّن الشديد» الصبر في الطاعة وعن المعصية وعلى المصيبة.

وفي مناجاة المريدين: «قرّب علينا البعيد، وسهّل علينا العسير الشديد».

«نظر فأبصر» ليس كالذين قال تعالى فيهم: ﴿... لهم أعين لا يبصرون بها ...﴾[2] ـ الآية ـ.

«وذكر» وزود الموت.

«فاستكثر» من الأعمال الصالحة.

«وارتوى» من (روى من الماء).

«من عذب» في (الجمهرة) «العذب ضد الملح، والعذب كلّ مستسيغٍ من طعامٍ أو شرب» قال ذو الأصبغ العدواني:

---

(١) المعارج: ٦ ـ ٧.

(٢) الاعراف: ١٧٩.

لو كـنت مـاءً كـنت لا عذب المذاق ولا مسوسا

والمسوس كالشروب ما كان بين الملح والعذب.

«فرات» في غريب السجستاني (فرات أعذب العذوبة).

«سهلت له موارده» أي: طرق ورود ذلك الماء العذب الفرات.

«فشرب نهلاً» أي: شرباً سكّن عطشه، قال الشاعر:

نهلنا من دماء بني لؤيّ وانهلنا القنا حتى روينا

«وسلك سبيلاً جدداً» بالفتح الأرض الصلبة، وفي المثل (من سلك الجدد أمن العثار).

وفي مناجاة المريدين: «سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله، فاسلك بنا سبل الوصول إليك، وسيّرنا في أقرب الطرق للوفود عليك.

«قد خلع سرابيل» أي: قمص.

«الشهوات» المحرمة والمكروهة، ولم يكن كمن قال تعالى فيه: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا﴾[1] ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾[2] ﴿زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[3].

«وتخلى من الهموم إلّا همّاً واحداً انفرد به» أي: بذاك الهمّ.

---

(١) مريم: ٥٩.

(٢) النساء: ٢٧.

(٣) آل عمران: ١٤.

وفي مناجاة المريدين: «فأنت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مني نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواء علتي، وشفاء غلتي، وبرد لوعتي وكشف كربتي».

وفي الكشي بكى أبو ذر من خشية الله، حتى اشتكى عينيه، فخافوا عليهما، فقيل له: يا أبا ذر لو دعوت الله لهما فقال اني عنهما لمشغول، قيل له وما شغلك عنهما؟ قال: العظيمتان الجنّة والنار.

«فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى» باتصافه بما مرَّ.

«وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى» وفي (سفيانية) الجاحظ: أن أبا ذر لمّا كان بالشام يأتي كلّ يوم على باب قصر معاوية وينادي: أتاكم القطار يحمل النار، اللّهم العن الآمرين بالمعروف، التاركين له، اللّهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له[1].

«قد أبصر طريقه وسلك سبيله» ﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ...﴾[2].

«وعرف مناره» ﴿... واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[3] ـ وفي (الصحاح) المنار علم الطريق، وذو المنار اسم ملك من اليمن ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع.

«وقطع غماره» قال الجوهري: (غمار جمع الغمرة الزحمة من الناس

---

(١) ذكره ابن أبي الحديد عن «السفيانية» عن جلام بن جندل الغفاري ٨: ٢٥٧ باب (١٣٠).

(٢) الانعام: ١٥٣.

(٣) الاعراف: ١٥٧.

والماء) قال تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾[١].

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[٢].

«استمسك من العرى بأوثقها» ﴿... فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ...﴾[٣].

«ومن الحبال بأمتنها» قال النبي صلى الله عليه وآله «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي حبلان ممدودان من السماء، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

«فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس» كان عليه السلام يقول لو كشف الغطاء ما أزددت يقيناً ـ وقالوا لا يجوز لك الشهادة إذا لم يكن ما تشهد به عندك مثل ضوء الشمس.

«قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأُمور» قال النبي صلى الله عليه وآله: ان العلماء ورثة الأنبياء، وان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظٍ وافرٍ.

«من اصدار كلّ وارد عليه» يقال ورد الماء وصدر عن الماء (وفلان يورد ويصدر) إذا كان يتم ما أخذ فيه (ويورد ولا يصدر) إذا كان لا يتمه.

«وتصيير كلّ فرع إلى أصله» روى الثلاثة انّه عليه السلام أتى بأخرس فادّعى عليه دين، ولم يكن للمدعي بيّنة فقال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى بينت للأُمة جميع ما تحتاج إليه ثم قال:

---

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) الفرقان: ٦٣.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

إئتوني بمصحف، فأُتي به فقال للأخرس ما هذا؟ فرفع رأسه إلى السماء ـ وأشار إلى انّه كتاب الله تعالى ـ فكتب عليه السلام والله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، الطالب الغالب، الضار النافع، المهلك المدرك، الذي يعلم السر والعلانية، ان فلان بن فلان المدّعي ليس له قبل فلان بن فلان حق ولا طلبة بوجه ولا بسبب ثم غسله وأمر الأخرس ان يشربه فامتنع فالزمه الدين.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله ـ وفي خبر آخر ـ كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه ـ.

«**مصباح الظلمات**» أي: سراجها قالت الخنساء:

خطاب معضلةٍ فراجُ مظلمةٍ ان جاء مفظعة هيأ لها بابا

«**كشاف عشاوات**» هكذا في (المصرية) والصواب: (عشوات) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئى) وقال الجوهري: العشوة ان تركب أمراً على غير بيان.

«**مفتاح مبهمات**» أي: مغلقات وكان عليه السلام يقول كراراً على المنبر «سلوني قبل أن تفقدوني أنا أعلم بطرق السماء من الأرض، ولو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وأهل الانجيل بانجيلهم وأهل الفرقان بفرقانهم».

«**دفّاع معضلاتٍ**» في النهاية قال عمر: «أعوذ بالله من كلّ معضلة ليس لها أبو الحسن» وجاءت معاوية مسألة مشكلة فقال: «معضلة ولا أبا الحسن».

«**دليل فلوات**» البراري والقفار.

«**يقول فَيُفهِم**» لأنّه لا يقول إلّا شيئاً تقبله العقول وتهش إليه النفوس.

«ويسكت» في موضع يكون القول ضاراً.

«فيسلم» من مفاسد الكلام.

«قد أخلص لله فاستخلصه» كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾[1].

«فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه» في الباطن كما ان الجبال أوتادها في الظاهر قال الصادق عليه السلام لو بقيت الأرض بغير امام لساخت.

«قد ألزم نفسه العدل» ﴿... اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[2].

«فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه» ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنّة هي المأوى﴾[3].

«يصف الحق ويعمل به» بخلاف كثير من الناس يقتصرون على الوصف بدون العمل.

«لا يدع للخير غاية إلّا أمَّها» أي: أرادها، كما قال احد الشعراء:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ   تلقّاها عرابة باليمين

«ولا مظنة» قال الجوهري مظنة الشيء موضعه الذي يظن كونه فيه قال النابغة (فان مظنة الجهل الشباب).

«إلّا قصدها» قال تعالى: ﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربِّهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انّهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[4].

---

(١) طه: ٤١.

(٢) المائدة: ٨.

(٣) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٤) المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

﴿... انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[١].

«قد أمكن الكتابَ من زمامِهِ فهو قائده وإمامه» ذاك العبد.

«يَحلُّ حيث حل ثقله» أي: ثقل الكتاب.

«وينزل حيث كان منزله» قال النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته وكتاب ربه انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام إذا حدثتكم بشيء فاسألوني أين هو من كتاب الله، ـ ثم قال عليه السلام: نهى النبي صلى الله عليه وآله عن القيل والقال، وفساد المال وكثرة السؤال.

فسألوه اين هي منه فقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ...﴾ ـ ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم فيها قياما ...﴾[٢] ـ ﴿ولا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ...﴾[٣].

وفيه خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيّها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله، وقال الصادق عليه السلام كلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.

ولمّا أراد عبد الرحمن بن عوف من أمير المؤمنين عليه السلام أن يبايعه ويجعل الأمر له ـ لجعل عمر له حكماً ـ بشرط عمله بسنّة الشيخين قال: لا أعلم ولا أعمل إلّا بكتاب الله وسنّة رسوله ـ وكذلك لمّا أراد الخثعمي منه عليه السلام

---

(١) الانبياء: ٩٠.

(٢) النساء: ٥.

(٣) المائدة: ١٠١.

ذلك بعد خروج الخوارج، قال ابن قتيبة في (خلفائه)، أبى الخثعمي إلّا سنّة أبي بكر وعمر وأبى عليّ عليه السلام إلّا كتاب الله وسنّة نبيّه فقال له علي عليه السلام:

أما والله لكأني بك قد نفرت في هذه الفتنة، وكأني بحوافر خيلي قد شدخت وجهك - قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلاً وقد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه فذكرت قول علي عليه السلام وقلت لله در أبي الحسن ما حرّك شفتيه قطّ بشيء إلّا كان كذلك.

١٩
الخطبة (١٥١)

منها:

سبيلٌ أَبْلَجُ الْمِنهاجِ، أَنْوَرُ السِّراجِ. فَبِالإيمانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصّالِحاتِ، وبالصَّالِحاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الايمانِ وَبالايمانِ يُعْمَرُ العِلْمُ وَبِالعِلمِ يُرْهَبُ المَوْتُ؛ وَبِالموتِ تُخْتَمُ الدُنيا وَبِالدُنيا تُحرَز الآخِـرَةُ وَإِنَّ الخَـلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ القِيامةِ؛ مُرْقِلينَ في مِضْمَارِها اِلَى الغايةِ القَصْوى.

قول المصنف (منه) هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) (منها) قوله عليه السلام.

«سبيل» خبر ومبتدؤه ضمير راجع إلى المذكور قبله الذي حذفه المصنف ولعلّه الدين ويحتمل أن يكون المراد الايمان لقوله بعد (فبالايمان).

«أبلج» أي: مشرق مضيء.

«المنهاج» أي: الطريق الواضح.

﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ...﴾[1].

---

(١) الانعام: ١٥٣.

«أنور السراج» ﴿... وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...﴾[١].

«فبالايمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان» جعل ابن أبي الحديد الايمان الأول بالمعنى اللغوي وهو التصديق والثاني بالمعنى الشرعي العقد بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان لئلا يلزم الدور.

إلّا ان ما توهمه وهم فالاستدلال بالايمان على الصالحات قياس لمي وبالعكس اني نظير ان يقال يستدل بالنار على الدخان وبالدخان على النار ولا دور، والمراد ان كلاً منهما يدلّ على الآخر وللاستلزام بين الايمان وعمل الصالحات كرره الله تعالى في كتابه، فورد الجمع بينهما في الآيات: (البقرة) (٢٥) (٨٢) (٢٧٧) (آل عمران) (٥٧) (النساء) (٥٧) (١٢٢) (١٧٣) (المائدة) (٩) (٩٣) (٩٣) أيضاً (الأعراف) (٤٢) (يونس) (٤) (٩) (هود) (٢٣) (الرعد) (٢٩) (إبراهيم) (٢٣).

(الكهف) (٣٠) (١٠٧ ـ ١٠٨) (الحج) (١٤) (٢٣) (٥٠) (٥٦) (العنكبوت) (٧) (٩) (٥٨) (الروم) (١٥) (٤٥) (لقمان) (٨ ـ ٩) (السجدة) (١٩) (سبأ) (٤) (فاطر) (٧) (ص) (٢٤) (٢٨) (المؤمن) (٥٨).

(الشورى) (٢٢) (٢٣) ٢٦) (الجاثية) (٢١) (٣٠) (محمّد) (٢) (١) (الفتح) (٢٩) (الطلاق) (١١) (الانشقاق) (٢٥) (البروج) (١١) (التين) (٥ ـ ٦) (البينة) (٧ ـ ٨) (العصر) (٣) وها ننقلها.

١ ـ ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ...﴾[٢].

---

(١) الانعام: ١٢٢.

(٢) البقرة: ٢٥.

٢ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾[١].

٣ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٢].

٤ ـ ﴿واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحبّ الظالمين﴾[٣].

٥ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهّرة وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾[٤].

٦ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقّاً ومن أصدق من الله قيلاً﴾[٥].

٧ ـ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أُجورهم ويزيدهم من فضله ...﴾[٦].

٨ ـ ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾[٧].

٩ ـ ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في ما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا

---

(١) البقرة: ٨٢.

(٢) البقرة: ٢٧٧.

(٣) آل عمران: ٥٧.

(٤) النساء: ٥٧.

(٥) النساء: ١٢٢.

(٦) النساء: ١٧٣.

(٧) المائدة: ٩.

والله يحبّ المحسنين﴾[١].

١٠ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلّف نفساً إلّا وسعها أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾[٢].

١١ ـ ﴿... ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ...﴾[٣].

١٢ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتِهمُ الأنهار في جنات النعيم﴾[٤].

١٣ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون﴾[٥].

١٤ ـ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾[٦].

١٥ ـ ﴿وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾[٧].

١٦ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾[٨].

١٧ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً * خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾[٩].

---

(١) المائدة: ٩٣.

(٢) الاعراف: ٤٢.

(٣) يونس: ٤.

(٤) يونس: ٩.

(٥) هود: ٢٣.

(٦) رعد: ٢٩.

(٧) ابراهيم: ٢٣.

(٨) الكهف: ٣٠.

(٩) الكهف: ١٠٧ ـ ١٠٨.

١٨ ـ ﴿ان الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد﴾[١].

١٩ ـ ﴿ان الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾[٢].

٢٠ ـ ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾[٣].

٢١ ـ ﴿... فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾[٤].

٢٢ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفّرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾[٥].

٢٣ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾[٦].

٢٤ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنّة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾[٧].

٢٥ ـ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾[٨].

٢٦ ـ ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ...﴾[٩].

---

(١) الحج: ١٤.

(٢) الحج: ٢٣.

(٣) الحج: ٥٠.

(٤) الحج: ٥٦.

(٥) العنكبوت: ٧.

(٦) العنكبوت: ٩.

(٧) العنكبوت: ٥٨.

(٨) الروم: ١٥.

(٩) الروم: ٤٥.

٢٧ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم * خالدين فيها وعد الله حقّاً وهو العزيز الحكيم﴾[١].

٢٨ ـ ﴿اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون﴾[٢].

٢٩ ـ ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزقٌ كريم﴾[٣].

٣٠ ـ ﴿... والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾[٤].

٣١ ـ ﴿... وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ...﴾[٥].

٣٢ ـ ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾[٦].

٣٣ ـ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون﴾[٧].

٣٤ ـ ﴿ترى الظالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤُون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾[٨].

---

(١) لقمان: ٨ ـ ٩.

(٢) التنزيل (السجدة): ١٩.

(٣) سبأ: ٤.

(٤) فاطر: ٧.

(٥) ص: ٢٤.

(٦) ص: ٢٨.

(٧) المؤمن: ٥٨.

(٨) الشورى: ٢٢.

٣٥ ـ ﴿ذلك الذي يبشّر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...﴾[١].

٣٦ ـ ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله...﴾[٢].

٣٧ ـ ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾[٣].

٣٨ ـ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾[٤].

٣٩ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمّد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾[٥].

٤٠ ـ ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ...﴾[٦] ـ.

٤١ ـ ﴿... وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما﴾[٧].

٤٢ ـ ﴿... ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾[٨].

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الشورى: ٢٦.

(٣) الجاثية: ٢١.

(٤) الجاثية: ٣٠.

(٥) محمد: ٣.

(٦) محمد: ٣.

(٧) الفتح: ٢٩.

(٨) الطلاق: ١١.

٤٣ ـ ﴿إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾[١].

٤٤ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾[٢].

٤٥ ـ ﴿ثم رددناه أسفل سافلين * إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾[٣].

٤٦ ـ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جَنّاتُ عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه﴾[٤].

٤٧ ـ ﴿والعصر * إنَّ الانسانَ لفي خسرٍ * إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصبر﴾[٥].

هذا ما ورد بلفظ «آمنوا وعملوا الصالحات» وورد بلفظ آخر.

١ ـ عن ذي القرنين: ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً﴾[٦].

٢ ـ ﴿واني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[٧].

٣ ـ ﴿ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل

(١) الانشقاق: ٢٥.

(٢) البروج: ١١.

(٣) التين: ٥ ـ ٦.

(٤) البينة: ٧ ـ ٨.

(٥) العصر: ١ ـ ٣.

(٦) الكهف: ٨٨.

(٧) طه: ٨٢.

الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما﴾[١].

٤ ـ ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين﴾[٢].

٥ ـ ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقّاها إلّا الصابرون﴾[٣].

٦ ـ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلّا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾[٤].

٧ ـ ﴿... ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيئاته ويدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[٥].

٨ ـ ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّرُ المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً كبيراً﴾[٦].

٩ ـ ﴿... ويبشّرَ المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً * ماكثين فيه أبداً﴾[٧].

١٠ ـ ﴿إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون شيئاً﴾[٨].

---

(١) الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠.

(٢) القصص: ٦٧.

(٣) القصص: ٨٠.

(٤) سبأ: ٣٧.

(٥) التغابن: ٩.

(٦) الاسراء: ٩.

(٧) الكهف: ٢ ـ ٣.

(٨) مريم: ٦٠.

١١ ـ ﴿... ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾[١].

١٢ ـ ﴿مَنْ عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٍ فلنحيينَّهُ حياةً طيبةً...﴾[٢].

١٣ ـ ﴿... فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾[٣] والمجموع ستون.

«وبالايمان يُعمَر العلم» في (الكافي) قال عيسى عليه السلام للحواريين: بالتواضع تعمَر الحكمة لا بالتكبّر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل.

وفيه جاء رجل إلى السجّاد عليه السلام فسأله عن مسائل فأجابه، ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال عليه السلام مكتوب في الانجيل، لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، ولمّا تعملوا بما علمتم، فان العلم إذا لم يعمل به صاحبه لم يزدد صاحبه إلّا كفراً ولم يزدد من الله إلّا بعداً.

وعن الصادق عليه السلام قيل له عليه السلام بِمَ يُعرف الناجي من الهالك؟ فقال عليه السلام: من كان فعله لقوله موافقاً.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ان العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل الحجّة عليه أعظم.

«وبالعلم يرهب الموت» ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انّهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[٤].

«وبالموت تختم الدنيا» يمكن أن يراد بموت كلّ انسان يختم دنياه، وان

---

(١) الطلاق: ١١.

(٢) النحل: ٩٧.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

يراد بموت كلّ الناس تختم دنياهم، ﴿يومَ هُم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لِمن المُلك اليوم لله الواحد القهّار﴾[١].

«وبالدنيا تحرز الآخرة» فان الدنيا مزرعة الآخرة، ومتجرة الآخرة، وزاد ابن أبي الحديد وابن ميثم و (حو) «وبالقيامة تزلف الجنّة للمتّقين ﴿وتبرَّز الجحيمُ للغاوين﴾ فلابد من حصول سقط في (المصرية).

«وان الخَلق لا مَقْصر» بكسر الصاد.

«لَهم عن القيامة» ﴿ثم انكم بعد ذلك لميتون * ثم انكم يوم القيامة تبعثون﴾[٢].

«مرقلين» من (ارقل الجَمل) اسرع قال النابغة:

إذا استنزلوا للطعن عنهن ارقلوا إلى الموت ارقال الجمال المصاعب

«في مضمارها» أي: مضمار الدنيا، والمضمار الموضع الذي تجري فيه الخيل.

«إلى الغاية القصوى» أي: البعيدة ﴿... فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً ...﴾[٣] ﴿... فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[٤].

﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض أُعدت للذين آمنوا بالله ورسله ...﴾[٥] ﴿والسابقون السابقون * اولئك

---

(١) المؤمن: ١٦.

(٢) المؤمنون: ١٥ ـ ١٦.

(٣) البقرة: ١٤٨.

(٤) المائدة: ٤٨.

(٥) الحديد: ٢١.

المقرّبون * في جنات النعيم﴾(١).

٢٠
في الخطبة (١٨٦)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ؛ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَى ٱللهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ؛ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى ٱللهِ: فَإِنَّ ٱلتَّقْوَى فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّةُ؛ وَفِي غَدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ. مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ؛ وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ. لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَٱلْغَابِرِينَ؛ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً؛ إِذَا أَعَادَ ٱللهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى؛ وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى؛ فَما أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا. أُولئِكَ ٱلأَقَلُّونَ عَدَداً؛ وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا؛ وَكُظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً؛ وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً؛ أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ؛ وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ؛ وَأَشْعِرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ؛ وَٱرْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ وَدَاوُوا بِهَا ٱلأَسْقَامَ؛ وَبَادِرُوا بِهَا ٱلْحِمَامَ؛ وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلاَ يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا، أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا.

«أوصيكم بتقوى الله» لأنها مدار قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿... انما يتقبّل من المتقين﴾(٢).

«فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم» في الفقيه عن السجّاد عليه السلام في خبر طويل في الحقوق:

---

(١) الواقعة: ١٠ ـ ١٢.

(٢) المائدة: ٢٧.

«حق الله الأكبر عليك أن تعبده، ولا تشرك بـه شـيئاً، فـإذا فـعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة».

«وان تستعينوا عليها بالله» أي: على تحصيلها.

«وتستعينوا بها على الله» أي: على تحصيل رضاه.

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلّا على الخاشعين * الذين يظنون انّهم ملاقوا ربهم وانّـهم إليـه راجـعون﴾[١] ﴿يـا أيـها الذيـن آمـنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين﴾[٢].

«فان التقوى في اليوم الحرز» أي: الحصن.

«والجنّة» بالضم أي: الترس.

﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفـتحنا عـليهم بـركات مـن السـماء والأرض ...﴾[٣] ﴿... ومن يتق الله يجعل له مخرجـاً * ويـرزقه مـن حـيث لا يحتسب ...﴾[٤]، ﴿فأما من أعطى واتقى * وصـدّق بـالحسنى * فسـنيسره لليسرى﴾[٥]، ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في ما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحبّ المحسنين﴾[٦].

«وفـي غدٍ الطريق إلى الجـنّة» ﴿الذيـن آمـنوا وكـانوا يـتقون * لهـم البشـرى فـي الحـياة الدنـيا وفـي الآخـرة لا تـبديل لكلمات الله ذلك هـو

---

(١) البقرة: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) البقرة: ١٥٣.

(٣) الاعراف: ٩٦.

(٤) الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٥) الليل: ٥ ـ ٧.

(٦) المائدة: ٩٣.

الفوز العظيم﴾(١).

﴿تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾(٢) ﴿... للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهّرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾(٣) ﴿الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾(٤).

«مسلكها واضح» ﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾(٥).

«وسالكها رابح» ﴿قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها﴾(٦) ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلّى﴾(٧) ﴿قد أفلح المؤمنون﴾(٨) ـ إلى ﴿أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾(٩).

﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة ... ـ إلى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم(١٠)﴾.

«ومستودعها» أي: مستحفظها.

---

(١) يونس: ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) مريم: ٦٣.

(٣) آل عمران: ١٥.

(٤) آل عمران: ١٦ ـ ١٧.

(٥) الانعام: ١٥٣.

(٦) الشمس: ٩ ـ ١٠.

(٧) الاعلى: ١٤ ـ ١٥.

(٨) المؤمنون: ١.

(٩) المؤمنون: ١١١.

(١٠) التوبة: ١١١.

قال الشاعر:

استودع العلم قرطاساً فضيّعه فبئس مستودع العلم القراطيس

ومستودعها وهو الله تعالى.

«حافظ» قال تعالى: ﴿... انّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾[1] ﴿... وما كان الله ليضيع ايمانكم ...﴾[2].

«لم تبرح» أي: لم تزل التقوى.

«عارضة نفسها» قال الفراء في قوله تعالى ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾[3] أي ابرزناها لهم حتى نظروا إليها وقال الأساس في قول الكميت:

ليالينا إذ لا تزال تروّعنا معرضة منهم بكر وثيب

يعرضون الجارية على الخاطب ثم يحجبونها ليرقب فيها.

«على الامم الماضين منكم والغابرين» أي: الباقين.

«لحاجتهم إليها غدا» ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾[4].

﴿وان منكم إلّا واردها كان على ربك حتماً مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾[5].

«إذا أعاد الله ما أبدى» ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم

(١) الكهف: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) الكهف: ١٠٠.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

تارة أُخرى﴾[١].

«وأخذ ما أعطى» ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ...﴾[٢].

«وسأل عمّا أسدى» إلى الخلق.

أنعم عليهم. قال تعالى: ﴿ثمَّ ولتسئلن يومئذ عن النعيم﴾[٣].

«فما أقل من قبلها وحملها حق حملها» نظير قوله تعالى ﴿... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها...﴾[٤].

«أولئك» أي: القابلون للتقوى الحاملون لها حق حملها.

«الأقلون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول» :

﴿... وقليلٌ من عبادي الشكور﴾[٥] الآية (١٣) من سبأ وقبلها ﴿... اعملوا آل داود شكرا ...﴾[٦].

ونظيرها أيضاً قوله سبحانه: ﴿... وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ...﴾[٧] في قصّة الملكين وقول أحدهما لداود ﴿ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب﴾[٨].

---

(١) طه: ٥٥ .

(٢) الانعام: ٩٤.

(٣) التكاثر: ٨.

(٤) الحديد: ٢٧ .

(٥) سبأ: ١٣ .

(٦) سبأ: ١٣ .

(٧) ص: ٢٤.

(٨) ص: ٢٣.

«فاهطعوا» قال الجوهري: اهطع إذا مد عنقه وصوّب رأسه.

«بأسماعكم إليها» وقال ابن أبي الحديد وابن ميثم ويروي بدل (فاهطعوا باسماعكم إليها) (فانقطعوا باسماعكم إليها).

«وكظوا» هكذا في (المصرية) والصواب: (وواكظوا) أو (والظوا) نقل ابن ميثم الأول وجعل الثاني رواية و ابن أبي الحديد عكس ومعناهما قريب، فالمواكظة المداومة، والألظاظ الإلحاح ولا معنى لكظ فكظه أي غمّه.

«بجدكم عليها واعتاضوها من كلّ سلف خلفاً ومن كلّ مخالف موافقاً» لأن الإنسان إذا كان معه التقوى لا يضرّه ذهاب ماله وأهله واقتداره بل ومخالفة جميع أهل الدنيا معه، كما انّه مع مفارقته عنها لا ينفعه جميع ذلك، لأنّه بالتقوى يكون الله تعالى معه.

﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1] والله خلف عن كلّ شيء وليس شيء خلفا عنه.

وفي (الطبري) ان الحرّ في الطريق كان يساير الحسين عليه السلام ويقول: لئن قاتلت لتقتلن فقال عليه السلام أفبالموت تخوفني؟ أقول لك: ما قال أخو الأوس لابن عمه لقيه وهو يريد نصرة النبي صلى الله عليه وآله فقال له أين تذهب فانك مقتول فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما

ولمّا انتهى الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات إذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم مع دليلهم الطرماح بن عدي وهو ينشد أبياتاً منها:

أتى الله به لخير أمر ثمت ابقاه بقاء الدهر

فقال عليه السلام أما والله اني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا

---

(١) النحل: ١٢٨.

ـ ولنعم ما قيل بالفارسية كالعربية:

هـزار دشـمنم ارمـيكنند قـصد هـلاك
گرم تو دوستى از دشمنان ندارم بـاك

ومـــا نـبالي إذا مـا كـنت جـارتنا
الا يـــجاورنا الاك ديــــار

«واقطعوا بها يومكم» ﴿... وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلّك ترضى﴾[1].

«واشعروا بها قلوبكم» أي: اجعلوا التقوى شعاراً لكم لا دثاراً، والمراد اجعلوها حقيقية لا ظاهرية، قال النبي صلى الله عليه وآله له عليه السلام اشهد ان الايمان خالط لحمك وجسدك كما خالط لحمي وجسدي.

«وارحضوا» من (رحض ثوبه) غسله.

«بها ذنوبكم» ﴿... ومن يتق الله يكفّر عنه سيئاته ويعظّم له أجرا﴾[2].

«وداووا بها الأسقام» من الصفات الذميمة ﴿... قد جاءتكم موعظه من ربكم وشفاء لمّا في الصدور ...﴾[3].

«وبادروا بها الحمام» بالكسر الموت المقدر، ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربّهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[4].

«واعتبروا بمن أضاعها» ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى * ان في ذلك

---

(١) طه: ١٣٠.

(٢) الطلاق: ٥.

(٣) يونس: ٥٧.

(٤) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

لعبرة لمن يخشى﴾[١].

«ولا يعتبرن بكم من أطاعها» ﴿قالوا ءإنّك لأنتَ يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا انّه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين* قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين﴾[٢].

﴿... قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانّه لمن الصادقين﴾[٣].

«ألا وصونوها» كما تصونون ذهبكم ونفائس أمتعتكم.

«وتصونوا بها» كما تتصونون في الحرب بأسلحتكم، وكما تتصونون عن الأعداء بحصونكم ومعاقلكم.

٢١
الخطبة (١٩٣)

أَمَّا بَعْدُ فَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ؛ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ؛ وَنَحْوَهُ قَصْدُ سبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ؛ وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ؛ وَصَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ؛ وَجِلاَءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ؛ وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ؛ فَاجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ؛ وَدَخِيلاً دَونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ؛ وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعاً لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ

---

(١) النازعات: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) يوسف: ٩٠ ـ ٩١.

(٣) يوسف: ٥١.

قُبورِكُمْ؛ وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ. فَإنَّ طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ؛ وَمَخاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُـوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَٱحْلَوْلَتْ لَهُ ٱلْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ ٱلْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِها وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا؛ وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَـعْدَ قُـحُوطِهَا، وَتَـحَدَّبَتْ عَـلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا؛ وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَـلَتْ عَـلَيْهِ ٱلْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا؛ فَاتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّـذِي نَـفَعَكُمْ بِـمَوْعِظَتِهِ؛ وَوَعَـظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ؛ فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

«أما بعد فأوصيكم» هكذا في (المصرية) والصواب: (فاني أوصيكم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم» قال شعيب لقومه: ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلّة الأولين﴾[١].

«و إليه يكون معادكم» ﴿... وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾[٢].

«وبه نجاح طلبتكم» قال هود لقومه: ﴿واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنّات وعيون﴾[٣].

«و إليه منتهى رغبتكم» ﴿وإذا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا إيّاه ...﴾[٤].

---

(١) الشعراء: ١٨٤.

(٢) المجادلة: ٩.

(٣) الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤.

(٤) الاسراء: ٦٧.

«ونحوه قصد سبيلكم» ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يديّ رحمته ءإله مع الله ...﴾[١].

«و إليه مرامي مفزعكم» ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء...﴾[٢].

وإلى هنا عدّد ست صفات توجب اتّقاءَه تعالى.

«فان تقوى الله» ومن هنا إلى الثامنة من الفوائد عد أيضاً عللاً لوجوب الاتقاء والاتصاف بالتقوى أيضاً.

«دواء داء قلوبكم» فالقلوب تمرض كما تمرض الأبدان كما قال تعالى في المنافقين: ﴿في قلوبهم مرض ...﴾[٣] ودواء مرضها التقوى ﴿... ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾[٤].

«وبصر عمى أفئدتكم» فان الأفئدة تعمى كما تعمى العيون قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[٥].

«وشفاء مرض أجسادكم» قيل لأن مرض الأجساد في الأغلب من كثرة الأكل والمتقي أكله قليل.

قال النبي صلى الله عليه وآله المنافق يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن في معاء واحد ـ وورد ان كافراً ورد على النبي صلى الله عليه وآله ضيفاً فحلب له سبع شياة فشربها ثم أسلم في غده فما أتمّ حلب واحدة.

(١) النمل: ٦٣.

(٢) النمل: ٦٢.

(٣) البقرة: ١٠.

(٤) الحج: ٣٢.

(٥) الحج: ٤٦.

«وصلاح فساد صدوركم» ﴿فمن يُّرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يُّرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنما يصَّعَّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾[١].

«وطهور دنس أنفسكم» ﴿... فنصف ما فرضتم إلّا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير﴾[٢].

«وجلاء غشاء أبصاركم» فمع عدم التقوى تكون على الأبصار غشاوة كما قال تعالى في المنافقين: ﴿... وعلى أبصارهم غشاوة ...﴾[٣] وبها تجلى تلك الغشاوة.

«وأمن فزع جأشكم» أي: قلبكم والأصل فيه الاضطراب قال:

أقول لها إذا جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

﴿... فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٤] ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾[٥] ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملئكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[٦].

«وضياء سواد ظلمتكم» ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زيّن للكافرين ما

---

(١) الانعام: ١٢٥.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) البقرة: ٧.

(٤) الاعراف: ٣٥.

(٥) النمل: ٨٩.

(٦) الانبياء: ١٠٣.

كانوا يعملون﴾[١].

«فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم» يعني إذا كانت التقوى بتلك المرتبة من الوجوب وهذه الدرجة من الفوائد فلا تجعلوها دثاراً بل شعاراً والشعار ما ولي الجسد من الثياب والدثار ما كان من الثياب فوق الشعار.

«ودخيلاً دون شعاركم» بالغ عليه السلام في الالتزام بها بأن الشعار لا يكتفى به لها بل ينبغي جعلها دخيلاً في البدن كالروح.

«ولطيفاً بين أضلاعكم» يعني مطلق الدخيل أيضاً لا ينبغي لها بل تجعل كالقلب من ساير الأعضاء الباطنية.

«وأميراً فوق أموركم» بمعنى إذا دار الأمر بين الأخذ بالتقوى واختلال امور دنياه وتركه ونجاح امورها فاجعلوها أميراً فوقها فخذوا بالتقوى وذروا أمور الدنيا كما كان عليه السلام نفسه ترك سلطنته الظاهرية يوم الشورى لئلا يلزم بسنّة النفرين المخالفة سنّتها للكتاب وحكم الله ورضى بتفرّق الناس عنه ولحوقهم بمعاوية دون ان يفضّل الاشراف كما فعل عمر ذلك خلافاً للنبي صلى الله عليه وآله فعود الناس به.

«ومنهلاً» أي: المورد في الماء.

«لحين ورودكم» الماء ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنّة التي كنتم توعدون﴾[٢].

«وشفيعاً لدرك طلبتكم» ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون﴾[٣].

---

(١) الانعام: ١٢٢.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) المائدة: ٣٥.

«وجنة ليوم فزعكم» ﴿وان منكم إلّا واردها كان على ربك حتماً مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾[١] وعن الصادق عليه السلام قال: ألا أخبركم بأبواب الخير؟ قالوا بلى، قال: الصوم جنّة من النار ـ الخبر ـ.

«ومصابيح لبطون قبوركم» لم يقل عليه السلام (مصباحاً) كما قال (وجنة) لأن المطلوب تعدّد المصباح.

«وسكناً لطول وحشتكم» في البرزخ والمحشر.

وعن الصادق عليه السلام إذا بعث المؤمن من قبره خرج معه مثال من قبره يقدمه امامه، وكلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة، قال له مثال لا تحزن ولا تفزع وابشر بالسرور والكرامة حتى يقف بين يديه تعالى فيحاسبه حساباً يسيراً، ويؤمر له إلى الجنّة والمثال أمامه فيقول له: نعم الخارج كنت معي من قبري، وما زلت تبشّرني فمن أنت؟ فيقول: السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن خلقني منه لأُبشرك.

«ونفساً لكرب مواطنكم» وفي الكافي عن الصادق عليه السلام من أعان مؤمناً نفّس الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة، واحدة في الدنيا وثنتين وسبعين عند كربه العظمى حيث يتشاغل الناس بأنفسهم.

وعنه عليه السلام من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كرب الآخرة، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد.

«فان طاعة الله حرز» أي: حفظ.

«من متالف» أي: موجبات التلف.

«مكتنفة» أي: محيطة.

«ومخاوف» أي: أسباب خوف.

---

(١) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

«متوقعة» أي: منتظرة الوقوع، ﴿ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾[1].

«واوار» بالضم أي: حرارة، قال ملغزاً: «والنار قد تشفي من الاوار» والمراد ان سمات الابل التي تكون بالنار تكون سبباً لأن يعرف الناس ان الابل لأحد من الشرفاء فيقدمونها في السقي فتبخو من حرارة العطش وينبغي أن يترجم بالفارسية (كاهى آتش از عطش نجات ميدهد).

«نيران موقدة» قال تعالى بعد ذكر أهل الجنّة ونعيمهم ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم اني كان لي قرين * يقول ءانَّك لمن المصدقين * ءإذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً ءانا لمدينون * قال هل أنتم مطّلعون* فاطّلع فرآه في سواء الجحيم * قال تالله ان كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾[2].

«فمن أخذ بالتقوى عزبت» أي: بعدت.

«عنه الشدائد بعد دنوها» أي: قربها ﴿... ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب ...﴾[3].

«وأحلولت» من الحلاوة.

«له الامور بعد مرارتها» ـ وفي الخبر مرارة الدنيا حلاوة الآخرة.

«وانفرجت عنه الامور بعد تراكمها» أي: اجتماعها.

وفي (الكافي) عن الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم قال لقمان لابنه: ان

---

(١) النساء: ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) الصافات: ٥٠ ـ ٥٧.

(٣) الطلاق: ٢ ـ ٣.

الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فتلك سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان، وشراعها التوكل، وقيّمها العقل ودليلها العلم وسكّانها الصبر.

«وأسهلت له الصعاب بعد انصابها» بالكسر أي اتعابها.

«وهطلت» من (هطل المطر) تتابع.

«عليه الكرامة بعد قحوطها» من (قحط المطر) إذا احتبس.

في (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال تعالى: وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي، لا يؤثر عبد هواي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلّا جعلت غناه في نفسه وهمّه في آخرته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر.

«وتحدبت» أي: تعطفت.

«عليه الرحمة بعد نفورها» من (نفرت الدابة) أو (نفرت المرأة).

«وتفجّرت» من (تفجّر الماء).

«عليه النعم بعد نضوبها» من (نضب الماء) أي: غار.

«ووبلت» أي: أمطرت شديداً.

«عليه البركة بعد ارذاذها» من (ارذت السماء) أمطرت ضعيفاً.

وعن النبي صلى الله عليه وآله من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله القناعة في قلبه، وجمع له أمره، ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه أمره ولم ينل من الدنيا إلّا ما قسم له.

«فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته» ﴿وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾[1].

---

(١) الذاريات: ٥٥.

«ووعظكم برسالته» ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الله حجّة بعد الرسل ...﴾[١].

«وامتن عليكم بنعمته» ﴿يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم إن هداكم للايمان إن كنتم صادقين﴾[٢].

«فعبدوا» التعبيد التذليل.

«أنفسكم لعبادته» كان النبي صلى الله عليه وآله يجلس جلسة العبيد، فمرت به امرأة بذية، فقالت له انك لتجلس كالعبيد؟ فقال صلى الله عليه وآله: وأي عبد أعبد مني ـ وكان موسى عليه السلام لا يقوم من صلاته حتى يضع خدّه على التراب.

وقال تعالى في كلّ من سليمان وأيوب ﴿... نعم العبد انّه أوّاب﴾[٣] وقال عزوجل: ﴿وَاذكُرْ عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * انّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وانّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾[٤].

«وأخرجوا إليه من حق طاعته» ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون﴾[٥].

٢٢
في الخطبة (٢٠٩)

أَلَا وَإِنَّ ٱللهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً. وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ ٱللهِ يَقُولُ عَلَى ٱلْأَلْسِنَةِ؛ وَيُثَبِّتُ ٱلْأَفْئِدَةَ.

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) الحجرات: ١٧.

(٣) ص: ٣٠.

(٤) ص: ٤٥ ـ ٤٧.

(٥) آل عمران: ١٠٢.

فِيهِ كفَاءٌ لِمُكْتَفٍ؛ وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ؛ وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ. وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ، وَيَصْدُرُون بِرِيَّةٍ، لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ، وَلاَ تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ؛ عَلى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَ أَخْلاَقَهُمْ. فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُون، فكَانوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقى. فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ؛

فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرامَةً بِقَبُولِهَا؛ وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا. وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ؛ وَقَلِيلِ مُقَامِهِ؛ فِي مَنْزِلٍ حَتّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ؛ فَطُوبى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلاَمَةِ؛ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ؛ وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ؛ وَبادَرَ ٱلْهُدى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ؛ وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ؛ وَٱسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَأَماطَ ٱلْحَوْبَةَ. فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ؛ وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

«الا وان الله قد جعل للخير أهلاً» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة يقال لهم ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم.

وعنه عليه السلام ان للجنّة باباً، يُقال له المعروف، لا يدخله إلّا أهل المعروف، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

وعن الباقر عليه السلام ان الله تعالى جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبّب إليهم فعاله ووجه لطلاب المعروف الطلب إليهم ويسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيث للأرض المجدبة ليحييها ويحيي أهلها.

وان الله تعالى جعل للمعروف أعداءً من خلقه بغّض إليهم المعروف،

وبغّض إليهم فعاله وحظر على طلّاب المعروف الطلب إليهم، وحظر عليهم قضاءه كما يحرم الغيث على الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها.

«وللحق دعائم» أي: عمد.

وهو عليه السلام كان مدار الحق خبراً وخبراً وقولاً وعملاً، كما ان مخالفيه كانوا بالعكس كما قال تعالى فيهم: ﴿... وأكثرهم للحق كارهون﴾(١) وقال تعالى: ﴿ولو اتّبع الحقُّ أهواءَهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن...﴾(٢).

«وللطاعة عصما» جمع العصام رباط القربة وسيرها الذي تحمل به.

قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾(٣) وقال نبيه صلى الله عليه وآله اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وفي (عيون) ابن بابويه، عن إسحاق بن راهويه لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيشابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا: يا ابن رسول الله أترحلُ عنّا ولا تحدثنا بحديث نستفيده منك؟ وكان عليه السلام قعد في العمارية فاطلع رأسه وقال:

سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول سمعت أبي محمد بن علي عليه السلام يقول سمعت أبي علي بن الحسين عليه السلام يقول سمعت أبي الحسين بن علي عليه السلام يقول سمعت أبي علياً عليه السلام يقول سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول سمعت الله تعالى يقول: «لا إله إلّا الله

---

(١) المؤمنون: ٧٠.

(٢) المؤمنون: ٧١.

(٣) النساء: ٨٠.

حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي «فلمّا مرّت الراحلة نادانا (بشروطها وانا من شروطها).

«وان لكم عند كلّ طاعة عوناً من الله» ﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وان الله لمع المحسنين﴾[1].

«يقول على الألسنة» ﴿فانما يسّرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدًّا﴾[2].

«ويثبت الأفئدة» ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[3].

«فيه كفاءٌ لمكتفٍ وشفاءٌ لمشتفٍ» قال ابن أبي الحديد قال عليه السلام (كفاء) للازدواج بينه وبين (شفاء) كما في قولهم (الغدايا والعشايا) وإلّا فالأصل فيه كفاية.

«واعلموا ان عباد الله المستحفظين علمه» قال ابن أبي الحديد ذكر عليه السلام العارفين والكلام في العرفان لم تأخذه ملّة الإسلام إلّا عنه عليه السلام ثم نقل ابن أبي الحديد كلمات جمع منهم كالشبلي وسهل التستري وأبو يعقوب السوسي والبسطامي وجنيد البغدادي وغيرهم.

وأقول: وان كان أولئك الصوفية الذين يدّعون العرفان يدّعون انتسابهم إليه عليه السلام وأخذهم عنه إلّا ان الأمر فيه كما قيل:

وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرّ لهم بذاكا

فهو عليه السلام بريءٌ منهم لخروجهم عن طريقته عليه السلام كخروجهم عن طريقة

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) مريم: ٩٧.

(٣) ابراهيم: ٢٧.

النبي ﷺ فنقل عن الجامي ان سهل بن عبدالله رأى ابليس فقال له هل ترجو رحمة من عنده تعالى فقال نعم لأن رحمته وسعت كلّ شيء فقال سهل لكنّه قيدها بقوله: ﴿... فسأكتبها للذين يتّقون ...﴾[1].

فقال إبليس يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ـ وقد قال الجامي نفسه في أبياته الفارسية:

پور عمران بدل آن غرقه نور	مى‌شد از بهر مناجاة بطور
ديد در راه سر دوران را	قائد لشگر مهجوران را
گفت كز سجده آدم بچه روى	تافتى سوى رضا راست بگوى
گفت عاشق كه بود كامل سير	پيش جانان نبرد سجده غير
گفت موسى كه بفرموده دوست	سر نهد هر كه بجان بنده اوست
گفت مقصود از آن گفت و شنود	امتحان است محب را نه سجود
گفت موسى كه اگر اين حال است	لعن و طعن تو چراش آئين است
بر تو چون از غضب سلطانى	شد لباس ملكى شيطانى
گفت گين هر دو صفت عاريت‌اند	مانده از ذات بيك ناحيت‌اند
گر بيايد صد از اين يا برود	حال ذاتم متغير نشود
ذات من بر صفت خويشتن است	عشق او لازمه ذات من است
تاكنون عشق من آميخته بود	در غرضهاى من آويخته بود
داشت بخت سيه و روى سفيد	هر دمم دستخوش بيم و اميد
اين دم از كشمكش آن رستم	پس زانوى وفا بنشستم
لطف و قهرم همه يكرنگ شده	كوه و كاهم همه هم سنگ شده
عشق شست از دل من نقش هوس	عشق با عشق همى بازم و بس

(١) الاعراف: ١٥٦.

وعن الشبستري في گلشن رازه بالفارسية:

هر آنكس را كه مذهب غير جبر است

نبى فرموده كو مانند گبر است

وهو افتراء، فانما عنه عليه السلام (القدرية مجوس هذه الأُمة).

«يصونون مصونه» أي: ما صانه الله تعالى.

«ويفجرون عيونه» في (الكافي) قيل للباقر عليه السلام ان الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار فقال عليه السلام فهلك اذن مؤمن آل فرعون ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلّا ههنا.

«يتواصلون بالولاية» أي: تواصلهم ليس للدنيا بل لله يتولى من يجب ولايته في قوله تعالى: ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾[1] وفي قول رسوله صلى الله عليه وآله بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم ـ من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه».

«ويتلاقون بالمحبة» أي: تلاقيهم بالحب في الله.

روى الصدوق عن الباقر عليه السلام ان ملكاً من الملائكة مر برجل قائم على باب دار، فقال له الملك يا عبدالله ما وقوفك على باب هذه الدار؟ فقال له: اخ لي فيها أردت أن أُسلّم عليه، فقال له الملك هل بينك وبينه رحم ماسّة، أو هل دعتك إليه حاجة؟

قال: لا، بيني وبينه قرابة، ولا يرغبني إليه حاجة إلّا أُخوّة الإسلام وحرمته فانما اتعهده أُسلم عليه في الله ربّ العالمين، فقال له الملك اني رسول

---

(١) المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

الله إليك وهو يقرِئُه السلام، ويقول انما إيّاي أردت وتعاهدت وقد أوجبت لك الجنّة وأعفيتك من غضبي وآجرتك من النار.

«ويتساقون بكأس» الكأس مؤنثة قال تعالى: ﴿... بكأسٍ من معين * بيضاء ...﴾[1] قال ابن الأعرابي: لا تسمّى الكأس كأساً إلّا وفيها الشراب.

«روية» أي: مروية من (رويت لأهلي) إذا أتيتهم بالماء.

«ويصدرون» من (صدرت عن الماء).

«برية» أي: بالارتواء من الماء.

وفي مناجاة العارفين لسيد الساجدين عليه السلام ـ:

«الهي فاجعلنا من الذين توشّجت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبَّة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع المصافاة يردون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم، وعذب في معين المعاملة شربهم وطاب في مجلس الأُنس سرّهم، وأمن في مواطن المخافة سربهم، واطمأنت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم وتيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، واستقر بإدراك المسئول ونيل المأمول قرارهم، وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم، الهي ما ألذّ خواطر الالهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبك، وما أعذب شرب قربك، فأعذنا من طردك وابعادك، واجعلنا من أخصّ عارفيك،

---

(١) الصافات: ٤٥ ـ ٤٦.

وأصلح عبادك وأصدق طائعيك، وأخلص عبادك، يا عظيم يا جليل، يا كريم يا منيل برحمتك».

«لا تشوبهم الريبة، ولا تسرع فيهم الغيبة» كأصدقاء الدنيا يرتاب هذا من ذاك، ويغتاب ذاك هذا.

«على ذلك عقد خلقهم واخلاقهم، فعليه يتحابون وبه يتواصلون».

فتصير سجيتهم في الدنيا كسجيتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ اخواناً على سررٍ متقابلين﴾[1].

«فكانوا» بالقياس إلى باقي الناس.

«كتفاضل البذر» بعضه أفضل من بعض.

«ينتقي فيؤخذ منه ويلقى» قال الجوهري الانتقاء الاختيار والنقاه مثل القناه ما يرمى من الطعام إذا نقّي حكاه الاموي.

روى النعماني عن الصادق عليه السلام ان نوحاً سأل ربه ان ينزّل على قومه العذاب فأوحى إليه ان يغرس نواة من النخل فإذا بلغت فأثمرت وأكل منها أهلك قومه وأنزل عليهم العذاب، فغرس نوح النواة وأخبر أصحابه بذلك، فلمّا بلغت النخلة وأثمرت واجتنى نوح منها فأكل وأطعم أصحابه، فقالوا وعدك فدعا ربه فأوحى إليه أن يعيد الغرس ثانية حتى إذا بلغ وأثمر فأخبر نوح عليه السلام أصحابه بذلك فصاروا ثلاثة فرق، فرقة ارتدت، وفرقة نافقت، وفرقة ثبتت. ففعل نوح ما أُمر، فأوحى إليه ان يغرس الثالثة، فافترقوا أيضاً ثلاث حتى فعل نوح ذلك عشر مرّات فلمّا كان في العاشرة جاء إليه رجالٌ من أصحابه الخلّص والمؤمنين فقالوا: أنت نبي مرسل صادق لا شك فيك ولو فعلت ذلك بنا مرّات أُخرى. فعند ذلك أهلكهم الله الظالمين، وأدخل الخلّص مع نوح في السفينة

(١) الحجر: ٤٧.

فنجّاهم بعدما وصفوا وذهب الكدر منهم[١].

«قد ميّزه التخليص» أي: التصفية.

«وهذّبه التمحيص» من (محصت الذهب بالنار) إذا خلصته ممّا يشوبه.

«فليقبل امرؤ كرامة بقبولها» ﴿هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين * وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾[٢].

﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾[٣].

«ليحذر قارعة» أي: شديدة.

«قبل حلولها» ﴿ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله...﴾[٤].

«ولينظر امرؤ في قصير ايامه» في الدنيا.

«وقليل مقامه في منزله» هكذا في (المصرية) والصواب: (في منزل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«حتى يستبدل به منزلاً» ﴿... وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم ...﴾[٥].

«فليصنع لمتحوله» ﴿... ولتنظر نفس ما قدّمت لغد ...﴾[٦].

---

(١) النعماني (ابن أبي زينب) (الغيبة) : ١٩٢ ـ مؤسسة الأعلمي ١٩٨٣ م.

(٢) الجمعة: ٢ ـ ٣.

(٣) آل عمران: ١٦٤.

(٤) الزمر: ٥٦.

(٥) الانعام: ٩٤.

(٦) الحشر: ١٨.

«ومعارف منتقله» من موته وبرزخه ومحشره ومثاله.

«فطوبى» من الطيب قلبوا الياء واواً الضمة ما قبلها.

«أطاع من يهديه» ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ...﴾[١].

«وتجنب من يرديه» ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانّه يأمر بالفحشاء والمنكر ...﴾[٢].

«وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره وطاعةِ هادٍ أمَرَه» ﴿... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[٣].

«وبادر الهدى قبل ان تغلق أبوابه وتقطع أسبابه» ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حَضَر أحدَهم الموتُ قال اني تُبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار ...﴾[٤].

«واستفتح التوبة» ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربّكم ان يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ...﴾[٥].

«وأماط» أي: نحّى.

«الحوبة» أي: الخطيئة.

«فقد اقيم على الطريق وهُدي نهج السبيل» ﴿إنّا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا﴾[٦].

---

(١) الاسراء: ٩.

(٢) النور: ٢١.

(٣) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

(٤) النساء: ١٨.

(٥) التحريم: ٨.

(٦) الدهر: ٣.

٢٣
الخطبة (٢١٧)

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته ﴿... يُسَبِّح لَهُ فِيهَا بالغُدُوِّ والآصال * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ ...﴾:

إنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ؛ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ ٱلْوَقْرَةِ؛ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ ٱلْعَشْوَةِ؛ وَتَنْقَادُ بِهِ بعد ٱلْمُعَانَدَةِ؛ وَمَا بَرِحَ لِلهِ ـ عَزَّتْ آلاؤُهُ ـ فِي ٱلْبُرْهَةِ بَعْدَ ٱلْبُرْهَةِ؛ وَفِي أَزْمَانِ ٱلْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكَرِهِمْ؛ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي ٱلْأَبْصَارِ وٱلْأَسْمَاعِ وَٱلْأَفْئِدَةِ؛ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ ٱللهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ؛ بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَدِلَّةِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ ٱلْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ؛ وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَرِيقَ؛ وَحَذَّرُوهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ، وكَانُوا كَذَلِك مَصَابِيحَ تِلْكَ ٱلظُّلُماتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ ٱلشُّبُهَاتِ، وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَدَلاً؛ فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تجارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ؛ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَواجِرِ عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ فِي أَسْمَاعِ ٱلْغَافِلِينَ؛ وَيَأْمُرُون بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ؛ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ؛ فَكأَنَّما قَطَعُوا ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ؛ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذَلِكَ؛ فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أهل الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ؛ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَالَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَالَا يَسْمَعُونَ؛ فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ؛ فِي مَقَاوِمِهِمُ المَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ المَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ؛ وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ؛ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا؛ أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَحَمَّلُوا ثِقَلَ

أَوْزَارِهِمِ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا؛ فَنَشَجُوا نَشِيجاً، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً؛ يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ؛ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى وَمَصَابِيحَ دُجًى؛ قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ. وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ؛ وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ؛ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ. يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ؛ جَرَحَ طُولُ الأَسَى قُلُوبَهُمْ؛ وَطُولُ الْبُكاءِ عُيُونَهُمْ؛ لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قارِعَةٌ؛ يَسأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

قول المصنف «ومن كلام له عليه السلام قال عند تلاوته ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ...﴾[1] أقول: ونقل المصنف كلامه عليه السلام عند تلاوته ﴿الهاكم التكاثر﴾[2] قبل هذا وكلامه عليه السلام عند تلاوته:

﴿يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم﴾[3] بعد هذا وله عليه السلام في معنى قوله تعالى ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ...﴾[4] ومعنى قوله تعالى: ﴿... ان الله لا يغيّر ما بقوم ...﴾[5] رواهما (الروضة) ولم ينقلهما المصنف.

ثم جعله عليه السلام أول الآية (رجال) يدل على صحّة قراءة ﴿... يسبّح له فيها

(١) النور: ٣٧.

(٢) التكاثر: ١.

(٣) الانفطار: ٦.

(٤) الانعام: ٤٣.

(٥) الرعد: ١١.

بالغدو والآصال﴾[١] قبله بالبناء للمفعول دون قراءة (يسبّح) بالبناء للفاعل كما لا يخفى.

والآية في سورة النور (٣٧) وآخر الآية ﴿... واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾[٢] وبعد الآية ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[٣].

روى (الكافي) عن اسباط بن سالم، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسألني عن عمر بن مسلم فقلت صالح ولكنه ترك التجارة، فقال عليه السلام عمل الشيطان ـ ثلاثاً أما علم ان النبي صلى الله عليه وآله اشترى عيراً أتت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسّم في قرابته، يقول الله عزّوجلّ ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ...﴾[٤] يقول القصاص: القوم لم يكونوا يتّجرون كذبوا ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها، وهو أفضل ممّن حضر الصلاة ولم يتّجر.

قوله عليه السلام «ان الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء القلوب» هكذا في المصرية والصواب: (للقلوب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) ـ كما ان الصواب ترك كلمة (وتعالى) لخلوها عنها.

وقال تعالى: ﴿... ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[٥] فبذكره تعالى تجلو من الصدأ، وتطمئن من التزلزل في أمر الدنيا، وأما بالنسبة إلى عظمته فتضطرب قال تعالى: ﴿انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم

---

(١) النور: ٣٦.

(٢) النور: ٣٧.

(٣) النور: ٣٨.

(٤) النور: ٣٧.

(٥) الرعد: ٢٨.

آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقّاً ...﴾[١].

﴿... وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون﴾[٢].

«تسمع» أي: القلوب.

«به» أي: بسبب ذكره تعالى.

«بعد الوقرة» أي: بعد ثقل اذنها.

«وتبصر» أي: القلوب (به) أي: بسبب ذكره تعالى.

«بعد العشوة» أي: ضعف بصرها ﴿ان الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾[٣].

«وتنقاد به بعد المعاندة» ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[٤].

«وما برح» أي: ما زال.

«لله» خبر لقوله بعد (عباد).

«عزّت آلاؤه» كقولك (عزّ اسمه).

«في البرهة بعد البرهة» أي: المدة.

«وفي أزمان الفترات» ضعف أهل الحق في الماضي والحال والآتي.

---

(١) الانفال: ٢ ـ ٤.

(٢) الحج: ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) الاعراف: ٢٠١.

(٤) آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦.

«عبادٌ ناجاهم في فكرهم» بالكسر فالفتح جمع فكر بالكسر فالسكون.

«وكلّمهم في ذات عقولهم» وفي مناجاة شعبان: «الهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سراً وعمل لك جهراً»!

«فاستصبحوا بنور يقظة» قال النبي ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله.

«في الأبصار والأسماع» هكذا في (المصرية) والصواب: (في الأسماع والأبصار) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«والأفئدة» بالضد من أهل الدنيا الذين قال تعالى فيهم: ﴿... لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ...﴾[1].

«يذكّرون بأيام الله» ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ان أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكّرهم بأيام الله﴾[2].

«ويخوّفون مقامه» ﴿وقال الذي آمن اني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد * ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هادٍ * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيّنات فما زلتم في شك ممّا جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب﴾[3].

وتعبيره عليه السلام بالتخويف من مقامه دون التخويف منه تعالى نفسه لكونه أبلغ قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى * فان

---

(١) الاعراف: ١٧٩.

(٢) ابراهيم: ٥.

(٣) المؤمن: ٣٠ ـ ٣٤.

الجنّة هي المأوى﴾[1].

والتعبير هنا نظير التعبير في قوله تعالى حكاية عن العزيز لامرأته في يوسف: ﴿... أكرمي مثواه ...﴾[2] دون اكرميه.

«بمنزلة الأدلّة في الفلوات» قيل لابرهة بن الحارث الرائش من ملوك اليمن ذو المنار لأنّه أوّل من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع «من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه وبشّروه بالنجاة» كما قال تعالى في الآخذين بالقصد: ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أوْلياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفورٍ رحيمٍ﴾[3].

«ومن أخذ يميناً وشمالاً ذموا إليه الطريق وحذّروه من الهلكة» كما قال تعالى: ﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ...﴾[4].

﴿وأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هي المأوى﴾[5].

«وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلّة تلك الشبهات» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله طوبى لعبد نُوْمه عرفه الله ولم يعرفه الناس، أُولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم تنجلي عنهم كلّ فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذور ولا بالجفاة المرائين.

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) يوسف: ٢١.

(٣) فصلت: ٣٠ ـ ٣١.

(٤) الانعام: ١٥٣.

(٥) النازعات: ٣٧ ـ ٣٩.

«وان للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام مرّ النبي صلى الله عليه وآله برجل يغرس غرساً في حايط له فوقف عليه وقال: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً وأسرع ايناعاً وأطيب ثمراً قال بلى، قال: إذا أصبحت وأمسيت فقل «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» فان لك ان قلته بكلّ تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفاكهة، وهو من الباقيات الصالحات فقال الرجل له عليه السلام فاني اشهدك ان حايطي هذا صدقة مقبوضة على فقراء المسلمين فانزل تعالى فيه ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى﴾[١].

«فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه» كما قال تعالى وقد مر.

«يقطعون به أيام الحياة» ﴿ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا انّك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار * ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أُنثى ...﴾[٢].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام ما من شيء إلّا وله حد ينتهي إليه إلّا الذكر فليس له حد ينتهي إليه فرض الله الفرائض فمن أداهن فهو حدّهن، ومن صام شهر رمضان فهو حدّه ومن حجّ فهو حدّه إلّا الذكر، فانّه تعالى لم يرض

---

(١) الليل: ٥ ـ ٧.

(٢) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٥.

منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ـ ثم تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبّحوه بكرة وأصيلا﴾[1] ـ وكان أبي عليه السلام كثير الذكر لقد كنت أمشي معه وانّه ليذكر الله وآكل معه الطعام وانّه ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلّا الله ـ وكان يجمعنا ويأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله تعالى فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويُضيء لأهل السماء كما يُضيء الكوكب الدريّ لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله تعالى فيه، تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين وقد قال النبي صلى الله عليه وآله ألا أُخبركم بخير أعمالكم وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم. وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من ان تلقوا عدوّكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ قالوا: بلى قال ذكر الله تعالى كثيراً.

وفيه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: من خير أهل المسجد فقال: أكثرهم لله ذكراً ـ وقال النبي صلى الله عليه وآله من أعطى لساناً ذاكراً فقد أعطى خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله من أكثر ذكر الله تعالى أحبّه الله ـ وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً.

ويكفي في شموخ مقام الذكر قوله تعالى: ﴿فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾[2] ـ وفي (الكافي) قال تعالى لعيسى عليه السلام: اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي واذكرني في ملأٍ اذكرك في ملأ خير من ملأ الادميّين.

---

(١) الاحزاب: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) البقرة: ١٥٢.

وعن الباقر عليه السلام أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام: أنا جليس من ذكرني ـ فقال موسى عليه السلام: فمن في سترك يوم لا ساتر إلّا سترك. قال الذين يذكروني فأذكرهم ويتحابون فيّ فاحبّهم فأولئك الذين إذا أردت أن أُصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فارفع بهم عنهم.

وعنه عليه السلام مكتوب في التوراة التي لم تغير ان موسى قال: يا إلهي يأتي عليّ مجالس أجلّك أن أذكرك فقال تعالى: يا موسى ان ذكري حسن على كلّ حال.

وعن الصادق عليه السلام أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام: لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على حال فان كثرة المال تنسي الذنوب، وان ترك ذكري يقسي القلوب.

وعنه عليه السلام يموت المؤمن غرقاً وبالهدم ويبتلى بالسبع ويموت بالصاعقة ولا تصيب الصاعقة ذاكراً الله تعالى.

وعن أحدهما عليهما السلام لا تكتب الملكة إلّا ما تسمع ـ وقال تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين﴾[1] ولا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله تعالى لعظمته.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام من ذكر الله تعالى في السرّ فقد ذكره كثيراً، ان المنافقين كانوا يذكرونه علانية ولا يذكرونه في السرّ قال تعالى: ﴿... يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلّا قليلا﴾[2].

«ويهتفون» أي: يصيحون.

---

(١) الاعراف: ٢٠٥.

(٢) النساء: ١٤٢.

«بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين» عن الله.

(في المروج): حضر أبو ذر مجلس عثمان ذات يوم، فقال عثمان: أرأيتم من زكّى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب الأحبار: لا فدفع أبو ذر في صدر كعب، وقال له: كذبت يا ابن اليهودي ـ ثم تلا: ﴿ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ...﴾[1] ـ فقال عثمان: أترون بأساً ان نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه في ما ينوبنا من أُمورنا ونعطيكموه، فقال كعب الأُحبار: لا بأس بذلك فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب، وقال: يا ابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا.

فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي غيّب وجهك عني فقد آذيتني فخرج أبو ذر إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان، ان أبا ذر يجمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك فكتب إليه عثمان بحمله ـ فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه، وكاد أن يتلف فقيل له: انك تموت من ذلك، فقال هيهات لن أموت حتى انفى ـ وذكر جوامع ما نزل به بعدُ من يتولى دفنه ـ فجلس في داره أياماً ثم دخل على عثمان فجلس على ركبتيه وتكلّم بأشياء ـ وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ـ وكان في ذلك اليوم أُتي بتركة عبد الرحمان بن عوف فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم. ـ

فقال عثمان: اني لأرجو لعبد الرحمان خيراً لأنّه كان يتصدّق ويقري

---

(١) البقرة: ١٧٧.

الضيف وترك ما ترون ـ فقال كعب الأحبار: صدقت فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة، وتقطع على الله بذلك، وأنا سمعت النبي ﷺ يقول «ما يسرني أن أموت وأدع ما يزن قيراطا» فقال له عثمان: وارعني وجهك فقال: أسير إلى مكة قال: لا والله، قال: فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت؟! قال: أي والله، قال: فالى الشام، قال: لا والله قال البصرة، قال: لا والله، فاختر غيرها، قال: ما اختار غيرها ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت بلداً آخر، فسيّرني حيث شئت، قال: فاني مسيّرك إلى الربذة ـ قال أبو ذر: الله أكبر صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ، قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز ـ الخ ـ

«ويأمرون بالقسط» بالكسر العدل وأما بالفتح فالجور، وفي الأساس نقول أمر الله بالقسط ونهى عن القسط.

«قل أمر ربي بالقسط» (ويأتمرون به) ﴿... وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ...﴾[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلوُا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾[2].

والقيام بالقسط وصفه تعالى: ﴿شهد الله انّه لا إله إلّا هو والملائكة

---

(١) المائدة: ٤٢.

(٢) النساء: ١٣٥.

وأولوا العلم قائماً بالقسط ...﴾[١] ـ وبعث رسله لذلك ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ...﴾[٢].

«وينهون عن المنكر ويتناهون عنه» ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ...﴾[٣].

﴿فلمّا نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلمّا عتوا عَن مّا نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين﴾[٤].

﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولوّنَ الَّذين كفروا لبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم أَن سَخِط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾[٥].

«فكانما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك» قال: ابن أبي الحديد هو شرح حاله عليه السلام فقال: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً).

«فكأنّما» هكذا (في المصرية و ابن أبي الحديد) والصواب: (وكانما) كما في (ابن ميثم).

«اطلعوا عيوب أهل البرزخ في طول الاقامة فيه وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنّهم يرون ما لا يرى الناس

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) الحديد: ٢٥.

(٣) التوبة: ١١٢.

(٤) الاعراف: ١٦٥.

(٥) المائدة: ٧٨ ـ ٨٠.

ويسمعون ما لا يسمعون».

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام : استقبل حارثة بن مالك الأنصاري النبي صلى الله عليه وآله فقال له كيف أنت يا حارثة؟ قال: مؤمن حقاً فقال صلى الله عليه وآله له لكلّ شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت هواجري وكأني انظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنة وكأني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذا عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فأثبت فقال: ادع الله أن يرزقني الشهادة فقال صلى الله عليه وآله: اللّهم ارزقه فلم يلبث حتى بعثه صلى الله عليه وآله مع سرية فقتل تسعة أو ثمانية فقتل ـ وفي خبر ـ استشهد مع جعفر بعد تسعة.

«فلو مثلتهم» أي: جسمتهم.

«لعقلك في مقاومهم» جمع المقام وأصله المقوم.

«المحمودة» عند الله تعالى.

«ومجالسهم المشهودة» لملائكته.

«وقد نشروا دواوين» جمع الديوان.

«أعمالهم وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كلّ صغيرة وكبيرة أمروا بها فقصروا عنها» بترك بعضها.

«أو نهوا عنها ففرطوا فيها» بارتكاب بعضها.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها فان للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقداره ألف سنة ـ ثم تلا ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[1].

«وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم» والأصل فيه قوله تعالى ﴿... حتى إذا

(١) المعارج: ٤.

جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾[1].

«فضعفوا» تفريع على تحميل ثقل أوزارهم على ظهورهم.

«عن استقلال بها» أي: الاطاقة والرفع لها.

«فنشجوا نشيجاً» في (الصحاح) (نشج الباكي نشجا ونشيجاً) إذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

«وتجاوبوا» هكذا في النسخ والظاهر كونه محرّف (ونحبوا) والنحيب رفع الصوت بالبكاء ولا معنى للتجاوب هنا لأن كلاًّ منهم يبكي على نفسه ولقوله «نحيباً» فيكون (نحبوا نحيباً) مثل (نشجوا نشيجاً).

وفي (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام ما من شيء إلاّ وله كيل ووزن إلاّ الدموع فان القطرة منها تُطفئ بحاراً من نار، وإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة فإذا فاضت حرّمه الله على النار ولو ان باكياً بكى في أُمة لرحموه.

وعن النبي صلى الله عليه وآله طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي عن ذنب من خشية الله لم يطّلع على ذلك الذنب غيره تعالى.

«يعجون» أي: يرفعون صوتهم.

«إلى ربهم من مقام ندم واعتراف» بجنايتهم.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله تعالى به الجنة قلت يدخله بالذنب الجنّة؟ قال: نعم، انّه ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنّة.

وعنه عليه السلام من أذنب ذنباً وعلم ان الله تعالى مطّلع عليه ان شاء عذبه وان

---

(١) الانعام: ٣١.

شاء غفره غفر له وان لم يستغفر.

«لرأيت أعلام هدى ومصابيح» جمع المصباح السراج.

«دجى» أي: ظلمة.

«قد حفت» أي: أحاطت.

«بهم الملائكة» ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم * في الحياة الدنيا وفي الآخرة ...﴾[١].

«وتنزلت عليهم السكينة» ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ...﴾[٢].

وقال تعالى في حنين والفتح: ﴿ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ...﴾[٣] وفي (الشجرة) لقد رضى الله عن المؤمنين -إلى- فأنزل السكينة عليهم -.

«وفتحت لهم أبواب السماء وأعد لهم مقاعد الكرامات» ﴿ان المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر﴾[٤].

«في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم» ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً * عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا * ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾[٥].

---

(١) فصلت: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) الفتح: ٤.

(٣) التوبة: ٢٦.

(٤) القمر: ٥٤ ـ ٥٥.

(٥) الانسان: ٢٠ ـ ٢٢.

«يتنسمون» أي: يجدون نسيماً.

«بدعائه روح» بالفتح الاستراحة.

«التجاوز» ﴿... ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[1] ـ ﴿قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم ...﴾[2].

وفي الكافي عنه عليه السلام الدعاء مفتاح النجاح ومقاليد الفلاح، وخير الدعاء ما صدر عن صدر تقي وقلب نقي، وفي المناجاة سبب النجاة، وبالاخلاص يكون الخلاص، فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع.

رهائن فاقة إلى فضله واسارى ذلّة لعظمته» في الكافي: ان الله تعالى أوحى إلى داود ان ائت عبدي دانيال فقل له: انك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصتني فغفرت لك، فان عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فقال له دانيال قد بلغت يا نبي الله فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربه فقال: يارب ان داود نبيّك أخبرني عنك اني قد عصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي واخرني عنك اني ان عصيتك الرابعة لم تغفر لي، وعزّتك وجلالك لئن لم تعصمني لأعصينك ثم لأعصينك ثم لأعصينك.

«جرح طول الأسى» أي: الحزن.

«قلوبهم وطول البكاء عيونهم» في الكافي عن الصادق عليه السلام: كلّ عين باكية يوم القيامة إلّا ثلاثاً: عين غضّت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله.

وعنه عليه السلام أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: البكاءون من خشيتي في الرفيع الأعلى لا يشاركهم أحد. وعن الباقر عليه السلام: ما من قطرة أحبّ إلى الله

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) الفرقان: ٧٧.

تعالى من قطرة دموع في سواد الليل مخافة من الله تعالى لا يراد بها غيره.

«لكلّ باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة» يقال «من قرع باباً ولجّ ولج» - ﴿انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾[1] وعنه عليه السلام الدعاء ترس المؤمن ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك.

«يسألون من لا تضيق لديه المنادح» قال الجوهري المنادح: المفاوز والمنتدح المكان الواسع ولي عن هذا الأمر مندوحة ومنتدح أي سعة.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ادع ولا تقل ان الأمر فرغ منه ان عند الله منزلة لا تنال إلّا بمسألة فسل تعط انّه ليس من باب يقرع الا يوشك أن يفتح لصاحبه.

«ولا يخيبُ عليه الراغبون» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلّا استحيى أن يردها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتى يمسحها على وجهه ورأسه.

وعنه عليه السلام لا تتركوا صغيرة ان تدعوا بها ان صاحب الصغار هو صاحب الكبار.

«فحاسب نفسك لنفسك» في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فان عمل حسنة استزاد الله تعالى وان عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه.

وقال: ابن ميثم كان توبة بن الصمة محاسباً لنفسه فحسب يوماً فاذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فاذا هي أحد وعشرون ألف وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي ألقي الملك بأحد وعشرين ألف ذنب، ثم خرّ مغشياً عليه فاذا هو ميت ـ ولو رمى العبد بكلّ معصية حصاة في داره

---

(١) الانبياء: ٩٠.

لامتلأت في مدّة يسيرة ولكنه يتساهل في حفظها، والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى: ﴿... أحصاه الله ونسوه ...﴾[١].

«فان غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك» قال تعالى: ﴿... عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[٢].

﴿فأمّا من أُوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * اني ظننت اني ملاقٍ حسابيه * فهو في عيشةٍ راضيةٍ * في جنّة عاليةٍ * قطوفها دانيةٍ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية * وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه﴾[٣].

٢٤
الخطبة (٢٢٥)

منها في صفة الزهاد:

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ؛ وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ ٱلآخِرَةِ، ويَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

«كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها فكانوا فيها كمن ليس منها».

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: صلّى النبي صلى الله عليه وآله الصبح فنظر إلى شاب

---

(١) المجادلة: ٦.

(٢) المائدة: ١٠٥.

(٣) الحاقة: ١٩ ـ ٢٩.

في المسجد، وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرّاً لونه قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال صلى الله عليه وآله له كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت موقناً فعجب النبيُّ صلى الله عليه وآله من قوله، وقال ان لكلِّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ قال: ان يقيني هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي، وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنّة يتنعمون فيها وإلى أهل النار وهم فيها يعذبون فيصطرخون ـ فقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان.

«عملوا فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون» ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[1].

(تقلب) واصله (تتقلب).

«أبدانهم بين ظهراني» بفتح النون.

«أهل الآخرة» اما لعدم خلطتهم مع أهل الدنيا واما لأن يقينهم جعلهم كأنّهم في المحشر كما مر في الخبر.

«يرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم» ﴿... يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة ...﴾[2].

«وهم أشد إعظاماً لموت قلوب أحيائهم» لأن الحياة الحقيقية الحياة القلب. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لمّا

---

(١) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

(٢) البقرة: ٩٦.

يحييكم...﴾[١].

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياءٌ عند ربهم يرزقون﴾[٢].

وفي (السيرة) في غزوة مؤتة فأخذ عبدالله بن رواحة الراية ـ أي بعد قتل جعفر وزيد بن حارثة وهو يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه

ان أجلب الناس وشدوا الرنة ... مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال فيما كنت مطمئنة ... هل انت إلّا نطفة في شنة

قالوا الشنة السقاء البالي، والنطفة الماء القليل الصافي أي يوشك أن ينخرق السقاء ويهرق ماؤه، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.

وفي (الاستيعاب) حبسوا الوليد بن الوليد بمكة في المستضعفين فكان النبي ﷺ يدعو له فأفلت من اسارهم فخرج على رجليه فطلبوه فلم يدركوه شدا ونكبت أصبع من أصابعه فجعل يقول:

هل أنت إلّا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

قالوا: فمات منه.

٢٥
الكتاب (٥٦)

من وصية له وصى بها شريح بن هانئ لمّا جعله على مقدمته إلى الشام:

اتَّقِ اللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ؛ وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنيَا الْـغَرُورَ؛ وَلَا

---

(١) لانفال: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ الأَهْوَاءُ، مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ إلى أَهْوَاءٍ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً، وَلِنَزْوتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً.

قول المصنف «ومن وصيّة له عليه السلام وصى بها» هكذا في المصرية، والصواب: «ومن كلام له عليه السلام وصى به» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«شرح بن هاني» في (الاسد) كان من أعيان أصحاب علي عليه السلام وشهد معه حروبه وشهد الحكمين بدومة الجندل، وبقي دهراً طويلاً قيل: انّه عاش مائة وعشرين سنة، وخرج إلى سجستان غازياً، فأخذ الكفار عليهم الطريق فقتل في عامة الجيش وقال في ذلك اليوم:

أصبحت ذابث أقاسي الكبرا ... قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمت أدركت النبي المنذرا ... وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسسترا ... والجمع في صفينهم ونهرا
وبالخميرات والمشقرا ... هيهات ما اطول هذا عمرا

«لمّا جعله على مقدمته إلى الشام» المفهوم من صفين نصر بن مزاحم انّه عليه السلام ما جعل شريحاً على جميع مقدمته بل على طائفة منها وانما جعل زياد بن النضر أميراً على جميع المقدمة، وشريح كان على طائفة ما لم يجتمع مع زياد وانّه عليه السلام دعاهما وجعل المخاطب بالكلام الذي وصى به زياداً لكونه الأمير على الكل ففيه قال يزيد بن خالد بن قطن:

ان علياً عليه السلام لمّا أراد المسير إلى النخيلة دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ ـ وكانا على مذحج والاشعريين ـ فقال يا زياد اتق الله في كلّ ممسى ومصبح، وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال من البلاء، واعلم

انك ان لم تزع نفسك عن كثير ممّا تحب مخافة مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرّ فكن لنفسك مانعاً وادعاً من البغي والظلم والعدوان فاني قد وليتك هذا الجند فلا تستطيلن عليهم، وان خيركم عند الله اتقاكم وتعلّم من عالمهم وعلّم جاهلهم واحلم عن سفيههم فانك انما تُدرك الخير بالحلم وكفّ الأذى والجهد.

وفيه أيضاً انّه عليه السلام لمّا وصى زياداً بذاك الكلام قال زياد له عليه السلام «أوصيت حافظاً لوصيتك مؤدباً بأدبك يرى الرشد في نفاذ أمرك، والغي في تضييع عهدك».

وفيه بعثهما في اثنى عشر ألفاً على مقدمته وشريح على طائفة وزياد على جميعهم وأمرهما أن يأخذا في طريق واحد ولا يختلفا ـ قال فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حده ولا يقرب بزياد فكتب زياد إلى الإمام عليه السلام انك ولّيتني أمر الناس، وان شريحاً لا يرى لي عليه طاعة وذلك من فعله بي استخفافاً بأمرك وتركاً لعهدك ـ قال: وكتب شريح إليه عليه السلام ـ «ان زياداً حين أشركته في أمرك وولّيته جنداً من جنودك تنكّر واستكبر، ومال به العجب والخُيلاء والزهوّ إلى ما لا يرضاه الربُّ تعالى من القول والفعل، فان رأى ان يعزله عنّا ويبعث مكانه من يحبّ فليفعل فانّا له كارهون الخ.

قوله عليه السلام «اتق الله في كلّ صباح ومساء» هكذا في (المصرية) ونسخة (ابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد والخطّية) (مساء وصباح) وكيف كان فقال تعالى:

﴿... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾[1].

---

(١) المائدة: ٢.

﴿... واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾[١] ـ ﴿... واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾[٢] ـ ﴿... واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾[٣] ـ ﴿... واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾[٤] ـ ﴿... واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾[٥] ـ ﴿... واتقوا لعلّكم ترحمون﴾[٦] ـ ﴿... واتقوا الله لعلّكم تفلحون﴾[٧].

«**وخف على نفسك الدنيا الغَرور**» ﴿يا أيها الناس اتقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يَجزي والد عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً ان وعد الله حقٌّ فلا تَغُرَّنَكم الحياةُ الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغَرور﴾[٨].

«**ولا تأمنها على حال**» ﴿... وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور﴾[٩].

«**واعلم انك ان لم تردع**» أي: تنهى وتمنع.

«**نفسك عن كثير ممّا تحب مخافة مكروه**» هكذا في (المصرية) والصواب: (مكروهه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وفي الأصل المستند صفين نصر.

«**سمت**» أي: علت.

«**بك الأهواء**» وميول النفس.

«**إلى كثير من الضرر**» في العاجل والآجل ـ قال الشاعر:

---

(١) المائدة: ٩٦.

(٢) المائدة: ٩٦.

(٣) المائدة: ٨٨.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) المائدة: ٤.

(٦) لانعام: ١٥٥.

(٧) البقرة: ١٨٩.

(٨) لقمان: ٣٣.

(٩) آل عمران: ١٨٥.

فانك ان أعطيت بطنك سؤلها وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

قال تعالى ﴿... كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ...﴾(١).

﴿... ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله ان الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾(٢).

﴿... كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذّبوا وفريقاً يقتلون﴾(٣) ـ ﴿... ولئن اتبعت أَهْواءَهُم من بعد ما جاءك من العلم انك اذن لمن الظالمين﴾(٤).

«فكن لنفسك مانعاً رادعاً» ﴿واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنّة هي المأوى﴾(٥).

«ولنزوتك» أي: توثبك.

«عند الحفيظة» أي: الغضب والحمية.

«واقماً» جاذباً لعنانها راداً لها عن مرادها.

٢٦
الحكمة (٣١)

والْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ؛ وَالزَّيْغِ وَالشِّقَاقِ؛ فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ،

---

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) المائدة: ٧٠.

(٤) البقرة: ١٤٥.

(٥) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ؛ وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلالَةِ، وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وَأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ. وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي، وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالِاسْتِسْلَامِ، فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ، وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ؛ وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ؛ وَمَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا.

قال الرضي: وبعد هذا كلام تركنا ذكره خوف الإطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب.

أقول: رواه (الخصال) و(التحف) و(الكافي)، وفي (الأول) والكفر على أربع دعائم: على الفسق والعتو والشك والشبهة، فالفسق على أربع شعب: على الجفاء والعمى والغفلة والعتو، فمن جفا حقر الحقّ ومقت الفقهاء وأصرّ على الحنث العظيم، ومن (عمى ـ ط) نسي الذكر واتبع الظن والح عليه الشيطان، ومن غفل غرّته الأماني وأخذته الحسرة إذا انكشف الغطاء، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، ومن عتا عن سرّ الله تعالى أذلّه بسلطانه، وصغّره بجلاله كما فرّط في جنبه وعتا عن أمر ربه الكريم، والعتوّ على أربع شعب: على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق، فمن تعمّق لم ينب إلى الحق ولم يزدد إلّا غرقاً في الغمرات، ولم تحتبس عنه فتنة إلّا غشيته أُخرى، والخرق أُخرى فهو يهيم في أمر مريج، ومن نازع وخاصم قطع بينهم الفشل، وذاقوا وبال أمرهم (ومن زاغ ـ ط) ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة (ومن شاق ـ ط) اعتور عليه طرقه واعترض عليه أمره وضاق مخرجه، وحري أن يرجع من دينه، ويتبع غير سبيل المؤمنين والشك على أربع شعب: على الهول والريب والتردد والاستسلام، فبأي آلاء ربك يتمارى المتمارون، ومن هاله ما

بين يديه نكص على عقبيه، ومن تردد في الريب سبقه الأولون، وأدركه الآخرون وقطعته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك في ما بينهما.

وفي (الثاني): والكفر على أربع دعائم على الفسق والغلو والشك والشبهة. فالفسق من ذلك على أربع شعب الجفاء والعماء والغفلة والعتو، فمن جفا حقر المؤمن ومقت الفقهاء وأصرّ على الحنث، ومن عمي نسي الذكر بذي خلقه وبارز خالقه وألح عليه الشيطان، ومن غفل جنى على نفسه وأثقل على ظهره، وحسب غيّه رشداً وغرّته الأماني وأخذته الحسرة إذا انقضى الأمر وانكشف عنه الغطاء وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، ومن عتا عن أمر الله شك ومن شك تعالى الله عليه ثم أذلّه بسلطانه وصغّره بجلاله كما فرط في حياته واغتر بربه الكريم. والغلو على أربع شعب: على التعمق، والتنازع، والزيغ، والشقاق، فمن تعمّق لم ينته إلى الحقّ ولم يزده إلا غرقاً في الغمرات، ولا يبخسه عنه فتنة إلّا غشيته أُخرى فهو يهوي في أمر مريج ومن نازع وخاصم قطع بينهم الفشل وبلى أمرهم من طول اللجاج، ومن زاغ سيئت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلال، ومن شاق أعورت عليه طرقه واعترض عليه أمرُه وضاق مخرجُه، وحرام ان ينزع من دينه من اتبع غير سبيل المؤمنين ـ والشك على أربع شعب: على المرية، والهول، والتردد، والاستسلام، فبأي آلاء ربك يتمارى الممترون، ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردّد في دينه سبقه الأولون وأدركه الآخرون ووطئته سنابك الشياطين، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما ومن نجا من ذلك فبفضل اليقين.

وفي الثالث: بني الكفر على أربع دعائم: الفسق، والغلو، والشك،

والشبهة، والفسق على أربع شعب: على الجفاء والغماء والغفلة والعتو، فمن جفا احتقر الخلق ومقت الفقهاء وأصر على الحنث العظيم، ومن عمى نسي الذكر واتبع الظن وبارز خالقه وألح عليه الشيطان وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة، ومن غفل جنى على نفسه وانقلب على ظهره وحسب غيّه رشداً وغرّته الأماني وأخذته الحسرة والندامة إذا قضى الأمر وانكشف عنه الغطاء وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب. ومن عتا عن أمر الله شك ومن شك تعالى الله عليه فأذلّه بسلطانه وصغّره بجلاله كما اغتر بربّه الكريم ففرّط في أمره - والعلو على أربع شعب: على التعمق في الرأي والتنازع فيه والزيغ والشقاق.

فمن تعمّق لم ينب إلى الحق، ولم يزدد إلّا غرقاً في الغمرات ولم تبخسه عنه فتنة إلّا غشيته أُخرى وانخرق دينه فهو يهوى في أمر مريج، ومن نازع في الرأي وخاصم شهر بالعتل من طول اللجاج ومن زاغ قبحت عنده الحسنة، وحسنت عنده السيئة ومن شاق أوعرت عليه طرقه واعترض عليه أمره وضاق عليه مخرجه إذ لم يتبع سبيل المؤمنين.

والشك على أربع شعب: المرية والهوى والتردد والاستسلام، وهو قول الله تعالى، ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾[1] - وفي روايه أُخرى - على المرية والهول من الحق والتردد والاستسلام للجهل وأهله، فمن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن امترى في الدين تردد في الرَّيب وسبقه الأوّلون من المؤمنين وأدركه الآخرون، ووطئته سنابك الشياطين، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك ما بينهما من نجا من ذلك فمن فضل اليقين.

ورواه الثقفي في (غاراته) في عنوان «كلام من كلامه» عليه السلام عن أبي زكريا عن أهل العلم من أصحابه جزء كلام طويل له عليه السلام.

---

(١) النجم: ٥٥.

قول المصنف: «وقال عليه السلام الكفر» هكذا في (المصرية) والصواب: (والكفر) بدون كلمة (وقال عليه السلام) بكونه جزء سابقه الماضي في (٤) من الباب كما يشهد له ابن أبي الحديد وابن ميثم و(الخطّية)، ولأن (الخصال) و(التحف) و(الغارات) رووا هذا مع سابقه خبراً واحداً ـ و(الكافي) وان جزأه على حسب ترتيب كتابه وروى (الثاني) باسناد آخر عن سليم إلّا انّه قال في (الأول) ـ بعد روايته عن الأصبغ ـ وقال غيره ان ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الاسلام والايمان والكفر والنفاق فقال ـ الخ ـ وليس ثمة جواب الكفر والنفاق.

«على أربع دعائم» جمع دعامة عماد البيت.

وفي خبر «أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد، فاما الحرص فان آدم حين نهي عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها، واما الاستكبار فابليس حين أمر بالسجود لآدم استكبر، واما الحسد فابنا آدم قتل أحدهما صاحبه حسداً».

«على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق» قد عرفت من روايات (الكافي) و(التحف) و(الخصال) للعنوان كون هذه الأربعة شعب الدعامة الثانية من دعائم الكفر لا دعائمه الأولى، وانما دعائمه الأولى فيها «الفسق والغلو والشك والشبهة».

«فمن تعمق لم ينب إلى الحق» قد عرفت ان الكتب الثلاثة زادت «ولم يزدد إلّا غرقاً في الغمرات لم تبخسه عنه فتنة إلّا غشيته أُخرى وانخرق دينه فهو يهوي في مريج».

وبالجملة فمن تعمّق ولج ولم يكتف بالبرهان غرق كما كان الزنادقة يقولون لو كان إله لوجب ان نراه بأبصارنا ـ وفي (توحيد) الصدوق قال

هشام بن الحكم: دخل أبو شاكر الديصاني على الصادق عليه السلام فقال له انك أحد النجوم الزواهر وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأُمهاتك عقيلات عباهر وعنصرك من أكرم العناصر وإذا ذكر العلماء فبك تثنى الخناصر فخبرني ايها البحر الزاخر ما الدليل على حدوث العالم؟ ـ فقال عليه السلام نستدل عليه بأقرب الأشياء ودعا ببيضة فوضعها على راحته فقال هذا حصن ملموم داخله غرقي لطيف فيه فضة سائلة وذهبة مائعة ثم تنفلق عن مثل الطاووس ادخلها شيء فقال: لا، قال: فهذا الدليل على حدوث العالم، قال: أخبرت فأوجزت وقلت فأحسنت لكن علمت انّا لا نقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا أو شممناه بمناخرنا أو ذقناه بأفواهنا أو لمسناه بأكفّنا أو تصور في القلوب بياناً أو استنبطه الروايات ايقاناً ـ فقال عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح.

وفي (توحيد المفضل) واعجب منهم جميعاً المعطلة الذين راموا ان يدركوا بالحس ما لايدرك بالعقل فلمّا أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب ـ فقالوا: ولِمَ لا يدرك بالعقل؟ قيل: لأنّه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته، فانك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت ان رامياً رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لأن العقل هو الذي يميّزه فيعلم ان الحجر لا يذهب علواً من تلقاء نفسه أفلا ترى كيف وقف البصر على حده؟ فلم يتجاوزه فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله كما يقرّ ان في الانسان نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس وعلى حسب هذا أيضاً نقول: ان العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته ـ فان قالوا: فكيف يكلّف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به؟ قيل لهم: انما

كلّف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو ان يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلفوا الإحاطة بصفته كما ان الملك لا يكلّف رعيته ان يعلموها أطويل هوام قصير وأبيض هو أم أسمر، وانما يكلّفهم الاذعان لسلطانه والانتهاء إلى أمره، ألا ترى لو أن رجلاً أتى باب الملك فقال: اعرض على نفسك حتى اتقصّى معرفتك، وإلّا لم أسمع لك كان قد أحل نفسه بالعقوبة، فكذا القائل انّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه يكون متعرّضاً لسخطه ـ فان قالوا أوليس قد نصفه فنقول: هو العزيز الحكيم، الجواد الكريم، قيل لهم كلّ هذه صفات إقرار وليست صفات إحاطة فانّا نعلم انّه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه، وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء فلا ندري ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري اين منتهاه.

وعن أبي عبدالله عليه السلام يا ابن آدم لو أكل قبلك طائر لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرق أُبر لغطّاه تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض، فان كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت ان تملأ عينيك منها فهو كما تقول.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ومن كان في هذه أعمى ...﴾[1] ـ أي لم يدله خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على ان وراء ذلك أمراً أعظم منه فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلا».

«ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق» ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ

---

(١) الاسراء: ٧٢.

قلب متكبّر جبّار﴾[١].

﴿ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم إلّا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انّه هو السميع البصير﴾[٢].

«ومن زاغ ساءت» وفي (الكافي) (قبحت) وهو الأنسب بقوله بعد (وحسنت).

«عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة» ﴿... فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم...﴾[٣].

«وسكر سكر الضلالة» قال تعالى: ﴿... فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ...﴾[٤].

﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ...﴾[٥] ولذا حكي عن أمير المؤمنين دعاؤهم ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ...﴾[٦]..

«ومن شاق وعرت» بالضم أي: صعبت.

«عليه طرقه واعضل» أي: اشتد.

«عليه أمره» حتى لا يهتدي لوجه.

«وضاق عليه» هكذا في (المصرية) وكلمة (عليه) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«مخرجه» ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير

---

(١) غافر: ٣٥.

(٢) غافر: ٥٦.

(٣) الصف: ٥.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) فاطر: ٨.

(٦) آل عمران: ٨.

سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[١].

«والشك على أربع شعب»: على نقل المصنف يكون الشك غير الكفر وعلى نقل (الكتب الثلاثة) و(الغارات) هو الدعامة الثالثة من دعائم الكفر.

«على التماري» وهو المريّة أي: الجدل.

«والهول» أي: الفزع وفي (الصحاح) قال أبو عبيدة كان في الجاهلية لكلّ قوم نار وعليها سدنة فكان إذا كان بين رجلين خصومة جاءوا بالرجل إلى النار فيحلف عندها وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً من حيث لا يشعر يهولون بها عليه، قال أوس:

كما صدر عن نار المهول حالف.

واسم تلك النار (الهولة) بالضم قال الكميت:

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هولوا

وفي الأساس: قال حميد يصف الفيل:

ان الذي يركبه محمول على تهاويل لها تهويل

وقال بشر وذكر الظعائن:

عليهن أمثال الخداري خلقة من الريط والرقم التهاويل كالدم

«والتردد» قال في المرآة: «أي التردد بين الحق والباطل لأن الشاك متردد بينهما قد يختار هذا وقد يختار ذاك» ـ الخ ـ والأظهر كون المراد التردد في الشكوك الباطلة.

«والاستسلام» أي: الانقياد.

«فمن جعل المراء ديناً» هكذا في (المصرية) والصواب: (ديدناً) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) اي عادة.

---

(١) النساء: ١١٥.

«لم يصبح ليله» أي: لم يخرج من ليل العقائد الباطلة إلى صبح العقائد الحقة ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله انّى يصرفون﴾[(١)].

«ومن هاله ما بين يديه نكص» أي: رجع.

«على عقبيه» وكلامه عليه السلام قياس مضمر أي: الكافر لكونه شاكّاً يهوله ما بين يديه من الوظائف الدينية من الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وكلّ من هاله ما بين يديه نكص على عقبيه فهو أيضاً ينكص إلى الانهماك في شهوات الدنيا ـ قال تعالى: ﴿فاعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا﴾[(٢)].

«ومن تردد في الريب وطئته» من (وطئت الشيء برجلي).

«سنابك» جمع سنبك طرف مقدّم الحافر.

قال تعالى: ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه ...﴾[(٣)].

﴿... ومن يتخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً * مبيناً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً﴾[(٤)].

«ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما» ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾[(٥)].

قال الرضي: الظاهر عدم كونه كلام المصنف حيث ليس في (الخطّية)

---

(١) غافر: ٦٩.

(٢) النجم: ٢٩.

(٣) الانفال: ٤٨.

(٤) النساء: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٥) الحج: ١١.

رأساً وفي (ابن ميثم) (قال السيد).

«وبعد هذا كلام» زاد ابن ميثم (طويل)

«تركنا ذكره» قد عرفت انّه كان قبل هذا أيضاً كلام ترك ذكره الدعامة الأولى من الكفر وهي الفسق مع شعبه الأربع، الجفاء والعماء والغفلة والعتو، كما ترك بينها فقرِئت كما عرفت.

وأما ما تركه بعد هذا الكلام فالدعامة الرابعة من الكفر، وهي الشبهة مع شعبه الأربع ـ ففي (التحف) بعدما مر «والشبهة على أربع شعب: على اعجاب بالزينة وتسويل النفس وتأوّل العوج ولبس الحق بالباطل، وذلك ان الزينة تصدف عن البيّنة، وتسويل النفس تقحم إلى الشهوة، والعوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً، واللبس ظلمات بعضها فوق بعض فذلك الكفر ودعائمه وشعبه» ـ ومثله (الكافي) و(الخصال) و(الغارات).

وبعده أيضاً في (الثلاثة) و(الغارات) (والنفاق على أربع دعائم: على الهوى والهوينا والحفيظة والطمع ـ والهوى من ذلك على أربع شعب: على البغي والعدوان والشهوة والطغيان، فمن بغى كثرت غوائله وغلابه، ومن اعتدى لم تؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه، ومن لم يعدل نفسه عن الشهوات خاض في الخبيثات، ومن طغى ضلّ على غير يقين ولا حجّة.

والهوينا على أربع شعب: الهيبة والغرة والمماطلة والأمل، وذلك لأن الهيبة ترد عن الحق، والمماطلة تفرط في العمل حتى يقدم عليه الأجل، ولولا الأمل علم الانسان حساب ما هو فيه، ولو علم حساب ما هو فيه مات خفاتاً من الهول والوجل ـ والحفيظة على أربع شعب: الكبر والفخر والحميّة والعصبية، فمن استكبر أدبر عن الحق، ومن فخر فجر ومن حمى أصرّ على الذنوب، ومن أخذته العصبية جار فبئس الأمر أمر بين الاستكبار والادبار وفجور وجور ـ

والطمع على أربع شعب: الفرح والمرح واللجاجة والتكبر (التكاثر ـ ط) فالفرح مكروه عند الله عزوجل، والمرح خيلاء واللجاجة بلاء لمن اضطرته إلى حبائل الآثام، والتكاثر لهو ولعب وشغل واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فذلك النفاق ودعائمه وشعبه».

«خوف الاطالة» إذا كان شيء داخلاً في موضوع كتاب لا وجه لتركه خوف الاطالة.

«والخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب» هكذا في (المصرية) والصواب: (الكتاب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)، وكيف كان فلم يعلم كون ما ترك أدون ممّا نقل في جامعيته للبلاغة الكاملة.

٢٧
الخطبة (١٨٩)

أوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ؛ فَإِنَّهُم الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ، وَالزالُّونَ المُزِلُّونَ؛ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً؛ وَيَفْتَنُّونَ ٱفْتِنَاناً، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ؛ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ؛ قُلُوبُهُمْ دَوِيَةٌ؛ وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، يَمْشُونَ ٱلْخَفاءَ؛ وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ: وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ؛ وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ ٱلْعيَاءُ؛ حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو ٱلبَلَاءِ وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ. لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ؛ وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ؛ يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ؛ وَيَتَرَاقَبُونَ ٱلْجَزَاءَ؛ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا؛ وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا؛ قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً؛ وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً؛ وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً؛ وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً؛ وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ؛ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ؛ وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ؛ يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ. قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ؛

وَأَضْلَعُوا المَضِيقَ فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وَحُمَةُ النِّيرَانِ؛ ﴿... أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله» لأنّه لا نجاة لغيرهم ﴿وان منكم إلّا واردها كان على ربك حتماً مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾[2].

«وأُحذّركم أهل النفاق» في (غريب قرآن) السجستاني، النفاق مأخوذ من النفق وهو السرب[3]: أي: يتستر بالإسلام كما يتستر الرجل في السرب ـ ويقال هو من «نافق اليربوع ونفق» إذا دخل نافقاءه فإذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء، وإذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء، والنافقاء والقاصعاء والراهطاء والداماء اسماء جحر اليربوع.

«فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه ان ينتفع به في بعض بنائه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد، فحوله في موضع آخر فلم يستقم له فكان آخر ذلك ان أحرقه بالنار.

«يتلونون الواناً» في (عيون) ابن قتيبة: أقبل عيينة بن حصن إلى المدينة قبل إسلامه فلقيه ركب خارجون منها، فقال: أخبروني عن هذا الرجل ـ يعني النبي صلى الله عليه وآله ـ فقالوا: الناس فيه ثلاثة رجال: رجل أسلم فهو معه، يقاتل قريشاً وافناء العرب، ورجل لم يسلم فهو يقاتله، ورجل يظهر الاسلام إذا لقي أصحابه ويظهر لقريش انه معهم إذا لقيهم، فقال: ما يسمّى هؤلاء؟ قالوا:

---

(١) المجادلة: ١٩.

(٢) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٣) غريب القرآن لأبو بكر السجستاني: ١٩٩، طبع محمد صبيح، القاهرة ١٩٦٣م.

المنافقون قال: فاشهدوا اني منهم، فما في من وصفتم أحزم من هؤلاء.

«ويفتنُون افتنانا» في (الاستيعاب): كان الجد بن قيس ممّن يغمص عليه النفاق، فقال النبي ﷺ: للناس اغزوا الروم تنالوا بنات الأصفر، فقال: قد علمت الأنصار اني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى افتتن ولكن أعينك بمالي فنزل ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا...﴾[1] وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة فانتزع النبي ﷺ سودده وسود فيهم عمرو بن الجموع وفي (الاسد) اصابت يزيد بن حاطب بن عمرو الأشهلي يوم أُحد جراحة فأتي به إلى دار قومه وهو بالموت فجعل المسلمون من الرجال والنساء يقولون له: ابشر بالجنّة فقال أبوه: ـ ونجم نفاقه يومئذ ـ بأيّ شيء تبشّرونه بالجنّة من حرمل غررتم هذا الغلام عن نفسه) وحرمل حبّ يدخن به.

«ويعمدونكم» من (عمدت الشيء) أقمته.

«بكلّ عماد» لتساعدوهم على أغراضهم.

«ويرصدونكم بكلّ مرصاد» لاهلاككم.

وارصاد المنافقين ليلة العقبة لإهلاك النبي ﷺ في منصرفه من تبوك، واخبار النبي ﷺ بهم حذيفة معروف ـ ففي (الخصال) مسنداً عن حذيفة قال: الذين نفروا بالنبي ﷺ ناقته في منصرفه من تبوك أربعة عشر: أبو الشرور، وأبو الدواهي، وأبو المعازف وأخوه طلحة وسعد وأبو عبيدة وأبو الأعور والمغيرة وسالم مولى أبي حذيفة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبو موسى وعبد الرحمن بن عوف وهم الذين أنزل تعالى فيهم: ﴿... وهمّوا بما لم

---

(١) التوبة: ٤٩.

ينالوا ...﴾[١].

وعن (الجامع الكبير)، قال أبو الطفيل: كان بين حذيفة وبين رجل من أهل العقبة ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك الله كم كان أصحاب العقبة؟ قال أبو موسى: قد كنّا نخبر انّهم أربعة عشر، فقال حذيفة وان كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر.

وفي (الاستيعاب) كان جلاس بن سويد ممّن تخلّف من المنافقين في غزوة تبوك، وكان يثبّط الناس عن الخروج ويقول: ان كان محمّد صادقاً لنحن شرّ من الحمير، فسمعه عمير بن سعد ـ وكان يتيماً في حجر جلاس وأُمه تحته ـ فقال: لجلاّس كنت أعزّ الناس على أن يدخل عليه شيء يكرهه وقلت مقالة ان ذكرتها لأفضحنك، وان كتمتها هلكت واحداهما أهون عليّ فذكر للنبي ﷺ كلامه فبعث النبي ﷺ إلى الجلاس فسأله فحلف ما تكلّم به وعمير كاذب ـ وكان حاضراً ـ فقام وقال: اللّهم انزل على نبيك بيان ما تكلمت به فانزل تعالى: ﴿يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ...﴾[٢] الآية ـ

«قلوبهم دوية» بالتخفيف أي: فاسدة من الداء.

«وصفاحهم» أي: بشرة جلدهم.

«نقية» أي: نظيفة قال تعالى في المنافقين:

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنّهم خشب مسندة ...﴾[٣].

هذا، وفي قصّة يوذاسف وبلوهران ملكا كان خيّراً أراد تنبيه وزرائه

---

(١) التوبة: ٧٤.

(٢) التوبة: ٧٤.

(٣) المنافقون: ٤.

على خطأ لهم فأمر بأربعة توابيت، فصنعت له من خشب فطلى تابوتين منها بالقار وتابوتين منها بالذهب، فلمّا فرغ منها ملأ تابوتي القار ذهباً وياقوتاً وزبرجداً، وملأ تابوتي الذهب جيفاً ودماً وعذرة، ثم جمع وزراءه فعرضها عليهم، وأمرهم بتقويمها فقالوا في مبلغ علمنا ان تابوتي الذهب لا ثمن لهما لفضلهما وتابوتي القار لا ثمن لهما لرذالتهما ـ فأمر الملك بتابوتي القار فنزعت عنهما صفائحهما فأضاء البيت ممّا فيهما من الجواهر فقال لهم: هذا مثل قوم ازدريتم بلباسهم وظاهرهم وهم مملوؤون علماً وحكمة وصدقاً وبرّاً وساير مناقب الخير التي هي أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجوهر والذهب ـ ثم أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أبوابهما فاقشعروا من سوء منظرهما وتأذوا بريحهما ونتنهما فقال الملك: هذا مثل القوم المتزينين بظاهر الكسوة واللباس وأجوافهم مملوءة جهالة وعمىً وكذباً وجوراً وساير أنواع الشر التي هي أفظع وأشنع وأقذر من الجيف والعذرة ولشاعر جاهلي:

ان يغدروا أو يكذبوا أو يختروا لا يحفلوا
يغدوا عليك مرجلين كأنّهم لم يفعلوا

«يمشون الخفاء» قال ابن أبي الحديد الخفاء منصوب بنزع الخافض.

قلت: بل الظاهر انّه مفعول مطلق كما في قولهم (رجعت القهقرى).

«ويدبون» من قولهم (دب الشيخ) مشى رويداً.

«الضراء» قال: ابن أبي الحديد الضراء شجر الوادي الملتف وهذا مثل يضرب لمن يختل صاحبه، يقال: (هو يدب له الضرّاء ويمشي له الخمر) ـ وتبعه ابن ميثم فقال (والضراء ما واراك من الشجر الملتف) ـ وتبعه الخوئي فقال: (يقال «فلان يدب له الضراء» إذا أراد بصاحبه سوء وأذى من حيث لا يعلم كمن يمشي في الشجر الملتف الساتر للاصطياد).

قلت: (الضراء) انما هي نقيض السراء ولا تجيء إلّا بمعنى الشدّة، ولم يذكر (الصحاح) و(القاموس) و(الأساس) و(المصباح) وغيرها معنى لها غير ذلك، وهذا نص (الصحاح) (البأساء والضراء الشدّة وهما اسمان مؤنثان من غير تذكير) وما قاله ابن أبي الحديد خلط عجيب من قول الجوهري في (الخمر) فقال ثمة: «الخمر ـ بالتحريك ـ ما واراك من شجر يقال: (توارى الصيد مني في خمر الوادي) قال ابن السكيت:

خمره ماواراه من جرف أو حبل من حبال الرمل أو شجر أو شيء ومنه قولهم: (دخل فلان في خمار الناس) أي في ما يواريه ويستره منهم، ويقال للرجل: إذا اختل صاحبه (هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر) ـ فرأى ابن أبي الحديد كلام الصحاح في (خمر) وذكره المثل الجامع للخمر وللضراء فتوهّم ان المعنى للضراء مع انّه الخمر ـ كما ان تبعية ابن ميثم والخوئي له تقليد غريب كيف لم يراجعا كتاب لغة حتى يريا ان أحداً لم يقل ذلك.

ثم ان ابن أبي الحديد قال: نصب (الضراء) أيضاً بنزع الخافض مثل (الخفاء) مع انّك قد عرفت ثمة ان النصب بالمفعول المطلق النوعي وهذا مثله.

هذا، وفي كتاب بديع الهمداني إلى مسكويه «قصاراهم نار يشببونها أو عقرب يدببونها».

«وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء» الذي يعجز الطبيب عن علاجه.

وفي (الأغاني)، كان بين المغيرة بن شعبة ومصقلة بن هبيرة تنازع فضرع له المغيرة وتواضع في كلامه حتى طمع فيه مصقلة واستعلى عليه فشتمه وقذفه فقدّمه المغيرة إلى شريح ـ وهو القاضي يومئذ ـ فأقام عليه الحد فضربه الحد فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة ما دام حيّاً.

وخرج إلى بني شيبان فنزل فيهم إلى ان مات المغيرة ثم دخل الكوفة فتلقاه قومه وسلّموا عليه فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثـقيف فارشدوه إليها فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا انّك تريد أن ترجم قبره فقال: القوا ما في أيديكم، فتلقوه وانـطلق حـتى وقف على قبره ثم قال مشيراً إلى قبر المغيرة: «أما والله لقد كنت مـا عـلمت نافعاً لصديقك ضاراً لعدوّك وما مثلك إلّا كما قال مهلهل في أخيه كليب:

ان تحت الأحجار حزماً وعزماً ... وخـصيماً ألد ذا مـعلاق

حـية فـي الوجـار أربـد لا ... ينفع مـنه السـليم نـفث الراقـي

«حسدة الرخاء» استدل له بقوله تعالى: ﴿ان تمسسكم حسنة تسـؤهـم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ...﴾[١].

«ومؤكدوا البـلاء» قـال تـعالى فـي الأحـزاب والمـنافقين: ﴿وإذ يـقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسـوله إلّا غـرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بـعورة ان يـريدون إلّا فـرارا * ولو دخـلت عليهم من أقطارها ثم سُئلوا الفتنة لأتوها وما تلبَّثوا بها إلّا يسيرا * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا﴾[٢].

«لهم بكل طريق صريع» أي: هالك.

وفي (الطبري)، قال محمد بن سليم: سألت أنس بن سيرين هـل كـان سمرة بن جندب قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتله سمرة استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له: هـل

---

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) الاحزاب: ١٢ ـ ١٥.

تخاف أن تكن قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت.

وعن أبي سوار العدوي، قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن.

وعن عوف قال: أقبل سمرة من المدينة فلمّا كان عند دور بني أسد خرج رجالٌ من بعض أزقّتهم ففجأ أوائل الخيل فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة ثم مضت الخيل، فأتى عليه سمرة وهو متشحط في دمه فقال: ما هذا؟ فقيل: أصابته أوائل خيل الأمير، قال إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا.

وعن مسلم العجلي قال: مررت بالمسجد فجاء رجل إلى سمرة فأدّى زكاة ماله ثم دخل فجعل يصلّي في المسجد فجاء رجل فضرب عنقه فإذا رأسه في المسجد وبدنه ناحية فمر أبو بكرة فقال: يقول سبحانه تعالى ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلّى﴾[1] قال فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شرّ ميتة.

وعنه شهدت سمرة وأتى بناس كثير واناس بين يديه فيقول للرجل ما دينك؟ فيقول: (اشهد ان لا إله إلّا الله وان محمّداً رسول الله واني بريءٌ من الحرورية) فيقدم فيضرب عنقه حتى مر بضعة وعشرون!.

وفيه مات زياد وسمرة على البصرة خليفته فأقرّه معاوية ثمانية عشر شهراً ثم عزله، فقال سمرة: لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذّبني أبداً.

«وإلى كلّ قلب شفيع» لانجاح مقاصدهم.

وفي (الطبري) قدم المغيرة على معاوية واستعفاه وشكا إليه الضعف

---

(١) الاعلى: ١٤ ـ ١٥.

فأعفاه، وأراد أن يولّي سعيد بن العاص وبلغ كاتب المغيرة ذلك فأتى سعيداً فأخبره وعند سعيد رجل فأتى المغيرة وقال له: رأيت كاتبك عند سعيد يخبره ان معاوية يوليه الكوفة؟ قال المغيرة: أفلا يقول كما قال:

أم غاب ربك فاعترتك خصاحه ولعلّ ربك أن يعود مؤيدا

رويداً ادخل على يزيد فدخل عليه فعرض له بالبيعة فأدّى ذلك يزيد إلى أبيه فرد معاوية المغيرة إلى الكوفة فأمره ان يعمل في بيعة يزيد فشخص المغيرة إلى الكوفة وعمل في بيعة يزيد وأوفد في ذلك وافداً إلى معاوية.

«ولكل شجو» أي: الهمّ والحزن، قال ابن داود:

من لعين بدمعها موليه ولنفس بما عناها شجية

وقال آر: «اني أتاني خبر فاشجان».

«دموع» كاذبة ﴿فجاؤا أباهم عشاءً يبكون﴾[1] وبعض السائلين يستعملون أدوية لاجراء الدموع حتى. يرقّ الناس لهم ويعطونهم.

«يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء» على ثنائهم.

في (الطبري) في ذكر يوم السقيفة في خبر قال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة أيّهما شئتم فبايعوا، فقالا: لا نتولّى هذا الأمر عليك فانّك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة النبي على الصلاة، والصلاة أفضل ما في دين الاسلام، فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولى هذا الأمر عليك ـ وفي خبر آخر ـ قال عمر لأبي بكر: ابسط يدك أُبايعك، فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر أقوى لها مني ـ وكان كلّ واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها، ففتح عمر يد أبي بكر وقال: ان لك قوّتي مع قوّتك.

وفي (العقد): ان عثمان لمّا أراد أن يقرأ عهد أبي بكر قال له رجل: اقرأه،

---

(١) يوسف: ١٦.

وان كان فيه عمر فقال له عمر: وبمَ علمت ذلك؟ فقال وليته أمس فولّاك اليوم.

وفي (الطبري) ـ بعد ذكر بيعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان ـ قال علي عليه السلام لعبد الرحمن حبوته حبوَ دهرٍ ليس هذا أوّل يومٍ تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل، والله المستعان على ماتصفون والله ما وليت عثمان إلّا ليرد الأمر إليك والله كلّ يوم هو في شان.

«ان سألوا الحفوا» أي: الحوا وفي (الأساس): «يجوز أن يكون الحاف السائل من (الحف ظفره) استأصله».

وهو صفة ذم قال تعالى: ﴿... لا يسألون الناس الحافاً ...﴾[1].

«وان عذلوا» أي: لاموا.

«كشفوا» قيل أي: إذا عذلك أحدهم كشف عيوبك في ذلك العذل وجبهك بها.

«وان حكموا أسرفوا» في (الأغاني)، قال إبراهيم الموصلي: كنّا يوماً عند الهادي وعنده ابن جامع ومعاذ بن الطبيب ـ وكان أوّل يوم دخل علينا معاذ وكان حاذقاً بالأغاني عارفاً بأقدمها ـ فقال الهادي: من اطربني منكم فله حكمه فغناه ابن جامع فلم يحركه وفهمت غرضه في الأغاني فقال هات يا إبراهيم فغنيّته:

سليمى اجمعت بينا فأين نقولها اينا[2]

فطرب حتى قام من مجلسه ورفع صوته وقال: أعد فأعدت فقال: هذا غرضي فاحتكم فقلت: حايط عبد الملك وعينه الخرارة، فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنّهما جمرتان، وقال: يا ابن اللخناء أردت أن تسمع العامة أنّك

---

(١) البقرة: ٢٧٣.

(٢) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ١٨: ٣٢٧.

أطربتني واني حكمتك فاقطعتك اما والله لولا بادرة جهلك التي غلبت على صحيح عقلك لضربت الذي فيه عيناك ـ ثم أطرق هنيئة فرأيت ملك الموت بيني وبينه ينتظر أمره ـ ثم دعا إبراهيم الحرّاني فقال: خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت المال فليأخذ منه ما شاء فأدخلني وقال: كم تأخذ؟ قلت مائة بدرة، قال: دعني أوامره ـ فعلمت ما أراد ـ فقلت: سبعين لي وثلاثين لك، وقال الآن جئت بالحق فشانك فانصرفت بسبعمائة ألف.

«قد أعدوا لكل حق باطلاً» في (تفسير القمي): ان قوماً من الأنصار من بني أبيرق، أُخوة ثلاثة كانوا منافقين بشير وبشر ومبشر فنقبوا على عم قتادة بن النعمان ـ وكان قتادة بدرياً ـ وأخرجوا طعاماً كان أعدّه لعياله وسيفاً ودرعاً فشكاهم قتادة إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال بنو أبيرق لقتادة هذا عمل لبيد بن سهل وكان مؤمناً ـ فبلغه ذلك فأخذ سيفه وخرج عليهم فقال: يا بني أبيرق أترمونني بالسرقة وأنتم أولى بها مني وأنتم المنافقون تهجون النبي صلى الله عليه وآله وتنسبونه إلى قريش لتبينن ذلك أو لأملأن سيفي منكم فداروه وقالوا: ارجع انّك بريء من ذلك ـ

ومشوا إلى رجل من رهطهم يقال له اسيد بن عروة ـ وكان منطيقاً بليغاً ـ فمشى إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ان قتادة عمد إلى أهل بيت منّا أهل شرف وحسب فرماهم بالسرقة واتهمهم بما ليس فيهم فاغتم النبي صلى الله عليه وآله لذلك، وجاء إليه قتادة فعاتبه النبي صلى الله عليه وآله فاغتم من ذلك ورجع إلى عمه، وقال ليتني متّ ولم أُكلّم النبي صلى الله عليه وآله فقد كلّمني بما كرهته فقال عمّه الله المستعان فأنزل تعالى في ذلك لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾[1].

---

(١) النساء: ١٠٥.

«ولكلّ قائم مائلا» له عن القيام ـ في مجالس ثعلب قال معاوية لعتبة يوم الحكمين يا أخي أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أُذنيه ولو قدر أن يتكلّم بها فعل وغفلة أصحابه مجبورة بفطنته وهي ساعتنا الطولى فاكفنيه قال عتبة بجهدي قال فقعدت بجنب ابن عباس فلمّا أخذ القوم في الكلام أقبلت عليه بالحديث فقرع يدي وقال ليست ساعة حديث فأظهرت غضباً، وقلت: يا ابن عباس ان ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا وقد والله تقدّم فيك العذر وكثر منها الصبر، ثم اقذعته فجأش بي مرجله وارتفعت أصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عني ونحوني عنه فجئت فقربت من عمرو بن العاص فرماني بمؤخر عينه أي ما صنعت؟ فقلت له: كفيتك التقواله، فحمحم كما تحمحم الفرس للشعير.

وفي (الطبري) استعمل معاوية عبدالله بن عمرو بن العاص على الكوفة فأتاه المغيرة وقال له استعملت ابن عمرو بن العاص على الكوفة وهو على مصر فتكون أنت بين لحيي الأسد فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة وبلغ عمرو بن العاص ماقال المغيرة لمعاوية فدخل عليه فقال له اجعلت المغيرة على الكوفة؟ قال: نعم ـ قال: أجعلته على الخراج؟ قال: نعم، قال: تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال فيذهب به فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً استعمل على الخراج من يخافك ويتقيك فعزل المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلاة فلقى المغيرة عمراً فقال له أنت المشير على معاوية بما أشرت به في عبدالله؟ قال: نعم هذه بتلك.

وفي (عيون القتيبي) قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألهما عن أعمالهما إلى ان اعترض عمرو في حديث معاوية فقال له معاوية أعليّ تعيب وإليّ تقصد هلم

حتى أخبر الخليفة عن عملك وتخبره عن عملي ـ قال عمرو فعلمت انّه بعملي أبصر مني بعمله وان عمر لا يدع أوّل هذا الحديث حتى يأتي على آخره فأردت أن أفعل شيئاً أقطع به ذلك ـ فرفعت يدي فلطمت معاوية فقال عمر تالله يا معاوية الطمه رجلاً اسفه منك ما رأيت فقال معاوية ان لي أميراً لا أقضي الأمور دونه فأرسل عمر إلى أبي سفيان فأتاه ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال: ألهذا بعثت إلى أخيه وابن عمه وقد أتى غير كبير وقد وهبت له ذلك.

«ولكل حي قاتلاً» في (الطبري) كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عظم شأنه بالشام ومال إليه أهلها لمّا كان عندهم من آثار أبيه ولغنائه عنهم في أرض الروم حتى خافه معاوية وخشي على نفسه منه لميل الناس إليه، فأمر ابن اثال ان يحتال في قتله وضمن له ان هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش وأن يولّيه جباية خراج حمص فلمّا قدم عبد الرحمن حمص منصرفاً من بلاد الروم دس إليه ابن اثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات.

وفيه بعد ذكر فساد مصر على عهد محمد بن أبي بكر قال علي عليه السلام لمالك الأشتر انت لها، فتهيأ مالك للخروج وأتت معاوية عيونه فأخبروه فعظم ذلك عليه وقد كان قد طمع في مصر فعلم ان الأشتر ان قدمها كان أشدّ عليه من محمّد بن أبي بكر فبعث إلى الجايستار ـ رجل من أهل الخراج ـ ان الاشتر قد وُلّي مصر فان أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت فاحتل له بما قدرت عليه فخرج الجايستار حتى أتى قلزم وأقام به وخرج الاشتر من العراق فلمّا انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار، وقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج فنزل به الأشتر حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إيّاه؛ فلمّا شربها مات رحمه الله.

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: ان علياً وجّه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه، فكانوا كلّ يومٍ يدعون عليه وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلكه فقام معاوية خطيباً وقال كانت لعلي يدان يمينان قطعت احداهما ـ يعني عمّاراً ـ يوم صفين وقطعت الأُخرى ـ يعني الأشتر ـ اليوم.

وفي (مقاتل) أبي الفرج أرسل معاوية إلى ابنة الاشعث اني مزوجك يزيد ابني على ان تسمّي الحسن بن علي ـ وبعث إليها بمائة ألف درهم ـ الخ ـ

وفيه أيضاً ان معاوية أراد البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي عليه السلام وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه ـ الخ ـ سمّ الحسن عليه السلام لأنّه شرط له ان يرجع الأمر بعده إلى أهله، وأما سعد فسمّه لأن عمر كان جعله من ستة الشورى فكان يقوم في قِبال معاوية لذلك.

«ولكل باب مفتاحاً» في (الطبري) بلغ المغيرة ـ وهو أمير على الكوفة ـ ان زياداً ينتظر أن تجيء امارته على الكوفة فخرج إلى معاوية فسأله ان يعزله، وان يقطع له منازل بقرقيسا بين ظهري قيس فلمّا سمع بذلك معاوية خاف بائقته، وقال له: لترجعن إلى عملك فأبى عليه فلم يزده ذلك إلاّ تهمة فردّه إلى عمله، قال عيينة العجلي: فطرقنا المغيرة ليلاً واني لفوق القصر أحرسه فلمّا قرع الباب أنكرناه فلمّا خاف أن ندلي عليه حجراً تسمّى لنا فنزلت إليه فرحبت به وسلّمت عليه فتمثل:

بمثلي فاذعري يا أُم عمرو　　　إذا ما هاجني السفر النعور

وقال: إذهب إلى ابن سمية فرحله حتى لا يصبح الا من وراء الجسر ـ فخرجنا فأتينا زياداً فأخرجناه حتى طرحناه من وراء الجسر قبل أن يصبح.

«ولكلّ ليل مصباحا» في الطبري قال: أشياخ من ثقيف دخل المغيرة على

معاوية، فقال معاوية، حين نظر إليه:

انما موضع سرّ المرء ان باح بالسر أخوه المنتصح

فاذا بحت بسرّ فالى ناصح يستره أو لا تبح

فقال: ان تستودعني تستودع ناصحاً شفيقاً ورعاً وثيقاً فما ذاك؟ قال ذكرت زياداً واعتصامه بأرض فارس وامتناعه بها فلم أنم ليلتي ـ فأراد المغيرة أن يطأطىء من زياد ـ فقال: ما زياد هناك؟ فقال معاوية «بئس الوطء العجز» زياد داهية العرب ومعه الأموال متحصن بقلاع فارس يدبّر ويربص الحيل ما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت فإذا هو قد أعاد على الحرب. فقال المغيرة أتأذن لي في إتيانه؟ قال: نعم وتلطف له فأتى المغيرة زياداً فقال زياد حين بلغه قدوم المغيرة: ما قدم إلّا لأمر ثم اذن له فدخل عليه وهو في بهوله مستقبل الشمس فقال زياد: (أفلح رائد) فقال: إليك ينتهي الخبر أبا المغيرة ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثني إليك ولم يكن ـ تعلم ـ أحد يمد يده إلى هذا الأمر غير الحسن بن علي عليه السلام وقد بايع معاوية فخذ لنفسك فيها التوطين فيستغني عنك معاوية، قال: زياد اشر عليّ وارم الغرض الأقصى، ودع عنك الفضول فان المستشار مؤتمن، فقال المغيرة: (في مخض الرأي بشاعة ولا خير في المذيق) أرى ان تصل حبلك بحبله وتشخص إليه قال: أرى ويقضي الله.

وفيه أيضاً قدم زياد على معاوية فسأله عن أموال فارس فقال: دفعتها في ارزاق واعطيات وحمالات وبقيت بقية أودعتها قوتاً ـ فمكث بذلك يردده وكتب زياد كتباً إلى قوم منهم شعبة بن قلعم: «قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة فتدبروا كتاب الله ﴿انّا عرضنا السماوات والأرض والجبال﴾ ـ الآية ـ فاحتفظوا بما قبلكم ـ وسمى في الكتب بالمبلغ الذي أقرّ به معاوية ـ ودسّ

الكتب مع رسوله وأمره أن يعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية فتعرّض ـ رسوله حتى انتشر ذلك وأخذ فأتي به معاوية، فقال معاوية لزياد: لئن لم تكن مكرت بي ان هذه الكتب من حاجتي ـ فقرأها فاذا هي بمثل ما أقر به فقال معاوية: أخاف ان تكون مكرت بي فصالحني على ما شئت فصالحه على شيء ممّا ذكره انّه عنده فحمله.

وفيه أيضاً كان عبد الرحمن بن أبي بكرة يلي ما كان لزياد بالبصرة فبلغ معاوية ان لزياد أموالاً عند عبد الرحمن وخاف زياد على أشياء له كانت في يد عبد الرحمن فكتب إليه يأمره باحرازها ـ وبعث معاوية إلى المغيرة لينظر في أموال زياد فقدم المغيرة فأخذ عبد الرحمن فقال: لئن كان أساء إلى أبيك لقد أحسن زياد ـ قلت: أشار إلى إقامة أبي بكرة شهادته على زنا المغيرة محصناً وتلجلج زياد باشارة عمر حتى دفع عن المغيرة الرجم.

فكتب المغيرة إلى معاوية اني لم أصب في يد عبد الرحمن شيئاً يحل لي أخذه، فكتب إليه معاوية ان عذبه، فعذّبه إذ كان معاوية قد كتب إليه وأراد أن يعذر ويبلغ معاوية فقال له: احتفظ بما أمرني به عمك فألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء فكانت تلتزق بوجهه فغشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرات ثم خلّاه وكتب إلى معاوية اني عذبته فلم أصب عنده شيئاً ـ فحفظ لزياد يده عنده ـ أي في عدم شهادته.

وفي صفين نصر ـ بعد ذكر بعث معاوية قبل صفين إلى عمرو بن العاص وقدومه عليه ـ ولمّا دخل عمرو عليه قال له معاوية طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر قال: وما ذاك؟ قال: ان محمد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين ـ أي دين الدعوة إلى أخذ ثأر عثمان الذي كان رأس مال معاوية ـ وان قيصر زحف

بجماعة الروم الي ليغلب على الشام، ومنها ان عليّاً نزل الكوفة متهيئاً للمسير إلي ـ قال: ليس كلّ ما ذكرت عظيماً اما ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه ان تبعث إليه خيلاً تقتله أو تأتيك به، وان فاتك لا يضرّك، وأما قيصر فاهد له من وصفاء الروم ووصائفها وآنية الذهب والفضة وسلمه الموادعة فانّه إليها سريع.

وأما علي فلا والله يا معاوية ما تستوي العرب بينك وبينه ـ إلى أن قال ـ قال عمرو معاوية: فما تجعل لي أن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الوزر والخطر؟ قال حكمك قال: مصر طعمة فتلكأ عليه ثم أعطاه وكتب له بها كتاباً فقال له عمرو: امض الرأي الأول فبعث معاوية مالك بن هبيرة الكندي في طلب ابن أبي حذيفة فأدركه فقتله وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه.

ثم قال له عمرو: رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي وهو عدوّ لجرير البجلي الذي أرسله علي إليك لبيعته فأرسل إليه ووطّن له ثقاتك فليفشوا في الناس ان عليّاً قتل عثمان وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل فانها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب وان تعلق بقلبه لم يخرجه شيء أبداً ـ إلى أن قال بعد ذكر عمل معاوية بما قال له عمرو ـ دخل شرحبيل على معاوية وقال له: أبى الناس إلّا أن علياً قتل عثمان والله لئن بايعت له لنخرجنّك من الشام أو لنقتلنك، قال معاوية: ما كنت لأُخالف عليكم ما أنا إلّا رجل من أهل الشام قال فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذن ـ فعرف معاوية ان شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وان الشام كلّه مع شرحبيل.

وفيه أيضاً ـ بعد ذكر ليلة الهرير ـ ان عليّاً عليه السلام قام خطيباً وقال قد بلغ الأمر بكم وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلّا آخر نفس وان الأُمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم

ما بلغنا، وانا غادٍ عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله تعالى ـ فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص وقال له: انما هي الليلة حتى يغدو علينا (علي) بالفيصل فما ترى؟ قال: أرى ان رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله، هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم، ولكن الق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكماً في ما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك في القوم فاني لم أزل أؤخر هذا الأمر لحاجتك إليه فعرف ذلك معاوية فقال: صدقت.

«يتوصلون إلى الطمع باليأس» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله يقول تعالى (ويل للذين يختالون الدنيا بالدين).

وعنه صلى الله عليه وآله سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمّهم الله بعقاب.

«ليقيموا به أسواقهم» من الوقفة.

في (العقد) (مثل في الرياء) قال وهب بن منبه نصب رجل من بني إسرائيل فخاً فجاءت عصفورة فنزلت عليه فقالت مالي أراك منحنياً؟ قال: لكثرة صلاتي انحنيت قالت: فمالي أرى عظامك بادية؟ قال: لكثرة صيامي ـ قالت: فمالي أرى هذا الصوف عليك؟ قال: لزهادتي في الدنيا. قالت: فما هذه العصا عندك؟ قال: اتوكأ عليها وأقضي حوائجي، قالت فما هذه الحبة في يدك؟ قال: قربان ان مر بي مسكين ناولته إيّاها، قالت: فاني مسكينة قال فخذيها فدنت فقبضت على الحبة فإذا الفخ في عنقها فجعلت تقول (قعي قعي) تفسيره لا غرني ناسك مراء بعدك أبداً.

«**وينفقوا به أعلاقهم**» أي: أمتعتهم قال في (الجمهرة): «العلق الثوب ونحوه تقول هذا علق حسن وهذا علق سوء وعلق نفيس وعلق خسيس».

وتوهم الجوهري فاحشا وأغرب في الاستدلال، فقال (والعلق بالكسر النفيس من كلّ شيء يقال (علق مضنه) أي ما يضن به ـ الخ ـ فانّه استند في كون معنى العلق المتاع النفيس بقولهم: (علق مضنه) فانّه نظير ان تقول معنى (رجل) حسن لأنّك تقول رجل حسن.

ومن الغريب أن الفيروز آبادي مع تهالكه على تغليطه لم يتفطن فتبعه في الوهم كما ان النهاية أيضاً تبعه، فقال: معنى حديث حذيفة (ما بال هؤلاء الذين يسرقون أعلاقنا) أي نفائس أموالنا ـ ولم يتفطن انّه معنى غلط فان الناس ينكرون سرقة مطلق أموالهم وأمتعتهم لا خصوص نفائسها ونظير كلامه عليه السلام قول البختري في مدح الفتح بن خاقان:

كفى رايه الجلي والقى سماحه   نفاقاً على علق من الشعر كاسد

وقوله في مدح أبي الصقر:

نفق الشعر بعدما كان علقا   فاحش الرخص مكسدين تجارة

كما ان ابن أبي الحديد وابن ميثم تبعا الجوهري ولم يتفطنا انّه يصير معنى كلامه عليه السلام ليروجوا نفائس أمتعتهم وليس للمنافق متاع نفيس والمتاع النفيس لا يكسد حتى يروج وتبعه الخوئي أيضاً لكن أوّل كلامه عليه السلام غلطا، فقال العلق النفيس من كلّ شيء أي ترويج ما لديهم من متاع الضلال الذي يزعمون انّه متاع نفيس ـ الخ ـ فانّه من قبيل ما قيل بالفارسية (لفظ ميگوئى ومعنى زخدا ميطلبى).

«**ويصفون فيوهمون**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فيموهون) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) من موّهت الشيء طليته بفضة أو

ذهب وتحت ذلك نحاس أو حديد.

لمّا قال معاوية (ان الهاشمي إذا لم يكن سخيّاً فليس بهاشمي، والمخزومي إذا لم يكن بتائه فليس بمخزومي، والأُموي إذا لم يكن حليماً فليس باموي) بلغ ذلك الحسن عليه السلام فقال أراد معاوية بكلامه ذاك أن يبذل الهاشميون كلّ ما عندهم فيفتقرون ويتيه المخزوميون فيبغضهم الناس ويحلم الأُمويون فيحبّهم الناس.

وفي وزراء الجهشياري مر معاوية بسعد في طريق مكة بعد صلاة الصبح ومعه أهل الشام فوقف وسلّم عليه فلم يرد سعد عليه السلام فقال معاوية لأهل الشام أتدرون من هذا؟ هذا سعد صاحب رسول الله لا يتكلّم حتى تطلع الشمس فبلغ سعداً ذلك فقال: ما كان ذلك مني والله على ما قال ولكني كرهت أن أُكلمه.

«قد هونوا» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) (قد هيئوا).

«الطريق» لنيل مقاصدهم.

في (كامل) المبرد كان (معاوية) إذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيداً احتال له وكاتبه حتى يغري به ملك الروم فكانت رسله تأتيه فتخبره بأن هناك بطريقاً يؤذي الرسل ويطعن عليهم ويسيئ عشرتهم، فقال معاوية أي شيء في عمل المسلمين أحب إليه؟ فقيل له: الخفاف الحمر ودهن البان، فألطفه بهما، ثم عرفت رسله باعتياده ثم كتب إليه كتاباً كانه جواب كتاب منه يعلمه فيه، انّه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم، وأمر الرسول بأن يتعرّض لأن يظهر على الكتاب فلمّا ذهبت رسله في أوقاتها رجعت إليه قال: ما حدث هناك؟ قالوا فلان البطريق رأيناه مصلوباً، فقال

معاوية وأنا أبو عبدالرحمن.

«وأضلعوا» قال ابن دريد: (اضلع الرجل بالشيء) إذا أطاق حمله.

«المضيق» في (الطبري) قال قبيصة الأسدي لو أن المغيرة جعل في مدينة لا يخرج من أبوابها كلّها إلّا بالغدر لخرج منها.

«فهم لمة» قال الجوهري في (لمى) (لمة) الرجل تربه وشكله.

«الشيطان» في الخبر عن جابر: تمثّل إبليس أربع صور تصور: يوم قبض النبي ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة، فقال أيها الناس لا تجعلوها كسرانية ولا قيصرانية وسعوها تتسع، فلا تردوها في بني هاشم فينتظر بها الحبالى ـ الخبر.

«وحمة النيران» قال الجوهري في (حمم).

«الحمة بالضم السواد وحمة الحر معظمه وأما حمة العقرب أي سمّها فهي مخففة الميم والهاء عوض» ـ وجعله ابن أبي الحديد بالتخفيف من حمة العقرب ولا معنى لسم النيران فلابد انّه بالتشديد بمعنى شدّة حرّها قال تعالى: ﴿... فما أصبرهم على النار﴾[1].

هذا وقالوا أتى امرُؤُ القيس حارث بن أسوم اليشكري واخويه قتادة وأبا شريح فقال امرؤ القيس: يا حارث اجز «أحار ترى بريقاً هب وهنا» فقال الحارث: «كنار مجوس تستعر استعارا ـ فقال قتادة:

أرقت له ونام أبو شريح ... إذا ما قلت قد هدأ استطارا

فقال أبو شريح:

كأن هزيره بوراء غيث ... عشار ولِهٍ لاقت عشارا

فقال الحارث أيضاً:

---

(١) البقرة: ١٧٥.

فلمّا ان علا شرجي أضاخ وهبت أعـــجاز ريــقه فــحارا

فقال قتادة أيضاً:

فلم يترك ببطن الشر ظبيا ولم يـترك لقـاعته حـمارا

فقال امرؤ القيس: اني لأعجب من بيتكم هذا كيف لا يحترق من جودة بيتكم، فسمّوا بني النار يومئذٍ.

هذا، وروى (أمالي الشيخ) مسنداً عنه عليه السلام قال لرجل من شيعته: اجهد ألا يكون لمـنافق عـندك يـد فـان المكـافي (عـنكم ـ ط) الله عـزوجل بـجنته ومحمّد صلى الله عليه وآله بشفاعته، والحسن والحسين بحوض جدّهما[1].

٢٨

الحكمة (٧٩)

خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنَّى كانَتْ، فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ المُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ في صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ المُؤْمِنِ.

والحكمة (٨٠)

وقال عليه السلام:

ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، فَخُذِ ٱلْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ.

أقول: رواه (أمالي الشيخ) عن أبي المفضل عن عـبيدالله بـن الحسـين العلوي النصيبي عن الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام هكذا: (الهيبة خيبة والفرصة خلسة والحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحـق بـها وأهلها).

وروي عنه عن جعفر بن محمد العلوي الحسني عـن أحـمد بـن عـبد المنعم الصيداوي عن حمّاد بن عثمان عن حمران بن أعين عن السجاد عليه السلام

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ٥٨٧، المجلس ٢٥ حديث ١٢١٦ طبع مؤسسة البعثة ـ ايران.

عنه عليه السلام ان الكلمة من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعا إلى مظانها حتى يلفظ بها فيسمعها المؤمن فيكون أحقّ بها وأهلها فيلفقها.

«خذ الحكمة» ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا وما يذّكر إلّا أولوا الألباب﴾[1].

وفي (الخصال): تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلمّا لحق به قال له: يا هذا ما أرفع من السماء، وأوسع من الأرض، وأغنى من البحر، وأقسى من الحجر، وأشدّ حرارة من النار، وأشدّ برداً من الزمهرير، وأثقل من الجبال الراسيات؟ ـ فقال له: يا هذا، الحق أرفع من السماء، والعدل أوسع من الأرض، وغنى النفس أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والحريص الجشع أشدّ حرارة من النار، واليأس من روح الله تعالى أبرد من الزمهرير، والبهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات.

هذا وفي (عيون ابن قتيبة)، قال بزرجمهر لأهل الحبس: سلوا الملك ان يرزقكم مكان الادم الاترج ليكون القشر لطيبكم ولحمته لفاكهتكم، والحماض لصباغكم، والحب لدهنكم فكان ذلك أوّل ما عرفت من حكمته.

«اني» أي: أين.

«كانت» ولا تتركها ولو كانت من عدوك.

وفي (المروج): كان إبراهيم بن المدبر مع محله في العلم والأدب والمعرفة سيء الرأي في أبي تمام، ويحلف انّه لا يحسن شيئاً فقال له محمد بن أبي الأزهر: ما تقول في قوله؟:

غدا الشيب مختطاً بفوديّ خطة   سبيل الردى منها إلى النفس مهيع

فوالله لكأني أغريته به حتى سبّه ولعنه قال: فقلت إذا فعلت ذلك فقد

---

(١) البقرة: ٢٦٩.

حدثني عمر بن أبي الحسين الطوسي أن أباه وجّه به إلى ابن الأعرابي يقرأ عليه أشعار هذيل فمرت بنا أراجيز فأنشدته ارجوزة لأبي تمام لم أنسبها إليه وهي:

عـاذل عـذلته مـن عـذله فظن اني جاهل، من جهله ـ الخ ـ

فقال لابنه: اكتبها فكتبها على ظهر كتاب من كتبه فقلت له جعلت فداك انها لأبي تمام فقال؛ خرّق خرّق ـ قال المسعودي: وهذا من ابن المدبر قبيح لأن الواجب أن لا يدفع احسان محسن عدواً كان أو صديقاً، وان تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع فقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك ـ وقد ذكر عن بزرجمهر ـ وكان من حكماء الفرس ـ انّه قال: أخذت من كلّ شيء أحسن ما فيه حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب، قيل ما أخذت من الكلب؟ قال: ألفه لأهله، وذبّه عن صاحبه ـ قيل فما أخذت من الغراب؟ قال: شدّة حذره ـ قيل فمن الخنزير؟ قال: بكوره في حوائجه، قيل: فمن الهرة؟ قال: حسن نغمتها وتملقها لأهلها عند المسألة ـ ومن عاب مثل هذه الأشعار التي ترتاح لها القلوب وتحرّك بها النفوس وتصغي إليها الأسماع وتشحذ لها الأذهان ويعلم كلّ من له قريحة، وفضل ومعرفة ان قائلها قد بلغ في الإجادة أبعد غاية وأقصى نهاية ـ فانما غض من نفسه وطعن على معرفته واختياره.

«**فان الحكمة انما تكون في صدر المنافق فتلجلج**» أي: تدار وتردد.

«**في صدره حتى تخرج**» من صدره.

«**فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن**» قالوا: خرج ابن المبارك مرابطاً فبينما يمشي في أزقة المصيصة إذ لقى سكران قد رفع عقيرته يتغنى ويقول:

أذلنـي الهـوى وأنـا الذليـل وليس إلى الذي أهوى سبيل

فأخذ برنامجاً من كمه، فكتب البيت ـ فقيل له: أتكتب شعر اسمعته من سكران؟ فقال: أما سمعتم المثل؟ «ربّ جوهرة في مزبلة» قالوا نعم، قال فهذه جوهرة في مزبلة.

قول المصنف في الثاني «وقال عليه السلام» هكذا في (المصرية) وفيها سقط ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم الخطّية) (وقال عليه السلام في مثل ذلك) ويشهد له المقام.

قوله عليه السلام **«الحكمة ضالّة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»**. قد عرفت ان المسعودي رواه (الحكمة ضالّة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك) ـ ورواه (التحف): (والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها ولو في أيدي أهل الشر)[١].

قال ابن أبي الحديد خطب الحجاج فقال: (ان الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا، فليتنا كفينا مؤنة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا) فسمعها الحسن فقال هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق.

قال: وكان سفيان الثوري يعجبه كلام أبي حمزة الخارجي ـ ويقول ضالة المؤمن على لسان المنافق ـ «تقوى الله أكرم سريرة وتفضل ذخيرة، منها ثقة الواثق، وعليها مقة الوامق، ليعمل كلّ امرىءٍ في مكان نفسه وهو رخي البال، طويل السبب وليعرف ممد يده وموضع قدمه، وليحذر الزلل والعلل المانعة من العمل، رحم الله عبداً آثر التقوى، واستشعر شعارها واجتنى ثمارها، باع دار الفناء بدار الأبد ـ الدنيا كروضة تونق مرعاها، وتعجب من رآها تمج عروقها الثرى، وتنطف فروعها بالندى، حتى إذا بلغ الشعب اناه، وانتهى الزبرج منتهاه، ضعف العمود وذوي العود، وتولّى من الزمان ما لا يعود، فحتت الرياح الورق، وفرّقت ما كان اتسق، فأصبحت

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ٢٠١.

هشيماً، وأمست رميماً.

قلت: ويمكن أن يجعل من مصاديق كلامه عليه السلام قول زياد بن أبيه، لو ان لي ألف درهم ولي بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره، ولو ان عندي عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمني حق لوضعتها فيه.

هذا، وفي الكشي قال أبو عمر البزاز: قال الشعبي لي ذات يوم ـ وكان إذا راح إلى القضاء ورجع جلس عندي ـ ان لك عندي حديثاً أُحدثك به، فقلت مازال لي ضالة عندك؟ ـ فقال: لي لا أُم لك فأي ضالة تقع لك عندي وأبى أن يحدّثني يومئذ ـ ثم سألته بعد فقال: سمعت الحرث الأعور يقول: أتيت علياً عليه السلام ذات ليلة فقال: يا أعور ما جاء بك؟ فقلت: حبّك والله، فقال: اما انّه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحبّ ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره.

ـ ثم قال: قال لي الشعبي بعد ـ اما ان حبّه لا ينفعك، وبغضه لا يضرّك.

٢٩
الحكمة (٤٣)

وقال عليه السلام في ذكر خَبَّاب بن الأَرَتِّ:

رَحِمَ اللهُ خَبَّابَ بْنَ الْأَرَتِّ، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً؛ وَهَاجَرَ طَائِعاً؛ وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ؛ وَرَضِيَ عَنِ اللهِ، وَعَاشَ مُجَاهِداً.

والحكمة (٤٤)

وقال عليه السلام:

طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ.

أقول هكذا في (المصرية)، جعلهما عنوانين، والصواب جعلهما واحداً

مع زيادة (وقنع بالكفاف ورضي عن الله) في الأول كزيادة (وقال) في الثاني كما يشهد لذلك كلّه ابن ميثم و ابن أبي الحديد و(الخطّية) ومستنده.

ثم الأصل فيه ما رواه صفين نصر بن مزاحم في خبر رجوعه عليه السلام عن صفين عن عبد الرحمن بن جندب ـ بعد جوازه عليه السلام النخيلة، ورؤيتهم بيوت الكوفة، ولقائه عليه السلام عبدالله بن وديعة الأنصاري وسؤاله عن قول الناس في أمره عليه السلام ـ (ثم مضى حتى جزنا دور بني عوف، فاذا نحن عن ايماننا بقبور سبعة أو ثمانية فقال عليه السلام ما هذه القبور؟ فقال له: قدامة بن عجلان الأزدي ان خباب بن الأرت توفى بعد مخرجك، فأوصى ان يدفن في الظهر ـ وكان الناس يدفنون في دورهم وأفنيتهم ـ فدفن الناس إلى جنبه فقال عليه السلام: (رحم الله خباباً قد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً، وابتلى في جسده أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً)، إلى أن قال: ـ طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله بذلك) ورواه تاريخ (الطبري)[1]

قول المصنف: في ذكر خباب بن الأرت» خباب بتشديد الباء والارت بتشديد التاء، قال البلاذري: قال الواقدي: كان الأرت الكن إذا تكلّم بالعربية فسمي الارت، قال: كان في ما يقول ولده من سعد بن زيد مناة بن تميم وقع عليه سباع فصار إلى ام أنمار بنت سبأ فاعتقته ـ الخ ـ لكن غيره قال: ان خباباً نفسه وقع عليه سبأ.

قال ابن أبي الحديد (مات خباب سنة (٣٧) وقيل: (٣٩) بعد أن شهد مع علي عليه السلام صفين والنهروان وصلّى عليه علي عليه السلام) ـ ومثله ابن ميثم فقال: (ومات خباب بعد انصرافه عليه السلام من صفين بالكوفة، وهو أوّل من قبره عليه السلام بها.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣: ١٠٨، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

قلت قد عرفت من رواية نصر بن مزاحم انّه لم يشهد صفين وانّه مات قبل انصرافه وانما الأصل في وهم ابن أبي الحديد استيعاب ابن عبد البر وفي وهم الثاني معارف ابن قتيبة وأما قول البلادري قال الواقدي: توفي خباب بالكوفة سنة (٣٧) وهو ابن (٧٣) وصلّى عليه علي عليه السلام منصرفه من صفين) فأعم ويمكن حمل قوله (وصلّى عليه) على ان المراد وقوفه على قبره منصرفه والترحم عليه والسلام عليه حسبما تضمنه خبره وقال ابن قتيبة: علي عليه السلام أوّل من قبره بظهر الكوفة مع ان البلادري روى انّه نفسه وصّى ابنه بدفنه بالظهر فدفنه ابنه به.

قوله عليه السلام «يرحم الله» هكذا في (المصرية)، والأحسن (رحم الله) كما في (ابن أبي الحديد) وفي خبر مستنده.

«خباب بن الارت» هكذا في (المصرية) والصواب: (خبابا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«فلقد أسلم راغباً» روى أنساب البلاذري انّه أسلم سادس ستة ومع بني مظعون وأبي سلمة بن عبد الأسد قبل دخول دار الأرقم.

«وهاجر طائعاً» في أنساب البلاذري لمّا هاجر النبي صلى الله عليه وآله وهاجر خباب نزل هو والمقداد على كلثوم بن الهدم، فلم يبرحا منزله حتى توفي قبل بدر بيسير، فتحولا على سعد بن عبادة فلم يزالا عنده حتى فتحت قريظة وآخا النبي صلى الله عليه وآله بين خباب وجبر بن عتيك الأوسي.

«وعاش مجاهداً» قال البلاذري: لم يتخلّف خباب عن مشهد من مشاهد النبي صلى الله عليه وآله.

ثم قد عرفت ان رواية نصر زادت في وصفه عليه السلام له (وابتلى في جسده أحوالا) روى (أنساب البلادري) عن الشعبي قال: اعطوهم ما أرادوا حين

عذبوا إلا خباباً فجعلوا يلصقون ظهره بالأرض على الرضف حتى ذهب ماء متنه!

وعن قيس بن أبي حازم: دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى في بطنه سبعاً وقال: لولا ان النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت بالموت.

وعن أبي صالح قال: كان خباب قينا وكان قد أسلم فكان النبي ﷺ يألفه ويأتيه فأخبرت بذلك مولاته فكانت تأخذ الحديدة وقد أحمتها فتضعها على رأسه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: اللّهم انصر خباباً فاشتكت مولاته - وهي أُم أنمار - رأسها فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب يأخذ الحديدة قد أحماها فكان يكوي بها رأسها.

وعن خباب قد أوقد المشركون لي ناراً ثم سلقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدري فما أتيت الأرض إلّا بظهري ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص.

«**طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب**» لأنّه هيأ أسباب فلاحه وفي أسباب نزول الواحدي مسنداً عن خباب قال فينا نزلت ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ...﴾[1]، - الآية - كنّا ضعفاء عند النبي ﷺ بالغداة والعشي يعلّمنا القرآن والخير وكان يخوفنا بالجنّة والنار وما ينفعنا وبالموت والبعث.

فجاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فقالا إنّا من أشراف قومنا وإنّا نكره أن يرونا معهم فأطردهم إذا جالسناك قال نعم قالوا لا نرضى حتى تكتب بيننا كتاباً فأتي بأديم ودواة فنزلت الآيات.

وفي أنساب البلاذري أيضاً مسنداً عن خباب قال كنت قيناً وكان لي

---

(١) الانعام: ٥٢.

على العاص بن وائل دين فأتيته أقتضيه، فقال لن أفضيك حتى تكفر بمحمّد! فقلت لن أكفر حتى تموت وتبعث، فقال واني لمبعوث بعد الموت، فان كان ذلك فلسوف أُقضيك إذا رجعت إلى مالي وولدي فنزلت فيه ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينَّ مالاً وولداً ـ إلى قوله ـ فرداً﴾[1].

«وقنع بالكفاف» لأن فوقه وزر ودونه خزي.

روى (الكافي) عن النبي ﷺ قال اللّهم ارزق محمّداً وآل محمد ومن أحبّ محمّداً وآل محمّد العفاف والكفاف، وارزق من أبغض محمّداً وآل محمّد المال والولد، لكن روى البلاذري ان خباباً صار أخيراً ذا مال كثير فروى عن حارثة بن مضرب قال دخلت على خباب أعوده ـ إلى أن قال: ـ واتى بكفنه قباطي فبكى وقال لكن حمزة كفن في بردة إذا مدت على قدميه قصرت عن رأسه وإذا مدت على رأسه قصرت عن قدميه حتى جعل عليهما اذخر ولقد رأيتني مع النبي ﷺ وما أملك ديناراً ولا درهماً انّ في بيتي في تابوت لأربعين ألف واف وخشيت أن يكون عجلت لنا طيباتنا في الدنيا.

«ورضي عن الله» ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه﴾[2].

وروى (الكافي) عن النبي ﷺ قال يا معشر المساكين طيبوا نفساً واعطوا الله الرضا من قلوبكم يثيبكم الله تعالى على فقركم فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم.

وروى (أسد الغابة) عن أبي موسى ـ في يزيد بن عبدالله الشخيري ـ قال

---

(١) مريم: ٧٧ ـ ٨٠.

(٢) البينة: ٧ ـ ٨.

وأظنه قد رأى النبي ﷺ قال ان الله يبتلي العبد في ما أعطاه فان رضي بما قسم له بارك له فيه وان لم يرض بما أعطاه لم يبارك له ولم يسعه.

٣٠
الحكمة (٤٢٧)

وقال عليه السلام :

مَنْ شَكا الحاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ، فَكأَنَّما شَكاهَا إلى اللهِ، ومَنْ شَكاها إلى كَافِرٍ، فَكأنَّما شَكا اللهَ.

أقول هكذا في (المصرية) والصواب في الأول أيضاً (فكأنما) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

قالوا ووجه كلامه عليه السلام في الشكاية من المرض أيضاً حد للمذموم وغيره، ففي (الكافي) عن الصادق عليه السلام سئل عن حد الشكاة للمريض فقال ان الرجل يقول حممت اليوم وسهرت البارحة وقد صدق وليس هذا شكاه، وانما الشكوى ان يقول لقد ابتليت بما لم يبتل به أحد، ويقول لقد أصابني ما لم يصب أحداً.

فهرس المطالب

العنوان رقم الصفحة